المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن عشر بعد المائة

May 1951 — مايو سنة ١٩٥١

افراح التاج

تاج مصر، مطمح آمالها، وعرش مصر، موئل رجائها، وشعب مصر المجاهد الطموح، يتطلع إلى هذا التاج، كلما داعبته أطياف الأمل، ويهرع إلى العرش، كلما مسّه طائف الخوف.

ومليك مصر لشعبه زعيم، ولأمته قائد، ولوطنه نصير...

والفاروق قد تهيأت له عناصر الزعامة الشعبية، إرثاً عن جده الزعيم الموفق « محمد علي الكبير »...

.. وتدفق في أعراقه الدم الشعبي، مارّاً فتيّاً متوثباً...

... ووثق في الشعب، فأشرك في تاجه، ملكة من بنات شعبه الوفي الأمين...

... واستجاب الشعب ، فبارك هذه الشركة ، وهتف لها من أعماقه : بالأسعاد والرفاء والبنين ! !

وملبك مصر ومليكتها ، من شعبها سواد العيون ، وحبات القلوب ، ونغمتان متجاوبتان ، في أغاني الحرية ، وأناشيد السلام ! !

فلم يكن عجباً ، أن يتواكب الشعب في أفراح الملك ، وأن يحتشد هالات حول التاج ، وأن يحوط العرش المفدّى بسواعده الفتية ، وأن يتخذ من ذكرى الجلوس ، وفرحة القران ، أعياداً يتغنى فيها بأمجاد الملك ، ويهتف بالأماني المشتركة بين الأمة ورائد نهضتها .

✲

والمقتطف : التي ولد مع النهضة ، وشبّ في ملاعبها ، وتابع تطوراتها ، وتفاعل مع أبطالها .

يسعده أن يزف الى تاج البلاد ، أسمى آيات التهاني ، ويهيج أيامه أن يرفع فروض الولاء الصادق ، الى الملكين الكريمين ... واجباً أن يكون هذا القران الملكي الموفق بشير يمن وخير ، بتحقيق الفرحة الكبرى ...

فرحة الحرية الكريمة ، للنيل الحبيب .

✲ ✲

الفرازات ومنافعها الفنية [1]

في مختلف الصناعات العصرية

للأستاذ عوض جبر دي

نشرت احدى المجلات الفنية الأمريكية مقالاً نفيساً في وصف الفرازات ومنافعها ، فآثرت ترجمته فيما يلي : —

﴿ تاريخ المماخض العصرية ﴾ الفرازة هي المخض أو المخضة ، وجمعها مماخض أي الوعاء الذي يحرك فيه اللبن حتى يخرج منه الزبد . وتقوم الفرازات الآن بدور عظيم في الصناعات هو خفض نفقات انتاج المصنوعات . وتدور الفرازات ، وأشهرها فرازات القشدة ، بالقوة المركزية الدافعة ، فتؤدي أعمالاً جسيمة شتى . ومنها السلع المختلفة الفاخرة ، الزهيدة الأثمان . كما تصنع مواد طلى السيارات ، وشمع صقل خشب الأرضية وغير ذلك . ولها شأن خطير في البحث الطبي . وتعد الفرازات من أعجب الآلات المستعملة في الصناعات العصرية .

ومع كون القوة المركزية الدافعة ، هي من القوى الكونية الأساسية ، بيد أن الناس لم يكترثوا لها ، لاستخدامها في مصالحهم الا في القرن الماضي . إذ بدأ استعمالها في الطلمبات المروحية ، وفي تجفيف الملابس المغسولة . ولم يتيسر صنع فرازة ذات شكل يكاد يشبه فرازات العصر الحديث ، إلا في سنة ١٨٧٥ إذ درس كارل دي لفال المخترع الأسوجي مشكلة فصل القشدة من لبنها . ذلك لأن الحليب إذا حلب في محلب ، سواء أكان

(١) نشر في ١٦ مايو سنة ١٩٥١ (ر . ع) علم هنا أن معهد الامصال بالدقي في القاهرة ، سيزود قريباً بجهاز لفرازة دوارة ، عظيمة السرعة ، من طراز حديث يبلغ ثمنه ٥٠٠٠ جنيه ، ويقوم هذا الجهاز بنحو ٥٠٠٠٠ دورة في الدقيقة . ويعد من أحدث ما أنتجه الماهرون في بريطانيا . ولم يسبق استعماله في مصر أو في أكثر بلاد العالم . (جريدة المقطم) .

« متردآ » شلبية ، أم طاسة أم سلطانية ، انقست عليه ساعات عدة حتى يرسب اللبن ، بتأثير ثقله النوعي ، في أسفل ذلك المحلب. فتطفو القشدة على سطحه لخفتها . (وهذه هي الطريقة التي ما زالت مستعملة في أكثر الأرياف المصرية .

وعُني دي لڤال ، ذلك الأسوجي العبقري ، ببحث هذا الأمر عليًا ، فأسفر بحثه عن كون قوة الثقل النوعي ، أصلح لأداء هذا العمل . وذلك عند ما يوضع الحليب في وعاء ، ويدار هذا الوعاء دورانًا سريعًا جدًّا ، يبلغ آلاف المرات في هنيهة

فينشأ من هذا التخيض العاجل عزل اللبن ، في جوانب ذلك الوعاء الذي يقع عليه الدوران . على حين ترسب القشدة ، طبقات

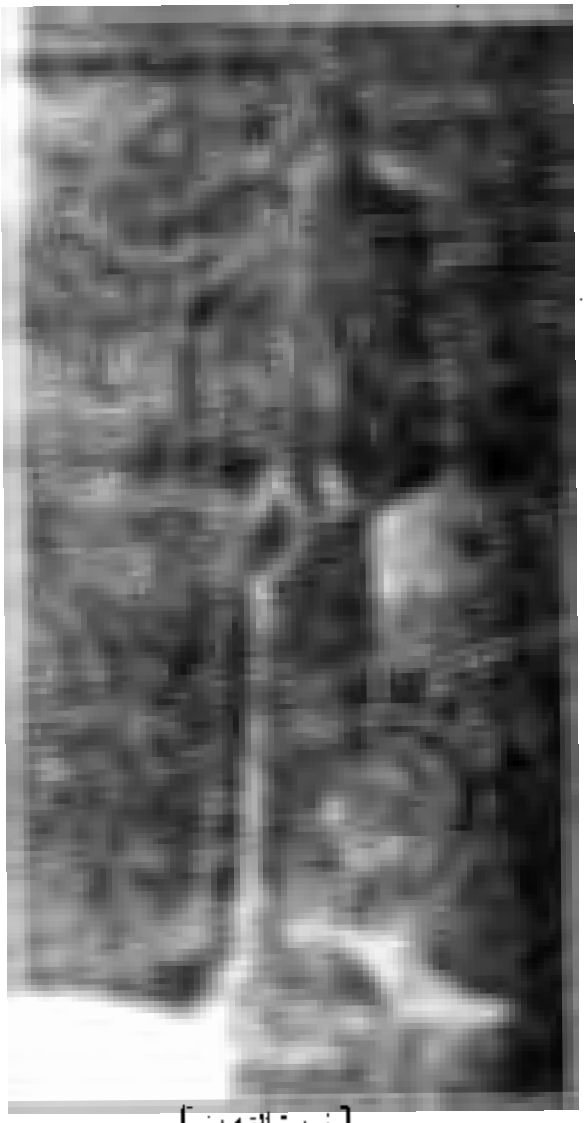

[فرازة القشدة]

بعضها فوق بعض ، قريبة من وسط الوعاء نفسه

ويجعل للوعاء ، مخرجان ، أحدهما لتفريغ المخيض والآخر لتفريغ القشدة . وبهذه الوسيلة يتاح فرز القشدة من لبنها في ثوان ، بدلاً من استغراق الساعات .

ولم يلبث العالم المشار إليه ، أن اخترع فرازة القشدة على ذلك المنوال

﴿ متى انتشرت المناخل الميكانيكية ؟ ﴾ وكان تطبيق مذهب دي لثال ، خارج صناعة منتجات الألبان ، بطيء الظهور . فلم يعم استعمال الفرازات الميكانيكية إلا في سنة ١٩١٠ ثم أخذت في الانتشار . فصنعت منها كميات جمة وزعت في أنحاء البلاد الأمريكية وغيرها . وبلغ عدد ما بيع منها حينئذ أكثر منه في السنوات السابقة جميعها .

وغدت أحجام الفرازات تتفاوت بين صغيرة تصلح للمعامل الكيماوية ، وكبيرة تستعمل لتجفيف الجرامد . وهذه الأخيرة يبلغ ثمن الواحدة منها ٢١٥٠٠ دولار وهي تستخدم في استخراج الرطوبة الزائدة من ملح الطعام ، بطريقة التخيض أيضاً . فتستطيع تجفيف أطنان من الملح في ساعة .

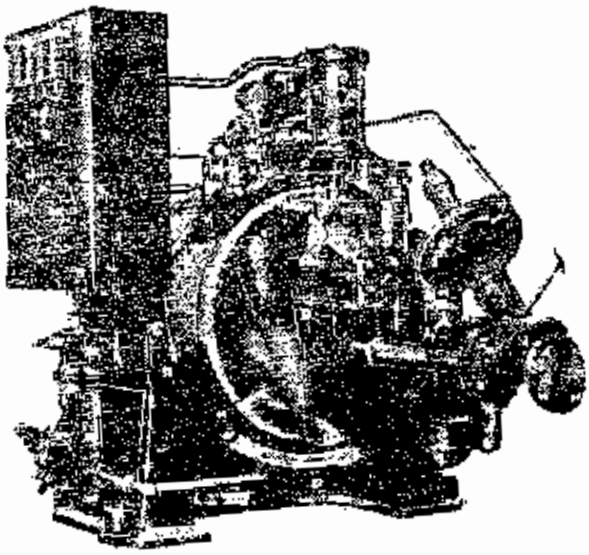

[فرازة تجفف ملح الطعام وتفرغ شحنتها بعد تجفيفه]

وأيًّا كان حجم الفرازة فإنها تصنع صنعاً محكماً ، يفوق أكثر صانعات الجيب إتقاناً . وهذا أمر لابد من مراعاته . لأن دورانها بسرعة قصوى ، مما يجعلها مصدراً للكوارث . لذلك تراها تدور دوراناً سلساً للغاية فأصبحت بعد من أهدأ الآلات في الصناعة . فلا تكاد يسمع لها دوي

﴿ سرعة الفرازات الحديثة ﴾ وأعجب الفرازات العصرية التي تم صنعها حديثاً هي التي صنعت للتجارب خاصة ، وهذه تدور بسرعة فائقة جداً فتولد قوات ضخمة . وكانت الفرازة التي صنعها الدكتور سفيدبرج ، رئيس مساحت الذرة ، في جامعة أبسالا Upsala في أسوج إحدى الفرازات الفاخرة وحجته في ذلك ، أن الفرازة التي تدور دوراناً عاجلاً كافياً للغرض المقصود منها، في وسعها توليد أية طاقة تلزم للأعمال المختلفة . فتستطيع حينئذ فصل السوائل التي لم يتمكن أي انسان من فصلها بعضها من بعض في غابر الأزمان . ومنها المستحلبات المتماسكة أقصى التماسك . ولهذه الفرازة الفائقة اسطوانة زجاجية ، طولها سبعة قراريط ، ويديرها توربين غازي . وقد بلغت سرعتها القصوى

١٦٠٠٠٠ دورة في الدقيقة .

وتسهيلاً لادراك القارىء مبلغ هذه القوة الضخمة ، ليتاح له مقابلتها بغيرها ، نذكر أن المروحة الكهربية تدور في الدقيقة ١٧٥٠ دورة . على حين تدور فرازة الفضة ٧٠٠٠ دورة في الدقيقة . وبهذه السرعة ، أتيح لسفيدبرج توليد طاقة تساوي ٦٠٠ طن ، وذلك بثقل رطل انكليزي . واستطاعت حافة الاسطوانة الخرجية المذكورة آنفاً ، الدوران بسرعة تزيد على ٣٠٠٠ ميل في الساعة ثم قامت شركة شاربلز الأمريكية في فيلادلفيا ، بتحسين آخر فاخترعت فرازات أسرع مما ذكرنا . وهذه تدور كل منها ١٫٢٠٠٫٠٠٠ دورة في الدقيقة ، أي انها تولد قوّة تعادل جاذبية الثقل ٧٫٦ مليون مرة . وبهذه السرعة يتيسر لثقل أوقية واحدة ، توليد قوة دافعة الى الأمام تعادل ٢٣٧ طنًا

﴿ فرازات لفرز توائم العناصر المعدنية ﴾ ولكن العلماء لم يقتنعوا بهذا الظفر الفني إذ أعلن حديثاً عالم أمريكي من علماء الطبيعة في جامعة فيرجينيا، هو الدكتور جيمي ويكفيلد بيمز ، البالغ عمره ٥٠ عاماً ، أنه استطاع تعليق اسطوانة زجاجية صغيرة جدًّا في وعاء مفرغ من الهواء تفريغاً تامًّا ، وذلك بالجذب المغنطيسي . [فرازة تفصل توائم العناصر المعدنية بعضها عن بعض]

وجعلها تدور عشرة ملايين دورة في بضع دقائق أي بمعدل ١٦٦٠٠٠ دورة في الثانية .

ومما ينبغي ذكره في هذا الصدد أن بيمز لم يصرح أن بحثه هذا كان القصد منه توليد سرعات متناهية جدًّا للتوصل بها الى فصل توائم العناصر المعدنية . وإنما كان يتوخى الوثوق من امكان تنفيذ هذه التجربة عند الحاجة اليها . فتبين له صدق حدسه . فأصبح من الميسور يوماً ما بهذه الطريقة ، فصل اليورانيوم عيار ٢٣٥ من زميله اليورانيوم عيار ٢٣٨ الذي هو أثقل منه قليلاً . وعندئذ يتسنى الاستغناء عن الطرق المستعملة حالياً

أجل إن السرعات الفائقة جداً ، تزيد على مطالب الصناعات . إذ يكتفي معظمها بخمسين ألف دورة في الدقيقة . لأن الآلات التي تدور بهذه الدرجة من السرعة تولد طاقة لعادل جاذبية الثقل ٦٢٠٠٠ مرة . ولكن يخشى عليها دائماً من الانفجار . فقد حدثت حوادث متعددة انفجرت فيها هاتيك الفرازات ، فطوحت بشظاياها شذر مذر ، حيث اخترقت الحيطان والحواجز كأنها قنابل مدافع صغيرة . وقد يبلغ هذا الخطر أقصاه ، عند انفجار الآلات الفائقة السرعة التي تستخدمها المعامل الكيماوية . لذلك يضطر أصحابها إلى دوام وقاية مستودعاتها إما بألواح معدنية وإما بطبقات من الآجر « المسلح » كما يتحرى صناع الآلات الخاصة بالصناعات المختلفة ، إعداد حجر خاصة لاختبار تلك الآلات الفرازة تكون حيطانها مغطاة بطبقة من الآجر تبلغ ثخانتها قدماً كاملة حيث يختبرون الفرازات بزيادة سرعتها مرتين ونصف مرة على السرعة التي تقتضيها الأعمال المزمع أن تقوم بها فاذا تبينوا حينئذ احتمالها هذه التجربة العنيفة ، ثبتت لهم صلاحيتها للصناعات وسلامتها

فيلذي أن تكون الفرازات التجارية رقيقة الغلف ، وحجة صناعها في ذلك ، أنها إذا ما انفجرت ذات مرة في أثناء دورانها ، لا تحدث شظاياها أضراراً جسيمة كالتي تنجم عن تحطيم الغلف الثخينة إذ تنطلق كأنها رصاص شرابنل .

﴿ أعمال الفرازات ﴾ وتنحصر أعمال الفرازات في ثلاثة أنواع رئيسية هي (أولاً) تفكيك السوائل التي لا تقبل الامتزاج بعضها ببعض ، كالزيت والماء (ثانياً) عزل الدقائق الصلبة من السوائل . ومثله — إزالة المادة الغريبة التي تقتسم لون دهان اللاكيه الأبيض . (ثالثاً) القيام بعمليات التجفيف ، مثل ازالة الرطوبة الزائدة من السكر أو الملح .

وفي حالات معينة يمكن فرازة واحدة اداء هذه العمليات الثلاث جميعها قصد انتاج مادة واحدة . ومثال ذلك — صنع اللبأ ، أو تقوم الفرازة بتصفية المداد الذي تطبع به الفنائف ، فتنقية الزيت المستعمل في لف الأوراق الرقيقة التي تغطى بها اللفافة ، ثم نزع الشوائب التي تشوب العصارة اللبنية الجافة التي تتخذ من أشجار السابوديلا [1] وأخيراً تجفيف السكر الذي يذر على ذلك الصمغ .

وفي كثير من الصناعات تسهل الفرازة ، الوسائل العتيقة المستعملة للانتاج ، تسهيلاً

(١) السابوديلا — شجرة مثمرة أبيدة « دائمة الاخضرار » تزرع في جزائر الهند الغربية وأمريكا الوسطى وتفرز عصارة لبنية . وهذه العصارة تشبه العصارة التي تسيل من شجر الكاوتشوك وتستعمل في انكلترا بدلا منها .

عظيماً . ومثال ذلك ، جمع الزيوت من ثمار الفصيلة البرتقالية لاستعمالها في تعطير الحلوى والعطائر ، والعطور التي توضع على رفوف المطابخ . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن هذا العمل كان يمارسه في زمن مضى فلاحو جزيرة صقلية بصفة كونه احدى الصناعات المحلية . فكانوا يجمعون قشور الليمون والبرتقال ويعصرونها في مراجل « قصع » مملوءة بالمياه ، فيطفو الزيت على سطوحها فيقشطونه عنها . وما من شك أن هذا العمل كان شاقاً مملاً ، فضلاً عن تفاهة نتيجته . اذ كان الطن الواحد من قشور البرتقال لا يستخرج منه أكثر من رطلين انكليزيين من ذلك الزيت العطري . على حين يستغل من الطن الواحد من قشور الليمون الهندي ، نصف رطل انكليزي ، من ذلك الزيت الليموني . بينما يستخرج من طن قشور الليمون الحامض ، أربعة أرطال انكليزية . أما الآن فتقدم القشور ، من المعاصر التي تعصر هاتيك الثمار لاستخلاص عصاراتها ، وذلك الى مكابس ضخمة ، حيث تتدفق عليها المياه فتستخلص منها الزيوت المنشودة . اذ تصب المياه الدافعة للزيت ، في فرازة تدور ١٥٠٠٠ دورة في الدقيقة . فتفرز هذه الفرازة ٢٢٠٠ جالون من السائل في ساعة واحدة بينما يسيل الزيت من أحد صنبوري الفرازة ويسيل الماء التالف من صنبورها الآخر .

﴿ الفرازات تمنع تجمد الزيت من الصقيع ﴾ وللفرازة يرجع معظم الفضل في تسيير السيارات في فصل الشتاء . لأنه حينما يتجمد الزيت في أي يوم كان من أيام الصقيع وذلك في علبة صمود الكرنك في السيارة ، تجمداً شديداً ، كثيراً ما ينشأ عن ذلك وقف تسيير محرك السيارة إذ يتحول الزيت شمعاً متجمداً ، من انخفاض درجة الحرارة . فتقوم الفرازات الآن بنزع هذا الشمع . إذ يخفف زيت التزييت ، بالنفط ، فيبرد الى درجة تجمد الشمع . ثم تنزع هذه المادة من الزيت . وبهذه الواسطة يتسنى سيلان الزيت في أية حالة من حالات تقلب الجو .

﴿ الفرازة تصفي الورنيش ﴾ وينبغي أيضاً الاعتراف بنفع الفرازة نفعاً عظيماً في صنع دهانات اللاكيه البيضاء ، وأنواع الورنيش المختلفة التي تعرض الآن في الأسواق . ذلك لأن بعض المواد تستحيل تصفيتها لكثرة المواد الصمغية التي تشوبها . وحينئذ لا بد من حل معضلة التخلص من تلك الشوائب الصمغية . فلا يحلها إلا الفرازة إذ تقوم بأعظم دور في تنقية أنواع الغراء والورنيش واللاكيه وشمع صقل خشب الأرضية .

﴿ الفرازة وطحين السمك ﴾ وهي نافعة في صناعة طحين السمك كذلك . لأن صناع هذا الطحين ، الذي هو بقايا أجسام سمك الراي والسردين والتونة وأمثالها ، التي تتخلف عقب استخراج زيوتها الثمينة منها ، يطمحون دائماً الى استخراج أكثر ما يمكن من الزيوت

المشار اليها ، قبيل بيع النفايات كطحين لعلف الحيوان أو مواد لتسميد الأطيان . ولهذا الغرض يطحن السمك ثم يمزج طحينه بالماء . ويوضع في فرازة فتدور ، فيمر منها طحين السمك من أنبوب . ويسيل الماء من أنبوب آخر ، والزيت من أنبوب ثالث فيها .

﴿ الفرازة في الأعمال المنزلية ﴾ وتؤدي الفرازة مئات من الاشغال المنزلية ومنها تنظيف المواد الدهنية في مخابز الفطائر المقلية . حيث تستعمل المخابز مقادير كبيرة من تلك المواد تكلفها نفقات باهظة . وعندما تستعمل هذه المواد الدهنية في القلي عدة مرات ، تتلوث سريعاً بدقائق العجين المحترق من القلي . فاذا لم تنظف المواد الدهنية مما يشوبها من هذه الدقائق المحروقة ، أصابها التعفن . فتقوم الفرازة حينئذ بهذا التنظيف بكل دقة . وذلك بوضع الدهن القذر في الفرازة ، فتعزل الدهن النظيف إذ يبرز من صنبورها ، بينما تخرج النفاية السوداء من صنبورها الثاني .

﴿ الفرازة في صناعات البويات والمداد والخزف الصيني والكاوتشوك وأقلام الرصاص ﴾ والدقائق المادية في شتى الصناعات العصرية أهمية كبيرة . ويصح ذلك في الصلصال الذي يدخل في صنع الخزف الصيني الماخر « الصحون والاطباق » وفي الساج « هباب المصابيح » الذي يطيل بقاء كاوتشوك إطارات السيارات صالحاً للاستعمال . وفي الصبغات التي تدخل في البوية ، وفي الجرافيت الذي هو قوام أقلام الرصاص . كما أن للدقائق نفسها شأناً خطيراً في صناعة المداد المستعمل في أقلام الحبر المستديرة الأطراف ، حيث تعوق دقيقة مداد كبيرة الحجم قليلاً ، رأس القلم الكروي الشكل عن عمله . فالفرازة إذن أصلح الآلات لتنسيق أحجام الدقائق المادية تنسيقاً صحيحاً . فاذا دارت الفرازة دورانها المحدود ، عزلت الدقائق المادية الكبيرة الاحجام من الجرافيت وهذه الدقائق هي التي تجعل قلم الرصاص يخدش الورق عند الكتابة به عليه . كما ان الفرازة تنقي البوية والصلصال من الرمل .

﴿ الفرازات تستخرج اللانولين ﴾ ويضاف إلى هذا منفعة أخرى — هي استخراج دهن اللانولين من صوف الغنم . وهو المستعمل لدهن شعور النساء . كما يستعمل في صناعتي الصابون والمراهم . وهو مادة ثمينة وهذا مما يحدو صناع الصوف ، على بذلهم أقصى الجهد في استخلاص كل أوقية منه فتراهم يغسلون الصوف بمياه غزيرة ثم يصبونها في الفرازات . وكلما أديرت هذه الفرازات ، خرجت المياه من أحد صنابيرها وخرج اللانولين من صنبور آخر ، وبرز الوسخ من صنبورها الثالث .

﴿ الفرازات تجمع خمائر البيرة ﴾ والفرازة نافعة جداً لجمع منتجات ثانوية صناعية

أخرى . ونعني بها الحميرة التي تنتج من البيرة . وتستعمل خميرة جعة لتحسين طعوم كثير من أغذية الانسان وأعلاف الحيوان

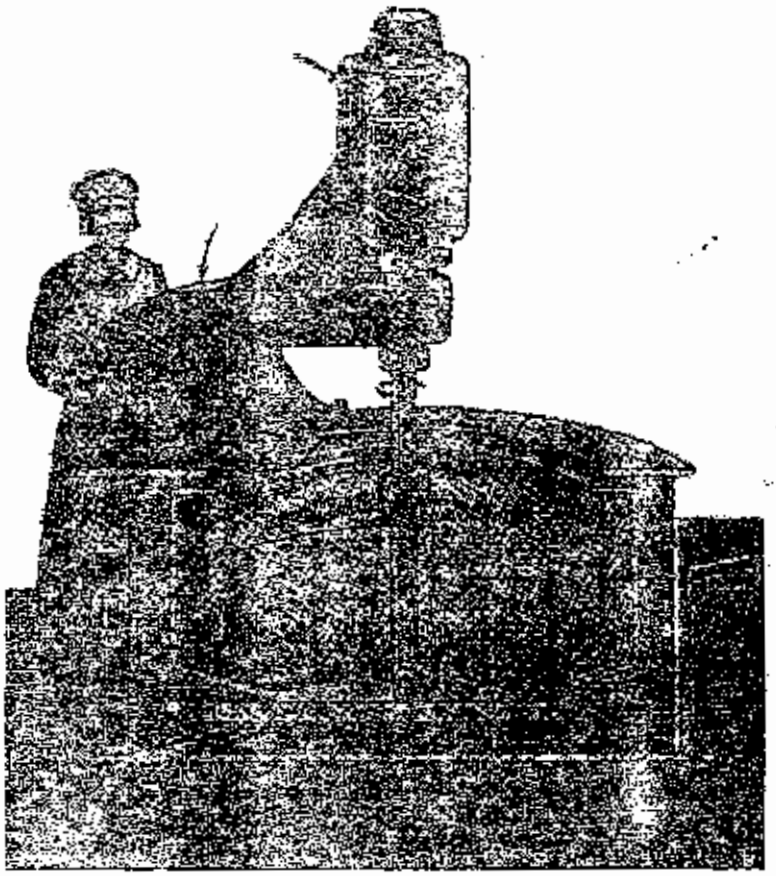

[آلة غسل الملابس]

﴿ الفرارة تجفف الثياب المغسولة ﴾ والتجفيف هو ثالث المنافع الكبرى للفرازات . وأبسط مثال له — الآلة الرحوية تجفف الملابس المغسولة . وتستعمل هذه القاعدة عينها في الصناعات الكيماوية بأسرها . ولا سيما في غسل المواد الجامدة وتجفيفها ، مثل بكربونات الصودا وسلفات النحاس والاسبرين والبورق وملح الطعام وكثير غيرها من المنتجات . والآلات التي من هذا القبيل تعمل عملا متواصلاً . وحالما تفرز الرطوبة

من احدى كميات المواد المقصودة ، وذلك بقوة تعادل جاذبية الثقل ٩٠٠ مرة ، تنزل مدية في سوقها المعين فتقشط المواد الجامدة ، عن الاسطوانة الدوّارة في الآلة . وبعد ذلك ، توضع في الآلة كمية أخرى من المواد المزمع تجفيفها .

﴿ الفرازات تنقي زيوت التزييت ﴾ [1] وفي خلال الحرب العالمية الثانية كانت الشركتان الأمريكيتان الكبيرتان ، لصنع الفرازات وهما شاربلز في فيلادلفيا ، ردي ليثال في نيويورك ، مشغولتين جدًّا بإعداد لوازم الأسطول الأمريكي ، واللجنة البحرية الوطنية ، وكانت السفن الأمريكية حينذاك ، لامتناص لها من استعمال أجود أنواع زيوت التزييت وهذه كانت وتتكلف عسيرة المنال ، أحيانًا ، في مراكز طلائع الجيوش الأمريكية المنتشرة في أصقاع شتى من العالم ولذلك كانت السفن تزود دائمًا بفرازات خاصة لتنقية الزيوت التي تحتاج إليها التزييت الآلات .

﴿ الفرازات تساعد على تحضير البنيسيلين ﴾ ومن دون الفرازات كان مستحيلاً مثلاً تحويل الدماء ، إلى كميات ضخمة من المصل والزلال الدموين ، اللذين ينقذان الحياة البشرية . كانت الفرازات في عمل باهر جدًّا ، إذ حلت معضلة من أعوص المعضلات التي تعرضت لها الصناعات . ونقصد بها انتاج البنيسيلين . لأن في صنع هذا العقار السحري ، تقوم مادة مذيبة ، بامتصاص البنيسيلين من السائل الذي يوضع في الحياض الكبرى الخاصة بتخميره ، حيث ينمو

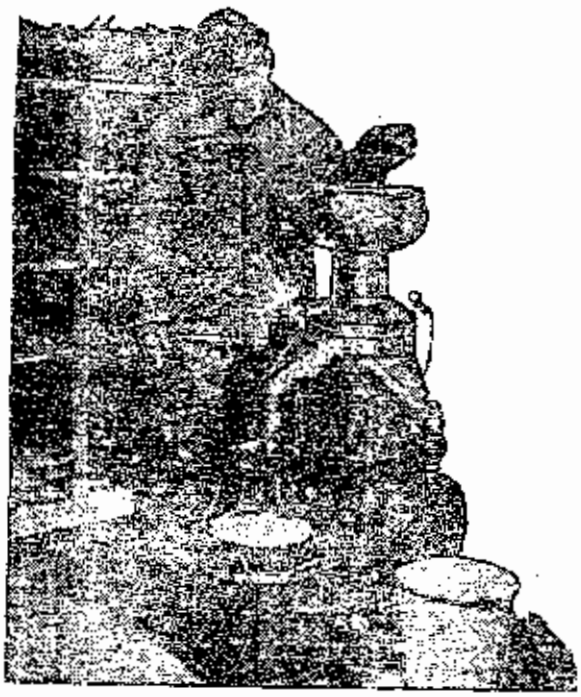

[فرازة مصل الدم]

(١) ذكرت احدى جرائدنا اليومية في ٣ - ١١ - ١٩٥١ أن السلاح الجوي الملكي طلب الى شركة الحربية شراء آلة لتكرير الزيت المستخلص من العائرات والسيارات لاعادة استعماله . وذلك لوحظ أخيراً من استهلاك كميات كبيرة من الزيوت

العفن المراد له . فتنتج وتتولد عقبة أخرى هي استخلاص كميات دقيقة من البنسيلين ، من أنوف الجاروفات المعدية النفع من ذلك السائل. فحاولت الفرازات هذه المشكلة ، بإزالة تلك العقبة الكؤود .

﴿ الفرازات تقوم بعزل الفيروس ﴾ وللفرازات في أعمال البحث الطبي شأن يذكر فيشكر . إذ مهدت السبيل لعمل عصري عظيم من أعمال المختبرات الكيماوية — هو عزل الفيروس virus أي الميكروبات المتناهية في الدقة التي هي مصدر أمراض شلل الأطفال ، والحمى الصفراء ونزلات البرد العادية ، والحصبة . ذلك لأن هذه الميكروبات الخفية ، تفلت من المرشحات الصينية ، لدقتها المتناهية . مع كون هذه المرشحات صالحة لاقتناص البكتيريا . ولهذا السبب لا تستطيع المجاهر العصرية رؤيتها .

وكانت هذه الميكروبات الدقيقة مجهولة الى سنة ١٩٣٥ . ولم يكن يثبت وجودها حينئذ إلا معلومات استنتاجية . فقام الدكتور — و . ج ستانلي ، الطبيب في معهد روكفلر للبحوث الطبية ، باستخراج عصارة من نباتات تبغ كانت مصابة بمرض التبقيع المعروف . فخيل اليه أنه إذا وضع تلك العصارة الخارجة من المرشح ، في فرازة تدور دوراناً هائلاً كافياً للغرض المرموم ، لا بد من طرد الميكروب المشار اليه ، إلى حافة الفرازة نفسها . وتبين له بعملية حسابية ، إنه إذا دارت الفرازة بسرعة ٢٥٠٠٠ دورة في الدقيقة ، ولدت قوة ضد ذلك الميكروب ، تساوي جاذبية الثقل ٤٠٠٠٠ مرة . فكانت هذه النتيجة كافية لانشاء مبدأ الفرازة . فمهدت السبيل لعزل ذلك الميكروب البحت . مثلما عبدت الطريق لمكافحة الأمراض الأخرى التي تنجم عن أمثال هذه الميكروبات . وأحصها الحمى الصفراء والانفلونزا .

وأما الفيروس الذي هو قوام لقاح الجدري مثلاً فيربى في أجنة البيض الملقح . لأن هذا الفيروس يحتاج الى غذاء من أنسج حي . بينما تعيش البكتيريا ، على الأغذية «الميتة» مثل سوف القمح النقي والعصيدة النباتية « الآجار » والسكر . وتوجد الآن فرازات فاخرة جداً تستخدم في المعامل الكيماوية لعزل الميكروبات الدقيقة التي من هذا النوع . وبعضها يدور دوراناً في أقصى السرعة ، فيولد قوة مركزية دافعة تساوي جاذبية الثقل ٢٠٠٠٠٠ مرة . وهذه تدور دوراناً مستمراً لتفرز السائل المعصور من أجنة الفراريج المصابة بالعدوى . وذلك من أحد أطرافها على حين يخرج الفيروس ، على شكل هلام شفاف ، من صليورها الأول . ويسيل السائل النالف ، من صليورها الثاني .

نحن واللغة العربية

— ٥ —

اللغة العربية في العصر الحاضر : حـ . [في الشام]

للأستاذ مصطفى الشهابي

ذكرت في أحد أحاديثي السابقة أن المدارس الأهلية في ديار الشام ، إسلامية كانت أم نصرانية ، هي التي كانت تعنى بتدريس لغتنا الضادية ، أيام الدولة العثمانية .

أما مدارس تلك الدولة فقد كانت تعد التركية هي الأصل وتعد العربية لغة ثانوية لا تدرس إلا على قدر حاجة اللسان التركي إلى اللسان العربي .

فلما تأسست الحكومة السورية العربية سنة ١٩١٨ ، وأصبح الشام كيان قومي مستقل سعت همة رجالنا إلى تحقيق الأغراض الآتية وهي : أولاً ـ نقل دواوين الحكومة من التركية الى العربية ثانياً ـ رفع مستوى الثقافة العامة بتزييد عدد المدارس على مختلف أنواعها . ثالثاً ـ تدريس اللغة العربية تدريساً وافياً وجعلها لغة التعليم لجميع العلوم الدراسية في مدارس الحكومة كافة .

وقد تحققت هذه الأغراض الثلاثة فافتتحت المدرسة الطبية وفروعها ، وأسست مدرسة الحقوق ، وتألفت الجامعة السورية من هذا المجموع . وفتحت دور للمعلمين والمعلمات في دمشق وحلب ، ومدرسة تجهيز في كل لواء (محافظة) ، ومدارس ابتدائية كثيرة ، ومدرسة صناعية في دمشق ، وأخرى في حلب ، ومدارس للأشغال اليدوية النسائية ، ومدرسة زراعية في الغوطة نقلت بعدئذ الى سلمية . وجعلت العربية لغة تدريس العلوم في جميع هذه المدارس .

ولما مست الحاجة إلى ايجاد مصطلحات علمية للمدارس ولدواوين الحكومة ولا سيما الجيش ، أنشئت لجنة للترجمة كانت نواة للمجمع العلمي العربي بدمشق . ثم لما دخل الفرنسيون البلاد الشامية الداخلية في سنة ١٩٢٠ ، حتى بعض رقائنا إضرارهم باللسان العربي ، وهو أهم مظهر لكياننا القومي ، وخافوا أن يعود هذا اللسان بعهم الى ما كان

عليه أيام الدولة العثمانية من الانحطاط . لكن الأيام أثبتت أن هذا الحذر لم يكن في محله . والحقيقة التي يجب أن تقال هي أن الفرنسيين ، على الرغم من خططهم السياسية السقيمة ، لم يحاربوا التعليم ولا اللغة العربية في ديار الشام . بل لبثت العربية لغة الدواوين الحكومية في مدارسها ، ولغة تعليم الدرك والشرطة في سورية . أما في لبنان فالمدارس الابتدائية كانت تدرس بالعربية ، ومدارس التجهيز تدرس بعض العلوم بالعربية وبعضها بالفرنسية . وأما الدرك اللبناني فكان يتعلم بالفرنسية على حين أن مراسلاته مع الحكومة والأهالي هي بالعربية .

والذي سعى إليه الفرنسيون هو تعليم الفرنسية تعليماً خاصاً في مدارس الدولة ، وبث الثقافة الفرنسية في أوساطنا التي تحتاج الى ثقافة أجنبية . وهذان الأمران لا يسيئان إلينا . لأنه لا بد لكل عربي مثقف ثقافة حديثة من معرفة لغة أوربية غنية بالعلوم والفلسفة والأدب . واللغة الفرنسية من أغنى اللغات بها . فأي ضرر من اتقانها ، ومن التعرف إلى شعبها ، ما دامت لغتنا العربية مصونة الجانب ، وما دامت ثقافة العربية محتفظاً بها ؟ أما بعض الجهلاء أو ذوي الثقافة المحدودة الذين تسمعهم يتراطنون كالعبيد بلسان نصفه عربي ونصفه أعجمي ، تباهياً بأنهم يعرفون لغة أجنبية وبأنهم لا يتقنون لغة آبائهم وأجدادهم ، فلا خوف على لغتنا منهم ، لأن عددهم محدود ، لأنهم كمية مهملة في مجتمعنا الثقافي . فالعربي المثقف من أتقن العربية وحرص عليها ، وأتقن معها لغة علوم أوربية كالفرنسية والانكليزية . أما الذين يهملون العربية منا ويكتفون باللغات الأخرى فأقل ما يقال فيهم إنهم مارقون جديرون بالازدراء .

وكانت نسبة نشر التعليم في أيامنا هذه أن زاد عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية الحكومية السورية على خمسة أمثال عددهم أيام الدولة العثمانية ، كما زاد عدد التلميذات على عشرة أمثاله في تلك الأيام . وأصبح تلاميذ مدارس التجهيز ثلاثة أمثال عددهم السابق وتقدم تدريس اللغة العربية وآدابها ، في السنين الأخيرة ، تقدماً يدعو الى الارتياح سواء في مدارس الحكومة أم في المدارس الأهلية أم في المدارس الأجنبية . وكان لتأسيس الكالوريا السورية والكالوريا اللبنانية تأثير كبير بهذا الصدد . فقد اضطرت جميع المدارس الحكومية وغير الحكومية إلى العناية بلغة الضاد لكي يستطيع تلاميذها الحصول على هذه الشهادة ودخول المدارس العليا . وأصبح اليوم عندنا أساتذة لهذه اللغة لا عهد لنا بأمثالهم منذ بضعة قرون .

وأهم معقل للغة العربية ، وآدابها في ديار الشام هو المجمع العلمي العربي ، مركزه في دمشق وله فرع في حلب . وقد أسس سنة ١٩٢٩ فأوى الى مدرستي الظاهرية والعادلية من جميلات أبنية القرن السابع للهجرة ، وأصدر مجلة بلغت مجلداتها حتى اليوم ٧٠ مجلداً . وأوجد دار كتب في دمشق وأخرى في حلب بلغت محتوياتها ٣٤٠٠٠ كتاب في دمشق

و٤٠٠٠ في حلب على حين أنه لم يكن في الخزانة الظاهرية عند ما تسلمها المجمع سوى ٤٠١٤ كتاباً [١] وما متحف دمشق اليوم سوى أثر من أعمال المجمع الفعل عنه حديثاً بعد ان كبر . وقد وضع بعض أعضاء المجمع عدداً كبيراً من المصطلحات العلمية ، وصححوا كثيراً من أغلاط الكتّاب ، وقوموا لغة دواوين الحكومة ، ونشطوا الادباء والمؤلفين ونشروا بعض كتبنا القديمة . وللمجمع ردهة للمحاضرات يحاضر فيها الأعضاء وغيرهم في كل أسبوع وله في دمشق وحلب غرف للمطالعة يؤمها في كل يوم عشرات من طلاب الفوائد.

أما الجامعة السورية فهي كما ذكرت وحيدة في نوعها من حيث اقتصارها في التدريس على اللغة العربية وقد أثبتت أنه بامكان هذا المارد المارك الاتساع للعلوم العلمية الحديثة ، خلافاً لما يراه بعض العلماء في مصر . والكتب التي ألفها أساتذتها بمختلف العلوم الطبية دليل على أنه كان بامكان الجامعة الأميركية في بيروت أن تداوم على التدريس بالعربية لو أتيح لها يومئذ عدد كاف من الاساتذة الذين يجمعون بين العلم واللغة .

ومهما يكن من أمر فالمجمع العلمي العربي والجامعة السورية هما اليوم أجود صلة بين الثقافة العربية والثقافة الأوربية .

وللحكومة الفرنسية في دمشق معهد فرنسي علمي مقره قصر آل العظم الشهير . وقد كانت الحكومة المشار اليها ابتاعت ذلك القصر من آل العظم بجعله القائمون عليه بادىء ذي بدء مقر حفلات وسهرات . ولكن السلطة الفرنسية سرعان ما فلبته الى معهد علمي على غرار معهد القاهرة الفرنسي ، فصار أعضاؤه يتدارسون العربية ويبحثون عن علمائنا وتاريخنا وآثارنا ، ويفشرون الكتب والبحوث الجليلة المفيدة . ولهم خزانة كتب فيها ١٠٠٠٠ مجلد . ومدير هذا المعهد المسيو لاروست يعد اليوم من علماء المشرقيات المشهود لهم ، وقد انتخبناه أخيراً عضواً في مجمعنا العلمي العربي .

والجامعة الأميركية في بيروت عناية بتدريس العربية . وقد أخذ العرب من أساتذتها يطبعون في السنين الأخيرة بعض كتبنا القديمة كتاريخ ابن الفرات وكديوان ابن الساعاتي كما أخذوا يؤلفون بالعربية أو ينقلون اليها جملة صالحة من الكتب المفيدة ككتب الأستاذ سعيد حمادة في النظم الاقتصادية في سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ، وكتاب الأستاذ أنيس المقدسي في العوامل الفعّالة في الأدب الحديث ، . وكتب الاستاذ أسعد رستم في

(١) أما اليوم فقد أوت كتب الظاهرية وما دلية على أربعين ألف مجلد . وفي سنة ١٩٣٨ كنت محافظاً لحلب فنبهت فيها دار الكتب الوطنية ، وكذلك بنيت سنة ١٩٤٤ دار الكتب الوطنية في اللاذقية عندما كنت محافظاً لجبل العلويين . وقد بلغت كتب الاولى اليوم على ثلاثين ألف مجلد ، وكتب الثانية على عشرة آلاف مجلد .

« الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا » ، وكتابي الأستاذ جبرائيل جبور في الشاعر المشهور عمر بن أبي ربيعة الخ ...

أما الجامعة اليسوعية الفرنسية في بيروت فلها على العربية فضل لا ينكر . فقد طبعت في مطبعتها بعض مخطوطات لغوية قديمة للثعالبي وغيره ، وكتاب التهافت للغزالي ، وكتاب تهافت التهافت لابن رشد وهما من تراث الأجداد في الفلسفة . واختصر العلامة الأب لويس شيخو اليسوعي كتاب الأغاني ، وألف في شعراء العرب النصارى ، وأشرف على شؤون مجلة « المشرق » المشهورة . وقد حوت هذه المجلة في مجلداتها العديدة كثيراً من البحوث القيمة المفيدة . وللأب لويس معلوف اليسوعي معجم « المنجد » وهو أسهل معاجمنا الحديثة تناولاً ولا سيما على التلاميذ . وللأب بلو اليسوعي معجمان مدرسيان الأول فرنسي عربي والثاني عربي فرنسي . ولليسوعيين مطبوعات كثيرة غير ما ذكرت . ولهم جريدة « البشير » من أقدم جرائد بيروت العربية . وعندهم علماء ألفوا بالفرنسية كتباً قيمة مفيدة كجولجية لبنان للأب زمون وكنباتات سورية لغيره الخ . ويا ليتهم ينقلونها الى العربية .

وتقدمت الصحافة السياسية في العصر الحديث . وكثر عدد الصحف السياسية ، وارتقت لغتها ، لكنه تصدى لها المتعلم والجاهل ، والغني والفقير . أما الصحافة الأدبية والعلمية فلم يعش من صحفها ما يسد حاجة المتأدبين إلى المطالعة ، ولهذا انتشرت في الشام الصحف المصرية الغزيرة المادة الرخيصة الثمن كالمقتطف والهلال والثقافة والرسالة والمصور وغيرها . وقد قال لي مرة الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب « الرسالة » ان عدد قراء مجلته في الشام والعراق يفوق كثيراً عدد قرائها في مصر ، مع مراعاة نسبة السكان في كل قطر من هذه الأقطار

وقد فاق الشاميون غيرهم بتصنيف المعاجم اللغوية ، وأحدث معجم طبع في بيروت هو « البستان » لنعمة عبد الله البستاني . ولغويو غيرهم أيضاً بالمصطلحات العلمية . فألف الدكتور أمين باشا المعلوف معجم الحيوان ومعجم أسماء النجوم ، وألفت معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية . وهو يحتوي على نحو عشرة آلاف لفظة نصف ما يقابلها بالعربية على الأقل من وضعي أو تحقيقي ، ووضع أساتيذ الجامعة السورية عدداً كبيراً من مصطلحات العلوم الطبية نشروها في كتبهم وفي مجلة المعهد الطبي العربي . ويرى طلاب الفوائد مئات من المصطلحات العلمية في مجلدات مجلة المجمع العلمي العربي .

ويتضح من هذه الخلاصة أن لساننا الضادي يتقدم اليوم تقدماً مطرداً في ديار الشام ، شأنه في مصر والعراق . ولكن هذا اللسان في حاجة الى توحيد الجهود في سبيله ، في الأقطار الثلاثة المذكورة ، لكي يصبح صالحاً لاستيعاب جميع العلوم والمخترعات الحديثة .

مما يهمك أن تعرفه عن : —

العناصر المعدنية

ماهيتها وخواصها في جسم الانسان

— ٣ —

للأستاذ اسبيرو جيبيري

الأكسيجين والنتروجين

﴿ الهواء ﴾ مادة وان كنا لا نراها إلاّ أننا نحس بوجودها ، فالهواء يضغط كل شيء على وجه الارض ويعلو فوقها أميالاً عديدة ، ثم هو يتخلل أدق المسام ويملأ أصغر الخلايا .

وكان القدماء يعتقدون أن الهواء واحد من العناصر [1] ، وجهلوا أنه مؤلف من غازات عدة ، حتى جاء كيميائيو هذا العصر فنقضوا هذا الاعتقاد وبيّنوا أن هذا الهواء الكروي مجموعة من الغازات ، إن كانت تتشابه في أنها لا ترى بالعين المجردة ، إلاّ أنها تختلف بعضها عن بعض تمام الاختلاف في الخواص والصفات .

والهواء كالماء عنصر ضروري جدًّا للكائنات الحية كافة من حيوان ونبات ، لأن الانسان قد يضرب عن الطعام شهراً وعن الماء أياماً ، لكنه لا يستغني عن الهواء إلاّ دقائق معدودة وإن من الحيوان ما يستطيع الامتناع عن الطعام والشراب اضعاف هذه المدة ، كالدب الأبيض وحيوان الرنة ونوع من الجرذان وغيرها ، تمكث في فصل الشتاء عدة أشهر بلا طعام ولا ماء ، ولكنها جميعاً لا تستغني عن الهواء ، لأنه أساس الحياة ، إذا استثنينا بعض الميكروبات التي تعيش بغيره ، مثل ميكروبات التعفن ، وما نذر من

(١) قصة العناصر للاستاذ امين أحمد

الميكروبات المرضية . فهذه وإن كانت لا تعيش في جو أو وسط فيه اكسجين ، إلا أنها تستمد ما تحتاج إليه من الاكسجين من تحليل المواد التي تتغذى بها . ويعد الاكسجين أهم عنصر فعّال في الهواء ، ضروري لتنظيم التنفس ، فبدونه لا يجري في الانسان أو الحيوان أي نفس ، ولا تشتعل نار أو تدار آلة وهو خمس الهواء جرماً . أما الأربعة أخماس الأخرى فيشغلها (تقريباً) غاز يعرفه بالأزوت أو النيتروجين[1] وهو عنصر الهواء غير الفعّال .

فالهواء اذن ضروري لاشعال الأجسام ، فاذا وضع جسم مشتعل في الماء مدوه انطفأ سريعاً ، لأن احتراق الأجسام هو اتحاد عناصرها بالاكسجين الذي في الهواء اتحاداً كيميائياً ، وما اللهب الذي نراه إلا نتيجة لهذا الاتحاد . والهواء أيضاً ضروري لحياة الحيوان بأنواعه ، فاذا سددت أنف حيوان وكذلك فمه حتى لا يدخلهما الهواء مات لساعته . وفي جسم الانسان معمل كيميائي فهو يستنشق الهواء فيتحد أكسيجينه بالكربون الموجود بالجسم اتحاداً كيميائياً مكوناً غاز ثاني أكسيد الكربون (حامض الكربونيك) الذي يخرج من الجسم مع الزفير وينتج هذا الاتحاد الكيميائي حرارة .

﴿ نسبة الاكسجين ﴾ لا يكفي مجرد وجود الاكسجين في الهواء ، بل يجب أن يكون بنسبة معينة ، اذا نقص عنها اضطرب التبادل الغازي في الرئة ، كما يجب أن يكون الهواء بضغط خاص ، إن نقص عنه أو زاد اضطرب أيضاً التبادل الغازي في الرئة .

وكلما ارتفع الانسان وعلا عن سطح الأرض قلّ الضغط الجوي تدريجاً حتى اذا بلغ نهاية آلاف أو عشرة آلاف متر فوق سطح الماء قل ضغط الهواء بحيث يصبح التنفس مستحيلاً . ويحدث عند تسلق الجبال إلى ارتفاع ٢٢٠٠ متر أن يقل ضغط الهواء وتقل تبعاً لذلك نسبة الاكسجين فيه إلى ١٣ ٪ ، ويتسبب عن ذلك أعراض مزعجة مثل عسر التنفس والغثيان والتيء والهبوط العام ، ولذلك يستعان في مثل هذه الظروف بوسائل صناعية منها ضغط الاكسجين في أنابيب تفتح عند الحاجة لزيادة كثيته في الجو الذي يعيش فيه الشخص اتقاء للخطر عند الصعود بطائرة إلى ارتفاعات شاهقة ، أو عند نزول الغواصات إلى قاع البحر ، حيث يكون الانسان في حجرة محكمة الغلق .

وعلى ارتفاع ٢٠٠٠ متر يتكيف جسم الانسان اذ تكثر ضربات القلب وتزداد حركات التنفس[2] .

---

(١) قصة العناصر للاستاذ اسماعيل أحمد

(٢) عن حاشية الطب للدكتور سليمان هزي باشا .

وكما تحدث الاضطرابات من ضغط الهواء ، كذلك تحدث أعراض مزعجة من زيادة هذا الضغط، وأخطر هذه الأعراض يقع اذا انتقل الانسان فجأة من ضغط شديد الى ضغط عادي.

﴿ تركيب الهواء ﴾ الهواء الذي يدخل الرئة بالشهيق يحتوي على ٩٩و٢٠ ٪ من الأكسيجين أي خمسه تقريباً وعلى ٠٤ و ٪ من ثاني أكسيد الكربون و ٧٩ ٪ من الازوت أي «النيتروجين» وغازات أخرى بنسب ضئيلة جداً.

بينما الهواء الذي يخرج من الرئة بالزفير يحتوي على ١٧ ٪ من الأكسيجين و ٤ ٪ من ثاني أكسيد الكربون و ٧٩ ٪ من الازوت « النيتروجين » .

﴿ الهواء الفاسد والهواء النقي ﴾ يعد الهواء فاسداً اذا بلغت نسبة غاز حمض الكربونيك « ثاني أكسيد الكربون » فيه واحداً في الألف . وعلى العموم لا يجب أن تزيد نسبة حمض الكربونيك فيه على ٣ في الألف ، وكذلك لا يجب أن تقل كمية الأكسيجين عن مائتين في الألف.

[ينفخ في الكأس فيخرج هواء الزفير ويجعل ماء الجير لبنيًّا]

وتعرف الفرق اذا وضعت قليلاً من ماء الجير في كأس وحركت هذا الماء أو صببته من كأس الى أخرى ، فان الماء يمتزج بهذه الطريقة بالهواء النقي ويبقى صافياً كما كان وبعد ذلك خذ أنبوباً من الزجاج وانفخ فيه تجد أن الماء قد صار أبيض لبنيًّا والسبب في ذلك أن الهواء النقي اذا امتزج بماء الجير لا يغير لونه على غير ما هي الحال اذا كان الهواء فاسداً فانه يجعل ماء الجير لبنيًّا

وزيادة في الايضاح نقول : إن الهواء النقي الذي نستنشقه فيه غاز يسمى الأكسيجين . وإن الهواء الفاسد الذي نخرجه من الصدر فيه غاز يسمى حامض الكربونيك . « ثاني أكسيد الكربون » والأكسيجين لا يغير لون ماء الجير ، لكن حامض الكربونيك يغيره ، ولذلك تراه يصير لبنيًّا اذا نفخت فيه ، ولهذا يكون الهواء الذي نخرجه من الصدر بوساطة الزفير فاسداً لاحتوائه على هذا الحامض « ثاني أكسيد الكربون

﴿ الهواء المتجدد ﴾ الهواء المتجدد ينشط الجسم وينبهه ، كما أن الهواء الساكن يحدث هبوطاً ، ويلاحظ ذلك اذا خرجنا من غرفتنا إلى شرفة المنزل . ومسألة التهوية قليلة الأهمية

بالنسبة للحيوانات التي تعيش في الخلاء . أما بالنسبة الى الحيوانات التي تعيش في الغرف ، والانسان الذي يسكن داخل الحجرات ، فان عملية التهوية ذات أهمية كبيرة للمحافظة على دوام الصحة والعافية ، لأن التنفس يفسد هواء الغرفة وخصوصاً اذا وجد بها مصباح بترول أو شمعة أو مواد وقود لها روائح .

﴿ القصبة الهوائية ﴾ يدخل الانسان الهواء في صدره ست عشرة مرة في الدقيقة آناء الليل وأطراف النهار ، ويدخل الهواء في الصدر إما من الفم وإما من الأنف وسواء أدخل من الأنف أو من الفم فانه يمر خلال انبوب يسمى بالقصبة الهوائية . والقصبة الهوائية أنبوب مفتوح ، والذي يحفظه مفتوحاً حلقات غضروفية تمنع الطبقة ويبقى ممر الهواء داخلاً الى الصدر .

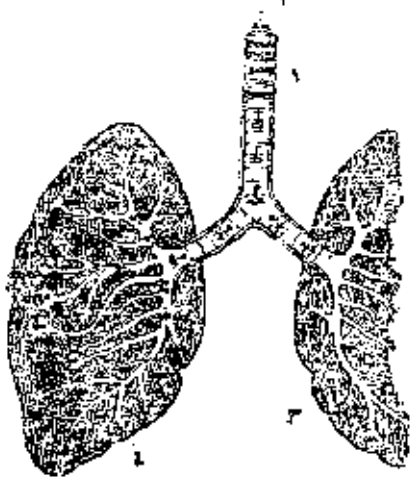

[١ ـ القصبة الهوائية ٢ ـ الخلايا الهوائية ـ ٣ و ٤ الرئتان]

وكلنا نعرف أن الطعام ينحدر من الفم إلى المعدة بطريق البلعوم المريء وهو ممر خلف القصبة الهوائية . في أثناء التنفس يغلق ممر الطعام ، وفي أثناء الطعام يغلق ممر الهواء ، غير أن أجزاء صغيرة قد تخطىء الطريق فتنحدر في ممر الهواء فينتاب الانسان سعال حتى يخرج ما نزل في طريق الهواء .

والقصبة الهوائية [١] في مقدم العنق وتنقسم قسمين ، قسم يذهب الى الرئة اليمنى وقسم يذهب الى الرئة اليسرى ، وبذلك يذهب بعض الهواء الى الرئة اليمنى والبعض الآخر الى الرئة اليسرى .

فاذا دخل الهواء الى الصدر انتفخت الرئتان كما تنتفخ الاسفنجة الجافة بالماء وسطح الرئة جميعه ناعم مندى بسائل فيسهل انزلاق الرئتين أسفل الاضلاع بغير ألم .

﴿ التنفس ﴾ وعملية التنفس تحدث في الخلايا بتبادل غاز الأكسيجين وثاني أكسيد الكربون ، هي عملية احتراق بطيء يولد حرارة وقودها ما يصل الى الخلية من الغذاء ، وتأخذ الأكسيجين اللازم لهذا الاحتراق من الدم ، وهو يدوره ليجدد ما استعمل منه في

(١) الصور الحيوانية لجسم الانسان للدكتور محمد عبد الحميد بك .

عملية الاحتراق ، يستمد الأكسيجين من الرئة بعملية الدورة الدموية وعملية التنفس في الرئة

ويتنفس النبات أيضاً ويحدث تبادل الغازات في النبات خلال ثغور وسام على سطح أوراقه وأغصانه وخلال خلايا شعيرات الجذور الشعرية .

وإذا توقف التنفس بالاختناق أو الغرق أو لأي سبب آخر زادت كمية غاز ثاني أكسيد الكربون وحدثت الوفاة بالاختناق (الاسفيكسيا)

ولما كان الدم النقي من أهم عوامل الصحة البدنية في تنشيط الجسم وزيادة قوة مقاومته وحفظ نضارة بشرته فالتنفس هو العامل الوحيد في تجديد الدم وتطهيره .

﴿ أنواع التنفس ﴾ التنفس نوعان : التنفس البطني والتنفس الصدري .

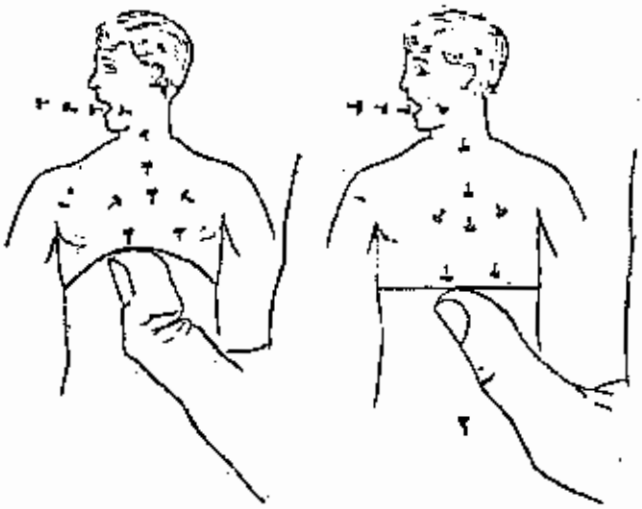

١ — خروج الهواء من الصدر — ٢ — دخول الهواء في الصدر

فالنوع الأول : وهو التنفس البطني يكون بارتفاع الحجاب الحاجز وانخفاضه ،وفي هذا النوع يدخل مقدار عظيم من الهواء النقي ويطهر الدم—وهو تنفس الراحة .

والنوع الثاني : وهو التنفس الصدري وفيه تكون العضلات متوترة والتنفس مكتوماً قليلاً من الوقت ويكون التنفس أطول .

فالنوع الأول يجعل بطنك أكبر في أثناء دخول الهواء إلى صدرك لانخفاض الحاجز الى أسفل ودفع المعدة الى الأمام . وأما النوع الثاني فلا ينفخ البطن لأنه يقتصر على توسيع الصدر ويغلب حدوث التنفس البطني بعد الأكل وفي أثناء النوم ، ويحدث التنفس

الصدري في أثناء الجري والعمل.

﴿ فائدة التنفس ﴾ يقول الدكتور النابه أحمد عبد الله بك إن التنفس يقوم مقام : —

١ — مدلك للقلب يدفع الدم في الأوردة الكبيرة من الرئة إلى الأمام « الى القلب » .

٢ — عاصر للكبد اذ يدفع الحجاب الحاجز الى أسفل فيضغط الكبد ، فيعصره كما يعصر الانسان الاسفنج فيخرج مفرزاته الى الباب الكبدي بنشاط .

وقال طبيب آخر [1] « تنفس كل يوم مائة مرة تنفساً عميقاً تصح في مأمن من العلل » .

فعلى كل راغب في تحسين صحته أن يراعي شروط التنفس القانونية وخاصة الذين يقضون معظم يومهم بين الجدران ، فعليهم أن ينتهزوا الفرص ليذهبوا الى الحدائق والمتنزهات وفي الجبال والخلوات حيث يستنشقون الهواء النقي ويتنفسون تنفساً عميقاً ، وبما أن طبيعة الأرض المصرية خالية من المرتفعات إلا اليسير فيكتفي بالخلوات والمتنزهات.

غير أنه يستحسن إلا يمكث الانسان في حدائق مكتظة بالأشجار إلى ساعة متأخرة من الليل أو النوم فيها ، لأن الأشجار تملأ الهواء بثاني أكسيد الكربون الذي تزفره في خلال عملية التنفس (وهو تناول الأشجار للاكسجين وطردها لثاني أكسيد [2] الكربون) وهذا الاخير غير صالح للتنفس ومضر بالصحة .

ويخشى الكثير من الناس هواء الليل ، على أن لا ضرر فيه مطلقاً ما دام خالياً من الرطوبة . وكثير من الأطباء يعالجون المرضى المصابين برئاتهم بجعلهم ينامون في الهواء الطلق ليلاً ونهاراً . ولكي تحفظ رئتيك سليمتين عوّد نفسك النوم والنوافذ مفتحة على شرط أن يكون على جسمك من الغطاء ما يحفظه دافئاً .

﴿ طريقة التنفس ﴾ والطريقة الصحية للتنفس هي الشهيق في لين وعمق [3] بطيئين منتظمين بوساطة الأنف لا عن طريق الفم ، لأن بمدخل الأنف شعيرات دقيقة تنقي الهواء من الجراثيم والأتربة والميكروبات وتمنعها من الوصول إلى باطن الأنف والى الرئتين —

(١) كتاب الصحة والقوة للاستاذ مصطفى عبد الحليم كامل .

(٢) الثقل النوعي لثاني اكسيد الكربون هو ١٫٥٢٩ أي أنه أثقل من الهواء ولهذا يرسب ثاني اكسيد الكربون على سطح الارض حيث لا يرتفع الى أوكار الطيور . ولهذا السبب تموت الطيور أو تضعف وهي تسكن بين أغصان الاشجار في الحدائق.

(٣) كتاب الصحة والقوة للاستاذ مصطفى عبد الحليم كامل .

كما انه مطلوب بشتاء يلطف برودة الهواء حتى لا يصل الى الرئتين باردا ويسبب الزكام والنزلات الشعبية والالتهابات الرئوية — واذا لم تستطع التنفس من الأنف فيكون ذلك لتضخم اللم أو الحلق .

ثم يعقبه الزفير من الأنف أيضاً ويجب أن يكون أبطأ من الشهيق كي يسهل انكماش خلايا الرئتين في أثناء طرد الهواء .

ولقد أثبتت التجارب ان ٧٥ ٪ من الأتربة التي تدخل الجسم في أثناء التنفس تصل الى الجهاز الهضمي ، والباقي وهو ٢٥ ٪ يصل الى الجهاز التنفسي ، وهذا الجزء الأخير مع ضآلته أشد خطورة على الصحة .

ويتخلص الانسان من جزء كبير من الأتربة العالقة في الهواء بوساطة هذه الشعيرات الموجودة حول طاقتي الأنف من الداخل ، فالاقلال من العبث بها قاعدة صحية تجب مراعاتها مراعاة دقيقة ، وتنتف هذه الشعيرات كما يفعل البعض مضر ضررين . الأول انها تعود الى النمو فتكون أخشن وأقسى . والثاني ان بصيلات الشعر قد تلتهب فتسبب ألماً شديداً قد ينجم عنه ضرر كبير ، فقصها بمقص حاد أقل خطراً من غيره .

﴿ مرات التنفس ﴾ ومعدل التنفس العميق في أول الأمر ثلاث مرات في الدقيقة ، وفي الامكان أن تطول مدة التنفس « شهقة وزفرة » بالمواظبة الى نصف دقيقة أو أكثر

والتنفس العميق مع الرياضة البدنية شفي كثيرون ممن أصيبوا بعلل في أجسامهم وشعوب في ألوانهم .

ويحتاج الانسان العادي البالغ الى ما يقرب من ٥٠٠ لتر من الأكسيجين يومياً لانتظام تنفسه أي ما يقرب من عشرة آلاف لتر من الهواء . ويخرج نحواً من ٤٠٠ لتر من غاز حمض الكربونيك في اليوم . ويجب أن لا تزيد نسبة حمض غاز الكربونيك في هذه العشرة آلاف لتر من الهواء عن ٣ — ٤ لترات ، وتقدر كمية الكربون التي تخرج من الانسان بنحو ٢٠٠ جرام في اليوم .

﴿ الهواء والأمراض الصدرية ﴾ الهواء النقي من أنجع الأدوية للأمراض الصدرية ، فان المصدورين عامة والمسلولين خاصة يجب أن يتنشقوا دائماً الهواء الطلق ليلاً ونهاراً مهما تكن حالة الجو .

والأطباء اليوم يعالجون المصدورين بالهواء النقي المطهر من الميكروبات دون أن

يضطر هؤلاء المرضى الى الذهاب الى الجبال أو المصحات .

وقد فحص الأستاذ هنوك الفرنسوي مناخ برج ايفل [1] فدله الاختبار على أن دم الانسان الذي يرقي سلالم البرج يتجدد بسرعة وتتكاثر فيه الكريات الحمر ويقول إن الهواء ابتداء من الطبقة الأولى من البرج يختلف كل الاختلاف عن هواء شوارع المدينة ، فيقل فيه عدد الميكروبات ويكثر الأزوت والأكسيجين .

وفي أحد المصحات الألمانية في مدينة مكلنبرج يعالجون المرضى بهواء تتي يجري في أنبوب من الفولاذ طوله ستون متراً ويطهر بجهاز خاص وهذا الهواء النقي المطلق يعالج المرضى به ثلاث مرات في اليوم ، وهكذا استغنى العلم عن هواء الجبال الضروري للمصابين بالأمراض الصدرية بهذا الاختراع الجديد .

وسبق لنا أن طالعنا من زمن بحثاً مستفيضاً نفيساً للعالم الفرنسي الدكتور تيمرس نشرته له المجلة الفرنسية je sais tout موضوعه « الميكروبات التي تملأ الهواء » ومن فرائب الصدف اننا وجدنا ملخصاً لهذا البحث منشوراً في مجلة العصبة البرازيلية فآثرنا نشر خلاصته اتماماً للفائدة .

« إن كل واحد من سكان المدن يبتلع في الساعة الواحدة نحو خمسة آلاف من الميكروبات المختلفة الأنواع . والانسان يستنشق يومياً من الهواء كمية يبلغ وزنها ستة أمثال وزن الكمية التي يأكلها ويشربها . ولهذا يجب أن تكون عنايتنا بالهواء ستة أضعاف عنايتنا بالمأكل والمشرب ، ولكن الواقع عكس ذلك فالحكومات تعنى بالغذاء والماء ، ولكنها لم تعن قط بنوع الهواء الذي نستنشقه ، مع أن الهواء شيء ضروري لا يمكننا الاستغناء عنه لحظة واحدة ، بخلاف الأكل والشرب اللذين نقدر أن نستغني عنهما أياماً .

تنفق الحكومات الأموال الطائلة على جر المياه الصالحة للشرب من الأماكن البعيدة وعلى بناء الأحواض الكبيرة لخزنها وتطهيرها ، ولكننا لم نسمع أن حكومة ما اهتمت بتطهير الهواء الذي يحمل من أنواع الميكروبات القتالة ما لا تحمله المياه . وهذا قصور يعاب عليه رجال الصحة في كل مكان أولئك الذين يفضلون المهم على الأهم .

إن الماء الذي يعد للشرب يجب أن تكون نقاوته مطلقة ، أما الهواء الذي نحتاج إليه أكثر من الماء فيجب أن يكون أنقى من الماء ، ولكننا بكل أسف نقول إن ٩٠ ٪

(١) مجلة العصبة البرازيلية

منه أقل نقاوة من الماء، فالغبار والدخان اللذان يلازمان المدن ويملآن هواءها يهيجان مجاري التنفس في الناس ويجعلانها بيئة صالحة لنمو الميكروبات المعدية. ومعلوم أن هواء الحقول والبحار وكل الأماكن البعيدة عن العمران واحتشاد الناس نقي قلما يشمل الجراثيم. وقد فحص عشرون متراً مكعباً من الهواء في عرض البحر فلم يعثر فيها إلا على ميكروب واحد في كل متر. وفحص هواء الصحارى فوجد في كل متر مكعب ٢٨ ميكروباً، فاستدل من الفحصين أن هواء البحار أنقى من هواء الصحارى. وكلما اقتربنا من العمران فسد الهواء وازداد عدد الميكروبات حتى يبلغ في أسواق المدن الألوف في المتر المكعب ومئات الألوف في المحلات العمومية كالمسارح والمدارس والمكاتب والمقاهي وأمثالها من الأماكن التي يعد هواؤها موبوءاً.

ليس في وسع الحكومات ولا رجال الصحة أن يحولوا دون احتشاد الناس في مثل تلك الأماكن، فالحل الوحيد إذن أن يعنوا بتطهير الهواء كما يطهّر الماء بالمقطرات ونحوها. ومتى عرفنا أن أكثر الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة تنتقل إلينا بوساطة الهواء لا سيما هواء المدن فقد وجب علينا أن نعيره اهتماماً جدياً قبل اهتمامنا بالمأكل والمشرب، ومن التعديل التالي يقف الناس على مبلغ الأخطار التي تهددنا بوساطة الهواء الذي نستنشقه.

إن عدد الميكروبات في المتر المكعب من الهواء يختلف باختلاف الأماكن، ففي قمم الجبال يبلغ عددها أربعة — وفي الغابات ٤٠ وفي الغرف ١١ ألفاً، وفي المستشفيات ١٢ ألفاً — وفي المدارس ١٥ ألفاً — وفي محطات السكك الحديدية ٣٢٥ ألفاً — وفي المقاهي ٤٥٠ ألفاً — وفي المتاحف ١٢٢٥٠٠٠ — وفي المحلات التجارية مليونين وفي معارض السيارات ٩ ملايين — وفي مصانع الريش ٣٨ مليوناً.

﴿سرعة الهواء﴾ اذا كان الهواء ساكناً كانت سرعة سيره بمعدل صفر من الكيلو متر في الساعة فاذا شعرنا أنه يلامس بشرة الوجه كانت سرعته بمعدل (٥) كيلومترات في الساعة واذا حرك أوراق الشجر الصغيرة الرقيقة كان المعدل (١١) ك م واذا حرك الأوراق الكبيرة الغليظة كان المعدل (٢٥) ك م واذا حرك الغصون الدقيقة كان المعدل (٣٢) ك م واذا حرك الأغصان الضخمة كان المعدل (٤٧) ك م. والهواء الذي يكسر الأغصان معدله (٥٥) ك م في الساعة. أما العاصفة التي تقتلع الأشجار فمعدل قوتها (٧٥) ك م في الساعة والتي تحطم الغابات وتهدم البيوت (١١٠) ك م في الساعة. ومتى بلغ معدل قوتها (١٠٨) ك م في الساعة فانها تتحول الى أعاصير لا تدرك نتائجها الوبيلة.

نظرات في النفس والحياة

— ٣١ —

نظرات ابن المقفع

للأستاذ ع. ش

قال الأمير شكيب أرسلان في مقدمة (كتاب الدرة اليتيمة) لابن المقفع — وهو الكتاب الذي طبع في مصر وسمي (الأدب الكبير) — «فاخترت طبعها لأنها مع صغر حجمها قد جمعت بين أعلى طبقات البلاغة وأسمى درجات الحكمة وتضمنت من الحكم البوالغ والحجج الدوامغ ما لم يتضمنه كتاب قبلها ولا بعدها» — والأمير شكيب ارسلان أديب مطلع على كتب الآداب العربية فهو لا يرسل القول من غير تمحيص بعد أن قرأ كتب الجاحظ والماوردي وابن مسكويه وابن حزم وابن عبد ربه وغيرهم، ومن المستطاع العثور على حكمة وبلاغة في كتبهم ولكنها إما مقتبسة من الخطب والأقوال، وإما لأنها مع بلاغتها لا تصل إلى ما تصل إليه حكمة ابن المقفع من الالمام بعادات الناس وطباعهم وأخلاقهم وتزعات نفوسهم وسلوكهم في الحياة مع بلاغة الايجاز ولعل الأمير أرسلان لا ينحو في قوله منحى المقرظين الذين اعتادوا المبالغة والتعميم في كل مدحة، ولعله قارن ووازن وخلص الى هذا الرأي وقد فطن الكتّاب الى تلك الحكمة التي يطربها الأمير شكيب فكان الكتاب في عهد الجاحظ يحاكونها وينسبون مؤلفاتهم إلى ابن المقفع كي تروج كما اعترف الجاحظ نفسه وإلا كان نصيبها الكساد والبوار. أما ترجمة ابن المقفع لكتاب كليلة ودمنة من الفارسية فهي تذكرنا قول جوته: «ان المترجم كالخاطبة في البلاد الشرقية تنقل محاسن العروس المحجوبة إلى الفتى الذي يريد أن يتزوجها فتشرفه تلك المحاسن» — فالمترجم شريك المؤلف يعرض بضاعته أحسن عرض بما يناسبها في اللغة التي يترجم إليها وإلا ما أجاز ابن المقفع لنفسه أن يضم إلى كتابيه الأدب الكبير والأدب الصغير أقوالاً ذكرها في كتاب كليلة ودمنة ومعاني كأنها من معانيه ومن أجل ذلك يقول في كتاب الأدب الصغير: «إذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وان يقولوا قولاً بديعاً فليعلم الواصفون المخبرون ان أحسنهم وان أحسن وأبدع ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً

وزبرجداً ومرجاناً فنظمه قلائد وعقوداً وأكاليل ووضع كل فص موضعه وجمع الى كل لون شبيهه مما يزيده بذلك، وكالنحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة وسلكت سبلاً جعلها الله ذللاً فصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوباً إليها مذكوراً به أمرها وصنعتها — ويبقى بعد ذلك ما بين الصانع الصناع والالمعي النجيب وبين الساطي الذي يسرق الكلام كما هو أو يذهب بمحاسنه فهمه».

وابن المقفع على ما في قوله من حكمة وإدراك للأمور لم يعصم في معاملة السلطان الاكبر وهو الخليفة المنصور ولا في معاملة عامله على البصرة وهو سفيان بن معاوية بن يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة من هنات تخالف ما رسم لمعاشر السلطان ومخالط الوالي وجليسه من حكمة وأدب فلم ينتفع بحكمته، ونسي قوله إن على من يريد أن يكون إماماً أن يعظ نفسه ويتعظ قبل معاوته وعظ الناس. وقوله إن العالم يبدأ بنفسه فيؤدبها بعلمه ولا تكون غايته اقتناء العلم لمعاونة غيره فحسب. فكان مثله مثل فرنسيس باكون الانجليزي (لورد باكون) فانه يقول: «إن على القاضي أن لا يتخذ القضاء شباكاً وحبائل يقتنص بها الناس» ثم يكون من أواخر القضاة الانجليز إن لم يكن آخرهم — الذين استخدموا التعذيب وسيلة لانتزاع الاعتراف من نفوس المتهمين ويعظ الناس بالنزاهة ثم يأخذ الرشوة من المتقاضين ويصح المفكرين بالاستنتاج المؤسس على المشاهدة الصحيحة، دون التعلق بالأمور النظرية من غير بحث ثم يرفض كثيراً من الحقائق العلمية الحديثة التي وصل إليها الباحثون بالطريقة التي حث عليها فكانت حكمة باكون في كل هذه الامور لغيره لا لنفسه كما كانت حكمة ابن المقفع، وعلى من يعيبه ان يبحث أولا في قوله وعمله، فان حكمة أكثر الناس لغيرهم لا لنفوسهم في كثير من الامور ويذكرنا ابن المقفع باكون فيما يولع به كلاهما من التشبيهات والأمثال والقصص التي يجلو بها حكمته، وكانت هذه الطريقة محبوبة شائعة في الأدب الانجليزي في عهد الملكة اليصابات وجيمس الاول، ومن أوجه الشبه بينهما ان كليهما مولع بالأساطير التي فيها حكمة ومغزى.

فألف باكون كتابه في أساطير الاغريق وسماه (حكمة القدماء) وأوضح فيه ما خلف أساطيرهم من حكمة بارعة، كما ترجم عبد الله بن المقفع عن الفارسية أساطير الهند وحكمتهم في كتاب (كليلة ودمنة) وكل من ابن المقفع وباكون ماهر في بلاغة الايجاز. وقد يذكر ابن المقفع في وصف آداب السلوك أديباً انجليزياً آخر وهو لورد تشسترفيلد، فان هذا كان همه وصف آداب السلوك كي يهذب ابنه ويصقله. أما أدباء اللغة الغربية فلعله لا يقاربه

ويقرن به إلاّ الجاحظ على ما في الجاحظ من مدح للشيء ومدح لضده، وكتب الجاحظ عالم في الموضوعات المتنوعة فلا غرابة اذا اختلف أسلوبه في كتاب عما هو في كتاب آخر. فنرى أسلوب الجاحظ في كتاب (مناظرة الربيع والخريف) أكثره سجع ومزاوجة وموازنة ومقابلة ومرادفة، بينما هو في كتاب (الدلائل والاعتبار) يكاد يخلو من هذه الامور ويصدق فيه قول بديع الزمان الهمذاني إنه منقاد لعنان الكلام يستعمله، فتور من معناه بهمله. أما عبد الله بن المقفع فأسلوبه على وتيرة واحدة حتى قيل إنه السهل الممتنع وفي بعض الاحيان يستعمل المزاوجه والموازنة ولكن لا كاستعمال الجاحظ لها فان الجاحظ يطيل فيها ويكثر وهي في أسلوب الجاحظ لها وقع السجع في الآذان حتى ان من لا يلتفت قد يظنها سجعاً. والذي يمتاز به ابن المقفع بلاغة الايجاز ولا نعني أن الجاحظ ليس له من الحكم الجوامع ولكن أكثر أقوال ابن المقفع ولا سيما في كتابي (الادب الكبير) و (الادب الصغير) من جوامع الكلم التي تجمع الحكمة في بلاغة وايجاز مع استيفاء المعنى، أو ما يكاد يكون استيفاء وينبغي أن نتذكر أن ابن المقفع كان منكوباً والمنكوب مخذول في دعاوي الناس مغبون في أقوالهم ومصاب بأكاذيبهم وأباطيلهم، فلا تستطيع الاجيال التي بعد عهده أن تميز الحق من الباطل في كثير مما ينحل من القول وما ينسب إليه من الفعل، إذ هو مهتضم بعد النكبة لا يجد من ينافح عنه بتمييز الصواب فيما ينسب إليه حتى ولو كان مشهوراً محسوداً يحتذي الناس قوله. ولا مناص لنا على هذا الاساس من القول إن حكمته لم تعصمه من الزلل والهلاك ولا نحسب أن كاتباً قديراً مثله كان يستعصي عليه أن يجمع بين شدة المواثيق ولين اللفظ والتحايل، لذلك في كتابه الذي طلب فيه الامان لعم المنصور الذي ثار عليه وهزم ولا نظن انه كان يجهل ما في بعض أقواله من عبارات يتأذى بها الخليفة ولا يتسامح فيها، حتى ولو كتبها على لسان أصحابه مثل قوله إذا غدر بعمه (فنساؤه طوالق والمسلمون في حل من بيعته) ولكن المرء قد يجمع الى الحكمة والمعرفة رعونة الطبع وهذا كان داءه إذا سمح كل ما ينسب اليه مثل تلذيعه بالسخر والسفه على حاكم البصرة فكان إذا دخل عليه وسلم قال السلام عليكما يعني هو وأتباعه، فأنزل أنفه منزلة الانسان لانه كان كبيراً، وإذا قال حاكم البصرة: ما ندمت على سكوت قط: قال ابن المقفع: «الحرس زين لك فكيف تندم عليه» يعني أنه كان عيّاً وأنه لامر يدعو الى الحيرة أن يكون الحاكم بمنزلة لرجل مثل ابن المقفع وبما يكن أثيراً عند أمام الخليفة. وعندما أمر المنصور بقتله قتله هذا الحاكم ثم قتله. ومن الدليل على رعونة فيه فيما يحكى عنه أنه لما اعتزم الاسلام وكان مجوسي الأصل

وحضر طعام الأمير جعل يزمزم على الطعام على عادة المجوس فلم في ذلك : فقال: أحببت أن لا أبيت على غير دين وهو إما أنه اقتنع بالاسلام حتى يراد أن يظهر اسلامه في ظنه فهو مسلم بعقله وقلبه فلا معنى لقوله وأما أنه كان غير مقتنع وكان اسلامه نفاقاً وقد اتهم بذلك واتهم بالزندقة ومن رأيي أن من حماقة الطبع أيضاً الجملة المشهورة التي يرويها عنه الكتاب أي قوله « شربت الخطب ريا ولم أضبط لها رويّا فغاضت ثم فاضت فلا هي نظاماً وليس غيرها كلاماً » وهذا سجع شبيه بسجع الكهان ثم لماذا قصر شربه على الخطب دون غيرها من سائر أنواع النثر . نعم ان للبلاغة نشوة ولكنه في بعض قوله ينهي القارىء عن جميع أنواع السكر سكر الشباب وسكر العلم وسكر الذكاء وسكر الجاه وسكر القدرة وسكر المال وهي في بعض قوله يوضح ما في مدح النفس من سماجة ومما يروى بصدد ذلك أن الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع العروض سُئل عن ابن المقفع فقال: علمه أكثر من عقله وسُئل ابن المقفع عن الخليل فقال عقله أكثر من علمه . ومن الغريب أن المرء عندما يقرأ كتبه يشعر رعونة طبعه أو يكاد يشك فيما نسب اليه من القصص التي تدل على ذلك ويعترف انه أكبر كتاب العربية في جوامع الكلم وبلاغة الايجاز والحكمة المؤسسة على ما يشاهد من عادات الناس وطباعهم وأخلاقهم التي تخبر عنها أعمالهم في ايجاز واستيفاء للمعنى أو شبه استيفاء ، وهذا هو معنى تقريظ الأمير شكيب أرسلان الذي ذكرناه وفيما يلي بعض نظراته مع شيء من التعليق على بعضها : —

(١) لا يضعنك صغر شأن أمرء من اجتناء ما رأيت من رأيه صواباً والاستغناء لما رأيت من أخلاقه كريماً فان اللؤلؤة الفائقة لا تهان لهوان قاعها التي استخرجها .

(٢) إذا كنت لا تعمل من الخير الا ما اشتهيته ولا تترك من الشر الا ما كرهته فقد اطلعت الشيطان على عورتك وأمكنته من أزمتك فأوشك أن يقتحم عليك فيما تحب من عمل الخير فيكرهه اليك وفيما تكره من عمل الشر فيحببه اليك، ولكن ينبغي لك في حب ما تحب من الخير التحامل والصبر على ما يستثقل منه، وينبغي لك في كراهة ما تكره من الشر التجنب لما يحب منه .

(٣) انه تكاد تكون لكل رجل غالبة حديث إما عن بلد من البلدان أو ضرب من ضروب العلم أو صنف من صنوف الناس أو وجه من وجوه الرأي أو ما هو شبيه بذلك، وعندما يعزم به الرجل من ذلك يبدو منه السخف ويعرف منه الهوى فاجتنب ذلك في كل موطن.

[البحث تتمة]

وحدة القصيدة

في الشعر العربي

— ٣ —

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

﴿ ثورة النقد الحديث على النهج الأدبي القديم ﴾ وقد بدأت الثورة على نظام القصيدة في الشعر العربي ، بين هؤلاء الأدباء الذين درسوا الآداب الأوربية ، واطلعوا على مناهج الغربيين في شعرهم مثل مطران وطه حسين واحمد زكي أبي شادي وهيكل والعقاد والمازني وشكري وسواهم . فكتبوا ناقدين لبعض القصائد القديمة والحديثة التي لا تخضع لمنطق وحدة القصيدة ، وأخذوا باللوم على الشعر العربي عامة والجاهلي خاصة ، لقصوره في هذا الميدان . كما أرى العقاد بذوقي وقصائده ، وعاب الشعر الجاهلي ، لأنه في رأيه وفي الغالب: «أبيات مبعثرة ، تجمعها قافية واحدة ، يخرج فيها الشاعر من المعنى ثم يعود اليه ثم يخرج منه ، على غير وتيرة معروفة ولا ترتيب مقبول [1] »

وقد جعل العقاد من العلامات البارزة في قصائد ابن الرومي طول نفسه ، وشدة استقصائه المعنى ، واسترساله فيه . وبهذا الاسترسال خرج من سنة النظامين ، الذين جعلوا البيت وحدة النظم ، وجعلوا القصيدة أبياتاً متفرقة يضمها خط واحد ، قل أن يطرد فيه المعنى إلى عدة أبيات ، وقل أن يتوالى فيه النسق توالياً يستعصي على التقديم والتأخير والتبديل والتحوير . فخالف ابن الرومي هذه السنة ، وجعل القصيدة كلاً واحداً لا يتم إلا بتمام المعنى الذي أراده ، على النحو الذي نحاه . فقصائده موضوعات كاملة تقبل المناورة وتنحصر فيها الأغراض ، ولا تنتهي حتى بنتهي مؤداها ، وتفرغ جميع جوانبها وأطرافها ، ولو خسر في سبيل ذلك اللفظ والفصاحة [2] . يريد العقاد بذلك كله أن الوحدة الفنية كاملة في قصائد ابن الرومي ، وإن كانت الجوانب الأخرى من وحدة القصيدة ضعيفة في أغلب شعره ، من حيث اشتمال قصائده على عدة موضوعات ، ومن حيث إنه كان يقدم كأبناء

---

(١) الحياة الادبية في الشعر الجاهلي لمحمد خفاجي صفحة ٣٢٤ (٢) ٣٠٨ ابن الرومي للعقاد

عصره الغزل بين يدي مدحه ووصفه بل وهجائه يقول ابن الرومي : —

ألم تر أني قبل الاهاجي أقدم في أوائلها النسيبا
لتخرق في المسامع ، ثم يتلو هجائي محرقاً يكوي القلوبا

ويؤثر الرهاوي الشاعر المنهج الذي سار عليه ابن الرومي ، فينادي بالوحدة الفنية في القصيدة لا بوحدة الغرض والموضوع ، فيقول من كلمة له : «ومن الشعراء العصريين من لايجوز أن تشتمل القصيدة على مطالب مختلفة ، كأنه يفضل أن تكون الروضة قد أنبتت شكلاً واحداً من الزهر ، ولكني لا أرى رأيه ، وأي لوم على من أطال قصيدته وجعلها في مطالب مختلفة ، تربط بعضها ببعض مناسبات بينها وان كانت ضعيفة ، فيتمتع القارىء أو السامع بألوان مختلفة من الأدب في القصيدة الواحدة . نعم إن الشاعر اذا بدأ يصف شيئاً وجب عليه أن يستوفي ذلك الوصف ، ثم ينتقل إلى غيره ، وكذلك إذا شرع يروي قصة وجب عليه ألا يخرج من الموضوع إلا بعد إعطائه حقه[1] » . وكرر ذلك في كلمة أخرى له[2] أجاز فيها للشعراء الخروج على وحدة الموضوع في القصيدة ، فقال : « وهناك شيء يستحسنه الذين تشبعت أذهانهم بالأدب الغربي ، هو وجوب أن تكون القصيدة الواحدة خاصة بفكر واحدة أو وصفاً لشيء واحد ، من غير خروج إلى غير الموضوع . وهذا ليس من الشعر في أصله ، بل هو تابع للأذواق ، ولطريقة الشاعر في شعره . ولا ينوع الشاعر المبرز في العربية الموضوع في كل قصيدة ، فكثيراً ما يحصر شعره في القصيدة الواحدة في موضوع واحد ، واذا نوع الموضوع فهو ينتقل الى الثاني بمناسبة وبعد فصله من الأول ، مريداً بذلك أن تكون قصيدته كالروضة الغناء ، محتوية على مختلف الأزهار . وهذا أقرب إلى الطبيعة ، وليس فيه ما يؤخذ عليه غير كونه ينافي ما يفعله شعراء الغرب . ولكل أمة سياق ونزعة ليست لأختها . وأعتقد أن الكتاب الذين يزرون بشعر شعرائنا العصريين لو أتيح لهم أن يكونوا شعراء لما خرجوا كثيراً عن النهج الذي يمشي عليه المبرزون من هؤلاء . والسبب هو ما قدمته من اختلاف ألوان الشعور عندنا عن ألوانه عند الغربيين من جهة ، وقيد القافية وإعرابها عندنا وفقدانه عندهم من جهة أخرى . وقد تم كثير من الشعراء المتضلعين من العلوم العصرية بتقليد الغرب في شعره ، فلم يكن ما أتوا به غريباً ولا شرقياً ، ولم يوفقوا إلا في ألوان من الشعور هي مشتركة بين الأمم جميعاً . افرض أن العربية تتسع لألوان الشعور الغربي ، ولكن هل يوجد في أذواق أكثرية القراء هذا المتسع ، والشاعر لا يغني لنفسه وحدها . ومهما تمرد الشاعر الكبير على الأساليب

(١) سحر الشعر لوائيل بطي (٢) السياسة الاسبوعية عام ١٩٢٧

والتصورات في أُمته ، فهو لا يستطيع أن يطفر مرة واحدة إلى تصورات وأساليب تخالف ما ألفه شعبه ، فيقطع الوشائج القوية التي تربط الحال بالماضي » .. وعلى ضوء هذا الرأي من الايمان بوحدة القصيدة الفنية دون وحدتها في الموضوع ، كان ينظم الزهاوي شعره .. ولكن منهج الزهاوي منهج وسط بين دعاة التجديد والتقليد ، وهو على أي حال لا يوافق رأيي الذي أنادي به ، وهو وجوب التزام الوحدة الفنية والموضوعية في القصيدة . وهو رأي يوافقني عليه الكثير من النقاد والأدباء المعاصرين .

﴿الشعراء المعاصرون يؤيدون وحدة القصيدة﴾ : وقد تأثر الشعراء المعاصرون بدعوة النقاد ، وتأثروا بمناهج الغربيين في شعرهم ، ونظام القصيدة عندهم ، ووجدوا في الشعر العربي مدداً من القصائد القوية الجميلة التي تسودها وحدة تامة .

فنظم كثير من الشعراء قصائدهم على نهج جديد ، والتزموا الوحدة الفنية في القصيدة ووحدة الموضوع والفكرة ، وانساق المعاني وانتظامها وتلاؤمها والتحامها ، مع التسلسل والتتابع ، والدقة والعمق والاحاطة ، مما سار بالقصيدة العربية بخطى واسعة نحو الجمال الفني المنشود . لم تقبل أذواقهم هذه الطريقة الغريبة في القصيدة ، وكيف يقبل ذوق شاعر متحضر يرهف الحس أن يوحي اليه شيطانه بأفكار متناثرة في موضوعات مختلفة؟

ويظهر هذا الاتجاه الفني الجديد في القصيدة العربية في شعر كثير من شعراء العربية المحدثين ، من أمثال : مطران والدكتور أحمد زكي أبي شادي وشكري وميخائيل نعيمه وعلي محمود طه والعقاد وسواهم .

فأنت إذا قرأت قصيدة الدكتور أبي شادي : « شجاعة بطلة » في ذكرى بطل تحرير شيلي التي نشرتها المجلات الأدبية وأذاعتها محطة الاذاعة المصرية قريباً أو قرأت سواها من شعره ، كقصيدته : قبلة ميلادي [1] مثلاً ، والتي يقول منها :

يا نشوة الحب القديم ولهفة الحب الجديد
جمعتكما في قبلة سكرى غرامي وعهودي
أودعتها ما صاغت الأحلام من عطر الخلود
وسكبتها راح الهوى ودما من الشوق الشهيد
ثم استمدت خيالها لحناً تألق في نشيدي
ونظمتها شعري الذي يحيا بأنفاس الورود
وخلقت أي هدية منها لميلادي السعيد

(١) ديوان أبي شادي — من السماء صفحة ٥٥

وكأنما — هي نفسة — زفت إلى سمع الوجود

أو قرأت قصيدة « آفاق القلب » لميخائيل نعيمة ، التي مطلعها :

دموع العين قد جمدت ووهج الفكر قد همدت
فلم يا قلب لم يا ملهب فيك النار في لهب

أو قرأت قصيدة شكري :

ماذا دهى القلب من الأشجان يوم الأحد
حيث الغواني فتنة آخذة بالجلد [1]

أو قصيدته « يا وضيء السمات » [2] :

يا وضيء السمات وحيي الوجنات
ليت لي منك التلافا كالتلاف النسمات
أنت في الدهر ابتسام كابتسام الزهرات

أو قرأت قصيدة الفلاح لشفيق معلوف [3] :

وقضى الحياة ديونها كرماً وما وفيت ديونه
ومضى تشق الأرض قبضته بعزم لا يخونه
هلاً نظرت جبينه كم فيه لؤلؤة تزينه
ملئت عليه بالدمو ع ديونه فبكى جبينه

أو قرأت قصيدة الفلاح للشاعر حسن حاد [4] :

مضنى يقيس الدهر عن كدحه وتسير الأيام في بأسه
على محياه سطور الضنا قد خطها المقدور في طرسه
مغضن الصفحة يطوي بها دفائن الأسرار عن نفسه
يبيت صفر اليد من عدمه والذهب الأبريز من غرسه
من كلما مس الثرى كفه أحاله براً ندى مسه
هي فصيح الشكو في عيشه يبثه لله في همسه
قد خطها شكوى على أرضه ذاك اليراع الحر من قأسه

فستجدون في كل ذلك قبساً من الشاعرية الحقة ، وشعوراً عميقاً بالحياة ، ووحدة كاملة في الصورة الفنية التي يرسمها الشاعر ، ونجاوباً بين الفكرة والخيال والعاطفة والاحساس والموضوع.

[يتبع]

(١) الديوان الاول لشكري ص ١١ و ١٢ (٢) الديوان السابع لشكري ص ١٦—١٨
(٣) مجلة الدنيا — سان باولو — ١٩٤٧ عدد يوليو (٤) مجلة الازهر والرسالة ١٩٤٩

الفن في العلم والفلسفة[1]

في رأي العلامة هافلوك إليس

للأستاذ أميل توفيق

يحدثنا هربرت سبنسر في مقاله على نشوء العلم ، بأن العلم نشأ عن الفن ، وأن التفرقة بينهما كانت ولا تزال تفرقة عرفية . إذ أنه ليس في الامكان أن نقرر متى ينتهي الفن ، أو متى يبتدىء العلم . ولقد كان سبنسر في مقاله هذا يستخدم لفظة الفن بمعنى أساسي وهو أن طبيعته إنما تنصب على العمل أو التدريب .

ولعل الرجل العادي المنزوي ينظر إلى العلم كأنه عكس الأوهام والترهات ، وهو يفهم العلم على أنه التطبيق العملي للحقائق النظرية ، وأما تلك الأوهام فيفهمها الرجل المتوسط الشعور كأنها هي بعينها الفن .

فالتمييز بينهما تمييز حديث : إذ لم يكن هناك ثمة تفرقة منذ أن عرف العلم والفن . فالعلوم كما نراها الآن — لا كما تصوروها من قبل — هي فنون العقل . ذلك أن في العصور الوسطى كانت الدراسات المتنوعة مثل دراسات المنطق — والقواعد اللغوية — والهندسة — والموسيقى وما إليها ، تعتبر إما علوماً أو فنوناً . ولقد كان العالم الحقيقي روجر باكون Roger Bacon في القرن الثامن عشر ، يعتبر كل فرع من فروع الدراسات المختلفة نوعاً من العلم . على أن هناك ميلاً إلى الاعتقاد بأن النهضة الرياضية في القرن السابع عشر هي التي بعثت فكرة التمييز بين العلم والفن ، وهي التي أكدت هذه الفكرة تأكيداً لا موجب له

ويكتب ديكارت حامل لواء تلك النهضة في كتابه Règle pour la Direction de l'Esprit فيقول إن كل العلوم وثيقة الصلة بعضها ببعض ، وأنه أيسر علينا أن نتعلمها جميعاً دفعة

---

(١) «هذا مقال ملخص من كتاب The Dance of Life وعنوان الفن الاصلي « قوة التفكير » للعلامة هافلوك اليس »

واحدة من أن تعلم بعضها منفصلاً عن البعض الآخر . ويعني قائلاً إننا قد لا نستطيع أن نقول ذلك عن الفنون ، ومع هذا فإن الإمكان أن نفهم معاً العلوم والفنون جميعاً إذ أنها إنما تنبثق من منبع واحد على رغم تباينها من حيث الوسط الذي يلون كلاً منها بلون خاص ، ومن حيث اختلاف ما يحيط بكل منها من موضوعات وما يصادفه من أجواء ومجالات .

ولم يكن الثائرون بشئون التربية والتعليم يميزون بين العلم والفن حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ولكنه صار من الأجدى عملياً أن يفرق بينهما لا سيما أن تقدم العلم وخاصة العلوم الطبيعية قد جعل حقيقة التمييز حقيقة حتمية . وصارت لفظة « الفن » تطلق على ما نسميه الآن الفنون الجميلة ، وأصبح « العلم » يطلق على كل دراسة يمكن أن توضح عملياً ، وأن تقسم منها الحقائق تقسيماً موضوعياً ، من حيث النظر إلى حقائق الوجود واعتبر الفن منفصلاً عن العلم إذ اعتبر أنه لعب الدوافع الانسانية للعمل والانشاء .

ولقد أوضح جون ستيوارت مل (J. S. Mill) بحثه في التمييز بين العلم والفن فعرّف العلم بأنه الحالة المظهرية للحقائق ، وعرّف الفن بأنه الحالة الحقيقية أو الحتمية لها أما السير سيدني كولفن (Sir Sidney Colvin) فقد استخلص تعريفاً لكل منهما في الموسوعة البريطانية ، فقال إن العلم هو المعرفة المنظمة للظواهر الطبيعية والعلاقات الكائنة بينهما » « وأن الفن يتضمن العمل » — وقد قبل كثير من العلماء مثل السير راي لانكستر Sir E. Ray Lankster هذه النتيجة — وكان ذلك أمراً مقبولاً في القرن التاسع عشر .

بيد أن اطراد التقدم العلمي على مرّ السنين ، وخاصة « علم النفس » قد جعل من العسير قبول مثل تلك النتائج . ذلك أن تحليل معاني المعرفة قد أوضح أن المعرفة ليست هي مجرد ادراك الحق بطريقة سلبية ، كما كان يتصور العلماء بساذجة ، وبقر هذه الحقيقة الآن جماعة الفلاسفة ، المثاليون منهم [1] والحقيقيون [2] على السواء .

ويقول الدكتور شارلز سنجر (Charles Singer) المؤرخ العلمي المعظم : إن العلم لم يعد ذلك البناء الضخم من المعرفة المنظمة ، إنما هو العملية (Process) التي تتكون بوساطتها المعرفة .. أو بعبارة أخرى « إنه المعرفة في عملية تكوينها » .. وبمعنى آخر « إنه الحد الثاني بين المعروف والمجهول » على أن اللحظة التي ندرك فيها العلم كعملية

---

(١) Idealists (٢) Realists

مكوّنة ، هي القطعة التي يصبح فيها العلم داخلاً في نطاق الفن .

ولعل مما يؤيد آراء منجر هذه هو أن العلوم الطبيعية لا تزال تهمل كثيراً من النظريات العلمية عن المعرفة التي كانت داخلة في نطاقها ، وذلك لأنها ما تزال أيضاً تتعلم أن تستبدلها بنظريات أخرى من المعرفة التي تسعى أن ترى بها الكون بفكرة أشد وسوحاً من سابقاتها .

ولعلنا نرى — في ضوء تحليل معرفة الحقائق أو الأشياء — أن هذا التغير ليس فقط قانونيًّا بل هو عملية لا بد من حدوثها إذ هي عملية فعّالة منتجة مبدعة . ولهذه العملية صفتان مهمتان : إذ أن لها طبيعة العمل كما أن لها طبيعة النحو في المعرفة ، فهي تشتمل على خصائص معينة مشابهة لخصائص العمل .

إن العالم الذي يصوغ الحقائق الكلية بيديه ، انهما لا يختلفان في الأسس الدائمة والمكوّنة تماماً ، كما لا يختلف الشاعر عن المثّال . وليس من سبيل أن ينكر أحد الآن أن للعلم طبيعة الفن ، كما أنه يمكن أن ننظر إلى العالم الحقيقي كأنه فنان ، بتلك النظرة التي تجمع بين الشيء ونقيضه أو بين النهايات المتطرفة للظواهر . ولقد نظر السير وليم أسلر Sir William Osler الى الشاعر والمجنون والمولّه نظرة واحدة ، فرأى فيهم جميعاً ظاهرة التركيز التخيلي . ولعل ذلك العنصر التخيلي المبدع هو الذي كان يبعث النشاط والجدة في نيوتن العالم الرياضي العظيم ، إذ كان يكتشف باستمرار طرقاً وعمليات جديدة تغزو منطقة المجهول كما أن الأعمال العظيمة الفائقة الحد التي قام بها هلمهلتز (Helmholtz ابان حياته العلمية — ذلك الرجل الذي أرجع التقدير الجمالي الى قواعد فسيولوجية علمية دقيقة — نقول إن هذه الأعمال كان يطبعها طابع جمالي شعوري .

وقد ذكر أحد الأساتذة الباحثين في الميكانيكا والرياضة « بأنه لا يوجد رجل العلم المجرد عن الخيال ، كما أنه ليس كل من تفرغ لعلم يمكن أن نعده رجلاً له » وهذه العبارة صحيحة تماماً ، وهي لا تنطبق على رجل العلم فحسب ، إذ هي تنطبق على رجل الفلسفة كذلك . ويقول أحد الفلاسفة الكتاب « إن في كل عمل فلسفي ، لا تنفي أنظمة المدركات الكلية على مجرد البحث والمعرفة أو المتعة فيها . كلاّ ، فان الباعث على ادراك تلك الأنظمة باعث جمالي (Aesthetic) قبل كل شيء » انه عمل فنان منتج .

ويحدثنا البروفسور جراهام والاس (Graham Wallace) عن أفلاطون ودانتي فيقول إن الحياة الفكرية التي تميز بها كل منهما كان يقومها ما كان يعانيه كلاهما من شعور جمالي . وكان هذا الشعور الجمالي ناشئاً مما كانا يستنتجانه من علاقات متسقة بين الحادثات

والنواميس الطبيعية ، أو بين النوع والأفراد ، أو بين المؤثرات وتتائجها .

﴿ فيثاغورس ﴾ : وهذه الفكرة التي تشير الى القوانين وعلاقاتها المتسقة بالكون تذكرنا بالرجل العظيم فيثاغورس الذي نعده أول من ابتدأ بالبحث العلمي في العالم الأوربي — وكانت له صفة المبادهة في طريقة هذا البحث . ولد فيثاغورس في القرن السادس قبل المسيح في بلدة (Samos) وكان لموقع بلده كمركز ممتاز للاسفار والملاحة البحرية أثر فعّال في ازدياد معلوماته واتصالاته والتعرف على حكمة العالم القديم وفلسفاته . ويقول شيشرون إن فيثاغورس يعد خالقاً للفلسفة . ونحن نعده اليوم من الشخصيات البارزة ، ليس في اليونان فحسب ، بل في العالم أجمع من وجهات عدة . فحياته تعد بداية لما نسميه « العلم » أو المعرفة التي يمكن قياسها عند نقطة نموها . إذ هو يمثل المعرفة كما تنبع مما نسميه عرفيًا « بالفن » أو بعبارة أخرى يمثل المعرفة — بامتزاجها بروح الفن — في أشكالها المختلفة حتى تلك الأشكال الضعيفة الهزيلة .

كان فيثاغورس محبًا غيوراً للسوسبق ، ومن أجل ذلك استطاع أن يخرج إلى حيز الوجود كشفه المثير بأن درجة الصوت تتوقف على طول السلك المهتز . وأصبح هذا الكشف بداية للتفكير في قانون عام . وهو الذي وضع الحجر الأساسي للعلوم الرياضية الميكانيكية ولم يكن كشفها مجرد الصدفة . وقد عرف ذلك عن فيثاغورس حتى أعترفه هيراكليتس Heraclitus أحد معاصريه وخصومه الألداء بأن الرجل قد عاني من البحث واختبر من المعرفة ما لم يعانه أو يختبره انسان . كان رياضيًا فذًا وفلكيًا ممتازاً بل أول من اكتشف أن الأرض كروية وهكذا أزال ذلك الحاجز الذي كان سدًا منيعاً أمام نظرية كوبرنيكس ، وقد اقتصد جهد العلماء من بعده على بحث مركز الكرة الأرضية في المجموعة الشمسية ، لا على كونها كرة . إننا نعتبر فيثاغورس رجل الفلسفة بحق ، لكنه أحق أن يعتبر كذلك رجل العلم بالمعنى الدقيق . ومع ذلك فقد كان الرجل طوال حياته انساناً فناناً حتى اذا عرّفنا الفن بمعناه العرفي المألوف ؛ لقد كان يحلق في سماء الخيال والشعور ، فيخطف لبه الجمال الساحر والانسجام البديع ، حتى لقد كان يشعر أحياناً أنه تائه وسط لجهما . فهو الذي أدخل تلك المتعة الجمالية ، للاعداد في الرياضة ، وبذلك عمل على مزج الخيال بالعلم مزجاً غريباً . وخلقت منه تلك الدوافع الفنية قوة رائعة للتعليل والمنطق .

[البحث تتمة]

على هامش مشاكلنا الثقافية

غايتنا من التعليم

للأستاذ رضوان ابراهيم مصطفى

هل نحن سائرون في اتجاه صحيح؟ وهل لنا هدف في هذا الاتجاه؟ وإذا كان ... فهل نحن جادون في تحقيقه؟

.. أسئلة لا بد أنها تدور في خلد كل متأمل في حياتنا العامة وحياتنا التعليمية على الأخص. والاجابة عنها قصيرة غاية القصر ولكنها مؤلمة أشد الايلام، لأنها إجابة حاسمة صريحة، لا تحتمل الأشياء واضحاً هو «لا» ممتدة ذات شعبتين تشقان في حلوقنا، وتطبقان على أعناقنا!!

الغاية الحقة من التعليم شعبة من شعب السياسة العليا، يرسمها في كل أمة زعماؤها الراشدون، الذين يعرفون أين يتجهون بأممهم في معترك الحياة. وفي ضوء هذه السياسة يبتكر القيمون الوسائل الناجعة الكفيلة بتحقيق الهدف، وادراك الغاية.

فهل من الحق أن في زعمائنا هذه الكفاية المقتدرة على النظر في مقومات شعوبنا نظرة عميقة بصيرة واعية، تلائم بها بين هذه المقومات وبين ما ينبغي أن تهدف له حياتنا من مستقبل منير، واضح المعالم متوافق مع طبيعة الزمان والمكان اللذين تشغلهما هذه الحياة؟

وهل من الحق أنهم قادرون على تكييف حياتنا، وتجنيد طاقتها الحيوية المتدفقة من منابع الماضي وينابيع الحاضر — في سبيل جدي معلوم، لغاية حقيقية معلومة؟

الحق أن هذه منزلة لا يستأهلها إلا قديس، يؤمن بنفسه أوثق الايمان، كما يؤمن بأمته ومستقبلها، ودورها في الحضارة الانسانية، إيماناً لا تزعزعه أعاصير الحياة مهما

"زأر . . . ويؤمن — من قبل ومن بعد — بقدرة السماء التي لا تقهر!

هذا الايمان كان — ولا يزال — مفتاح المعجزات، قهراً لكل عقبات الحياة هازئاً بصعابها مهما احتدمت، وهالت وتأزمت . .

فدلوني على قديس واحد بين زعماء الشرق مؤمن بنفسه وبأمته ولو أضعف الايمان.

.. دلوني على طبيب واثق بقدرته، مؤمن برسالته، يضع المرهم على جراح الأمة دون أن يحقرها أو يزدريها، لأن جراحها لا تزف ذهباً!

دلوني على الزعيم الواسع الأفق، المتكامل النفس، العميق النظرة الذي يتفوق على حاجات أمته، فيتسامى إلى آفاق الانسانية العليا ثم يعيد به القوية، فينتشلها من حضيضها الى مجالي السمو ومسارح النور — بدل أن ينزل هو إلى أوحالها، ويتمرغ في ترابها، ليقال: إنه منها واليها؟

عزاء الشرق — أول العزاء — في زعمائه وقادته، فان الزعامة قد عادت حرفة يحترفها بعض المستغلين في الأمم المستغفلة، ليعيشوا في أبراج من الذهب تاركين الشعوب في الأوحال ساخرين من معائرها، هازئين بآمالها.

ولا أظلم الواقع إذا تراءى لي من خلال الوقائع أن ذلك عن رضى واختيار . . لا بل هي مؤامرة مدبرة أن يحافظ الزعماء في الشرق العربي على مستوى من الجهل في الشعوب التي يزعمونها، إذ من الخير لهم أن يقودوا قطيعاً ضالاً جاهلاً لا يناوىء ولا يعاري ولا يعارض، لأنه لا يرى واقع الحياة كما يجب أن يراه الأحياء.

هم حريصون على هذا المستوى من الجهل، ومن هذا كانت سياسة التعليم عندنا غير واضحة المعالم، ولا معروفة الأهداف، وإنما هي مسلاة تتلهى بها طفولة شعب غافل في غير وعي ويديرها رعاة مسيرون في غير رعي.

هذه واحدة، أما الأخرى، فالعجز عن رسم الاتجاه، وتوضيح الطريق، وتحديد الغاية.

ومن هنا حبط ما صنعوا، لأنهم يتخبطون على غير هدى ولا بصيرة ولا استمساك في هذا الجو المتميع المضطرب.

لم يبق لتوجيه سياسة التعليم — إذن — غير رجال التعليم، وهؤلاء يجب أن يدخروا لما يسروا له، من تلوين الصورة وإخراجها على ضوء الخطوط الأولى، أما أن يكلفوا

تحديد الغايات العليا للأمة ، ويقرروا الهدف الأسمى للتعليم ، وهو الذي يكيف كيان الدولة ، ويتحكم في مستقبلها طويلاً من الأجيال — فذلك ليس إليهم ولا هم عليه قادرون.

ليسوا قادرين ، لأن في ثقافتهم نوعاً من التخصص الذي يحيل بهم ذات اليمين وذات اليسار ، مما لا تؤمن معه العثرات ويعوق من الأفق الأعلى ، ويترك التعليم يدور في حلقته المفرغة المعهودة .

وليسوا قادرين ، لأن أمور الدولة ليست إليهم حتى يطاعوا ولا رأي لمن لا يطاع .

وهم غير قادرين لأسباب تشرحها طبيعة الحياة التعليمية وظروفها في هذه البلاد بالذات . والأمر — فوق هذا وذاك — تكليف بما لا يطاق ، فإذا لم يطيقوا الصرفوا عن الانشاء الى استعارة قوالب مستوردة من الخارج ، مصنوعة لأمم غير الأمم ، وديار غير الديار ، وهم لا يعتزون بأن يؤقلموها أو يعنحوها جنسية بلادنا . ولأن نبقى عراة خير من أن نلبس قفقاصاً من الثياب ، يجرجر أذياله في ترابنا ، فيثير حولنا عجاجات يحسبها الرائي غبار معركة ، وما هو بها . أو ضيقاً يبرز سوآتنا ، ويعصر أجسامنا ، ويشل حركاتنا . وفي ذلك ما يدفعنا إلى تغيير أهدافنا وتبديلها بالسهولة التي نغير بها هندامنا ، وفيه من التعويق والتضليل ما يضيع معه الزمن ، وهو أثمن ما في الحياة الحديثة من مقوّمات .

أهداف التربية في بعض البلاد هي « تكوين المواطن الصالح » فاذا حاولنا استعارتها لبلادنا ، فأي مواطن صالح تكونه تربيتنا ؟

المواطن في كل وطن عضو في هذا المجتمع ، يعرف أهدافه فيندفع لتحقيقها ، وهو بذلك يضع لبنة في هذا البناء العملاق الضخم الذي يعصمه كما يعصم كل المواطنين من العوادي ، فكل خطوة يخطوها الفرد إنما هي انبعاث في سبيل اسعاد المجموع والأفراد على السواء ، لأن الأمة كلها جسم متماسك منسجم متوافق لا يطغى عضو منه على عضو .

لذلك ينبعث الفرد ليحقق — لأمته ولنفسه — مستوى من الحياة ترضى عنه الانسانية ، ثم ينطلق مرتاداً آفاقاً جديدة تجعله قادراً على التفاعل مع الحضارة الانسانية ، مؤثراً فيها متأثراً بها ، متطلعاً الى قيادتها نحو سعادة دائمة فاهي فكرة المواطن عندنا ؟ إنها فكرة عن الوطنية غامضة فردية مستبدة ، مهما تسامى فلن تعدو تحقيق آمال الفرد بنفسه ولنفسه في دائرة مقتطعة عن العالمية والانسانية .

وما نصيب مدرستنا من العمل لهذه الفكرة أو الانحراف عنها ؟ لقد قيل إن المدرسة مرآة تنعكس عليها صورة حقيقية مصغرة لحياة الأمة وآمالها . فأية صورة للحياة هي

مدارسنا اليوم ؟ وما الصورة التي نحب أن نعكسها لحياتنا ؟ أهي الحياة كما نحسها ونلمسها ... حياة الواقع المتناقض المسف الموغل في المادية المثقلة بأوزارها وآثامها ومفاسدها ؟

.. أم هي الحياة كما نتخيلها : كريمة متسامية تهدف نحو المثل الانسانية ، روحية تنتشل الفرد لتطهره من أرجاسه ، وتتصاعد به إلى ملأ أعلى ؟

.. أم هي مزيج مما يسر وما يسوء ، وما يجمل وما يقبح : من المادية الجارفة في طغيانها ، والروحية السمحة في سموها ؟ وهل أفلحت المدرسة في تصوير الحياة — أي حياة — لروادها .

ومن قبل ذلك : أية حياة هي التي نريد أن نطرح ظلالها على المدرسة ؟ أهي حياة أمة زراعية أم صناعية أم تجارية ؟ أمة محاربة أم مسالمة ؟ متدينة أم لادينية ؟ معتزلة أم منعزلة ؟ وما مركزنا في الاندماج ، وما دورنا في الحضارة الانسانية ؟ وأخيراً ما الوسائل التي ننتهجها لابراز هذه الصورة في المدرسة ؟

الحق أن المدرسة قد فشلت في تمثيل هذا الدور فلم تستطع أن تقدم أية صورة للحياة في أي لون من ألوانها ، بل جاءت الصورة التي رسمتها باهتة شاحبة مقلوبة مطموسة ، لا تبين منها معالم ، ولا تتميز فيها ألوان .

آية ذلك أنها تقذف إلى الحياة أشباحاً يتخبطون في واقع الحياة ، ويصبحون أمثلة حية للفشل في مختلف الميادين ، قد اضطربت فيهم الروحية إلى حد الالحاد ، وامتدت فيهم المادية إلى درجة الخمول ، وتزعزع إيمانهم بأنفسهم ، وإيمانهم بأوطانهم ، وشحبت فكرتهم عن الحياة وتميعت .

ثم براهين ناطقة على أن المدرسة بعدت عن الحياة بدايتها ونهايتها ، واقعيتها ومثاليتها ، وسلكت وعراً مظلماً من دروب الحياة فأبعدت وأمعنت في التيه .

لم تفلح المدرسة إذن في تصوير أي جوانب الحياة ، لأننا أردناها مثالية تنشىء روادها على ما ينبغي أن يكون الانسان المثالي الذي يهيأ للمجتمع المثالي فما أفلحنا ، لأن تلك حياة لا يحياها الناس في عالم الواقع هنا ، ونحن نكلف الناشئة شططاً من أمرها اذا أرغمناها — في طراوة العود — أن تقاوم عواصف الواقع ، وتمثل ازدواج الشخصية فتجيد التمثيل في البيت والمدرسة .

ثم اننا لم نستطع أن نصور هذا الخيال الجميل في صورة أخاذة تجتذب ولو قليلاً من

الناشئة ، بل وضعناه في أطار من الرهبة التي تشيع القلق وتغري بالفرار .

ومرد ذلك أننا لم نؤمن بعد بأبنائنا ومستقبلهم ، وليس لدينا من الاخلاص ما يبعث على مهمتنا الشاقة لونأ من الجمال يغرينا بالتضحية في سبيلها ، ولأننا — في آخر الأمر — ليس لنا ولا لأبنائنا هدف يغريهم ، ويغرينا مما يصادفنا من عقبات وآلام .

وأيًا ما كانت الأسباب فقد فشلت المدرسة في هذا الاتجاه ، وباتت عزلها عن الحياة ضرباً من العبث والضياع فاتجهنا مع المتجهين الى تمثيل الحياة ، ونظرنا في حياتنا فلم نجد بها شعاعة من ضوء تنفذ إلى الطريق فلسري على هداها . وفي حنادس الظلام ذهبنا نتلمس أعلام الحياة ومعالمها ممثلة فيمن يسمونهم كبراء وعظماء وزعماء وقادة ، لنتخذهم أمثلة حية ننسج على منوالهم ، ونتدبر أعمالهم ، نغري بها ونوجه إليها وما هي إلاّ خطوة أو خطوات حتى تضاءلت الأعلام وتهاوت المعالم ، وصغرت الآمال ، وفي ضوء الحقيقة نظرنا فاذا المعالم ما هي إلاّ أحجار القبور ، يفوح منها الفساد ، وتنطرح فيها الرمم ، ويعيث فيها الدود . .

وإذا العظائم ضباب هائل ، يغشى الأبصار ، ولكنه لا يعيش مع الضياء ، ولا يقر على الدفء ، فهو هباء ، كان وكأنه ما كان ، ومضى كأن لم يعش

وإذا هؤلاء العظماء هياكل ، رتعت في لحومها الديدان وقوّض عظامها السوس ، وبليت معالم الانسانية في منافذ وجوهها النخرة .

إن العظمة في الشرق تضليل وخداع وأوهام ، وويل للناشئة إذا فقدت القدوة الصالحة ، وويل للأوطان من أجيالها المتخبطة .

نعم خسرنا الجولتين فلم تعد مدرستنا مثالية ، ولم تعد واقعية لأننا لم نصرف زمانها في طريق واضح ، ولم نوجهها الى غاية محققة

ونحن طالما صدمتنا الاجابة المؤلمة كلما سألنا طلابنا في مختلف مراحل التعليم : لماذا يتعلمون ؟ لأنها اجابة حائرة قلقة ، أو هي اجابة أشد إيلاماً ممن يعرفون أن هدفهم الحين أن يصبحوا موظفين ؟ فما أتفه الغاية إن كانوا جادين ، وأما أحقر الوسائل إن كانت هذه هي الغاية ، لأنها تعود بنا القهقرى الى السلاسل والقيود التي ظننا أننا تمردنا عليها وبرئنا منها .

أما إجابات المسئولين فهي أشد وأقسى ، لأنها أبعد في الحيرة ، وأمعن في الضلال إذ هم لا يعرفون لهم غاية يدفعون هذه الجياد الهزيلة تتسابق اليها ، أو هي أهداف فردية متنافرة لا تستقيم معها سياسة .

لقد قضينا جيلاً من الزمان ثائرين على السياسة التعليمية الاستعمارية ومع ذلك لم نتحرر منها ، ولن نتحرر بهذه الوسائل العاجزة .

لن نتحرر منها لأنها كانت سياسة ثابتة الأهداف فكبلتنا بقيودها أما نحن فلسنا ذوي أهداف في التحرر منها ، ولو كنا كذلك — لو أقنا سياسة مقام سياسة ، ووضعنا أهدافاً بدل الأهداف — لاقلعنا في ايجاد ثغرات ننفذ منها خلال القضبان ثم لحطمناها تحطيماً .

لقد أصبح لكل عمل من أعمال الحياة فلسفة ، ولكل فلسفة أهدافها فيجب أن تبقى سياستنا التعليمية خاضعة لتصرفات فردية وأفكار طارئة لا يستقيم معها عمل ، ولا ينجح في سبيلها جهد ، لم لا يكون لنا غاية ثابتة نتحراها في كل خطة نهضها ، وكل خطوة نخطوها وكل عمل نعمله لنستطيع أن نقيم عليها دعائم ثابتة لحضارة عتيدة تناقض حضارة الغرب إن لم تفقها ، وتعيد لهذا الشرق مجده الغابر ؟

إن فقدان الهدف قد أفقدنا القدرة على ترويض هذا الوحش الكامن في الشباب ، وأصبح التعليم صراعاً بين المعلم الذي يمثل الدليل المضلل في متاهات الحياة ، وبين الطالب الثائر المتمرد الضال .

لقد جمح الشباب شارداً لأن زمامه ليس في أيدموجهة ، وركب رأسه في مجاهل الحياة فتاه وأصبح مرتعاً صالحاً للدعايات الضارة والآراء المتطرفة ، لأنها في نظره القاصر — ذات صورة براقة ، ونهاية سارة .

لذلك استهوت عقولهم هذه الألوان من الأفكار ، وخدعتهم عن أوطانهم تلك الطوارىء من لمعات السراب ، وغرت أخلاقهم هذه الجيوش من الخلاعة ، وبددت رجولتهم ميوعة وطراوة وشذوذ لم تعهد في شباب أمة توافة إلى مجد طريف ، أو منحدرة من أمجاد تالدة عريقة .

وفشل المدرسة في مهمتها ليس فشلاً فحسب ولكنه كارثة تجتاح الأمة وتمهد لافنائها .

وهرام هذا الفساد الذي يكاد يجرفنا لا يطامن من سورته إلا أن تكون أمة لها في حياتها مهمة ، ولها من وراء هذه المهمة حقيقة تلتمسها وتسير على هديها .

أشعلوا النور ، وأقيموه على سواء السبيل ، وأقيموا على هداه علماً نوفض إليه ، ونتراكض نحوه ، فان أجدر وأجدى ما تشيدون من صرح أمة ناشئة هو الثقافة ، وأول وأولى ما تبنون من صروح الثقافة هو المحور الثابت المركز على أرض صلبة لا تنهار ولا تخوس .

الايقاع

في الشعر العربي

للاستاذ ميشيل الحدو برؤدي

للشعر العربي رنة موسيقية فائقة ليس من الوجهة النغمية بل من الايقاعية ، هذه الرنة تسمو به وتميزه من الشعر الافرنجي ، حتى ان الاجنبي إذا سمعه طرب لنظامه الايقاعي ولو كان يجهل اللغة العربية . اما الشعر الافرنجي فليست له هذه الصفة المميّزة ، لانه لا يخضع لنظام الايقاع بل للتوزين الذي يستند الى عدّ المقاطع دون التفات الى اختلافها ، وهي تتفاوت من جهة مقاديرها الزمنية في كل لغة ، لان كل حرف ملفوظ يستغرق مدة من الزمن كغيره من الحروف .

قال أحد قدماء العرب (الايقاع اظهار مناسبات أجزاء الزمن من القوة الى الفعل بحسب اختيار الفاعل) وقال الفارابي (الايقاع هو النقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير والنسب) وقال ابن سينا (الايقاع تقدير ما لزمان النقرات) وجاء في كتاب الأدوار ان الايقاع جماعة نقرات تتخللها أزمنة محدودة المقادير على نسب — وأوضاع مخصوصة ، ويكون لها أدواراً متساويات الكمية ، وربما لا يكون ، ويدرك ايقاع تلك الأدوار المتساوية بميزان الطبع السليم المستقيم ، كما تدرك به أوزان الشعر دون حاجة الى قانون العروض ، أما اذا لم يكن الطبع سليماً فانه لا يدرك تساوي تلك الأدوار الا بالقانون ، ولا يكون القانون مفيداً لان ادراك وزن الايقاع في الموسيقى أدق من أدراكه في الشعر ، فمن جعل له الادراك الأول حصل له ادراك الثاني ولا يعكس .

أما نحن فنرى أن التوزين تعادل أجزاء الكلام والأصوات ، وتساوي مقاديرها الزمنية قبل اذا فوتت بعضها جملة ، أما الايقاع فهو توازن الأجزاء مع تنسيقها حتى

تقابل بعضها تفصيلاً ، وذلك بترتيبها حسب أحد أشكال الايقاع اللاستتاهية ، وعليه فان التوزين الشائع في الشعر الأفرنجي هو نظم الكلام بعدّ مقاطعه في كل شطر أو اثنين ، سواء أكانت تلك المقاطع طويلة أم قصيرة . أما الايقاع في الشعر العربي فهو ترتيب مقاطع الكلام بحيث تقابل بعضها في كل شطرة وبيت أو في كل خمس ، فيقابل المقطع الصغير صغيراً مثله ، ويقابل الكبير كبيراً مثله ، ولزيادة الايضاح نقدم كمثل لفظة (ملاك) فهي مؤلفة من ثلاثة مقاطع الأول صغير (م) وهو حرف واحد متحرك أي نقرة بسيطة ، يعبّر عنها في الموسيقى بالعلامة ذات السن أي دوبل كروش . أما المقطع الثاني من ملاك أعني (لا) فكبير وهو مؤلف من حرفين اللام المتحركة بالألف ، والألف الساكنة بذاتها ، فهذان الحرفان يتحدان معاً ويؤلفان نقرة واحدة مزدوجة يعبّر عنها في الموسيقى بالعلامة ذات السن الواحدة (كروش) وكذلك أيضاً مقطع (ك) من ملاك فهو مؤلف من حرفين هما الكاف المتحركة بالضمة والنون الساكنة التي ظهرت من التنوين ، فهو اذن نقرة مزدوجة تقابل العلامة ذات السن الواحدة ، وعليه فان كلمة (ملاك) تساوي في الموسيقى ثلاثة مقاطع ، أولها صغير وثانيها وثالثها كبيران ، أي دبل كروش ، كروش ، كروش ، ويعبّر عن هذا الترتيب بعلم العروض العربي بقولنا (فعولن) وهي لفظة اصطلاحية وجدت أفضل من سواها للتعبير عن هذا الترتيب ، وقد يقابله أيضاً (مفاعي أو (علاتن) لأن السر في الدلالة على ترتيب المقاطع ليس في اختلاف الألفاظ ، وعلى هذا تقاس سائر التفاعيل المستعملة في الشعر العربي ، وأنت تجدها مع علاماتها الموسيقية في كتاب (بدائع العروض) والآن تأخذ كلمة أخرى مؤلفة كالأولى من ثلاثة مقاطع أحدها صغير والاثنان كبيران كلفظة (كامل) — فاذ وزنها (فاعلن) وهي تختلف عن (ملاك) مع أن عدد المقاطع ونوعها غير مختلف في الكلمتين ، فتغير الميزان — اذن ناجم عن ترتيب المقاطع دون سواه ، ففي كلمة (ملاك) جاء المقطع الصغير قبل الكبيرين ، أما في كلمة (كامل) فقد جاء المقطع الصغير متوسطاً بين الكبيرين ، وتبعاً عليه اختلاف الترتيب في سائر التفاعيل ، فمستفعلن مثلاً تساوي فاعلاتن أو مفاعيلن من جهة عدد المقاطع ونوعها ، ولكن كلاً من هذه التفاعيل الثلاث تختلف عن الأخرى اختلافاً بيّناً بترتيب المقاطع ، فالمقطع الصغير في مستفعلن جاء بعد اثنين كبيرين ، وفي فاعلاتن جاء بعد مقطع كبير واحد ، أما في مفاعيلن فقد تقدم المقطع الصغير على كل المقاطع الكبيرة .

وفي العروض العربية نقرة أخرى هي الطويلة أو المثلثة ، ويعبّر عنها في الموسيقى

بعلامة كروش منقوطة ، كمقطع لاح من قولنا (طلع الفجر ولاح) وهذه النقرة مؤلفة من حرف متحرك واحد يليه ساكنان ، ولا تأتي الا في الاعاريض والضروب اذ لا يصح أن يجتمع ساكنان في اللغة العربية أثناء الكلام .

فاختلاف الترتيب اذن أمر عظيم الخطورة يقوم عليه النظام الايقاعي ، ولكن لا شأن له عند الافرنج الذين يحسبون فعولن مثل فاعلن ، وفاعلاتن مثل مستفعلن ، عملاً بنظرية عدّ المقاطع دون التفات الى طولها أو قصرها من الوجهة الزمنية ، وقد قلنا إن لكل حرف مدة محدودة من الزمن تساوي مدة غيره من الحروف الملفوظة سواء أكان ساكناً أم متحركاً ولا عبرة بالسرعة أو البطء أثناء الكلام ما دام التناسب الزمني قائماً بين النقرات ، هذا هو سر عظمة الشعر العربي في رنته الموسيقية وسر ضياع هذه الرنة في الشعر الافرنجي ، لأن التفاعيل على اختلاف أشكالها تأتلف مع بعضها لتكوّن الموازين الشعرية والموسيقية ، فادعاء الافرنج بعدم الحاجة اليها والاكتفاء بعدّ المقاطع إنما هو ادعاء فاسد قائم على عدم تعقلهم بتحليل جمال الايقاع ، الذي يتمشى بصدق مع قواعد الجمال العامة ، اذ ليست هنالك تراكيب كيفية ، بل أشكال منظمة خاضعة لجمال النغم وحسن الاداء ، ويمكن اتباع هذا النظام في أية لغة أجنبية ، ونحن على استعداد لمناقشة هذه النظرية مع من يشاء من علماء الافرنج وشعرائهم لاننا لا نجهل أن - بعضهم حاولوا الوصول الى هذه الغاية ، ولكن عدم اهتدائهم الى الطريق الصحيح لم يسمح لتلك المحاولات بالانتشار في عالم الغرب على نطاق واسع .

ولكي تثبت روعة النظم المتبعة في الشعر العربي من جهة الايقاع والتقفية التي تحسنه ، تأتي ببيتين على أساس التوزين حرفناهما وكسرناهما خصيصاً لاظهار هذه الغاية ، هما : —

غيرُ مجدٍ في ملتي واعتقادي نوح باك أو صوت شادٍ طروب
إن حزنا في ساعة الموت يبدو امضاف أفراحِ يومَ ميلادنا

فالبيت الأول موزون على ايقاع بحر الخفيف ، فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ولكنه غير مصرّع ، فضاعت روعة القافية في مطلع القصيدة ، أما البيت الثاني فان صدره أي شطره الأول من الخفيف ، أما عجزه أي شطره الثاني فمن المنسرح ووزنه (مستفعلن مفعولات مستفعلن) . ومع أن هذا الوزن يساوي بالتمام (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) من جهة عدد المقاطع ومددها الزمنية ، الا أنه يختلف عنها في الترتيب ، فورود هذين الشطرين معاً يخالف قاعدة الايقاع العامة فلا يصح استعمالها في بيت واحد أو في قصيدة واحدة

من الشعر العربي ، وهذا الشذوذ الذي نلمسه في قانون العروض كسراً أو تشويهاً أو تحطيماً ، هو نظام التوزين ذاته ، لأن كل شطر من هذا الشعر المحلم يتألف من اثني عشر مقطعاً دون اكتراث بترتيبها كما هي الحال عند الأفرنج ، وأنت ترى جمال الايقاع واضحاً كل الوضوح موثراً غاية التأثير من مقابلة البيتين المحطمين بأصلهما لأبي العلاء المعري وهو :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادي
إن حزنا في ساعة الموت أضعا ف سرور في ساعة الميلاد

واعتقادي أن هذا الشرح يفي بالمرام ، ويبيّن فضل الايقاع في الشعر العربي بطريقة عملية ، لا سيما أن اختلاف ترتيب النقرات على نظام خاص في كل شكل من أشكال الموازين الشعرية اللامتناهية يجعل الايقاع فناً واسعاً غير محدود ، فيستطيع بوساطته أن نسبغ على كل لون من ألوان المنظومات ، وهي عديدة ، روحاً مناسبة له . وكما أن الموسيقي يعبّر عن تصوراته بالأنغام ، والمصوّر بالألوان ، هكذا يستخدم الشاعر نظام الايقاع لكي يساعد الألفاظ على اظهار فكرته . فالشعر ليس فكرة فنية تترك أثراً في النفس فحسب ، لأن المفروض في النثر أن يكون كذلك ، والا كان ضرباً من الهراء ، اذن لا فرق بين الشعر أو النثر إلا بأن الشعر منظوم على الايقاع ، وبما أن لكل شكل من الايقاع رنة خاصة وتأثيراً في النفس يختلف عن سواه من الأشكال ، فمنه ما يبعث على الفرح والحماسة أو الحزن والفتور وغير ذلك ، فيجب على الشاعر أن يختار لمنظومته ايقاعاً مناسباً لموضوعها فتتقوى الفكرة الفنية به ، إذ يساعد على اظهارها ، أما إذا نظم الشاعر فكرته على ميزان لا يناسبها فانه يضعفها ويقلل من شأنها .

وكما أن النفوس تجد في فصائل الأزهار والأطيار ومختلف المناظر والأنغام ما يثير فيها عواطف كامنة ، كذلك أيضاً تجد في أشكال الايقاع المتنوعة ما يمثل مظاهر الحياة ، لأن التناسب البادي في أشكال الايقاع بتنسيق ترتيب النقرات — الصغيرة والكبيرة يحاكي التناسب الذي تنتظم بمقتضاه جميع ما في الكون ، فهو يولّد الهدوء ويلطف الطبائع ويقوّم النفوس ولا أثر لهذه المزايا في التوزين الأفرنجي الذي يهدف الى تعديل النقرات وتوحيدها ، بتطويل بعضها وتقصير البعض ، حتى تظهر متساوية نظريًّا ، مع أنها ليست كذلك ، فالتوزين بدون ايقاع يبعث الفوضى والتشويش في النفوس عدا انه يفيد التقيد

والتضييق ، بعكس النظام الايقاعي الذي يفيد التحرر والانطلاق شأن جميع الفنون .

وبما أن المقام لا يسمح بالاضافة تسترعي انتباه من يهمهم هذا الموضوع الى دراسة ما أثبتناه في كتاب بدائع العروض ، فهو يقيم الدليل ويغيّر السبيل للوصول الى أحسن النتائج وإدراك البون الشاسع بين التوزين والايقاع ، كما أننا ننصح جميع الذين لا يقرون بفضل النظام الايقاعي الى التأمل فيما أوردناه ، ومتى أدركوا سر هذا النظام وعرفوا فضله طبقوه في منظوماتهم ، وهكذا يقترب الناس بعضهم الى بعض النفاهم عن طريق توحيد الأذواق بقبول قانون شامل في نظم الشعر ، لأنه مهما تختلف أشكال الايقاع فان السر واضح في الفكرة الأساسية التي تهدف الى النظام والتنسيق والانطلاق بحسب رأي العرب ، وتبتعد عن الفوضى والتشريق والتعقيد حسب رأي أولئك الذين عدّلوا وشوّهوا هذا النظام البديع — بالتوزين العددي . والخلاصة أن الايقاع في الشعر العربي يدل على التأنق البالغ وعلى استخدام التناسب لمجاراة النفوس المفطورة بطبيعتها على حب الجمال والنظام ، فأعجب لقوم لا يرون فيه ما يستحق الاهتمام ، ولعل هذا — الاهمال في كل ناحية ، هو منشأ التفاوت والتباعد بين أذواق البشر ، فاذا كان الناس لا يتفقون على مثل هذه الحقيقة الفنية البسيطة ، فكيف يمكن أن يتفقوا على أمور أعظم خطورة وأشد تعقيداً ، يزعمون أنها أساليب مفيدة لاحقاق الحق وتقريب الأذواق واقرار السلام .

[المقتطف] الاستاذ ميشيل الله ويردي كاتب هذا البحث علم من أعلام الموسيقى ولكتابه «فلسفة الموسيقى الشرقية» دوي كبير في البيئات العلمية حتى ان هيئة اليونسكو اقترحت ترجمته الى اللغات الافرنجية . وتقديراً لهذا الأثر النفيس أعلنت لجنة البرلمان النروجي ترشيح الأستاذ ميشيل الله ويردي لجائزة نوبل العالمية للسلام وهذه هي المرة الأولى التي يرشح فيها عالم عربي لهذه الجائزة الخطيرة لعمل مستند الى الموسيقى . ولا شك أن حصول أحد علماء العرب على هذه الجائزة العالمية سيغيّر وجهة نظر العالم فيهم ويظهرهم بالمظهر اللائق بهم بين الشعوب .

ولا شك أن قراء المقتطف يغتبطون بالجهود الكبيرة التي بذلها الأستاذ في هذا المؤلف النفيس وفي سائر بحوثه وكتبه .

ويسرنا أن نهنىء هذا العالم الجليل بالثقة التي نالها من الحكومة النروجية راجين له اطراد التوفيق في خدمة العلم والانسانية ، ونتمنى أن يفوز أخيراً بهذه الجائزة العالمية الكبيرة تقديراً لجهوده المشكورة ؟

الميكروبات

بعض ما عرف عنها

للدكتور عبد العزيز رزق

استعملت كلمة « ميكروب » للمرة الأولى في عام ١٨٧٨ بوساطة الطبيب الفرنسي سيديللو Sedillot وتعني كائناً حيًّا صغير الحجم غير أن درس الميكروبات بوساطة العلامة الفرنسي باستور وتلاميذه قد أبدل أساس البانولوجيا نفسها وأحدث تغييرات كثيرة في علم الصحة والأمراض .

وتوجد الميكروبات بالملايين على سطح الارض كما هي موجودة أيضاً في الماء والهواء ، وعلى الخصوص في المواضع التي يعيش فيها ـ الانسان والحيوان ـ ومن هذه الميكروبات توجد طائفة تسمى بالبكتريا . وكل منها خاص بنوع الداء المسبب له فتدخل الجسم وتحدث فيه اعراض المرض . وهي عبارة عن كائنات حية ضئيلة الحجم جداً ، لا ترى بالعين المجردة بل لا بد لذلك من الاستعانة بالمجهر ، وتعيش في كل مكان توجد فيه مادة عضوية أي انها تحتاج في حياتها ونموها إلى الغذاء والرطوبة وإلى جو خاص مثلما يحتاج إليه الحيوان أو النبات . أما عددها فيختلف باختلاف تلك المواضع ، وهي تتوالد بكثرة وسرعة مدهشتين بحيث ان ميكروباً واحداً من بعض أنواعها يولد نحو ١٧ مليوناً من النسل . ثم إننا في كل خطوة وكل حركة وكل تنفس نكون في تماس دائم معها لأنها موجودة فينا وحولنا . ومن خواصها المدهشة أنها تعيش آلاف السنين وتظل هكذا مدة طويلة في حالة خمول من عدم التغذية كي تعود وتنشط من جديد إذا كشف عنها وتهيأ لها محيط ملائم لتغذيتها ونموها .

قلنا إن الأرض والماء والهواء مأهولة بالميكروبات التي لا تحصى ، أما عددها فيختلف في كل من هذه الاماكن كما ترى فيما يلي : —

« في الأرض » قد أثبتت الاختبارات العديدة ان الميكروبات تكون أكثر عدداً في الطبقات السطحية من الأرض مما في طبقاتها السفلى ووجدوا أن (جراماً) واحداً من

تراب الشوارع مثلاً يحتوي على مليون الى مليونين منها ، وتزداد نسبة وجودها خاصة في عمق متر واحد إلى مترين حيث تتوفر هناك جميع الشروط الملائمة لتكاثرها ونموها أي وجود الرطوبة والحرارة والمواد الآتية وحيث لا يمكن لأشعة الشمس أن تصل إليها ، وكلما زاد تلوث الأرض كثر عدد الجراثيم فيها بيد أن عددها يخف سريعاً بازدياد عمق الأرض لدرجة تندر فيها قليلة جداً بل نادرة وهذا منوط طبعاً بطبيعة الأرض ونوع تربتها . وبوجه عام نجد الأرض خالية تماماً من الميكروبات عند عمق ثمانية أمتار .

﴿ في الماء ﴾ جميع المياه تحتوي على جراثيم بكتيرية تأتي من الهواء الجوي أو من الأرض ، وبوجه عام يكون عددها في المياه أقل بكثير مما في طبقات الأرض السطحية ، وتزداد نسبتها خصوصاً في مياه الآبار بحيث تحتوي هذه على ٥ الى ١٠ آلاف بكتيريا في السنتيمتر المكعب أو أكثر من ذلك قليلاً في بعض الأحيان — بعكس مياه الينابيع الخالية تقريباً منها عند تفجرها من باطن الأرض (١٠٠ الى ٢٠٠ في السنتيمتر المكعب) ، وهذا ما يفسر لنا سبب تلوث مياه الينابيع وتطرق الفساد اليها حيما تجري وتسير أنهاراً في الوديان والسهول والبطاح حاملة كل ما تصادفه في طريقها من بقايا حيوانية ونباتية ومواد آلية تجعلها غير صالحة للشرب وللاستعمال المنزلي لاحتوائها على أنواع البكتيريا مع الحيوانات الصغيرة المجهرية .

﴿ في الهواء ﴾ الهواء الجوي بلا منازع أقل من الأرض والماء احتواء على الميكروبات ، فهو لا يتضمن ميكروبات خاصة تسبح فيه وتأتي من الأرض أو من أجسام الحيوانات أو من المساكن وتسقط على الأرض حين يكون الهواء ساكناً ، إنما أغلب الميكروبات التي فيه تفقد حيويتها ونشاطها ، ولذا نجد عدداً كبيراً منها في الغبار ميتاً أو فاقداً حيويته .

وإذا أردنا أن نعرف عدد الميكروبات نفسها بالنسبة الى الفصول والشهور نجده يختلف أيضاً بحسب ما إذا كان الهواء طلقاً أو محبوساً . ففي الهواء الطلق قد قدروا عددها من ٤٣٢ الى ١٠ آلاف ميكروب في المتر المكعب من الهواء ، وهذه الأرقام تقل في الشتاء وتزداد قليلاً في الربيع ثم تكثر في الصيف . ثم ان عددها يختلف أيضاً بحسب ساعات النهار والليل . ففي الساعة الثامنة صباحاً والسابعة مساء يكون عددها أكثر من الظهر أو أصف الليل ، ويكثر عددها كذلك بعد هطول الأمطار الخارة في فصل الصيف وفي الهواء القريب من الأرض تكون أكثر مما في طبقات الجو العليا ، وفي هواء المدن أكثر عن هواء البحر والجبال . وقد ثبت أن هواء الجبال لا أثر لوجود الجراثيم فيه على علو ١٠٠٠ متر ، كما أن الهواء في عرض البحار والمحيطات يعتبر خالياً تقريباً من

الجراثيم أو الميكروبات (٦ جراثيم لكل عشرة أمتار مكعبة من الهواء)، وكلما اقتربنا من السواحل (أقل من ١٠٠ كيلو متر) يأخذ عددها في الازدياد بحيث يغدو (٣٠ — ٤٠ في المتر المكعب الواحد). وعلى كل فالبحر يعد مقبرة للميكروبات لأن هذه تأتي فوق البحر بوساطة الرياح ثم تسقط فيه بثقلها الخاص وتموت.

أما هواء المساكن المحبوس فتكثر فيه نسبة الميكروبات أولاً — بازدياد عدد السكان ثانياً — بقذارة المحلات وما فيها أحياناً من العفونة، وعددها يتراوح في هذه الأماكن بين ٤٥٠٠٠ الى ٧٩٠٠٠ في المتر المكعب ثم ان الغبار الذي يتراكم على أثاث الغرفة يتضمن بدوره عدداً هائلاً من ذات الميكروبات بحيث أن الجرام الواحد منه يحتوي على ٧٥٠ الف الى ١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ميكروب، وكلما قل نقاء الهواء خفت نسبة الميكروبات الموجودة فيه.

ولننظر الآن في أنواعها وأشكالها. فأنواع الميكروبات كثيرة أيضاً وحسبنا أن نعرف انه يوجد في ذرة واحدة من ذرات الغبار أكثر من اثني عشر نوعاً، والعلماء في هذا الصدد يواجهون مشكلة دقيقة في فصل هذه الأنواع المختلفة لكي يدرسوا كل نوع على حدته. فهناك نوع منها يحتاج في غذائه الى اللبن ونوع آخر الى مرق اللحم ونوع ثالث لا يتغذى وينمو إلا على البطاطس وبعضها ينمو في الجلاتين والبيض والآخر في الجيلوز، وهناك أنواع تحتاج في غذائها الى الدم وغيره فبطريقة زرعها أو استنباتها في الأوساط السائلة أو الجامدة في المعامل البكتريولوجية يمكننا التوصل الى معرفة أنواعها وتمييزها الواحدة عن الأخرى مع درس طباعها. فمنها ما يسبب السل الرئوي، وآخر يسبب الخناق (الدفتيريا)، ونوع آخر يكون سبباً للحمى التيفية أو للحمى القرمزية وغير ذلك من الأمراض، وهي تدخل في نسج الجسم سواء عن طريق الفم أو عن طريق فتحتي الأنف وتحدث فيها اضطرابات شديدة.

واذا نظرنا الى أشكالها تحت المجهر نراها في شكل خلايا منفردة وهيئات متباينة. فمنها المستدير أو الكروي الشكل الذي يجتمع على هيئة أزواج كل اثنتين معاً منفردين وتسمى « دبلوكوك » وهي التي تسبب التهاب الرئة والحمى الشوكية المخية والسيلان الخ، وأخرى كل أربعة سوية، وغيرها على هيئة سلاسل أو سبحة وتسمى « استربتوكوك » وتسبب التهاب الحلق والخراريج والحمى النفاسية والحمراء وغيرها. أو على هيئة عنقود عنب ويطلق عليها اسم « المكورات العنقودية » أو « استافيلوكوك » وهي التي تسبب البثور والدمامل الخ، ومنها المستطيلة الشكل وهي التي يكون طولها مساوياً لعرضها وتسمى « بكتريوم » وهذه اذا اجتمعت سميت « البكتريوم المسلسلة ». أما التي لها انتفاخ وتحتوي على بزرة Spore فتسمى Clostridium « كلوستريديوم » وهذا يفوق

كتيراً عرضها (٥ إلى ١٠ مرات) ويطلق عليها اسم (عصَّية) Bacille كعصيات كوخ في السل الرئوي مثلاً

وهناك أنواع أخرى من الميكروبات على هيئة حلزونات، ومن هذا النوع جراثيم الكوليرا وجراثيم الحمى الراجعة وجراثيم مرض النوم، كذا جراثيم الزهري التي تسمى «سبيروخيتا باليدا» أي الباهتة القرن.

وقد وجد الدكتور كوخ وزملاؤه طريقة لتصوير الميكروبات المرضية والجراثيم على الاطلاق تصويراً متحركاً فأصبح العلماء يقدرون على مشاهدة الجراثيم وهي تتحرك في الدم وتتناقل وتتنازع مشاهدة طويلة يمكنهم فيها أن يدرسوا ما فاتهم درسه من طبائع بعض الجراثيم وحركاتها، وقد عدوا هذا الاختراع من أنفع الاختراعات لعلم الطب ودعوا الآلة التي تمكنهم من تصوير الميكروبات تصويراً متحركاً يمثلها في معيشتها تمثيلاً تاماً: «هيرميكروسكوب» وهي تكبِّرها عشرة آلاف مرة فتظهر بها البعوضة كأنها بناية ذات ست طبقات، وقد جعلوا النور الذي يلقى على الآلة لانارة الجراثيم بغية تكبيرها وتصويرها منحنياً لا أفقيًّا على موازاة محور الآلة كما يفعلون في المجهر لكيلا يحتاجوا إلى تلوين المادة المراد مشاهدتها، بل يبقى لها لونها الطبيعي وتبقى جراثيمها حية، والسينما توغراف يصورها بحسب ألوانها. وصيانة للجراثيم من الهلاك إذا أطيل تعريضها للنور جعلوا لها آلة تديرها وتخفيها هنيهة عن النور في أثناء التصوير لابطال فعله فيها، فضلاً عن جعلهم النور يتفذ خزاناً فيه ماء قبل نفوذه إليها فيضعف تأثيره عليها وهي في كل حال لا تستمر معرضة للنور إلا نحو نصف ثانية

ورسمت صورة نقطة من دم عصفور ملتهب بجراثيم داء فكنت ترى فيها كريات الدم الحمر ظاهرة، وتشاهد ميكروبات داء الدجاج البرازيلي بشكل خيوط وتراها أمامك تتحرك بمساعدة هابطة بسرعة، أو متأخرة، متصادمة، متداخلة بعضها في بعض ومتصلة، وتارة تصطدم احداها بكريات الدم الحمر فتغوص فيها وتحاول التخلص ولا تستطيع فتبقى سجينة وتارة أخرى تغوص في كرية حمراء فتنقدها وتخلص. وقد ترى في الزاوية إحدى الكريات البيض تتقدم ببطء وهي ملتفة حول نواة. وقد تصادف هذه الكرية في طريقها كرية حمراء اصطدم بها ميكروب انوباء فجرحها وكاد يتلفها فتحيط بها الكرية البيضاء وتشرع في افتراسها. فهل تشاهد قريباً جراثيم التدرن الرئوي والكوليرا والطاعون وغيرها من الأمراض والأوبئة التي تجتاح البشرية ممثلة حياتها بالصور المتحركة تمثيلاً علميًّا فتراها أمامنا كما تكون في أبدان المصابين بها.

[للبحث بقية]

الانفعالات

وكيف نحد من ثورتها

قد يدفع الانفعال ضربات القلب الى الاسراع ، ويزيد في ضغط الدم ، بسبب تقلص العضلات كما أن التنزر الشديد قد يعرض الفرد للقيء. وقد يغمى على الشخص بسبب الخوف .

وحتى الكثير من تعبيراتنا اليومية ، كقولنا «هذا أسقمني » أو « لقد أتعبني » أو « لقد كسرت رقبتي » تدل بوضوح على أن الناس عرفوا منذ زمن بعيد ، أن الانفعالات تؤدي الى اعراض جسمانية .

ولو أن ، مثل تلك الأقوال معبّرة ، إلاّ أنها أيضاً مضللة ، فليس الآخرون هم الذين يسببون لنا المرض أو التعب ولكنها انفعالاتنا الشخصية ورد فعلها . فالآخرون لن يمكنهم اثارة انفعالاتنا ما لم نحنق عليهم ، أو نغير منهم ، أو نشفق على أنفسنا منهم .

ولطريقة تفكيرنا أهمية عظمى. فاذا ركنا الى موقف ماوأدركنا كيف أنه غير عادل أو أنه سيء،أو نظرنا الى ما قد يتبعه من نتائج خطيرة،فلاشك أننا نثير قدراً كبيراً من انفعالاتنا، ولكننا لو رجعنا بتفكيرنا إلى ما يمكن انقاذه من الأحوال في مثل هذا الموقف،لوجدنا أن انفعالاتنا لا تحتمل الزيادة .

والانفعال ليس بضار ، لأنه يعد الجسم للعمل في عدة نواح . لزيادة الدورة الدموية في العضلات،وانطلاق السكر في الدم لزيادة النشاط . وما لم تثر انفعالات الفرد ، فلا يمكنه أن يخطب بزلاقة . وكذلك لا يمكنه أن يجري على أشده ما لم يحفز لذلك .

وعلى أية حال ، فالانفعال يفيدنا فقط ، اذا نشطنا التفكير مقدماً ، في كيف نعالج الموقف ، وكيف نهجم عليه عندما يجابهنا . وما لم يعبّر الانفعال ، بمثل هذا السلوك والتفكير

المستمر ، فانه قد يطغى لدرجة أن يؤدي الى الاضطراب العقلي أو أعراض العجز .

ولعل أغلب أسباب اثارة الانفعال ترجع الى نوع من التهديد — لفقد عزيز لدينا أو ضياع نعمة أو المال أو ترك العمل أو البيئة المنزلية . كما تبدو كل المواقف والحالات العديدة ، أيضا تهديدا ، اذا فقدنا الثقة في قدرتنا على مواجهتها . وحتى الحصول على الشهرة قد يهددنا . اذ كنا موسوسين جداً . كما نشعر أيضاً بالتهديد من بعض الدوافع الغريزية التي تتعارض مع مثلنا العليا . والتهديدات المتكررة ، تؤدي الى الاثارة مالم يجد الانفعال المتولد من كل تهديد ، منطلقاً للتفكير والعمل المنتج .

فاذا توقعنا أننا نواجه تهديداً معيناً ، فيجب أن نتصور أنفسنا ذاهبين اليه ومتخذين أي اجراء قد يحتاجه . وعندما نتعرض للتهديد ، يجب أن نمرّن أنفسنا على أن نفكر ونعمل بأسلوب الهجوم . فالهجوم على التهديدات يجب أن يكون شعار كل شخص . وهذا السلوك يربي فينا حالة عامة يمكننا أن نسميها بحالة (مهما يحدث ، فلا بد أن أواجه الموقف) والتي تخالف حالة (أرجو أن لا يحدث شيء) .

حالة (مهما يحدث ، فلا بد أن أواجه الموقف) تربي فينا السكينة والرصانة وتخلينا من المزيد ، على أن أمراً قد يحدث . لاننا على استعداد تام لمواجهته في أي وقت . بيد أن حالة (أرجو أن لا يحدث شيء) قد تكون وجيهة ولكنها تشعرنا بعدم الاطمئنان ، وان لم يحدث شيء لمدة طويلة . لأننا نستمر في الشعور بعدم الاطمئنان ، لاستمرار بقاء الفرصة لحدوث شيء . ومثل هذه الحالة تسبب القلق والتعب وغير ذلك من الاعراض الناتجة عن القلق . وتزداد حدة القلق في الحالات التي ترقب الشعور لأي حدث ، كالوجود في الاماكن المزدحمة أو الغرف المغلقة .

وقد تنمو حالة (أرجو أن لا يحدث شيء) بطرق مختلفة . فالمتوجسون مثلاً ، يضربون أنفسهم ارضاء لبعض الأرواح ، على زعم أنهم بذلك ، انما يحافظون على محاصيلهم من البوار ، أو لدفع سوء الحظ عنهم . كما أن الخرافة القائلة بأن حسن الحظ تسوق الى سوء الحظ كثيرة الانتشار . ومثلها الخرافة بأن الانسان يمكنه منع سوء الحظ ، بأن لا يترك نفسه سعيداً أبداً . وقد تتخذ هذه الخرافة دون وعي منا ، في وقاية أنفسنا ، لو كانت لدينا حالة (أرجو أن لا يحدث شيء) .

وبالاختصار لن يتلاشى الشعور بردود فعل بعض أزاء التهديدات المختلفة ما لم تتغلب عنده حالة (مهما يحدث فلا بد أن أواجه الموقف) على حالة (أرجو أن لا يحدث شيء) ولو نسبياً .

وهناك أفراد لا يمكنهم مقاومة الانفعال مما يثير عندهم أعراضاً جسمانية كسرعة ضربات القلب وسوء الهضم . وفي البعض الآخر يسبب الانفعال توتر العضلات أو التعب أو رعشة الجسم .

ومشكلة الشخص الكثير الانفعال ، كمثل الذي يركب حصاناً أصيلاً . فالحصان عرضة لأن يجمح أو يتراجع ، ولكنه في نفس الوقت يمتاز بالسرعة ومهارة القفز . واذا تعلم صاحبه أن يقوده بحكمة فسيكون خير عون له . فيجب أن يهدئه من روع الحصان اذا جمح وأن يعوده على أداء اللازم مهما يظهر في طريقه . وبالاختصار يجب أن يتعلم كيف يركب حصانه الأصيل . وبالمثل يجب أن يتعلم ذوو الانفعالات كيف يوجهون انفعالاتهم .

ولما كانت الأعراض العقلية والبدنية الناجمة عن الانفعالات سببها التوتر العضلي دائماً ، كان من الواجب أن نصطنع الارتخاء لطرد هذه الأعراض . فالارتخاء له تأثير نفساني ملطف كما أن ارتخاء العضلات يكسبنا الشعور بأن (كل شيء على ما يرام) . وكأنه رسالة تلغرافية من المخ لكل عضلات الجسم بالهدوء .

والواقع أن الكثيرين يجب أن يتعودوا القدرة على الارتخاء . ولتربية القدرة أو التعود على الارتخاء ، يمكن للفرد ان يخصص يومياً بضع دقائق ليريح فيها كل عضلة وليتصور أنه في حالة هدوء تام ، وأحسن الأوقات لذلك عند الذهاب للنوم ، أو قبل النهوض من الفراش .

وعندما يذهب الانسان ليتمدد على الفراش ، ينحصر كل عمله في أن يريح كل عضلة في جسمه وان يترك السيطرة على عقله : فلا يركزه على أية فكرة بل يتركه على سجيته ، يذهب من فكرة لأخرى دون الركون لفكرة معينة . وبذلك يستريح عقله سواء أكان نائماً أم مستيقظاً ، كما يستريح جسمه وهو مرتخ تماماً .

وليس عمق النوم ضرورياً ولكن الراحة واجبة . اذ يمكننا أن نستريح تماماً دون ان نغط في نوم عميق لو علمنا كيف نستريح .

(مترجمة من سايلس دايجست) ☆ ☆

طباعة الأقمشة

للأستاذ حسن محمد عسكر

تستخدم في طباعة الأقمشة أكثر من طريقة ، بين آلية وبدوية ، لعل أهمها ما يأتي :-

(١) القوالب - وهي عبارة عن رسوم بارزة على قطع من الخشب أو أي معدن خفيف ، تشبه تماماً حروف الطباعة .

(٢) التفريغ - أي الاستنسل - وفيها تفرغ الأشكال على ورق خاص ، أو رقائق من الزنك أو النحاس . والياباني ، أشهر من يجيد العمل بهذه الطريقة .

(٣) الحرير - أي الشابلونات - وهي نوع من طريقة التفريغ ، وقد أصبح استعمالها أكثر شيوعاً لمزاياها

(٤) الآلي - وفيه تنقش الرسوم على اسطوانة معدنية ، يرقد تحتها جام اللون وتمر فوقها لفائف القماش مضغوطة بوساطة اسطوانة أخرى .

الطباعة بالقوالب : أما المعدات اللازمة لعمليات الطباعة اليدوية بالقوالب فهي : -

(١) القوالب (٢) الخشامة (٣) طاولة الطباعة (٤) المطرقة .

(١) القوالب - وتصنع من أي خشب متوسط الصلابة كخشب الجميز . وسمك القالب ٥ ر ٢ - ٣ بوصة . أما مساحته فتتوقف على مساحة القماش الذي سيطبع . فمثلاً اذا كان عرضه ٥٠ سم وجب أن يكون القالب جزءاً صحيحاً منه . فيمكن أن يكون ٥ - ١٠ - ٥ ر ١٢ - ٢٥ سم ليمكن تكرار الشكل ١٠ - ٥ - ٤ - ٢ من المرات في عرض القماش . أما طول القالب عمودياً ، فحسب الرغبة . وعلى كل حال ، يجب ألا يزيد حجم القالب عن ٢٥ × ٥ ر ١٢ بوصة . ويلاحظ أنه كلما كبر حجم القالب ، كلما زاد وزنه وصعب تصحيح أخطائه . كما أنه كلما صغر حجم القالب زاد عدد عمليات الطبع واضاعة الوقت . والقوالب يمكن أن تكون مربعة أو مسدسة أو بأي شكل يسمح بتكرار العمل

على وجه الدقة . وسطح القالب يجب أن يكون مستوياً وخالياً من الحفر ، لأن هذا العيب لا يمكن علاجه فيما بعد . وعادة لا يزيد بروز الخطوط عن برسة وتكسى بأكثر من طبقة من غبار الصوف ، يعد دهان سطح الرسوم في كل مرة بفورنيش . وتكرار عملية الطبع دون خطأ على القماش توضع عند أركان القالب مسامير نحاسية ، تبرز قليلاً عن الرسوم ، لتطبيق القالب على آثارها .

(٢) — الخثامة ولا تزيد عن تثبيت قطع من الصوف أو اللباد ، على شكل مستطيل ، ثم تشبيعها بعجينة اللون ، ولا بد لكل لون من خثامة خاصة .

(٣) طاولة الطباعة — عبارة عن مائدة مستطيلة ، قوية التركيب ، يكسوها بطانيات صوف غليظة ، فوقها مشمع ، وحولها حاجز خشب يطبق على البطانيات . ويثبت القماش المعد للطبع اما على المشمع بالصمغ أو بعجينة الدقيق واما بالتدبيس في الحاجز . وفي حالة طبع القماش على الوجهين ، تفرش تحته ملاءة .

(٤) المطرقة — يتركب رأس المطرقة من قطعة رصاص حجم ٤ × ٢ × ٢ برصة ثم تكسى بقماش الكستور . أما اليد فغطوطها ٥ ر ٤ برصة وتكسى بالجلد . والطريقة أن يمسك القالب من جوانبه باليد اليسرى ويدق عليه بالمطرقة وهي في اليد اليمنى .

(عملية الطباعة) : تحتاج هذه العملية الى العناية وتركيز الفكر . ويحسن وضع علامة على القالب من الجهة التي ستبدأ بها الطبع ، حتى لا ينعكس وضع الشكل مع سرعة العمل . وبعد أن يثبت القماش تماماً ، توضع مسطرة لضبط أول صف عند تكرار الرسم . وبعد تجهيز اللون تشبع به الخثامة ، ثم يضغط عليها القالب ، وينقل الى موضعه تماماً على القماش ثم يطرق عليه وهكذا . ويجب تنظيم الرسوم بعضها الى بعض وأن تصمم بقدر الامكان بشكل وحدات قائمة بذاتها ، وليست متشابكة الفروع . وأن يتم الطبع بلون واحد ، دفعة واحدة ، قبل البدء في الطبع بلون ثان . ويجب أن يجف اللون الأول قبل وضع اللون الآخر ، حتى لا يمتزج اللونان .

(الطباعة بالتفريغ) وتمتاز هذه الطريقة على سابقتها ، بحرية الرسم وسرعة تغيير النماذج وقلة تكاليفها . وورق التفريغ (الاستنسل) عبارة عن قطعة من الورق المقوى ، المشبع بالزيت المغلي . ويمكن طرد الزيت الزائد من ورق التفريغ بضغطه بين قطبي لشاف ، وبذا يصبح شفافاً نوعاً ومتيناً كما يمكن قطعه أو تفريغه بسهولة . ويلاحظ أن ورق الاستنسل يصير سهل التقصف بمرور الزمن . والسكينة المستعملة في القطع ، يجب أن تكون

حادة جداً ومدببة . ويوضع ورق للتفريغ على لوح زجاج عند قطعه كي لا تتشرشر حروف الشكل . وعند الانتهاء من تفريغ الاستنسل يعاد دهانه بورنيش الجالكة ، لزداد قوة وطرداً للماء . ولا بد من عمل أكثر من استنسل للشكل الواحد ، اذا كان الطبع بأكثر من لون . والعادة أن يطبق اللون بوساطة فرشاة من شعر الخنزير الصلب كما يمكن الحصول على تأثيرات مختلفة في الطبع باستعمال الاسفنج أو البخ . والمهم أن لا يلتصق اللون من حروف الرسم . ولذا يحسن أن تكون عجينة اللون المستعملة لهذه الطريقة ، أغلظ قليلاً من المعتاد . ويجب اتمام الطبع بكل لون على حدة وتجفيفه ، قبل استعمال لون آخر .

(الطباعة بالشبكات الحريرية) وفيها تحضر قطعة من حرير المركزيت ، أو أي نوع من الحرير الذي يحوي ٨٠ — ١٠٠ عين في البوصة المربعة . وتشد جيداً الى اطار خشبي ثم توضع على الرسم المطلوب ، ومنه ينقل على الحرير . وبعد ذلك تدهن الأجزاء التي لن تظهر على القماش بورنيش الدوكو ، ويترك الشكل مفرغاً . ومفهوم أن كل لون يحتاج الى شابلون خاص . ويمكن تطبيق عجينة اللون في هذه الطريقة بوسائل عديدة ، منها استعمال الفرشاة ، أو الضرب بقطعة قماش أو بالاسفنج ، أو الرش ، أو تسوية عجينة اللون بقطعة خاصة من الخشب أو أسطوانة . وفي الطبع بطريقة الشابلونات ، يمكن انتاج رسوم بأي حجم مطلوب .

(تحضير القماش للطبع) : العادة أن الأقمشة التي تشترى تكون نظيفة وفي حالة صالحة للطبع عملياً ، ولكن يجب غسل القماش بالماء الفاتر والصابون بسهولة لتمق اللون في الألياف . ومفهوم أن كل نوع من القماش (قطن — صوف — حرير) له طرق خاصة لتنظيفه . وبعد التجفيف يكون القماش معداً للطباعة .

ولصيقي الصانع الصغير أن يلتزم طباعة قطع القماش التي تصلح للأغراض الخاصة أو الشخصية مثل المناديل الحريرية وخلافه ، لأن ثمن بيعها يكون عادة أضعاف تكاليف انتاجها ، بعكس المجال في الأقمشة العادية التي تطبع بالطرق الآلية إلا يمكن منافستها .

(تحضير ألوان الطباعة) : كل مساحين الطباعة ، من الوجهة الفنية ، تسمى ألوان وان لم يكن لها لون خاص ، كأن تحوي مجرد مادة مثبتة . وعلى كل حال ، فتحضير ألوان الطباعة يحتاج الى مهارة وعلم بالصبغات ، وفيما يلي مكونات الوان الطباعة على الأقمشة : —

(١) مذيب — وهو الماء عادة .

(٢) صبغ أو لون — وتشتمل الأصباغ بأنواعها مباشرة — حمضية — قاعدية — كبريتية — حوضية .

(٣) مغلظات — وهي الصموغ المختلفة وأهمها صمغ الكثيراء وأيضاً الصمغ العربي

والنشاء والدكسترين . وفائدة عوامل التغليظ هي تسهيل نقل اللون الى القماش ومنع انتشاره من حدود الرسم .

(٤) مثبتات (موردانت) — وهي أملاح معدنية تتحد مع الصبغ بتأثير البخار ، وتكوّن ألواناً لا تذوب وكل مصانع الطباعة بصفة عامة ، يجب تحضيرها طازجة .

تحضير عوامل التغليظ : ٦٠ ٪ من الصبغ ، ٩٤ ٪ من الماء .

صبغ الكثيراء - ينقع الصمغ لمدة ٢٤ ساعة ، ثم يغلى ويصفى .

الصمغ العربي — ٥٠ ٪ من الماء ، ٥٠ ٪ من الصمغ يصنع كالفه .

مغلظ النشاء - ١٥ ٪ نشاء ، ٨٠ ٪ ماء ، ٥ ٪ زيت زيتون . يغلى ويبرد .

أساليب الطباعة : الواقع أن طباعة الأقمشة نوع من الصباغة . والغرض من هذه الأساليب هو معرفة وضع الألوان تبعاً لخواصها على القماش . وهذه الأساليب تقارب ١٢ أسلوباً ولعل أهمها طريقة الطبع المباشر وتعرف بطريقة البخار ، لأنه العامل الأساسي في التثبيت .

عملية البخار : وكانت تتم بلف القماش بعد طبعه ، حول اسطوانة بخار مجاطة ببطانية صوف لامتصاص الرطوبة من البخار . ولكن عملية التبخير الآن ، تتم في خزان خاص من الحديد ، يدور فيها البخار قبل وضع القماش . وتستغرق مدة التبخير نحو ساعة أو أزيد أو أنقص حسب الحالة .

عمليات ما بعد الطبع : وتشمل التعتيق والتبخير والتثبيت ، والغسل والترجين والتنظيف والتجفيف والتشطيب . وليس معنى هذا ، أن كل نوع من الأقمشة يحتاج لكل هذه العمليات ، بل ان الاستغناء عن بعضها واجب للصوف والحرير مثلاً .

نماذج للطبع المباشر : وفيما يلي نماذج جيدة لألوان الطباعة بالاسلوب المباشر لأجل الحرير والريون بطرق التفريغ .

(١)

١ — ٤ أوقية صبغ حمض
١ — ٢ رطل بوريا (مثبت)
٥ ر ١ أوقية طرطيرات الهديوم
٣ ر ١ لتر ماء ساخن يضاف الى : —
٧ ر ٢ لتر محلول كثيراء (٦ ٪)
وهذه الكميات تكفي لانتاج جالون واحد من عجينة اللون

(٢)

١ — ٤ أوقية صبغ مباشر للحرير
١ — ٢ رطل بوريا
٥ ر ١ أوقية فوسفات صوديوم ثلاثي
٣ ر ١ لتر ماء ساخن . يضاف إلى
٧ ر ٢ لتر محلول كثيراء (٦ ٪)
وهذه الكميات تكفي لانتاج جالون
والطريقة العامة أن يطبع القماش ويثبت بالبخار ويغسل .

الاطباق الطائرة

ماهيتها — وبدء ظهورها

للأستاذ امين عبده

نشرت مؤخراً جريدة «ساندي ديسباتش» الانجليزية عدة مقالات متتابعة لبعض العلماء ممن تعنوا عناية خاصة بأمر الأطباق الطائرة التي شغلت أفكار الكثيرين أمداً طويلاً.

ولطالما تساءل الناس عن ماهية تلك الأطباق وما عساها أن تكون أهي حقيقة أم خرافة. أهي طائرات استكشافية أم أسلحة سرية. أم مركبات مرسلة من أحد الكواكب الأخرى القريبة من أرضنا. إن صح أنها مأهولة بالسكان. ولم أخذ ظهورها يزداد منذ انفجارات القنابل الذرية عندنا، وما سبب ترددها على أوربا وأمريكا؟

هذا وقد قام كل من المستر «دونالد كيهو» Donald Keyhoe والمستر «فرانك أسكلي» Frank Scully وهما من أشهر المعنيين بشئون الطيران. بتأليف كتاب في موضوع الأطباق الطائرة.

وها نحن أولاء موردون أهم ما اشتمل عليه كتاب المستر «دونالد كيهو» الذي كان رئيساً لفرع الملاحة التجارية الجوية بالولايات المتحدة الأمريكية.

قال المؤلف: إن الأطباق الطائرة حقيقة لا ريب فيها. ويظن أن أول من أطلق عليها هذه التسمية هو المستر «كينيث ارنولد» Kenneth Arnold وهو ملاح جوي طاف ذات مرة بحلقة تقرب جبل «رينير» بواشنطون. وان أول من استعمل هذه التسمية مزارع بولاية «تكساس» يدعى «جون مارتن».

وجاء ذكر الأطباق الطائرة منذ الجيل الماضي حيث نشرت جريدة «دنفر ديلي نيوز» Denver Daily News (عددها الصادر بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٨٧٨ ما يأتي: —

«روى المستر جون مارتن» المزارع المقيم جنوب مدينتنا القصة العجيبة التالية — قال إنه رأى خلال قيامه بزرعه للحقل جسماً غريباً أسود اللون محلقاً في الجو ومتجهاً نحو

الجنوب والذي راعه منه سرعة انطلاقه في الجو . ولما مرَّ من فوقه كان في حجم الطبق وكان على ارتفاع شاهق » .

ولم يأتنا من أخبار الأطباق الطائرة فيما بين عامي ١٧٦٢ و١٨٧٠ إلاّ النزر اليسير . غير أن بعضهم أشار إلى ظهور أنوار سطعت في الجو لم يعرف مصدرها . وشاهد بعضهم أجساماً ذات أشكال مستديرة ظهرت نهاراً — إلا أن هذه وتلك مشاهد لا يؤبه لها قياساً على ما سنأتي على ذكره فيما يلي : —

ومما لا تفوتنا الاشارة إليه أنه قد تمَّ في هذه الحقبة من الزمن اختراع التلغراف والتليفون والراديو وهي من وسائل الاتصال بين الأقطار .

وبعد عام ١٨٧٠ أخذت الأخبار تترى عن هذه الأطباق . فقد شوهد جسم مستدير الشكل ظهر على ارتفاع شاهق في سماء مرسيليا بفرنسا وذلك في أول أغسطس من عام ١٨٧١ أخذ في التحرك وظل مشاهداً نحواً من خمس عشرة دقيقة ثم اختفى .

كذا ظهرت في أفق « كاسيل » بألمانيا أجسام كثيرة العدد لامعة . قبل شروق الشمس . أخذت في المسير من الشرق إلى الغرب . كما رؤي أيضاً في أفق « ليوزيلندا » شبه طبق بيضي الشكل سريع الحركة . وكان ذلك في الرابع من شهر مايو من عام ١٨٨٨ . كما شوهد أيضاً بعد هذا التاريخ بنحو عامين الكثير من الأجسام المحلقة في سماء الهند الشرقية الهولندية كانت ثلاثية الشكل تقريباً .

وفي ٢٦ أغسطس سنة ١٨٩٤ أعلن أميرال انجليزي عن رؤيته لقرص كبير ذي نتوء كالذيل . وبعد هذا التاريخ أخذ الناس يتحدثون عن أجسام ثلاثية الشكل كانت قد ظهرت في أنحاء مختلفة وهي كثيرة الشبه بالتي رؤيت في الهند الشرقية الهولندية . ثم كثر اللغط والتهكم عن كثيرين من الرجال الرسميين وغيرهم كما زعم غير واحد من الفلكيين بأن مصدر تلك الظواهر الخفية قد يكون الفضاء الخارجي .

ومن ثمَّ أخذت تلك الظواهر في ازدياد منذ عام ١٨٩٧ في سماء الولايات المتحدة الأمريكية . ومن أغرب ما شاهده الفلكيون جسم يشبه السيجار له شبه أجنحة صغيرة في سماء بلدة « ميد وست » على ارتفاع شاهق . وفي عام ١٩٠٤ أعلن مكتب الارصاد الجوية بالولايات المتحدة الأمريكية عن ظهور جسم مماثل لما تقدم ذكره شوهد عند البحر .

كما رؤي في ٢٤ فبراير من عام ١٩٠٤ نور على ارتفاع كبير يسير بسرعة فوق الأطلنطي وفي ٢ يوليو من عام ١٩٠٧ سمع صوت انفجار بالقرب من « برانجتون » . والذي تم

الصوت قال إنه رأى جسماً شبيهاً بالطوربيد كان يدور في الجو وبعد ذلك ببرهة قصيرة ظهر جسم آخر مستدير الشكل انبعث منه ضوء الى أسفل ثم انفجر. كما شوهد جسم آخر يشبه السيجار على ارتفاع قليل في سماء « بريدجوتر » بولاية « ماساشوسيت »

ونشر الدكتور « هاريس » Dr. F. B. Harris خبراً في المجلة الفلكية بتاريخ ٢٧ يناير من عام ١٩١٢ عن جسم أسود اللون رآه يمر على وجه القمر. وبعد هذا التاريخ أخذت التقارير المرئوق بصحتها تذاع بين الفينة والفينة مما يبدو من مثل هذه الظواهر.

عندما كان « نيقولا روبرش » رئيس البعثة الأمريكية الفلكية في بلاد « التبت » بالصين في عام ١٩٣٤ استدعى أحد الحالين نظرة الى مظهر غريب في السماء حيث شاهدا جسماً بيضي الشكل مرتفعاً منطلقاً بسرعة كبيرة من الشمال الى الجنوب فاستعان « روبرش » على رؤيته بالمنظار فبدا له في حجم كبير جداً. وعندما انعكست عنه أشعة الشمس ظهر كما لو كان من معدن مصقول وتابعه ببصره فرآه قد غيّر وجهته حيث اتجه نحو الجنوب الغربي. ثم اختفى بعد بضع دقائق. وكان هذا آخر مظهر قبل الحرب العالمية الثانية.

ومع ما تقدم فإن فلكيو « شيكاغو » على زعمهم بأنها قد تكون نوعاً من الشهب إلاّ أن الدكتور « جيرار كلر » مدير مرصد جامعة شيكاغو خالف هذا الرأي معللاً بأنها لا يمكن أن تكون شهباً. وأيده في رأيه الدكتور « أوليفرلي » مدير مرصد « نوربويشترن »

وحدث في مساء يوم ٢٣ يوليو من عام ١٩٤٨ أن ركب كل من الكابتن « كلارنس شايلر » والضابط « جون وايتد » — وكلاهما مشهور بتحري الدقة وإصابة الرأي، وهما من رجال الطيران في الحرب الماضية — طائرة من « هومستون » بولاية « تكساس » وكانت ليلة مقمرة وما وافت الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعون. حتى شاهدا جسماً طائراً أشبه شيء بالسيجار مقبلاً نحو خط سيرهما الجوي. وهو يبلغ نحو مائة قدم طولاً وقدّر الضابط « جون وايتد » أن قطره قد يبلغ ضعف قطر الطائرة B 29 ولا زعانف له. وقال الكابتن « كلارنس » بأن قوة هذه السفينة — إن صحت هذه التسمية — أشبه شيء بقوة الطيار. إلاّ أنها أشد لمعاناً. ولاحظا أن بها صفين من الكوى (شبابيك) وبها خرطوم شبيه بقطب الرادار. وبعد برهة شع منها ضوء شديد أزرق أدكن. كذا شاهدا لهباً خارجاً من مؤخرتها ممتداً الى ما يقرب من ثلاثين الى خمسين قدماً وراءها. قال « كلارنس » ولما حاولنا اللحاق بها اندلع من مؤخرتها لهيب رائع فو دويٌ رهيب. ثم أوغلت في الارتفاع فتركناها.

[للبحث تتمة]

الزراعة

في أندونيسيا

— ٢ —

للأستاذ احمد طه السنوسي

لا يهمنا أن نعرف متى دخلت هذه المزروعات أندونيسيا بقدر ما يعنينا أن نفهم أن المهاجرين من أوربا وآسيا قديماً وحديثاً يرجع إليهم الفضل في استثمار واقبال هذه النباتات وفي ادخالها في الزراعة الأندونيسية .

وتزرع في اندونيسيا أشجار فاكهة الدوريان والرامبوتان ومنجيس وغيرها من الفواكه التي قلما نجدها في جهات أخرى من العالم ، والمانجو يدخل في صناعة الحلوى والفطائر والمرطبات والفالوذج المانجوى .

وتنتج الأراضي الأندونيسية محصولاً وافراً من الأناناس الذي شق طريقه إلى التجارة الدولية بعد الوصول الى الوسائل التبريدية الصناعية للتصدير الحديث. وأوراق الأناناس تشبه الجوت إذ تستخرج منها ألياف تصير حبالاً بعد غزلها بالكيفية المطلوبة ، وثمة نوع من أشجار الأناناس لا ينتج ثماراً وانما يزرع على شكل قوائم وظلال كثيفة لقسور الحقول والبساتين ، وهو ينمو بسهولة ، والحبال التي تصنع من ألياف أوراقه جيدة ومتينة جداً ، وهذا النوع من شجر الأناناس يطلق عليه (أناناس الغابة) وتكثر مزارع الأناناس بصفة خاصة في جزيرة سومطرة وشبه جزيرة الملايو حيث تصدره مدينة سنغافورة مصلباً محفوظاً وقد نالت هذه المدينة شهرة عالمية في تصدير الأناناس .

وهناك فاكهة الجامبوز وشجرها بديع دائم الخضرة يدعى نباتياً باسم (أيوجينيا جامبوز) ويدخل في نطاق الفصيلة الآسيوية ، وهو يوجد على الحالة البرية في اندونيسيا

والهند وغيرها كما أن قارة آسيا موطنه الأصلي ، ولعل الأقطار التي تزرع تلك الفاكهة لها غرض أولي من زراعته وهو جمال أوراق أشجارها ، فهي صفحات زخرفية لها ترتيب هندسي بديع ، كما أن زهورها وثمارها جميلة بديعة أيضاً . وهناك نوع من الفاكهة أشتق اسمه من (الجامبر) ويدعى (البرقوق الجامبوزي) بديع الشكل ، وقد أطلق على الجامبوزا اسم (تاج الورد) طبقاً لرائحته الذكية ، وهو فاكهة لذيذة الطعم تلائم الصحة البشرية .

ونوع آخر من الأشجار يسمى (أشجار المشمش : ويسميه الناتيون (اربوبا تريجا بونيكا) وهو يوجد في اندونيسيا كما في الصين واليابان والقارة الاسترالية وسواها من الأمصار ، ولعل اليابان هي الموطن الأصلي له ، وأزهاره بيضاء ذات رائحة ذكية وهو يزرع للزينة إذ أن أوراقه بديعة المنظر دائمة الخضرة .

وفاكهة الرمان تدخل في نطاق الزراعة في اندونيسيا لموافقة زراعتها لظروفها المناخية . والرمان قديم المعرفة ، فقد عرفه القدماء المصريون واليونانيون والفينيقيون وغيرهم ، واسمه النباتي (بيونيكا جرانانوم) ويستعمله الأندونيسيون في مشروباتهم المنعشة في جوهم الحار ليرطب الهواء ، ويستعملون قشوره وجذوره وسيقانه طبياً كما يستعملونه في الصباغة ودبغ الجلود .

ولم تخل الفاكهة الاندونيسية من الموالح ، فهي غنية بها فهناك البرتقال بأنواعه المتباينة ، وكذلك يوجد اليوسفي والتمر الهندي والليمون بأصنافه .

وأهم الخضراوات في اندونيسيا البطاطس بنوعيه : بطاطس الطبي والبطاطا الحلو أو الشي والأكل كمادة سكرية . والبطاطا الحلوة تؤكل رؤوسها مسلوقة أو مشوية ، أما سيقانها الدقيقة وأوراقها فتستعمل غذاء مالحاً شهياً للحيوانات ، ويطلق على هذه البطاطا فنانياً اسم (ايبومبا بطاطس) وثمة نوع من البطاطا يدعى (أوبي كايو Topioca) ينافس البطاطا الحلوة وهو وافر الانتاج تكثر زراعته على سفوح التلال ويستعمله الأهالي في صناعة أصناف خاصة من الحلوى والأطعمة والفطائر ، كما استعمل في الصناعة باستخراج النشاء منه .

وهناك أنواع متعددة من الخضر اللازمة التي يستهلكها الأهالي ولا يتجر فيها تجارة دولية خارجية كالثوم والفول والبصل وغير ذلك .. ولعل البطاطس المورد الأول للمادة النشوية في مجموعة الخضر وتليه أنواع أخرى كنبات (الكاسافا Casseva) والأروروت

والتارو وغيرها ، وقد تقدم فن استخراج المادة النشوية منها ، لذا يقتصر خروجها من النطاق المحلي الى النطاق التجاري الدولي .

وأندونيسيا لها الشهرة العالمية في زراعة التوابل ، إذ لم تعرف هذه التوابل في سالف الأزمنة إلا من جزائر الملوك ، ونالت تلك الجزائر الشهرة الواسعة حتى أطلق عليها اسم (جزائر البهار) ، والتوابل أهمية عظيمة في الحياة اليومية في أرجاء العالم ، فالعطائر وأنواع الحلوى لا تتم لذتها بدون الفانيليا Vanilla ، وجزيرة جاوه من الجزر التي تنتج (فانليا بانيفوليا Vanilla Pontifolia) وهو نبات من النباتات المتسلقة عرف أولاً في بلاد المكسيك ، ويدخل هذا النبات في تجارة أندونيسيا الدولية ، والقرنفل cloves لم يعرف قديماً إلا في جزائر تيرنور وهيلماهيرا وترناتي وغيرها من جزائر الملوك ، ثم أخذ الأندونيسيون يزرعونه في أنحاء كثيرة من جزائرهم ، وهم يستخرجون منه الزيت المسمى باسمه ، وكان الأندونيسيون أول من عرفوا جوزة الطيب في جزيرة باندا Banda من جزائر الملوك ثم زرعوه في شبه جزيرة الملايو ووصلت زراعته الى بقع أخرى . وعرفت (القرفة) أول ما عرفت في جزيرة سيلان بجنوب الهند ثم انتقلت إلى أندونيسيا فبرعت زراعتها وأنتجت منها انتاجاً وافراً ، ولم تخل الثروة البهارية الأندونيسية من الزنجبيل ، بل ان اندونيسيا تصدره الى العالم الخارجي بعد التجفيف والتسليب ، ومن التوابل الأندونيسية الهامة أنواع ممتازة من الفلفل ما بين أسود وأبيض وأحمر وغيره .

وكان الأندونيسيون في الأزمنة القديمة يأخذون من الغابات نباتات هامة بدت قيمتها الثمينة إذ بتنت أنها مقاقير طبية نادرة فاستخرج الكينين Quinine من أشجار السنكونا Cinchona وكانت هذه الأشجار منقولة من أمريكا الجنوبية الى الأراضي الأندونيسية في منتصف القرن التاسع عشر ، ونجحت جزيرة جاوة في زراعة الأشجار السنكونية كما برعت في استخراج الكينين وفي تصدير محاصيل وافرة منه كما اتضح للأطباء أن هذا الكينين طب ودواء ناجع لملة حمى الملارية . وتنتشر في اندونيسيا مزارع لأشجار الكوكا Coca وهي أشجار طبية أيضاً يستخرج من أوراقها الكوكايين Cocaine .

وبعد هذا يمكن القول بأن اندونيسيا بلد هام كل الأهمية من ناحية انتاج المنتجات التي صارت متقاربة مع ضروريات الحياة بل هي منها وعنصر هام من عناصر الحياة في هذه الأزمنة الحديثة .

التقويم الزراعي

لشهر مايو ١٩٥١

(١) — ﴿ الحاصلات الزراعية ﴾

البرسيم — يجمع ريه
الفول — دراس وتذرية وخزن المتأخر
الكتان — تقليع المتأخر — تربيط ونشر
الشعير — ضم وتذرية وخزن المتأخر
القمح — حصاد ودراس
القطن — عزق وخف وتسميد بالكيماوي
القصب — عزق وري وتسميد للدفعة الأولى .
الأرز — خدمة وبذار — زراعة المشاتل .

(٢) — ﴿ البساتين ﴾

(ا) — للفاكهة — تطعيم أصول الأشجار التي لم ينجح تطعيمها . يبدأ بتلقيح التفدة صناعيًا . يمكن نقل نباتات المانجو من القصاري الى مكانها الدائم مع وقايتها من حرارة الشمس وموالاتها بالري .

(ب) الخضر — زرع البطيخ المتأخر في الدلتا . زراعة عروة جديدة للبطاطا والخيار والفاصوليا والفوبيا والكوسه والقرع العسلي والملوخية . تشتل الكرنب البلدي والكرات أبو شوشة والطماطم والكرفس والفلفل والباذنجان . زراعة مشاتل جديدة للطماطم والفلفل والباذنجان والكرنب والقنبيط لتشتل منها عروة نيلية في يوليه وأغسطس

(جـ) الأزهار — يستمر جمع بزور الحوليات الشتوية وتزال نباتاتها . تجهز الأرض لزراعة الحوليات الصيفية . تنقل الآراولا الى قصاري رقم ٢٥ بها خلطة من طمي النيل التام والسماد البلدي . تزرع بزور السينراريا . يمكن الاستمرار في زراعة درنات الداليا اذا ما أريد تأخير ازهارها . كذلك يمكن الاستمرار في

زراعة بزور شجيرات وأشجار الزينة . يطعم الورد . يعنى بري أبسطة النجيل والايبيا وتنقية الحشائش منها . عزق مسطحات الجازون في نهاية الشهر وتترك الى أكتوبر لزراعة جازون جديد .

(٣) — ﴿ الآفات الزراعية ﴾ أهم الآفات دودة القطن وتظهر غالباً في النصف الثاني من الشهر ويبدأ في تنقية اللطع أولاً فأولاً .

وتظهر كذلك الدودة القارضة والدودة الخضراء ودودة القصب وهناك أمراض تصاب بها المحاصلات كأمراض العدأ أو الدودة الشمانية والتعم في القمح . والدبول في القطن ، والبرقشة والتخطيط في القصب والبرسيم في الأرز . وكل مرض منها له علاجه المقرر في جهات الاختصاص بوزارة الزراعة .

☆ ☆

اخبار زراعية

﴿ منتوجات اللبن ﴾ تمكن أحد علماء السويد من استخراج كميات كبيرة من مختلف المنتوجات من اللبن بطريقة رخيصة . فاستخلص من ٥٠٧٠ رطلاً من اللبن الأخضر ٥٣ رطلاً من الكافيين و٥٢٩ رطلاً من الدهن و٨٨ رطلاً من التنين و٢٢٧ رطلاً من الأسيتون و ٩٧ رطلاً من كؤول المسيتل ، ٣٦٨ رطلاً من الزيت الخام و ٦٧٢ من زيت التشحيم والأسونيا و٥٢٠ — ٥٦٠ باردة مكعبة من غاز الايدروجين . والزيوت المستخلصة من اللبن تختلف بين خفيفة جداً وثقيلة ، وهي زيوت خام تصلح للاستعمال في السيارات أو الطائرات ، ولبعضها قيمة وقودية تزيد على عشرة آلاف سعر .

﴿ الخضر ﴾ — ثبت من التجارب والبحوث أن الأوراق الخضراء الخارجية للكرنب والخس والخليون غير المبيض أغنى في الكالسيوم والحديد وفيتاميني C و A من أوراقها الداخلية البيضاء . وأن الكرفس الأخضر أغنى في فيتامين A عن الكرفس الأبيض .

﴿ موطن عنب الدب ﴾ موطنه أوربا وآسيا وأمريكا ، وهو غني في مادة السرلافين السامة ، غير أن سكان الهند الغربية يطبخون أوراقه وفي غرب الولايات المتحدة يجمعون ثماره ويصنعون منها المربى . وفي مصر يجمع أولاد الفلاحين ثماره من الحقول ويأكلونها .

☆ ☆

باب الأخبار العلمية

نصيحة لعلماء الذرة الأعزاب

جاء من لندن في مجلة اللانست الطبية البريطانية تحذير لعلماء الذرة ينهاهم عن الاقتران بالبنات المشتغلات بهذا العلم وذلك خشية أن يحملن ذرية ضعيفة تصبح معرضة للنتائج الوبيلة التي تنولد من الأشعة الذرية التي تكمن في بدن الوالدين من قبل زواجهما وتقول « اللانست » إنها توصلت الى هذه النتيجة بدراسة الحوادث التي حدثت لسكان مدينتي نجازاكي وهيروشيما اليابانيتين وهم الذين استهدفوا للاشعاعات الذرية وكذلك الاضرار التي انتابت علماء أمريكا من الأشعة التي تنطلق من أجهزة فلق الذرة في خلال أعمالهم عدة سنين في بلادهم . ثم ختمت اللانست نصيحتها في هذا الموضوع . قائلة « مامن شك أن أكثر المشتغلين بالاعمال الذرية يتعرضون لمقادير ضئيلة من الاشعاع الذري . ولكن الرجال والنساء الذين يؤدون أعمالاً من شأنها تعريضهم الى مقادير كبيرة من هذه الأشعة أسوب لهم اختيار شريكات حياتهم ممن لا يباشرن هذه الصناعة .

هل يفكر الطفل قبل أن يولد ؟

إذا نحن سرنا في دراستنا للانسان على النحو الذي سرنا به في دراسة الحيوانات الدنيا ، كان معنى ذلك أن الطفل يبدأ يفكر أو على الأقل ، يبدأ دماغه يهيأ للتفكير ، قبل أن يولد بثلاثة أشهر .

ولقد قام الدكتور لويس فلكنز من معهد « كارنيجي » بدراسة على الخلايا العصبية في المادة السنجابية في أدمغة خنازير غينيا في مختلف مراحلها قبل أن تولد . فوجد أن هناك تغيرات عديدة تطرأ على هذه الخلايا العصبية . ورأى أن التنبه العصبي قد أخذ يزداد وأن نواة الخلية العصبية قد وقف نموها . كما لاحظ انه في الفترة السابقة للولادة تنشط الخلايا العصبية نشاطاً كبيراً ، وان هذه التغيرات الكهربية التي تعرف عادة باسم « الموجات المخية » قد أمكن تسجيلها من سطح الدماغ في تلك الفترة السابقة للولادة .

ويقول الدكتور فلكنز فيما يختص بالانسان أن العلم لا يعرف على نحو يقيني إذا كان الطفل يبدأ في تفكيره قبل أن يولد بثلاثة أشهر أم لا ، ويذكر الدكتور فلكنز لهذه الصعوبة سببين : أننا لا نعرف ماهي الخلايا التي تفكر بها ، وان خنازير غينيا تولد أكثر اكتمالا ونموا من أطفال بني الانسان .

دواء يخفف من ارتفاع ضغط الدم

قالت جريدة شيكاغو ديلي نيوز إن دواء جديداً لتخفيف ارتفاع ضغط الدم، يتناوله المصاب عن طريق فمه، قد عرض حديثاً على مؤتمر الجمعية الطبية الأمريكية، اسمه Veriloid فريلويد. ولا يتناول العليل هذا العقار إلا بموجب وصفة الطبيب «الروشتة». وقال الأطباء الذين خبروه في المعامل الكيمائية في لوس انجيليز انه يخفف ارتفاع ضغط الدم. لأنه يحدث تمدداً في الأوعية الدموية الصغيرة المنتشرة في الجسم. وحجتهم في ذلك أن هذا الدواء قد ثبتت فوائده في أكثر من نصف مجموع المرضى الذين عولجوا به اذ خفف من ارتفاع ضغط دمهم تخفيفاً عظيماً. وقد تبين لهم أنه في أغلب الحالات، يخفف الصداع وأمثاله من الآلام المزعجة التي تتولد من هذا الداء. وفضلاً عن ذلك فانه يؤثر تأثيراً بالغاً في الاصابات التي لم تبلغ الدور الأخير من أدوار ارتفاع الضغط المقترنة بمضاعفاته. وصرح علماء أمريكيون آخرون بأن الفريلويد قد يكون واقياً من مضاعفات ارتفاع ضغط الدم، متى ثابر المصاب على تناوله زمناً طويلاً.

وثبت عند استعماله في بدء ظهوره، وذلك في أحد مستشفيات مدينة بوسطن، أنه يحدث غثياناً اذا أفرط المريض في تناوله جرعاً تزيد عن المقدار المحدد له منه. وفي هذا الصدد يقول الأطباء المتخصصون إن هذه الميزة ليست مما يكره لأنها تحول دون خفض الضغط خفضاً يصل الى أحط الدركات، أي تجعل جسمه أضعف مما ينبغي أن يكون صالحاً لصاحبه.

والخلاصة: إن الفريلويد كالانسيولين، لا يشفي المصاب من داء ارتفاع ضغط دمه. بل يخفف وطأته. كما سلف القول. فينبغي اذن المواظبة على تعاطيه. ويستخرج هذا الدواء، من جذور نبات اسمه Indian poke الفيتولكة Phytolacca وهي الصباغة أو شجرة المظل أو اسفانخ الهند. وأوراقها تطبخ كالاسفانخ وفروعها الصغيرة تؤكل كالهليون. ويستعمل عصير ثمارها في تلوين الأنبذة. وجذورها مقيئة مسهلة وتحضر منها خلاصة سائلة وصبغة.

عصا تليسكوبية للمشي

اخترعت في بلاد اليابان عصي خاصة للعجوز الذين يقطعون المراحل الشاسعة سيراً على أقدامهم. وفي كل عصا منها تليسكوب للراجل، يكشف به عن الأشباح النائية التي يلقاها في طريقه. ويمكن تركيب هذا التليسكوب في أية عصا كانت فيصير كقبض لها حيث يثبّت حول رأسها ثبتاً حلزونيًّا فيتاح به رؤية المشاهد البعيدة.

السينما القادمة

غداً تذهب الى السينما فلا تشاهد المأساة أو المهزلة على الشاشة ، ترقبها عن بعد ، تتتابع حوادثها أمام عينيك وأنت بمنأى منها ، فالسينما القادمة تجذبك لتشترك في الحوادث وتخوض غمارها ، والممثلون يخرجون من الشاشة ليجروا حولك ، وكأنما هي سوق حية تكاد تتحسسها وتشاطرها ، ترى الضرب عن يمينك فتمتد الأيدي فتنأى ، وتشيح بوجهك خشية ان يصيبك بسوء ، وتشتعل النار عن يسارك فتصرخ من حرها وسعيرها ، وتطلق رصاصة فتخالها أصابت منك مقتلاً .

هذه هي السينما الحديثة تمت تجاربها وكملت خطواتها وسوف تشهدها أمريكا في هذا العام (١٩٥١) . ولقد أطلقوا عليها اسم سينراما Cinerama والشاشة القادمة تبلغ من الكبر ثمانية أمثال شاشة اليوم ، إذ يبلغ ارتفاعها الضعف وطولها أربعة أمثال ، وليست مستوية مسطحة على الحائط ، بل تلتف في قوس خاص ، فترى الحوادث تجري أمام ناظريك وتشهدها تتتابع عن جانبيك فكأنما أنت في المعمعان والأصوات تنبعث من خمسة ميكروفونات موزعة حول الشاشة ، تسمعها صادرة من كل مكان حولك ، وقد تشهد الموكب تسبقه الاصوات والترانيم تأتيك من خلف أو من يمين أو شمال ، وتقترب وتصاحبك حتى يظهر أمام ناظريك .

وتلتقط المناظر بآلة تصوير ضخمة تزن ١٥٠ رطلاً ، ذات ثلاث عدسات متجاورات تميل على بعضها بزاوية قدرها ٤٨ درجة ، فتأخذ لكل مشهد ثلاثة مناظر ، تلتقطه كل عدسة على شريطها الخاص ، ثم تجمع الشرائط الثلاثة لتكوّن الفيلم . وحين عرضه تتفرق هذه الأشرطة على ثلاثة مصابيح تصب كلها على شاشة السينراما فتتجسم الأشخاص وتحيا الحوادث .

المضغ العاجل أصلح للاحداث من البطيء

ينصح أطباء الأسنان في أمريكا الذين يسأمون من فرط بطء مضغ طعامهم (وفق ارشاد والديهم) قائلين إن المضغ السريع أجود من البطيء . وملقن هذا المذهب هو الدكتور روبرت — هـ — أوكي ، طبيب الأسنان في سنت بول ، حاضرة مينسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية . ذلك لأنه يكفي الآكل أن يلوك لقمته في نحو ١٢ مرة ولو كانت مضموسة بأقسى أنواع الخضر فتصير صالحة للعدة لأن رؤوس أسنانه المتعددة كفيلة بتمزيقها جيداً وقطعها قطعاً متساوية .

الفرازات تؤدي أعمال حياض ترسيب المواد البرازية

ما برحت منافع الفرازات تنتشر في كل مكان وتستجد في كل آن. ومن أحدثها فصل المواد الجامدة، من المواد البرازية. ويتم هذا العزل حالياً باطلاق مياه المجاري العامة، في أحواض ضخمة تسمى «حياض الترسيب» حيث تقضي تلك المياه القذرة الواردة من المجاري، عدة أيام حتى تعزل جوامدها. ولا يخفى أن هذا العمل يقتضي مناطق واسعة من الأرض. كما أنه بلا شك يخفض قيم العقارات المحيطة بها. أما في المستقبل فستتغير هذه الصورة البشعة. إذ لا يوجد حينئذ ما يحول دون اقامة أمثال تلك المصانع في صميم المدن. حيث يمكنها استخدام الفرازات لأداء ذلك العمل نفسه، بتحويل مياه المجاري العامة الى الفرازات الدوارة، فتفرز المياه الزائفة كأنها ماء فياض. وعلى هذا المنوال يتاح جمع المواد الصلبة وتطهيرها ثم بيعها سماداً تجارياً لتسميد الأراضي الزراعية. وقد شرعت فئة كبيرة من مدن أمريكا في القيام بجمع تلك الزوائب في أحواض الترسيب بهذه الوسيلة ثم بيعها لجمهور الزراع حيث تبسط الفرازات عملية جمع النفايات الثمينة المشار اليها تبسيطاً عظيماً. فتسنى بهذه العملية حل معضلة عجز السماد التي طالما شكا منها الناس في العالم بأسره. وتيسر تخلصهم من تلك الطريقة القديمة المملة. [راجع صفحة ٣٩١]

مظلات لوقاية ضباط بوليس المرور في الشوارع

اخترعت في مدينة روما حاضرة ايطاليا مظلات من المجاثن الكيمائية تقي ضباط المرور من العواصف المصحوبة بهطل الأمطار. ولهذه المظلة قاعدة من المجاثن الكيمائية أيضاً لا تنفذ منها مياه الأمطار، لدور في مقرها في تقاطع الشوارع فوق قاعدتها مغطاة برقاء من المجاثن الكيمائية كذلك لوقاية ضابط المرور من رشاش الماء الذي يتعرض له.

ثياب من نسيج الرصاص والزجاج للوقاية من الأشعة الذرية

اخترع الدكتور فنسنت — و — أرتشر الطبيب في جامعة فيرجينيا بأمريكا، ثياباً من نسيج الزجاج والرصاص، تقي الأطباء وأعوانهم من ضرر أشعة رنتجن وأشعة بينا التي تتولد من التشقق الذري. وقد حلت هذه الثياب الحديثة محل سابقاتها التي كانت تصنع من الرصاص والكاوتشوك. وذلك لأنها كانت أضعف مرونة من هذه الثياب الحديثة التي عدت تفوقها بكونها فضفاضة تغطي الجسم بأسره. فلا يستهدف منه أي عضو كان لتأثير الأشعة المشار إليها.

مكتبة المقتطف

من السماء

ديوان جديد للدكتور أحمد زكي أبو شادي — صفحاته ١٦٠ صفحة من حجم المقتطف — الطبعة الاولى ديسمبر ١٩٤١ — بمطبعة جريدة الهدى اليومية بنيويورك

النزعات الانسانية العالية، والمواهب الفنية الشاعرة، والشاعرية القوية الأصيلة، والفكر الحر الثائر الجريء، والألحان الجميلة الساحرة، والتجديد الحي في مذاهب الشعر وفنه

كل أولئك سمة ظاهرة أخاذة متكاملة، جمعت في هذا الديوان الجديد، القليل النظير في آثارنا الفنية خلال الربع الثاني من القرن العشرين، الذي أصدره شاعرنا الدكتور أبو شادي في نيويورك، وسجل فيه آثاره وقصائده في الفترة الحافلة من حياته المديدة، وهي الفترة التي تبدأ من عام ١٩٠٢ حيث الشاعر مقيم في وطنه مصر في التاسعة والأربعين من عمره، وتنتهي بنهاية عام ١٩٤٩ حيث هو مهاجر في أمريكا مقيم في نيويورك العاصمة العالمية الكبرى، يسير في عامه السابع والخمسين لأداء رسالته التي حملها وجاهد في سبيلها جهاد القديسين والخالدين، والتي يستمد عناصرها من الفن والفكر والانسانية جمعاء، وتتجمع لتبشر بحياة حرة في عالم حر يغمره الفرح والتفاؤل والخير، وتفشي فيه السعادة والعدالة والمساواة بين الناس كافة، لا تخص غنيًا، ولا تحرم فقيراً.

أبو شادي رائد من روّاد التفكير الحر، والتجديد في الشعر والأدب، في عصرنا الراهن، وهو في رأيي زعيم المدرسة الشعرية الحديثة التي خلفت مدرسة شوقي وحافظ ومطران، وشعراء طبقته عبد الرحمن شكري والعقاد والمازني وإيليا أبو ماضي

وفي شعر أبي شادي جمال ظاهر، وبساطة واضحة، وتتجمع في شعره مظاهر الكلاسيكية القوية، والرومانتيكية العميقة، والواقعية السائدة. وهو في أسلوبه

متحرر ، وفي تفكيره ثائر ، وفي نقده يخضع الأدب لأحدث المناهج النقدية . يجيد فن وصف الجمال والنسيب والطبيعة وفي التأملات النفسية ، والنقد الاجتماعي ، إجادة تامة .

الجمال الواضح في طبعة هذا الديوان واخراجه ، أول ما يلفت نظر القارىء .

فاذا قلبت بعد ذلك صفحات الديوان راعك الشاعر بأفق تفكيره الواسع ، وبعد فيئه في ترانيمه العذبة الجميلة ، وايمانه العميق بالانسانية ومبادئها ، وثورته العارمة على الظلم والظلام في كل مكان ، وكفاحه في سبيل فنه ووطنه وفي سبيل الحياة والوجود وأخذت بهذا الوعاء الثائر الذي انطبعت عليه نفسيته ، وصيغت منه شخصيته ذات الحيوية العجيبة

وكل ما في الديوان لأبي شادي : من خطرات وتأملات ، ومن صوفية وانسانية ، ومن صور أخاذة للفن والحب والجمال ، ينم عن تجارب شعرية عميقة ، واحساس في متأصل ، وذوق شاعر موهوب ، وشخصية أدبية مستقلة لا أثر للتقليد فيها من أي جانب من جوانبها العديدة ....ومن ثم كان هـذا الديوان مجمع إلهام الشاعر ووحيه

والتفاؤل والمرح والايمان الدفين ، وعبادة الجمال في شتى صوره . كلها خصائص تنبع من قلب الشاعر ، وتفيض على صورة الشعرية في ديوانه . يقول محدثاً عن نفسه :

ترى ألم الاحرار سر وجودهم ومن ذلك الحر الذي ما تألما
طغى كل يوم مأتم بعد مأتم وتنسي تأبي أن ترى الكون مأتما

وليس أصدق من قول الشاعر نفسه عن نفسه :

وما زلت تغزوني المآسي كأنها صحاب وتهواني شراباً ومطعماً
بلا كلفة تحيا على بر مهجتي فآثرت أن أفنى وأن أتبسما

وهو يتعجب لهذا التفاؤل الذي لا حد له ، والذي يلازمه رغم هذه السن الكبيرة :

علام اعتناقي التفاؤل حيثما فؤادي ووجداني به قد تهدما

ولكن ما طبع عليه الشاعر من قوة الاحتمال هو الذي أغراه بالتفاؤل . فهو لم ييأس بعد من الارض التي يحبها ويكافح في سبيلها ، مما يصوره خطابه لها في قصيدته « من السماء »

قلت : يا أم لم أبدل هياني أنت أمي وموئلي وغرامي

فاذا قرأت له قصيدته « الصمود » التي ختم بها الديوان ، والتي يقول منها :

أسمأ أعود إلى السما « كما أتيت بلبع في

لم ألق في دنيـا الأنا م سوى المهازل والتجني
ووهبتهم أسمى الكنو ز فكافأوها بالتدني

فلا تثق بأن الشاعر قد فارق تفاؤله ، ويئس من الحياة في الأرض . فانه قد اتخذها أماله ، وصار أربها ، وأحنى عليها ، وانما يأسف ويحزن لأن أهل الأرض يعوقون ركب الانسانية السائر ، لئلا تبلغ شاطىء السلام والحق والخير .

ومن تفاؤل الشاعر يلمع المرح في كل جارحة من جوارحه ، مما يبدو في تأملاته الخالة ، حين يلقي الطبيعة الرؤوم ، أو حين يستبد به الحب ، أو حين يتأمل سنا الحسن في مظاهر الكون : فاذا ما سئمت نفسه بعث فيها البشر والفرح بكل وسيلة :

يعالجها بالهوى العبقري ويرفع بالسحر أحمالها
ويخلقها من جديد سراراً ويبني ويهدم أطلالها
ويسعدها بنبات الخيال يحققن في زورة فالها

وربما كان مصدر ذلك قلبه الذي لا يزال طفلاً رغم أعباء هذه السنين الطوال :

ما حيلتي في قلبي الـ ـطفلاً كما شاء الحبيب
تجري السنون ولم يزل طفلاً تنزه عن مشيب

ويطول بنا الحديث لو وقفنا عند ألحان الشاعر في نفسه ، التي صوّر فيها ملامح شخصيته ومشاعره بوضوح ودقة ، والتي سجل فيها غربة فكره في وطنه ، مما دفعه الى الهجرة إلى أمريكا دفعاً شديداً ، ومما يذكره في قصيدتين خالدتين من قصائده : . .

أولاهما : قصيدته « وداع مصر » ، التي وجهها إلى الشاعر الكبير خليل مطران بك في أبريل عام ١٩٤٦ قبيل سفره بأيام قلائل ، والتي يقول فيها :

تبًّا لدنيا تديم الحر مغتربا فيها ، وأخرى تناءت عن سرائره
وغربة الفكر في دار يجدها أقسى على الحر من فقدان ناظره

وثانيتهما : قصيدته « استقبال أمريكا » :

أماناً أيها الوطن السعيد لقد دفن الردى ومضى الوعيدُ
فأمسى مأتم الفراق أهلي ويوم الحر في نجواك عيدُ

وفي الديوان كذلك قصيدة رائعة طويلة ، يرثي بها زوجته وعنوانها « رثاء زوجتي » :

ماذا تفيدك لوعتي وبكائي هذا فناؤك مؤذن بفنائي

وهي وصف فريد لذكريات حياته وعيشه الماضي في ظلال زوجته الحنون ، وخلقها ووفائها ، وتصوير لأحزانه وهمومه بفقدها .. وهي جديرة بأن توضع مع عيون المراثي في الشعر العربي ، لصدق عاطفتها ، وقوة أسلوبها ، وجلال ذكرياتها ، وعمق تصويرها ،

وقصيدة أبي شادي « قبلة ميلادي » في تحية عيد ميلاده ، والتي مطلعها :

يا نشوة الحب القديم ، ولهفة الحب الجديد
جمعتكما في قبلة سكرى غرامي وسهودي
أودعتها ما صانت الأحلام من عطر الخلود

ممتعة خصبة لطرافتها ، وجمال تصويرها وقصيدته « القلب الباكي » وهي باقة نظمها الشاعر في عيد ميلاده في أمريكا عام ١٩٤٨ ، تحتوي على ملحمات شعرية عميقة ، ومطلعها :

لو يعلم الناس نجوى قلبي الباكي وما أعاني بأشواقي وأشواكي

وفيها يقول أبو شادي : —

يا مصر لولاك ما عرفت في حرقي أزكى الجنان ، ولا عوقبت لولاك
يا رب مقترب في حكم مغترب وناحك كل ما في قلبه باك

وله قصيدة في ديوانه ، عنوانها « بسمة الأرض » مهداة الى ابنته « هدى » ، وأخرى عنوانها « قلب والد » مهداة الى ابنته صفية .. وهما فيض من حنان الأبوة

هذا هو حديث أبي شادي عن أسرته الصغيرة ، فاذا انتقلنا الى حديثه عن أسرته الكبيرة مصر ، وجدناه جياش العاطفة لوطنه ، قوي الايمان به : —

كل آياتي التي أبدعتها هي بعض من سنا مصر الفتاة

ولا غرابة في ذلك فان حبه لوطنه من حبه لتراث أجداده . —

إذا انطوى خاطري على وطني فذاك حبي تراث أجدادي

فهو دائم الحنو على مصر مهما حاربه بنوها :

أحنو عليها وإن جارت على أدبي وعاقبتني على بري وإنعامي

وقصيدته « الاسكندرية الفتانة » صورة من مفاخر مصر القديمة والحديثة ، وجمال الطبيعة في هذا الثغر الجميل .. وقصائده في تكريم بعض الزعماء وفي رثاء مطران وأحمد محرم وأمهات صور واضحة لتعلقه بوطنه . وليس لمرثيته لمطران نظير في الشعر الحديث وأولها :

إلهة الشعر عاد الشاعر الساعي الى عوالم لم تحصر بأجرام
ومنها صحبته في خيالاتي وفي مثلي وفي حياتي، وفي سعيي وإقدامي

وفي قصيدته « عيد النيروز » التي نظمها في أمريكا عام ١٩٤٧ يشير الى القضية المصرية التي كانت معروضة على مجلس الأمن حينذاك ، ويدافع عنها .

ولأبي شادي آيات جميلة في النقد الاجتماعي والدعوة الى العدالة الاجتماعية ، كما في قصيدته « فن الجحود » ، وقصائده : دمعة وابتسامة » التي وجهها إلى الشاعر الكبير خليل مطران بك ، و « والخائن المجبار » ، و « الموتى المشردون » ، وسواها

ولا يخص الشاعر وطنه بحبه فحسب ، بل البلاد العربية نصيب كبير من قلبه ، مما يتجلى في محبته لارتيريا الجديدة ، وفي قصيدته « اللاجئون » ، وفي مرثيته لحسني الزعيم ، وقصيدته «ذكرى المهرجان اللبناني الكبير » ، ورثاء نسيب عريضة الشاعر

بل إنه ليشرك الانسانية كلها في حبه فيبكي لآلامها ، ويحزن لما قاسته في الحرب العالمية الثانية من أهوال ، مما نراه في قصيدته « الفن الضائع » ، وهو في قصيدته من السماء يرمز الى قضية السلام الذي انهار في السماء كما انهار في الأرض . وهو قوي الثقة بمستقبل الحياة ، مما يبدو في قصيدته « ثقتي بمآل الانسانية » يفرح لما تناله من نصر ، كما تصوره أيضا قصيدته « نيو يورك » الرائعة التي يقول فيها :

كفاح التناقض في الظالمات يحفز الشوامخ عنوانها

والطبيعة في قلب الشاعر وفي ديوانه تحتل مكاناً كبيراً ، وعليها وقف قصائد كبيرة ممتعة خصبة ، كقصيدته « على صخرة سيدي بشر » التي يخاطب فيها البحر ، فيقول

أصغى إليه ولا أمل كأنما أصغى إلى لحن الخلود العامر
لغة الجمال طلاقة بل ثورة والفن يعبد في الجمال الثائر

... وقصائده : « الجدول المسحور » و « الامواج » ، و « قطرات الندى » و « عيد النيروز » و « الصيف في شاطئ استانبلي » ، وسواها ظل لحبه للطبيعة وعبادته اياها .

ولتهوى والجمال في الديوان آيات حسان مثل قصيدته « حوريات الماء » ، و « معركة الحب » ، و « أنانية الجمال » ، و « قبلة غرام » ، و « حمراء تندم » التي تحدث فيها عن قصة الحب البشري الخالد . وللشاعر في الغزل معان رائعة ، مثل قوله : —

يا للنساء اللواتي نبضن بالحب شعرا

وقوله : ما سيّر الأجرام غير المستحب في جذب شديد
ـ أو أبدع الاعجاز غير جاله الموحي البعيد

وقوله : رفت أنوثتها في كل جارحة ورف قلبي لها في طي آهاتي
لم تنفع الشمس هذا الجسم عاشقة إلا استحال إلى خمر وجنات

وله فيه أساليب وصور ساحرة من البيان الآخاذ ، مثل :

ولي فادة ألفتها الحياة وقد أبدع الحب تمثالها
حييت أقدسها شاعراً يغني بها ويغني لها

وقوله : أناجيك في دقات قلبي والهاً كأن فؤادي طائر رف في القيد

وقوله : نروي ونحكي ونلتمس ، ونحن في الحالمين
حتى أذنت بثم لنور ذاك الجبين

ولأبي شادي شخصية مستقلة في البيان ، تظهر في أساليبه مثل قوله يخاطب البحر :

وضممتني بأشعة فرحانة مثلي كأنك بالأشعة آسرى

وقوله : يروحي من أحلام عمري ساعة جلست وموج البحر مثلي في زهدي
على الشاطئ المسحور أنت صخوره وغنت به الأمواج للحجر الصلد

وقوله يحدث الأمواج :

هدهدي بالهدير أينها الأمواج قلباً الى حماك أطمأنا
واسكبي الراحة الحبيبة فيه ، أنت يروه لمثل قلبي المعنى
كم رويت الغرام عن سالف الدهر ، ومازال ناقصين فناً

وقوله في رثاء أصحاب :

أيندثر الفن ؟ يا للقدر ويجني على الحسن حتى الحذر
ويغرق في اليم هذا الضياء وكم طاف بالكون حتى عثر

وقوله : في قصيدته الفلسفية العميقة « الألوهة والكون » :

أنا فان وفي المدى غير فان وكياني هذا الوجود الرحيب

وبعد فهذه صور عامة ، وخواطر موجزة لهذا الديوان العبقري الجليل « من السماء » الذي صدره الدكتور أبو شادي بمقدمة رائعة في « التجربة الشعرية » ، وهي دراسة ونقد وتحليل وتوجيه ، ولا أجد ما أقوله في ختام هذه الكلمة إلا أن أهنيء الأدباء بظهور هذا الديوان الجديد .

محمد عبد المنعم خفاجي

١ — حديث المشية

تأليف الاستاذ بولس سلامة — صفحاته ١١٤ صفحة من القطع المتوسط
طبع بمطبعة دير المخلص صيدا — لبنان

هذا الكتاب هو حديث الفكر إلى الناس ، وبين الناس والفكر في الشرق العربي دو مفقود !!

فأية حيلة بارعة تلك التي جعلت الناس يستمعون إلى حديث الفكر في أمامي اذاعة « الشرق الأدنى » ؟ ثم شجعت « الرسالة المخلصة » أن تجمع هذه الأحاديث في كتاب !

إنها مهمة شاقة أن توهق قلمك في تدبيج أحاديث الفكر الكاسدة في السوق العربية ، ثم تحتال لتغري الناس بالاستماع إليها ومتابعة حلقاتها .

ثم إنها شجاعة نادرة أن تثق بنفسك فتذيع ذلك مرة أخرى في كتاب يقرأه من لم يستمعه حديثاً مذاعاً ! ! تلك منزلة لا تتوفر إلا للأفذاذ من رواد الفكر ، وقد تقحمها « بولس سلامة » وكان جريئاً الى أبعد حدود الجرأة حين طرق موضوعاً أدعى الى الملل ، وأجلب للسآمة . . وكان موفقاً كل التوفيق حين أخرجه طلياً شائقاً مبسطاً ، وخلع عليه من روحه ما جعله محبباً الى مستمعي الاذاعة ، ثم محبباً الى قراء « حديث المشية » .

وموضوع الجزء الأول الذي نقدمه اليوم الى القراء هو « لمحات في الفلسفة » وما شق الفلسفة حتى على المتفلسفين .

يقول فولتير : « اذا رأيت اثنين يتحدثان ، فلا يفهم الناس ماذا يقولان ، ولا يفهم أحدهما ما يقول الآخر . . . فاعلم أنهما يتحدثان في الفلسفة ! ! »

لذلك عجبنا للأستاذ بولس سلامه أن يختار لأحاديثه موضوع الفلسفة .

ولكنها الشجاعة والاعتداد بالنفس — كما أسلفنا — سر آخر سيدمنه القارئ وهو يتصفح الكتاب فتطالعه فصول هي من حياتنا اليومية في صميمها ، تجري منها مجرى الدم في الشرايين .

ومن من المثقفين لا يشوقه معرفة ما يمكن أن يعرف — في أسلوب واضح سهل — عن : الذاكرة والأخيلة ، والصور ، والأحلام ، والجمال ، والفن ، والوجدان ، والخير ، والمحبة ، والشك والتشاؤم . . الى غيرها من الموضوعات التي تروقنا أسماؤها ، ولكننا لا نجرؤ أن نتعمقها في مراجعها الخاصة المشحونة بالمصطلحات والتعابير الغامضة ! !

وسر ثالث لهذا النجاح : أن المؤلف قدم إلينا هذه الفاذج من عذارى الفكر في

ثياب أنيقة تشف من جمالها ، ولكنها لا تبتذلها ؛ فهذا الأسلوب العلمي المنمق الذي اصطنعه المؤلف هو الأسلوب الوحيد بين عقلية العالم الذكي وبين أفكار الجمهور المتطلع إلى الثقافة في ألوانها المألوفة المقربة .

واذا كان سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض فنزلت — يومذاك — برداً وسلاماً على أرض الناس — فأن برنس سلامة قد ثبت أقدامها بهذه الأحاديث في أرض العرب ، اذ جعل منها أحاديث للمثقفين وأنصاف المثقفين ، حينما خلصها من المصطلحات والمعميات وأخرج للناس لبابها ، وربطها بحياتهم اليومية وترك التفاصيل العلمية ، والاختلافات المذهبية وانتقى من حقائقها الواضح الصريح النافع .

وقد مهد للقارىء الطريق وأخذ بيده حين رسم المنهاج في كلمته عن الفلسفة التي يقول فيها : « كل الناس يتفلسفون وفقاً لاستطاعة كل منهم ، ابتداء من ماسح الأحذية الوضيع ، حتى ديكارت وبرجسون » وإذن فالفلسفة من طبيعة الانسان ومن مميزات حياتهم ، ولكل أسلوبه في ممارستها .

ولكن « لاريب أن أكثرية الناس معذورون لتهربهم من الفلسفة لأن الذين اشتغلوا بها أوردوا من المصطلحات والمعميات ما يعسر فهمه على السامع » وليس عجيباً أن يكون سدنة الفلسفة هم الذين بغضوها الى الناس بما أضفوا عليها من طلاسم وألغاز ، الأمر الذي باعد بينها وبين الناس فأسقطوها من حسابهم حتى « عاب بعضهم على الفلسفة جفافها » وزعم أنها تورث الكآبة ، وتقتل الخيال ، وهي بريئة من كل ذلك ؛ فهي صحة الفكر والقلب ، وينبوع الالهام الحق » هذا المنهج الذي توضحه هذه الخطوط يثير للقارىء سبيله .

الفلسفة جزء من حياتنا ، وهي ليست ملومة على ما بيننا وبينها من جفاء ، ولكنها وعورة الطريق وتضليل الحداة وسبيلنا إليها التقريب ، والتيسير . هذا ما تلمحه واضحاً في ثنايا الكتاب ، وهذا هو المنهج الذي اتخذه المؤلف في بحث هذه الموضوعات الطريفة .

٢ — الاتصال العلمي في اليونسكو

أخذت الثقافة بنصيبها في تنظيم « عالم ما بعد الحرب » فكانت المنظمة الثقافية التابعة لهيئة الأمم المتحدة « اليونسكو » — من أنشط منظمات الهيئة وأبعدها أثراً وأجداها على الانسانية .

وكان الدافع على تأسيسها « العمل على توفير السلم والطمأنينة بتشجيع التعاون بين الأمم

في التربية والعلم والثقافة » ، وفي سبيل ذلك كان على المؤسسة « أن تسهل المعرفة وتنشرها بتشجيع التعاون بين الدول في جميع أنواع النشاط الفكري » ، وقد حض دستورها على التعاون بين الدول لنشر فكرة تكافؤ الفرص في التعليم ، دون نظر إلى العنصر أو الجنس أو أي فارق اجتماعي أو اقتصادي .

مضت المؤسسة تعمل على تحقيق أهدافها بعزيمة صادقة وكان أنشط أقسامها قسم التعاون العلمي ، الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بالمشروع الوارد في النقطة الرابعة من برنامج « ترومان » مما يجعله على جانب غير يسير من الأهمية ، ويؤهله للقيام بدور إيجابي في تقديم المعونة الفنية للمناطق الأقل تقدماً .

وكانت مكاتب التعاون الاقليمي هي الخلايا المقصمة بالنشاط الدائب المستمر في تنفيذ هذه السياسة ، وتحقيق هذه الأهداف .

غير أنها — شأن كل مؤسسة ناشئة — تعمل بلا ضجيج وتمضي في صمت وتؤدة نحو الغاية .

والكتاب الذي نقدمه اليوم هو حديث سريع متواضع عن هذا الدأب المتواصل في سبيل صيانة المعرفة الانسانية عليها تنهض بأعباء السلام والأمن والطمأنينة لبني الانسان . « ووحدة العلم » هي الخيط الذي تتعلق به الانسانية لايجاد تفاهم مستمر بين أبنائها ، بعد أن عجزت وحدة اللغة والدين والعادات والقوميات أن تصدهم عن البغضاء أو العدوان المتواصل .

لذلك صدر الكتاب بمقدمة موجزة عن وحدة العلم وصلاحيته أساساً للتفاهم بين العلماء على تباين جنسياتهم وبيئاتهم وأزمانهم .

ثم تحدث عن الاتحادات العلمية الدولية ، ونشأة مكاتب التعاون الدولي وعملها في مختلف الميادين ، وتفوقها على الصعوبات الفنية والمادية التي تعذر تذليلها على الاتحادات الدولية .

واستمر في حديثه عن نشأة اليونسكو ودستورها ومركزها بين منظمات هيئة الأمم المتحدة حتى وصل بنا إلى القمة عندما قدم لنا موضوعه الأصيل وهو الاتصال العلمي ، فحدده وبين وسائله وتنظيمه ، ومكاتبه المنتشرة في أرجاء العالم : في أمريكا اللاتينية وشرقي آسيا وجنوبها والشرق الأوسط ، مستمدة قوتها من المركز الرئيسي لليونسكو في باريس .

كل ذلك قائم على سواعد رجال الاتصال العلمي الذين يقومون بجهود جبارة في تشجيع انشاء معاهد البحوث العلمية في المناطق المختلفة ، والمساعدة في التعبير العلمي ، ومساعدة العلماء والفنيين في المناطق الأقل تقدماً .

يتبع هذه البحوث ملحقات توضح أعمال المكاتب وأهميتها وطرق الانتفاع بها علمياً وفنياً وزراعياً وصناعياً كما يتضح من الأسئلة والاستفسارات الموجهة إلى المكاتب ، وما يقوم به ضباط الاتصال من زيارات للهيئات والمؤتمرات ، وما يعاونون به المنظمات المختلفة لهيئة الأمم بما يعقدونه من المؤتمرات وما يلقى من المحاضرات التي يقومون بها أو يدعون إليها .

كل ذلك في أسلوب لطيف ، وطبع أنيق مزين بالصور والرسوم التوضيحية والخرائط المفصلة ، مؤيد بالاحصاءات الدقيقة ، والمراجع الوافية والجداول المنظمة . مما يجعله جديراً باطلاع الأفراد والهيئات التي يعنيها الوقوف على مدى النشاط الفكري المنظم في عالم ما بعد الحرب الثانية ، قبل أن تعصف به عواصف الأقدار .

رضوان ابراهيم

أغاني القبة — نفحات صوفية

للاستاذ الاسدي م خير الدين — صفحاته ٢١٦ صفحة — مطبعة الشاذ بحلب ١٩٥١

كتاب جليل ، يحتوي على نفحات صوفية من الشعر الصوفي المنثور ، مقسمة الى مقطوعات كل مقطوعة منها سورة أي أغنية أوردها على لسان حافظ شيرازي زعيم الصوفيين ، وملهم المؤلف وأستاذه ، وصدر كل سورة بالمصادر التي تأثر بها ونقل عنها واستوحاها وقدم كل سورة بشرح طائفة من المفردات لاغنى عنها في فهم النص .

وإهداء الكتاب رموز صوفية عالية . ونجد من الكتاب : سورة المدرج مسبوقة بشرحها ، وسورة الحيرة مسبوقة بشرحها ، وسورة الجمال مسبوقة بشرحها .. وهكذا إلى السورة السابعة والعشرين (سورة الفناء) .

ومن أمثلة هذه السور ماورد في صدر السورة العشرين : سورة الغيب : —

الحيلة نصيرة الفقراء ، والهواء هفّ بليل

والشراب صاف هنيء ، وكل ما في الوجوه
جميل ، لأنه من نبع الجمال
مشى الصمت إلى ساحة الليل ، ومشى حفيف الخيال
إلى مروج الظلام ، وعلى كل فم مطبق نأمة
الإلس والرهبة والجلال .

والكتاب مطبوع طباعة أنيقة ومزين بالصور الفنية النادرة .

وهو مجهود روحي ضخم . فنهنيء مؤلفه على هذا المجهود الكبير ، ونهنيء مطبعة الصاد على ما بذلته في إخراجه من فن وصبر وإتقان ما

* *

تأملات في الأدب والحياة

للأديب محمد حسن عواد

صفحاته ٢١٦ صفحة من القطع المتوسط — طبع بمطبعة العالم العربي بالقاهرة

هذه فصول بعضها أدبي ، وبعضها فلسفي وبعضها اجتماعي نشرت في صحيفة البلاد السعودية بالمملكة العربية وقد جمعها صاحبها الأديب ... ووضعها بين دفتي هذا الكتاب لترى النور كما يقول . وان كانت قد رأته من قبل يوم نشرت في تلك الجريدة !

وقد تناول المؤلف الفاضل في هذه الفصول عدة بحوث عن الانسان : والحياة والعمل في سبيل اللغة العربية ، واحترام النفس وأدب الاقلاس ، ونظرة عامة في السياسة العالمية ، وغير هذا من البحوث البدائية التي لم تنضج بعد في رأي الأدب ، ولا تستطيع الوقوف لحظة أمام تيار النقد الجارف .. وان كان الأستاذ عواد يقول إن بعض هذه المقالات نشر في افتتاحية الجريدة السعودية ، ولكن الأدب ياسيدي المؤلف لا يستحيء أن يكون منشوراً في صدر الجريدة . فلربما يكون ذلك لسبب من الأسباب التي قد تخفى على قراء العربية في شتى البقاع .. فمن المعروف ان النهضة الصحافية في الحجاز لم تنضج بعد والكتاب — وهم قلة في المملكة العربية — لم يدعوا هذا الادعاء من قبل لأنهم اعرف بأنفسهم وأقدر على ضبط هذه الثورات الطائشة المندفعة التي لا تعرف ميزاناً ولا تدرك

معنى النقد ولا قيمة الحياة الأدبية .. ففي مصر أدباء كبار وفي الشرق شعراء فطاحل لم نقرأ لواحد منهم الحكم على بحثه أو قصيدته ، ولم يدع كاتب منهم الى تكريمه وتقديره لان كبريات الصحف في الشرق نشرت كلمته في افتتاحتها واذا أدباء العروبة لم خطرهم ومركزهم وان كان نتاجهم الفذ في ذيل الصحيفة أو صدر الجريدة !!

ومع ذلك فهذه عبارة الأستاذ حسن عواد غير معرفة أو مهذبة اتقلها على علاتها لقراء العربية عليهم يدركون أثر المؤلف الفاضل في اللغة : ويعلمون أن هذه الكلمة قد نشرت بعنوان «في السبيل» افتتاحية لجريدة صوت الحجاز ..ص « ٧١ » من الكتاب .

« حري بالانسان أن يتعلم الثبات وشق الطرق ممن كان قبله من أساطين الرجال الذين قدموا واجبهم الساطع في نواحي الحياة، اما عن طريق الفكر أو العمل أو أية طريق كانت ، وفي أي دائرة أتيح للعامل الصادق أن يجوس خلالها حيث يكون المدار فيها على قوة الانتاج ، وجمال الخطة ، وجمال المقصود ، فكلنا يشعر ويعتقد أن القصد الجليل والغاية الجميلة والنفع القوي في عالم الاعمال أشياء أصبحت اليوم ضرورية ومقدسة ، فكم هو هائل ومحتوم أن يحس المرء بوضوح زائد فرق ما بين الجمال والقبح وما بين القوة والضعف وما بين الجلال والحقارة ، ثم بعد أن تبدو أمام عينه هذه الروعة الممتعة من المقارنة والفهم يختار لنفسه — اذا وفقه الله — أسلح السبيل وأقومها بقدر اجتهاده ، ولن يفشل ذو جهد مستقيم » .

وبعد فهذه صورة غير مدعاة عن «تأملات في الأدب والحياة» للأديب حسن عواد لايجوز أن تكون بحال ما عنواناً على نهضة أدبية نرجو لها الرواج والازدهار في البلاد العربية . اذ كان حرياً بالمؤلف الفاضل . . أن يراجعها مرة ومرة حتى لا تنشر بهذه الصورة الشائهة التي تدل على هذا التفكير الذي يحتاج الى درس وامعان نظر حتى تنهض البلاد العربية السعودية في ظل عاهلها العظيم على يد ذلك الشباب المثقف نهضتها الأدبية المباركة ...

أبو طالب زيان

فهرست المجلد الثامن عشر بعد المائة

من المقتطف

صفحة

(ا)

ابن المقفع ٤١٤
آثار بالواحات الخارجية ٣٠٤
الآلة الشمسية ومنافعها ٤٦
الأدب المعاصر ـ نهضته ٢٢٩
الأدب والفلسفة ٢٨٤
الأذن الكهربائية ٣٨٩
ارتريا الجديدة ٢٩٠
الأعمى ـ عينه ٣٨٤
الأكسجين
والايدروجين ٣٥٨
الأكسجين والنتروجين ٤٠٧
اندونيسيا — الوراثة
فيها ٢٦٣ ، ٤٥١
الانسان — خلقه ٢٦١
الانسان في بداية عصره
الدري ٢٢٣
الانفعالات ثورتها ٤٤١

(ب)

الباريانيت دواء ١٢٤
البترول ـ نقله بالأنبوبة
الذرية ٢٢٣
البحار ـ كنوزها ٢٢٦

صفحة

البروستاتة تضخمها ٣٣٠
البطليوسي ٢٤٧ ، ٣٤٥
بقع الشاي ١٠٧
بكتريا للوقاية من
القنابل الذرية ٢٢٤
بلاستيك بدل العظام ٣٨٦
البلسلين ـ حقنه ٢٢٧
البن منتجاته ٤٠٥
البيض المخزن ـ فساده ١١٣

(ت)

التاج أفراحه ٣٨٩
التربة ونقص العناصر
الغذائية ١١٣
التربينات الغازية
ومنافعها ١٨٦
التعليم غايتنا منه ٤٢٦
التليفزيون ٢٢٦
التنبؤ بالتقلبات
الجوية ٢٧١
التنبؤ بالجو ٣٠٧
التنفس أنواعه ٤٠٨
التنفس فائدته ٤١٠
تهنئة وشكر ١

صفحة

(ث)

الثقافة ـ نهضتها ١٦٦
ثياب ضد الأشعة الذرية ٤٥٩

(ج)

الجامعة المصرية ٣
الجامعة يوبيلها الفضي ٧
الجامعة في سطور ١٠
الجامعة ـ رسالتها ١٢
الجراحة غرائبها ١٩٩
الجلبة ـ عروس البحر ٣٤٨
جهاز للاورام المخية ٣٨٤
جواهر لال نهرو ٨٣
جيد (ألدريه) ٢١٣

(ح)

حبر الكتابة ـ صناعته ١٠٣
الحبشة ٩٨
الحديد في الدم ١٢٥
الحكومة العالمية ١٦٠ و ٢٧٨
حمض الفوليك وفقر الدم ١٢٥
الحمل زلاله ٢٨٤
الحنابلة طبقاتهم ٣٠٩
الحوامل والروماتزم ١٢٣
الحياة اطالتها ٢٧

صفحة
الحياة الجيدة ـ اسمها ١٥١
(ح)
الخضر ٤٥٥
الخلية الحية ـ دراستها ١٢٦
الخيار (نبات) وطنه ٣٦٧
(د)
دار الكتب ـ رسالتها ١٨٧
دم الانسان ـ خواصه ٢٢٩
الدم تخفيف ضغطه ٤٥٧
دم الحوامل والرضاعة ١٢٣
الدورة الزراعية — ١١٤
(ذ)
الذرة علاؤها الاعراب ٤٥٦
الذرة والانسان ٢٢٣
(ر)
الزادار والمرارة ٣٨٥
الراديو المصور ٢٧١
الرمان ١٧
الروماتزم ١٢٦
الرياضة البدنية ٣٣
(ز)
الزراعة ـ تقويمها الشهري ١١٢، ٢١٤، ٢٩٢، ٣٦٦، ٤٥٤
الزراعة في أندونيسيا ٣٩٣، ٤٥١
زلال الحل ٢٨٤
(س)
السجستاني ٩٠
السكك الحديدية ـ ٢٧٣
السودان ما كه في عهد الفراعنة ٧١
السينما القادمة ٤٥٨
(ش)
الشاي بقعه ١٠٧
الأشجار تقديسها ٢٣
الشراب والطعام ٣٢
الشعر العربي الابتداع فيه ٤٣٢
الشعر العربي وحدة القصيدة ٢٤٣، ٣٢٥، ٤١٨
الشعر المصري الحديث ١٠٨
شعر النساء ١٠٧
الشمس الكهربية ١٧٥
الشمس ـ طاقتها ١٨٥
الشيخوخة واطالة الحياة ٢٧
(ص)
الصدفيه ـ علاجها ٢٢٥
(ض)
ضغط الدم تخفيفه ٤٥٧
(ط)
الطاقة الذرية والبواخر ١٧٦
الطاقة الذرية والكهرباء ١٢٦
الطاقة الشمسية ٧٥
الطائرات سرعتها ٢٧٢
الطائرات لنقل البريد ٢٧٣
طائرات الهليكوبتر ٢٧٢
الطب الغذائي في خواص الفاكهة ١٧
طباعة الأقمشة ٤٤٤
الأطباق الطائرة ٤٤٨
طبقات الحنابلة ٣٦٨
الطعام والشراب ٣٢
الطفل تفكيره قبل انولادة ٤٥٦
(ع)
عبقر — ملحمتها ٢٠١
العرق ٣٦٠
عروس البحر ٣٤٨
عصا تليسكوبية ٤٥٧
العلم — اتجاهه ١٤٨
العميان — جهاز لهم ٣٠٦
العناصر الغذائية ١١٣

صفحة
العناصر المشعة
في الطب ٣٨٧
العناصر المعدنية في جسم
الانسان ٢٦٩، ٣٥٨، ٤٠٧
العواصف اتقاؤها ٢٧٢
عنب الديب وطنه ٤٥٥
عين الأعمى ٣٨٤
العين — تصوير باطنها ٣٠٧
العيون الزرق والشمس ٣٠٧

(غ)

غايتنا من التعليم ٤٢٦
الغذاء — أثره في النفوس ١٢٤
الغذاء والطب ١٧
الأغذية الكيميائية ٢٧٠
الغناء — تبريره ٦٠، ٢٠٧

(ف)

الفاصوليا — موطنها ٣٦٧
» الجافة ٣٢
» حوامضها ٣١
» خواصها ومنافعها ١٧
» متى يجب أكلها ٢٠
» المحفوظة ٣٢
» المطبوخة ٣١
» نضجها ٣١
أفراح التاج ٣٨٩
الفرازات منافعها ٣٩١، ٤٥٩

صفحة
فقر الدم — علاجه ١٢٥
فقه اللغة العربية ٣٤، ١٧٩
الفلسفة والأدب ٢٨٤
الثمن في العلم والفلسفة ٤٢٢
فول الصويا ٣٦٧
فيتامين ١٢ وفقر الدم ١٢٥
الفيتامينات وتغذية
الدجاج الروسي ١١٣
الفئران — القضاء عليها ٣٨٥
الفيلسوف والألم ١٣٢

(ق)

القصبة الهوائية ٤٠٨

قصة

بوبي ديك ٥٥
الركاز ١٧٢
الصاروخ ٢٤٩

قصيدة

إليها ١٥٨
الانسان المعذب ٨٩
جزيرة الأحلام ٢٤
الربيع ٣٥٢
نفثة مشتاق ٣٦٣
ولدي ٢٦٠
يوم الجزيرة ١٩١

صفحة
القصيدة وحدتها في الشعر
العربي ٢٤٣ و ٣٢٥، ٤١٨
قلب المريض تغييره ١٢٨
القلب مكافحة مرضه ٣٠٥
القلوب والكلى ١٩٩
الأقمشة طباعتها ٤٤٤
القنابل الذرية — بكتيريا
الوقاية منها ٢٢٤

(ك)

الكرز ١٩
كشف أثري بالواحات
الخارجة ٣٠٤
الكم والكيف في
نهضتنا التعليمية ٣٣٤
الكهرباء والذرة ١٢٦
الكورتيزون ١٢٦

(ل)

لبن الشرش —
مستخرجاته ١١٣
اللغة العربية من أيام الجاهلية
الى النهضة الحديثة ٦٥،
١٤٣، ٢٦٥، ٣٥٤، ٤٠٥
اللغة الفرنسية وآدابها ٩٤

(م)

الماء ٣٥٨

صفحة

مادبة الطبخ
الدكتوراه في ١٢٨
المخترعات الحربية ٢٧١
المخترعات الراقية
١٧٥ ، ٢٧٠
مخدر جديد ٢٢٧
المرارة — عصاتها
وحجار المرارة ٣٨٥
مرض القلب مكافحته ٣٠٥
المستشفيات ارتقاؤها ٢٧٣
المشروبات المثلجة
ضررها ٣٦١
المشي فوائده ١٢٨
المطبخ ـ وسائله المرتقية ٢٧٠
المعادن تقويتها والمباني ١٧٧
المعيشة والتأنق فيها ١٧٨

مكتبة المقتطف

الأدب العربي بين
الجاهلية والاسلام ٣٨٣
أعلام النهضة في القرن
العشرين ٣٨١
أغاني القمة ـ ديوان
تاريخ وسوريا ٣٧٣
تأملات في الأدب ٢٦٧٠
التربية في الشرق ٢٩٩
حديث العشية ٤٩٦

صفحة

حلية الفرسان ٣٨٩
درجات الناس عند
الملوك ٣٠٣
زبدة الحلب من تاريخ
حلب ٢٩٣
شاعر وكتاب ٢١٥
شباب وغانيات ٣٨٠
الشعر المعاصر ٣٧٥
سور من حياتنا ٢١٧
طبقات الحنابلة ٣٠٩
طويل العمر ١١٦
العاصفة ٢٢٢
العلماء ثائرون ٣٧٨
فتاوي شرعية ٣٧٧
المائدة الحديثة ١١٧
ملحمة عبقر ٢٠١
من السماء ـ ديوان ٤٦٠
هذا المجتمع الظالم ١١٨
وحي الأمومة ٢١٩
وحي الفؤاد ١٢٠
يا ليل العرب ٤١٧
اليونسكو ٤٦٧
المضغ العاجل ٤٥٨
مقلات لضباط المرور ٤٥٩
الملح وتصلب الشرايين ١٢٤
مواد البناء ١٧٧
الموتى اعادة الحياة لهم ١٢٦

صفحة

الموز ١٨
الموسيقى تطورها في
سوريا ١٩٦ ، ٢٥٦
ميتوبوذ هيدروكلوريك
عقار التخدير ٢٢٧
الميكروبات ٤٣٧

(ن)

النبات الطبي عند العرب ٤٢
نصيحة لعلماء الذرة ٤٥٦
نظرات في النفس والحياة
٧٤، ١٩٢، ٢٥٣، ٣٤٢، ٤١٤
نهضتنا التعليمية ٣٢٤
النوم ٣٢

(هـ)

الهواء ٤٠٧

(و)

وارثون عقار لإبادة
الفئران ٣٨٥
الوجدان ميزة الانسان ٢٤
الوراثة ودم الانسان ٢٢٩
الوقاية من القنابل
الذرية ٢٢٤

(ي)

أيدي النساء حياتها ١٠٧

الفهرست

للجزء الخامس من المجلد العشرين بعد المئة

١٩٣	حديث المقتطف	٠٠
١٩٥	الاتجاه الحضاري في عصرنا الذري	للاستاذ صلاح الدين الشريف
٢٠٠	الأدب الجديد في فرنسا	للاستاذ سلامه موسى
٢٠٤	نداء الحرية (قصيدة)	للدكتور احمد زكي أبو شادي
٢٠٦	العوامل المؤثرة في النظم الاقتصادية لدى القبائل البدائية :	للاستاذ اميل توفيق
٢١٠	ابو علي الفارسي	للاستاذ عبد الله امين
٢١٦	انتشار الأمراض في مصر	للدكتور محمد داوود
٢٢٠	زهرة الخير (قصيدة)	للاستاذ حسن كامل الصيرفي
٢٢٢	اصداء الربيع	للاستاذ رضوان ابراهيم مصطفى
٢٢٥	الاستحمام بالماء — انواعه ، فوائده ، أضراره	للاستاذ اسبيرو جسري
٢٢٩	المراكز الاجتماعية الريفية في مصر	للاستاذ وديع فلسطين
٢٣٣	نهر الزرق ينساب في الصحراء	للاستاذ اميل مراد
٢٣٧	الطاقة الكهربية في المزارع المصرية	للاستاذ عوض جندي
٢٤١	زكي مبارك حياته من ادبه — ٢ —	للاستاذ انور الجندي
٢٤٥	اسكندر مكاريوس والياس انطون الياس	للاستاذ اسبيرو جسري
٢٤٩	التقويم الزراعي لشهر مايو	٠٠
٢٥٧	[باب الدراسة والمناظرة] : حول كتاب (ايليا ابو ماضي وتحول الشعر العربي الحديث)	للاستاذ عيسى الناعوري
٢٥٠	[مكتبة المقتطف] : لكل زهرة عبير : فيدوي الملثم . في موطن جبران خليل جبران	٠٠

يصرتُ به ينقل راحتيه على الأغراس من عود لعود
فينزع سلخة من كل غصن ويدفنها لتولد من جديد
يداه على التراب ومقلتاه معلقتان بالأفق البعيد

واللوحة الشعرية الرائعة التي تهز مشاعرك هزًّا وتعطيك صورة واضحة المعالم للضعيف صليب الحرية الذي دبغت جلده بنادق الاستعمار وتلوت عليها أمواد خيزرانه وداسته سنابك خيله في (مسرح الأسد) وخلاستها ان عاهل الحبشة النجاشي قبل أن يغادر قصره منهزماً من وجه الطليان أودعى برعاية بنتيته أسداً رباه فيه وقد جاء في مطلعها:

ما بين أرضام وخوّر هرار عصف الزمان بمرشك المنهار
وتلفت أسياف عدوة قالقنا محطرمة والعاصفات عواري
وكبا جواد النصر بين قمامة من خانق وغمامة من نار

هذه سورة خاطفة (لكل زهرة عبير) طالعتك بها وأنا على سفر — مكلف بقضاء الله أفرعه — وأنا لترجو الايطول اصطبار اخوان شفيق وصفاق أدبه لدواوينه المخطوطة (عجائر المنذل ونداء الجاذبين وستائر الهودج التي تتضل الكثير منها روح (روز) عبقره على الأرض وشريكة حياته.

البرزى الملثم

في موطن جبران خليل جبران

بقلم الاستاذ عبي الدين رضا — صفحاته ١٩٢ صفحة من القطع المتوسط

كان صديقنا الأستاذ السيد عبي الدين رضا أول من نشر أدب جبران خليل جبران في أمريكا منذ أكثر من ثلاثين عاماً حيث أصدر كتابه « بلاغة العرب في القرن العشرين »

ولقد أتيح للمؤلف زيارة موطن جبران في العهد الأخير لحضره ذلك إلى اصدار كتابه هذا فوصف فيه ذلك الوطن الساحر الجميل الذي أنجب مجموعة ممتازة من أدباء العروبة.

وأستلزم ذلك من المؤلف سرد ما مر بلبنان وسوريا من حوادث وأحداث قديمة وحديثة، فترجم لفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ولدولة رياض الصلح بك والسيد عبد رشيد رضا رحمهم الله ولغيرهم من الأحياء والأموات، وعن عمل اللبنانيين في ميادين الثقافة والعلم والأدب والتاريخ والسياسة وغير ذلك مما جعل لبنان ملتقى الحضارة القديمة والحديثة

ولقد كتب المؤلف بحوثه بأسلوب أدبي يليق بمنزلة كتابه، وزينه بصور كثيرة فنهنىء الأستاذ المؤلف بكتابه ونرجو له اطراد التوفيق والنجاح

القاني وهل يتصدى (شفيق) لوصف (الأم) ولا يذكر (أماً) كربة النبعتين خلفها — إلى حين — في زحلة (جارة الوادي) رودّ لو رآها كل يوم وشق عليه هجرانها لكن دواليب سان باولو الهته عن الاياب الى مرتع الاحباب وملهى الاصحاب ودارة (الأم) منجبة (شفيق) و(فوزي) وهل أوفى من شفيق (ولداً) وأبرع (شاعراً) يعطيك صورة (الأم) وهو مفتون بحنان (أم) فجعها القضاء المشوم بفوزي وانتزع من ذراعيها (شفيقاً) وقذفت به سياء الأطلنطي آلاف الأميال وخلف في لبنان أماً نهش الحزن قلبها ووقفت على شاطىء بيروت تقول للانسام مع شكر الله الجرّ :

خبراه باتنا ما برحنا نسأل الشمس عنه كل صباح !

واسمع إلى (شفيق) يروي لك في ديوانه الجديد قصة الفتى المهاجر وقد خلف في مرابع صباه (أماً) فجعها الهجر بوحيدها وانتزعه من بين ذراعيها وتركها فريسة للهم والكآبة :

شراع مدّ فوق الموج عنقا وراح يروم خلف الأفق أفقا
يقلّ فتى تبدّى الشط جهما له فأشاح عنه الوجه طلقا
وغادر عند صخر الشط (أماً) تذوب إليه تحناناً وشوقا
فما نضبت لمقلتها دموع كأن لعينها في البحر مرقا

ولشفيق نحل شاعر رقيق بالبرقالية هو السيد البكر معروف ودونك ما يخاطب به الوالد الشاعر ولده الشاعر : ص ٦٥

لا توجع شعري إن شعر — أبيك ليس بمسعدك
إن لم تخلد أنت نفسك — ما أنا بمخلدك
من مخبري فلربما فلتُ الخلود على يدك

وكما تصدى شفيق للفلاح المنكوب وصوّر شقاءه وآلامه وتباريحه فقد تصدى البستاني الحادب على صغار الغرس والساهر على تقويم ما انثنى من فسائلها ليجنبهن ذل السجود ودونك القرحة التي رمقتها ريشة شفيق تلمحها وكأنك تشاهد البستاني ما كفاً على غراسه يضمرها بعطفه ورعايته ويبلو في سبيل انطلاقها الآلام والمتاعب ص ٦٨ .

مررت به يكب على غراس لوين الشق للعصف الشديد
فيرفعهن فوق الأرض كيما ينجيهن من ذل السجود

كنت بالأمس أغني مجدهم فإذا المجد بهم منهزم

والبيتين اللذين أذكراني (بعي) وأخوها صلة وثقى باسم ديوان شفيق الجديد وهما:

ويهتف اخوان البيان لأنني ولوع (بعي) والحسان كثار
فقلت لهم ما كل (زهر له شذا) يروض ولا كل الطيور هزار

في الديوان صور شعرية مائعة أضفاها شفيق على دنيا الوحي والشعر والالهام فكأنه في كافة ما نظم وصوّر وجلا من لوحات فنية وحيما ينقطع كاهن الفن (شفيق) إلى النظم والتصوير ينقطع عن العالم في بيعته ويتنامى دواليب معابده وضجيج خراطيمها في ساد باولو ويحبس نفسه في محرابه مستوحياً ربة الفن آياته وصوراً وينفض ريشته بمداد الخلود ويخرج للناس لوحات يوشيها خياله ويصبغها نجيع قلبه. وهل بعد (صقر) لوحة أضفاها شاعر شرقي على دنيا الفن والجمال جاءت تحفة نفيسة جمعت إلى سمو الخيال المتوثب روعة الأساطير ومتعة الخرافات!

يستهل الشاعر قصائده العشر بقصيدة يرسلها إلى (الشاعر الفروي) فديس القومية العربية في القرن العشرين ولئن حرمك القدر زيارة (ساد باولو) لترى (رشيداً) بقامته الفارعة وعينيه المتسربتين ببريق لامع، فدونك خير صورة يجلوها شفيق لشاعر الجيل الصاعد: وقد جاء في مطلعها ص ٦:

لو كان ما في السماء يلهم لما ارتوى منه قلبه النهم
يود والنيرات قائضة لو أن جفنيه تحتوي فم

و (الفلاح) ثاني لوحات الديوان وهل أروع من شفيق في تصوير المجاهد المجهول وصديق الأرض والحسن إلى النفوس بالخيرات والبركات التي تفجرها يمينه: ص ٩٢:

وفّى الحياة ديونها كرماً وما وفيت ديونه
ومضى تشق الأرض — فبعثته بعزم لا تخونه
عرق الجباه هي على عينيه فانطبقت جفونه
هلاّ نظرت جبينه كم فيه لؤلؤة تزينه
ضنّت عليه بالدموع — عيونه فبكى جبينه

و (الأم) احدى لوحات الديوان وقد غذاها شفيق بعصارة قلبه وصبغها بنجيعه

مكتبة المقتطف

لكل زهرة عبير

ديوان شعر نظم الشاعر الملهم شفيق معلوف — صفحاته ٩٨ صفحة من القطع الصغير

طبع في دار الاحد ببيروت

«لكل زهرة عبير» عشر لوحات فنية من الشعر المنغم حزمها شاعر (حبقر) الملهم شفيق معلوف في ديوان أخرجته (دار الأحد) ببيروت اخراجاً رائعاً، وإذا ذكر اسم شفيق يتبادر إلى ذهن القارىء العربي (حبقر) هذه الملحمة الفنية التي أضفاها المعلوف على دنيا الشعر والرؤى والأحلام ولمّع بها الأدب العربي المعاصر.

وديوان شفيق هذا خبر في نفسي شوقاً وحنيناً إلى مي[1] بعد غياب طال مداه واستطال جناحاه وأنا بعيد عن (زغب القطا) ضارباً في مجاهل أمريكا الجنوبية عرضاً وطولاً في سبيل رغبة ملحاحة قذفت بي إلى هذه البلاد النائية لدرس أحوال الجاليات العربية الغارية على شاطئ الأطلنطي والباسفيكي واستنطق أخبارها واستوحي آثارها عن كثب.

ووجه المقارنة بين هذا الحنين الذي يعتلج في صدري وبين الاسم الذي اختاره شفيق لديوانه يتناول من الشعر درجت على ترديدها في سهجري السحيق كلما برّح بي الشوق إلى رياحين قلبي الذين خلفتهم في رعاية الله (برام الله) جارة القوس الشكلي واحد اشلاء فلسطين الممزقة يلون ضروباً من الترويع والتشهير في بلد (السلام) المنتحر على أرضها (السلام) يسمونه طلقات اسرائيل التي يتحدث لجان التوفيق وجيوش يعرب السبعة التي عجدّ بطولاتها (شاعر النواعير) بدر الدين الحامد بقوله:

ليتهم ما جردوها حملة ضحكت منها علينا الأمم

فضى التاريخ لم يخضل بنا وبكى المهد وناح الحرم

(١) ابنته الكبرى

التنبيه إلى هذا .

بقيت قضية سرقات أبو ماضي الشعرية . وهذه — بعد أن تأكدنا من دقة قصيدة « هي » برمتها لسنا لمقترها لشاعر مثل أبو ماضي ، بل هي في الحقيقة لطخة شائنة في حياته الأدبية ، كنت أتمنى لو تنزه عنها .

على أنه الغريب — ولعله ليس بغريب ، بل هو أعظم دليل على اصالة أبو ماضي الشعرية — تعمد أن تكون القصيدة العربية من المتانة والجمال بحيث لا يظهر فيها أثر السرقة ، أو الترجمة الحرفية ، على الاطلاق ، بل لا يظهر عليها أي أثر يمكن أن يشير إلى أنها غريبة الأصل . فلو أن أبو ماضي أشار إلى الأصل الذي أخذ عنه بعض قصائده أو فكرة بعضها ، لما كان هناك أي مجال للانتقاص من شاعريته وفضله . ولكن عدم اشارته إلى ذلك يعني محاولة الاستئثار على حساب الآخرين ، ولو أن عمله في هذا كعمل الذي يأخذ تبراً مغطى بطبقات من غير معدنه ، فيكشف عنها تلك الطبقات ، ويجعلها في أجمل شكل يستهوي القلب ويبهج الناظر . المعدن هو هو لم يتغير ، ولكن الشكل تبدل تبدلاً يدل على ذوق واصالة فنية تستحق الاعجاب ، ومع ذلك فهو ملك لصاحبه الأول .

وأجيء الآن إلى قسم المناسبات ، فأقول إن الذي عنيته بهذا التعبير هو المناسبات « الشخصية » ، مناسبات التكريم أو الرثاء أو ما إليها ، وهذه لا أعتبرها من متيرات الشاعرية ، وقد حاربتها « الرابطة القلمية » كثيراً . أما المناسبات الوطنية والانسانية فهي من أهم الدوافع إلى الشعر . وهل يمكن أن تمر مأساة كمأساة فلسطين ، أو كمأساة مصر الأخيرة بدون أن تثير قرائح الشعراء !

إنني معكم في أن مفاخر الشعر — العالمي ، لا العربي وحده — هي وليدة مناسبات ، ولكنها مناسبات لغير تمجيد الأشخاص أو رثائهم . انها مناسبات أسمى من الأشخاص .

بعد هذا أكرر لكم الشكر لهذه المناسبة الطيبة التي أتاحت لي الاتصال بكم ، إذ تلطفتم بكتابة كلمتكم القيمة عن كتابي ، فقد أفدتموني بها كثيراً ، جزاكم الله خيراً ، وأبقاكم ذخراً للأدب والعروبة .

عيسى الناعوري عمان

ولعلك معي الآن في أنه أسهل علينا ألف مرة أن نكتب عن المتنبي — وبيننا وبينه عشرة قرون كاملة — من أن نكتب عن شاعر حي بيننا ، ولكنه بعيد عنا ، ولا نرجع إليه عنه . فالمراجع عن شاعر كالمتنبي أو سواه ، ميسورة ومتعددة ولكنها عن أبي ماضي وأمثاله مفقودة بالنسبة إلينا الآن ، وقد تصبح ميسورة لمن يأتي بعدنا ، بما نكتبه نحن اليوم عنه وعن سواه .

أما مغايرة أبو ماضي واصالتها فليس أقل مجال لانكارها ، وكذلك القول في تفوقه في مجال التصوير الشعري ، وسمو المعاني التي يدور عليها شعره ، لأنه يدعم مبدأنا في أن يكون الأدب رسالة تخدم الحياة والمجتمع الانساني .

وأنا لم أنكر قط أن يكون أبو ماضي قد تأثر بالمحيط الأمريكي الحر ، فقد قلت هذا في أكثر من مقال في دراساتي المتعددة للأدب المهجري . وفي مقال لي نشرته مجلة « الأديب » في العام الماضي ، بينت الكثير من تأثير أعضاء « الرابطة القلمية » بعضهم ببعض ، وتأثير جبران فيهم جميعاً . إلا أنني أختلف معكم في أن يكون أبو ماضي أقل اصالة من المغاربة من رفيد أيوب ، ونسيب عريضة ، وخليل تعيمه ، وجبران . وأعتقد ، على العكس ، إنه أكثر اصالة في الموهبة الشعرية — كفنّ — منهم جميعاً ، بينما أصغرهم اصالة في النثر ، وفي بعد التفكير ، جبران ، وهم من حيث الفكرة ، وثيل العاطفة ، جميعهم تلاميذ له .

أختلف معكم كذلك في أن يكون أسلوب أبو ماضي متأثراً بأسلوب شعراء الاسكندرية ، بحكم معيشته بينهم مدة . وأعتقد أن ليس في شعراء مصر المحدثين شاعر بلغ من جودة النظم ، وجمال الخيال ، وبراعة التصوير ، ورشاقة العبارة ، والتعبير عن أسمى السمو والحرية والسعادة في الحياة ، ما يقرب من شأو أبو ماضي . انهم جميعاً بعيدون جداً من مثله الشعري في هذه النواحي مجتمعة .

وكذلك اختلف معكم في تأثر أبو ماضي بادجار آلان بو (Edgar Allan Poe) أو غيره في مطولته « الطلاسم » ، فليست المعاني التي دارت عليها هذه المطولة في حاجة إلى مصدر تتأثر به ، فهي كما قلتم « صدى لأسئلة المحدثين من الشعراء » والفلاسفة القدماء والمحدثين . وهذه المطولة على كل حال ليست من أجود قصائد أبو ماضي ، بل هي في الواقع دون قصيدة « هي » قوة وجمالاً ، مع انه ثبت لنا تماماً أن « هي » مترجمة حرفياً عن قصيدة « نخب الفارس The Knight's Toast » ، كما كان لكم وحدكم فضل

باب المراسلة والمناظرة

حول كتاب « إيليا أبو ماضي وسول الشعر العربي الحديث »

من : عيسى الناعوري — إلى الدكتور أحمد زكي أبو شادي

أخي الدكتور الكريم : اسمح لي بأن أشكرك بكل اخلاص على تلك الموقفة الجميلة التي تلطفت بكتابتها حول كتابي « إيليا أبو ماضي » ، فقد لمست عيني على أشياء كنت أجهلها كل الجهل ، كما كان يجهلها « كل قارىء لأبي ماضي في الشرق » لأننا هنا نجهل كل شيء عن حياته الخاصة ، وأخلاقه ، ومعاملاته . والصورة الوحيدة التي لدينا عنه هي التي نستخلصها من قصائده . ولم أكن أتصور قط أن يكون الأدب — الذي اعتدنا أن نعرفه صورة لنفس صاحبه — خادعاً ، أو غير صادق .

لقد كتبت الى الشاعر مرات قبل أن أدفع كتابي الى المطبعة ، أطلب منه بعض المعلومات عن حياته ، ورسماً له ، فلم يجب . ولما تكررت رسائلي إليه ، أجاب بسطور قليلة جداً يقول إنه لا يرى في حياته ما يستحق النشر ، وليس لديه رسم يرسله إليّ . وقد زاد هذا من نظري التقديسية اليه لأنني حملته على محمل التواضع وعدم الرغبة في الظهور ، طبقاً للصورة الجميلة التي استخرجتها له من شعره الكثير .

ولم أكن أستطيع أن أرجع إلى أي مصدر لمعرفة شيء عنه ، غير دواوينه ، ولم يكن ممكناً أن أسأل عنه بعض معارفه ، فان مراسلاتي المتعددة مع أدباء المهجر وشعرائه منذ نحو سبع سنوات ، لم تدع لي ثقة في أي حكم يصدره أحدهم عن الآخر ، فما أكثر الرسائل التي لديّ ، وفي كل منها تحذير لي من الكتابة عن فلان وفلان من الأدباء ، وأؤكد لك أن لم يبق هناك أديب واحد لم أتلق نصيحة بعدم الكتابة عنه ، مما جعلني أنسب كل ذلك إلى الحسد والغيرة ، ومنعني من الاستعلام من أحد منهم عن أبي ماضي . ولهذا لم أتمكن من ربط شعر أبي ماضي بحياته ، ومعرفة مدى مطابقته لها . ولهذا أيضاً ظللت على جهلي بشخصيته وواقع حياته ، وأبقيت قرائي معي على هذا الجهل ، واكتفيت بالصورة التي رسمتها لي دواوينه ، وهي صورة ليس أجمل منها ، ولا أحق بالتقديس .

التقويم الزراعي

لشهر مايو ١٩٥٢

(١) — ﴿ الحاصلات الزراعية ﴾

البرسيم — جني ربه
الفول — دراس وتذرية وتخزين المتأخر
الكتان — تقليع المتأخر — ترييط ونشر
الشعير — ضم وتذرية وخزن المتأخر
القمح — حصاد ودراس . القطن — عزق وخف وتسميد بالكيماوي
الذرة — عزق وري وتسميد للدفعة الأولى . الأرز — خدمة وبذار — زراعة المشاتل .

(٢) — ﴿ البساتين ﴾

(أ) — الفاكهة — تطعيم أصول الأشجار التي لم ينجح تطعيمها . يبدأ بتلقيح القشدة صناعيًا . يمكن نقل نباتات المانجو من القصاري الى مكانها الدائم مع وقايتها من حرارة الشمس وموالاتها بالري .

(ب) الخضر — زرع البطيخ المتأخر في الدلتا . زراعة عروة جديدة للبطاطا والخيار والفاصوليا والبوبيا والكوسة والقرع العسلي والملوخية . مشتل الكرنب البلدي والكرات أبو شوشة والطماطم والكرنس والفلفل والباذنجان . زراعة مشاتل جديدة للطماطم والفلفل والباذنجان والكرنب والقنبيط لتشتل منها عروة ثانية في يوليه وأغسطس

(جـ) الأزهار — يستمر جمع بزور الحوليات الشتوية وتزال نباتاتها . تجهز الأرض لزراعة الحوليات الصيفية . تنقل الأراولا الى قصاري رقم ٢٥ بها خلطة من طمي النيل الناعم والسماد البلدي . تزرع بزور البنزاوية . يمكن الاستمرار في زراعة درنات الداليا إذا ما أريد تأخير ازهارها . كذلك يمكن الاستمرار في زراعة بزور شجيرات وأشجار الزينة . يطعم الورد . يعنى بري أبسطة النجيل عزق مساطبات الجازون في نهاية الشهر وتترك إلى أكتوبر لزراعة جازون جديد

في ذمة التاريخ

اسكندر مكاريوس

فقدت الصحافة العربية رجلاً من رجالها البارزين العاملين الذين خدموها وخدموا الناطقين بالضاد بما وهبوا من براعة وتفنن وحسن بيان أكثر من ربع قرن ولعبي به الصحافي اللامع المرحوم الأستاذ اسكندر شاهين مكاريوس زميلنا صاحب اللطائف المصورة والعروسة والمجلة الشهرية والأولاد وجريدة السيار اليومية فقد انتقل الى رحمة الله صباح أول ابريل ١٩٥٢ بعد مرض لازمه في الزمن الأخير فألزمه داره في معظم الأحيان وأضعف صحته واذ لم يضعف عقله الجبار

والفقيد العزيز هو أحد أبناء اسرة المقتطف والمقطم ، وأول من أدخل فن الزنكغرافور والصور في طباعة المجلات الأسبوعية في مصر. وكانت اللطائف المصورة من اروع المجلات في إبانها بل تعد سجلاً وافياً للحوادث في عهدها وخاصة حوادث الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ .

وقد اسهم الفقيد العزيز في النهضة الصحافية في السودان بسهم وافر اذ كان مديراً لمطبعة المقطم هناك وجمع حوله عدداً كبيراً من الصحافيين الممتازين لما عرف به من دماثة الأخلاق وحب التعاون .

الياس انطون الياس

صاحب المطبعة المصرية والمؤلف المدقق الذي خدم العلم والثقافة في مصر والأقطار العربية العقيقة في صمت وهدوء ولقد أصبح بفضل جهوده وما أنتجه قلمه الخصيب علماً من أعلام النهضة المصرية لا يجهل اسمه أحد من المثقفين تحت لوائها ، فيكفي أن تذكره ليعلم الطالب في مدرسته والموظف وراء مكتبه والصحافي بين محابره وأقلامه إنك تعني معين كل منهم بقواميسه المتعددة في دروسه وأعماله اليومية وفي اختيار صحيح الألفاظ ونبذ فاسدها.

مات الياس أنطون الياس في صباح اليوم السابع من شهر أبريل ١٩٥٢ بعد خدمة ٤٠ عاماً أخرج فيها قاموسين في طبعات متعددة ليس لهما في اللغتين الانجليزية والعربية مثيل .

وفضيلة العلم عند الياس أنطون الياس كافية لأن تجعل منه رجلاً خالداً فكيف وقد جمع اليها فضائل كثيرة : من خلق نبيل وتواضع جميل وحسن معاشرة واخلاص في الود وبر بأهله وخدمة لوطنه. فان انطون صفحة حياته اليوم قلن تطوي صفحة كتابه فهو خالد بأعماله ومبراته وانتاجه الغزير .

في ذمة التاريخ هذان الصديقان الكريمان وعزاء لأسرتيهما وللصحافة في فقدهما .

اسبيرو جسري

﴿ الآراء المثيرة ﴾ ولكنه إن عذه الجرأة كان يجب أن يقول الجديد ، الذي يثير الناس حول الغزالي وآرائه حملة شعواء أثارت الأزهر والعلماء . وفي كتاب النثر الفني تعرض للقرآن وفي التصوف الاسلامي آثار ضجة حول نظرية وحدة الوجود .

وقد كانت هذه جميعها مدار مناقشات ومساجلات طوال ، ضجت بها الصحف والمجلات حيناً ، وقد كان هذا الخلق في زكي مبارك ، سبباً في تصدع كثير من صداقاته ، فقد كان لا يخشى في الحق شيئاً . « لقد كنت أنظر في رعب وفزع إلى الصداقات التي تهدمت من حولي في الاعوام الأخيرة وهي صداقات أنفقت في بنائها ما كنت أملك من كريم الوفاء في عنفوان شبابي » .

لقد أقحم زكي مبارك نفسه فعلاً في خصومات أدبية كان لها أبعد الأثر في حياته الشخصية يقول « إن الذين يحاربوني لم يطمعوا في محاربتي إلا لظنهم أني رجل أعزل لا أنحاز إلى حزب من الأحزاب وليس لي في الحكومة عم ولا خال » .

إن النقد الأدبي لا يرضي أدباء مصر ولذلك خسر زكي مبارك صداقات هؤلاء الأدباء الذين ساولهم ويسجل هو نوعاً من هذا في مقاله « الاستهداف للقتل في سبيل النقد الأدبي » في كتاب (الاسمار والأحاديث) وفيها يقول : إن الشيخ عبد العزيز البشري كله بالتلفون وعنده بأنه لو عاد إلى شرح نهج البردة فان إخوته سيقتلون زكي مبارك على باب داره ولا ينفعه الحديث ذو شجون .

ثم يعلق زكي مبارك على هذا فيقول: إن سبب ذلك التهديد هو أن شرح نهج البردة المنسوب إلى الشيخ سليم البشري قد كتبه الشيخ عبد العزيز وليس والده وإن الوالد راجعها وحرر فيها بعض الأبواب .

﴿ ثائر أعظم منه شاعر ﴾ تزوج زكي مبارك مبكراً ، وكان لذلك أثره في اتجاهاته العاطفية ، ولكنه يعد من أجرأ الأزواج إذ لم تشغله زوجته وأبوته من اتمام اهدافه بيد ان رأي زكي مبارك في المرأة متطرف ، فيه قسوة . ولعل مصدره عقدة نفسية خاصة تتصل بشخصية الكاتب نفسه .

وهو من كتّاب المقالات ، وليس من القصصيين ، وقد اغرم بالشعر ، وأخرج دواوين ، ولكنه لا يجيد النظم فمن اجادته النثر وهو في هذا شبيه بالعقاد والمازني ويبدو ان الكتّاب الذين يجيدون التعبير بالنثر ، لا يبرعون في الشعر الى درجة ممتازة.

[يتبع]

طه حسين وسافر إلى أوربا واشترك في الثورة المصرية خطيباً ومجاهداً ومعتقلاً .

ويقول في هذا « لقد أقدمت يوم جد الخطب غير وجل ولا هياب » وقد ظل طوال حياته يذكر هذا الموقف ويشيد به ويخلده . ورفضت وزارة المعارف أن ترسله إلى أوربا بعد أن حصل على اجازة الدكتوراه في مصر فسعى وأقدم جريئاً وهو خالي الوفاض ولم يثبت .

وهو يفصل ذلك في كتابه النثر الفني عند ما يقول ، إنجاز أنفه في أعوام سود لقيت فيها من عنت الأيام ما يقصم الظهر ويقصف العمر فقد كنت أشطر العام شطرين أقضي شطره الأول في القاهرة حيث أؤدي عملي ، وأجني رزقي . وأقضي شطره الثاني في باريس ، كالطير الغريب ، أحادث العلماء واستلهم المؤلفين إلى أن ينفد ما أدخرته أو يكاد ثم صممت على أن انقطع إلى الدرس في جامعة باريس حتى أنتصر أو أموت ، وكانت العاقبة أن أنعم عليّ الله — عز شأنه — بالنصر المبين » فاذا عرف انه كان يفعل ذلك وهو متزوج وله أسرة وأولاد ، كان ذلك غاية الجهاد وذروة النضال .

﴿ارتظام في صميم الفكرة﴾ بدأ حياته بالدراسات الوجدانية ، يكتب عن الحب ويجمع أشعاره وقد كلف بشعر عمر بن أبي ربيعة ، فدامع العشاق .

وفي رسالته التي تقدم بها للدكتوراه أخذ عليه انه غلب الناحية الوجدانية في البحث وان كان مما يشرفه أنه واجه « مرسيه » برأي يعارض مذهبه الأدب في النثر الفني وجعله موضوع رسالته التي قدمها . وكان مرسيه نفسه هو رئيس الامتحان

وليس « مرسيه » هيناً . . فهو رأس المستشرقين الفرنسيين لعهده . . يقول « وقد نصحني مسيو ماسنيون وأفهمني أنه رجل صعب المراس وإن منزلته في المعهد العلمي عظيمة وإن المستشرقين يجلونه اعظم الاجلال . . ولكن كتب الله الا أن انتصح . . فابتدأت رسالتي التي قدمتها للسوربون بفصلين في نقض آرائه من الأساس فغضب الرجل وثار . . وسعى على حذف الفصلين بحجة انهما نزل من الاستطراد لا يرائم الروح الفرنسي في البحث وصممت على ابقاء الفصلين وكأنما عزّ على الرجل إن أهاجمه في عقر داره فمضى يعاديني عداء خفيًّا كانت لي آثار بشعة لا أتذكرها إلا انتفضت رهباً من عجز الرجال عن ضبط النفس وقدرتهم على تمويض دعائم الانصاف وقد نابت خصومته برد أقسى وأعنف ، ورأيت الحرص على آرائي أفضل من الحرص على رضاه . . فأبقيت الفصلين اللذين أغضباه »

وهما مختلفان في أساليبهما وأهدافهما وفي الطريقة التي يعالجان بها هذا الفن .

إن الرافعي يرى الحب فنًّا روحيًّا خالصاً ، لا اثم فيه ولا فاحشة ولا شهوة . إنه يراه زاداً وجدانيًّا يمد النفس الانسانية بالقوة والحيوية .

أما زكي مبارك فيرى الحب على الصورة الطبيعية التي تلتقي فيها الرجل والمرأة ويتصارعان حولها . يقول : حديثي عن الحب صار مذهباً أدبيًّا أشرح به ما يتعرض له الناس في ميادين النوازع والأهواء . وإن الحب لم يشغلني عما اضطلع به في حياته من أعباء ثقال

وإذا كان الرافعي ومبارك يختلفان في الأسلوب والهدف ، فانهما يصدران عن طبيعة واحدة ، تكاد تتشابه حظوظها في الفراغ النفسي والعاطفة العاصفة والحياة الاجتماعية التي قصرت عن أن تعطي النفس العبقرية كل حاجتها فظلاًّ ظامئين إلى الجمال والحب [1]

وزكي مبارك يرى الحب زاداً حيويًّا من زاد الحياة . فيقول « المحرومون من حب الدنيا ومن الهيام بما فيها من نعيم لا يصلحون أبداً للتمرس بالمخاطر في ميدان القتال »

﴿ حياة عاصفة ضخمة ﴾ وتمثل حياة زكي مبارك في أدبه سلسلة عواصف ضخمة متوالية ، واضطرابات متعددة وصراع طويل . كان طالباً أزهريًّا يمكن أن يصبح « شيخاً » غير انه أخذ يدرس ويكافح ويصارع حتى وصل إلى تلك المكانة الرفيعة التي اقتعدها ، حصل على أعلى شهادات الأدب والفلسفة في جامعات مصر وباريس . غير إنه كان يحس الشقاء النفسي ممثلا في الصداقات الأدبية التي كانت تنهار في المطامع الروحية التي تضطرب بها نفسه .

وقد منحه اتصاله بالبيئات المختلفة المتعددة وأسفاره خبرة أدبية واجتماعية بالغة فكانت آثاره الأدبية غاية في القوة .

وليس في أدب مبارك أبرز من قدرته على مواجهة سرائر النفوس ودراسة الوجوه والملامح التي كان ينفذ منها إلى دراسة الصلات المجهولة بين ما يظهر الناس وما يضمرون .

﴿ جهاد في سبيل المجد ﴾ تعلم في الأزهر ، ثم اتجه إلى الجامعة ، واتصل بالدكتور

(١) قال : « وأعود اليك يا صديقي فأخبرك ان الازمة الباقية هي أزمة القلب . . . لقد فقدت كل شيء وعرفت كل شيء ، وبقي لي كالهباءة في ضمير الظلماء ، فان قلت لك اني أشكو خيبة في الحب أو اخفاقاً في المجد ، أو ضرباً من الاسقام ، فاعلم أن هذه كلها خرجات هينة تزعج النفس لحظة . . ثم تزول . . أما بين المؤمنين حلم ، وبين المحسنين مؤمن ، وأنا بين عند الفجار ، وظهير عند الابرار ».

زكي مبارك

حياته من أدبه

— ٢ —

للأستاذ أنور الجندي

﴿الثناء على النفس والكتابة الذاتية﴾ وإذا كنا قد ذكرنا جوانب القوة في كاتبنا البليغ، حق أن نذكر ما أخذه به النقاد. الذين أجمعوا على أنه يقحم الكتابة الذاتية من ذاته اقحاماً في كل بحث ويدير الحديث حول نفسه في كثير من الفخر والاستطالة.

عيب عليه ذلك، وهو جم لأجله أعنف هجوم وقد دافع عن نفسه فقال: إن الفخر بغيض ممقوت، وقد عابه عليّ الأصدقاء قبل الأعداء، ولكن ماذا أصنع وأنا أشهد آرائي تذهب بلا تحرز ولا ترفق وبها ترد عليّ خصومي حين يشتجر القتال، وكأنها مما ابتكرت أفكارهم الثواقب وألسنتهم النواطق.

ويواجه خصومه الذين يتطاولون عليه في فخر قائلاً: إنهم لم يكونوا إلا خلقاً بني أقدارهم بقلمه ولسانه. والحق إن الكتابة الذاتية هي من اصدق ألوان الأدب. وفي الأدب العربي الحديث طائفة من الكتّاب يعاودون عاطفتهم طبًّا، كأنهم ادوات صماء.

ويبقى بعد ذلك أن نقول إن «مبارك» عاش يحس فراغاً نفسيًا عميقاً ويقاسي صراعاً روحيًا عنيفاً بين حياته وعقله، وبين واقعه ومشاعره.

وكان هذا الاحساس بالوحشة والفراغ يدفعه إلى أن يحدث الضجيج من حوله ويخلق المساجلات والمصارعات، حتى يداري في ضجيجها آلامه النفسية.

وكان إلى هذا يخلق صور الحب ويرسم لنفسه في فصوله لوحة الحب الصادق. معوضاً بها النقص الروحي الذي يحسه في اعماقه

﴿الكتابة عن الحب﴾ إنه يدعي انه صور الكتابة عن الحب فنًّا من فنون الأدب العربي الحديث. وهو لا شك مبالغ في هذا، فالرافعي كان أول من ابتدع هذا الفن

يعادل الوقت الذي كان يستغرق في نقل الأوعية من الملبن واليه .

وهناك جهاز كهربي آخر يسع ٨٠ جالوناً لتبريد اللبن تبريداً يصل إلى درجة ٥٠ فرنهيت في ساعة واحدة . وهذا مما يحول دون تلف اللبن بتخمره . إذ يظل صالحاً مقبولاً ولو كانت كميته زائدة على المعتادة وفي عام واحد يوفر هذا الجهاز ٣٠ و ٣٢ من الدولارات وذلك باقتصاد الثلج والحلول محل الثلج . ويستعمل في الملبن أيضاً جهاز كهربي مطهر لطهر أوعية اللبن من البكتيريا . ولايخفى أن البكتيريا تنتشر في أجواء الملابن ، وفي حظائر الحيوانات والمطابخ . وهاتيك البكتيريا يمكن خفض عددها خفضاً مدهشاً بالمصابيح ذات الأنابيب التي تنبعث منها الأشعة القتالة . ولهذا الجهاز فوائد جمة في زرائب البقر واصطبلات الخيل وحظائر الخنازير والدجاج ونحوها . لأن الحيوانات والدجاج التي تربى في الهواء النقي تكون أجود صحة منها في الجو الفاسد .

ولقد تيسر للفلاح الأمريكي حل كثير من مشكلات مزرعته ، وذلك بالمحركات الكهربية المتنقلة . ومنها طحن الأعلاف . ففي مزرعة خاصة بتربية الدجاج ، كان غذاء الدواجن يطحن فيهما بمطحنة ضخمة ، يديرها « وابور » وكان هذا الوابور يديره عاملان . وكثيراً ما كان ينقل من الحقل إلى أماكن أخرى في الفصول الشتوية الكثيرة الأعمال . فحل محله حديثاً مطحنة صغيرة ذات عدقات يديرها محرك متنقل من قوة حصانين ، حيث تلقم الحنطة للمطحنة من فوق رأسها فتطحنها . ثم تدفعها الى صومعة علوية أخرى . حيث يتم هذا العمل بطريقة شبه أوتوماتيكية . وكان طحن الأعلاف بالوابور بحسب الطريقة القديمة يقتضي استهلاك وقود يبلغ ثمنه ١٧ و ١ دولار لأجل طحن طن من خليط الحبوب . على حين يتطلب طحن الطن من الحبوب عينها بالطريقة الكهربية ٢٢ سنتاً فقط . ويتاح أعداد المحرك المتنقل وقيامه بالعمل المطلوب ، على يد أقرب حداد للمزرعة . لأن المحرك الكهربي ذا القوة التي يتطلبها الطحن ، يركب على عربة صغيرة ذات عجلات يتيسر جرها من مكان إلى آخر لتؤدي عشرات من الأشغال الزراعية ، ومنها رفع القمح والذرة من أسفل الى أعلى وتنظيفهما ، ورفع الدريس وضغطه على شكل بالات . ثم تقشير أكواز الذرة وتقطيع سوقها وقوالحها . فيخلص مما سلف ذكره أن خير صديق لصاحب المزرعة ، هو المحرك الكهربي الصغير إذ يستطيع محرك لا تزيد قوته على حصان واحد ، القيام بالأعمال الميكانيكية التي تؤديها ثمانية رجال . ومع ذلك فانه يستغل اليوم كله بتكلفة تقل عن ثمن الطعام الذي يأكله رجل واحد في وجبة واحدة .

المريضة والعناية بها ، استعمل مصباح حرارة تلبث منه أشعة دافئة مما دون الأحمر . فاستغنى بهما صاحب المزرعة عن جلب الدلاء المملوءة بالمياه الساخنة إلى الزريبة لغسلها ، ابتغاء تبليل المنسوجات بها . ثم عصرها والقاها لتوضع على أبدان الحيوانات ، كعصائب لتدفئتها . وذلك لأن مصباح الحرارة سابق الذكر أسلم عاقبة من استعمال المنسوجات المدفئة . إذ لا يعقبه تعرض الحيوانات لنزلات البرد ، التي كانت تصيبها على أثر لفها بالمنسوجات المبللة المشار إليها، ولا سيما في فصل الشتاء.

وتفضل حرارة المصباح لأنها أيسر استعمالا وأعظم تأثيراً من تلك الوسيلة . بل لأنها تريح المواشي من الاحتقان والآلام التي كانت تستهدف لها .

وهذه الأسباب جميعها يستصوب تركيب مصباح شمسي في زريبة العجول . حيث يعلق على ارتفاع ثلاث أو أربع أقدام فوق مربطها . ويوقد ساعتين كل يوم ، فيفيد تلك الحيوانات فوائد كثيرة كالتي تستفيدها من بقائها ساعتين في الخلاء معرضة لضوء شمس الصيف . وهناك يكون شأن أشعة ما وراء البنفسجي ، كشأنها في أكنان الدجاج ، إذ تحدث نتائج حميدة ، فتقوي العجول وتحسن صحتها وتعجل نماءها . وإذ كان لصاحب المزرعة خنازير صغيرة يطمح الى تسمينها كي يبيعها بسعر مرتفع فينبغي له استعمال مصباح حراري في مقر تربيتها . ويكفي لهذا الغرض مصباح من قوة ٢٥٠ وط لتوليد الحرارة والضوء والأشعة الصحية المرغوب فيها حينئذ . وكذلك تيسر ادارة محل التربية إدارة متقنة ، بجهاز كهربي منظم للحرارة ، قصد المحافظة على حرارة مستمرة ملائمة للحيوانات.

ويستطيع الكيلووط أي الأجير الكهربي الذي نحن بصدده الاضطلاع بجانب مهم في إدارة المابن . وقبل ظهور الأجهزة الكهربية المساعدة للفلاح ، كان يقوم بحلب البقر حلباً يدويًّا ثلاثة رجال . وكان كل منهم يؤدي عمله في ٨٠ دقيقة . وكان مجموع الزمن الذي يستغرقونه يوميًّا ٢٤٠ دقيقة . أما الآن فيتم حلب اللبن بآلة كهربية حلابة يديرها رجل واحد ، وذلك في زمن لا يزيد يوميًّا على ١٣٥ دقيقة . فيتوفر بهذه الوسيلة من أجور أولئك العمال كل شهر ٤٢ دولاراً . وفي غابر الأزمان كان نقل أوعية الحليب من الزريبة إلى دار المزرعة قصد تنظيفها ، يستغرق ١٢ ساعة شهريًّا . أما الآن فيقوم بهذا العمل في المابن ، سفان كهربي يسع ٨٠ جالوناً من المياه . فيستغنى به عن تلك التنقلات . وذلك بتقديم ٨٩٤ جالوناً من المياه الساخنة بتكلفة لا تجاوز ٤٢ ر ٣ دولاراً شهريًّا . ثم إن الزمن الذي ينقضي في غسل أوعية اللبن في المابن ،

تبين في إحدى المزارع التي خصصت لاختبار منافع استخدام الكهربا في تربية الدجاج، حيث تقوم ساعة التوقيت المعدة بإضاءة المصابيح الكهربية إضاءة أوتوماتيكية ١٢ ساعة، وإطفاءها ١٢ ساعة كل يوم من أيام التفريخ. وهذا مما يفضي إلى ربح صاحب المزرعة، من البيض مقداراً يختلف بين ١٠٪ و٣٠٪ أو أكثر منه، قبل استخدام الأجهزة الكهربية هناك.

ويقوم جهاز كهربي يسمى «الجهاز المساعد» بإيقاظ الفراريج وتدفئتها وتسخين المياه لأجلها، وطحن غذائها وخلط بعضه ببعض، وترتيب البيض بحسب أحجامه، وتنظيفه مما يعلق به من الوسخ. ثم تهجيع الدجاج البيوض على انتاج البيض. وذلك بإدارة مروحة كهربية تجدد الهواء وترطبه للدجاج نفسه في الأيام القائظة ليظل مستريحاً.

وبالأجهزة الكهربية الخاصة بحضانة البيض وتنظيفه، وبالمحركات المتنقلة ومنسقات البيض، استطاع صاحب مزرعة، زيادة سربه من الدجاج، ومضاعفة انتاجه من البيض، بلا زيادة عدد الأيدي الأجيرة. فتخلص مما كانت تتقاضاه من فادح الأجور. ولم تزد نفقة الطاقة الكهربية التي تضيء المفرخ وتسخن المياه يومياً لأجل ٣٠٠ دجاجة بيوض، على أكثر من ثمن بيضة واحدة من بيضها. ولم يقتصر الأمر على هاتيك المزايا وحدها، لأن صاحب المزرعة، إذا استعمل المصابيح التي تطلق أشعة ما وراء البنفسجي «وهي المعروفة غالباً باسم المصابيح الشمسية» يجني محصولاً من البيض، يفوق المألوف بمتانة قشوره، ووفرة عناصره الغذائية، وحسن طعمه، وجزالة ما يلتجه من الانتاف.

ولا عجب لأن أشعة ما وراء البنفسجي تفيد «الكتاكيت» بقدر ما تستفيد الأطفال من زيت كبد الحوت. فتصير جيدة الصحة، قوية، سريعة النمو.

ويكفي للحصول على هذه النتيجة المنشودة، إضاءة مصباح شمسي من قوة ٢٥٠ وط، ثلاث أو أربع ساعات كل يوم لعلاج مائة فروج، فلاستفيد فوائد جمة مهمة، كما تستعمل هذه المصابيح عينها في الحضانات حيث تمد الفراخ بالحرارة والأشعة المقوية التي تشبه ضوء الشمس. ولا تزيد قوة المصباح الذي يستعمل لهذا الغرض، على ٦٠ وطاً، على أن يضاء عشر ساعات يومياً لكل ١٠٠ فروج. وتبين في مزرعة من مزارع إقليمية ساسكاتشوان أن الفراريج التي عولجت بمصابيح الأشعة المشار إليها، نمت وأصبحت صالحة للبيع للمستهلك نتفي، وذلك في حقبة تقصر بأسبوعين، عن عمر غيرها من الفراخ.

كما إن البيض الذي باضته الدجاجات التي عولجت بالأشعة، صارت صالحة للفقس قبل الأصناف الأخرى التي لم تعالج بالأشعة صالحة الذكر.

وفي زويبة العجول حيث يقوم الأطباء البيطريون بعلاج الحيوانات

الطاقة الكهربية

في المزارع العصرية

للأستاذ عوض حسين مجاج

تستعمل الآن الطاقة الكهربية في المزارع الأمريكية ، لتحل محل عمال الزراعة ، أو لتخفف عنهم أعباءها فتوفر المال لصاحب المزرعة ، وتزيد ربحه منها ، كما تربحه من كثير من متاعبها . ولا غرو فكل جهاز من الأجهزة الكهربية الزراعية يشتغل ٢٤ ساعة من دون انحدات ضوضاء وبغير ملل . ولا يتطلب أجراً باهظاً .

ويؤدي الجهاز الكهربي من العمل الميكانيكي ، جانباً يعادل ما يقوم به من العمل نفسه ، أي رجل كان في ثماني ساعات . ويسمي الأمريكان هذا الأجير الجديد المعين لهم « كيلوطاً » .

وتنطلق الكيلوطات من أسلاك الطاقة الكهربية حيث تخدم أكثر من مليون مزرعة أمريكية ، فتحدث فيها « تطورات » رائعة . وحسب صاحب المزرعة توصيلها ، بمختلف الأجهزة وشتى الآلات ، فلستطيع في بضع دقائق أداء الخدمات التي كانت تستغرق عدة ساعات من العمل البشري البطيء . وقد قيل إن أغنى أرباب المزارع الأمريكيين في الحالة الراهنة هم الذين يستخدمون الكيلوطات ، في معظم أشغالهم .

ولا يخفى على كل من درس علم الكهربا أن قوتها تقاس بمقياس ، هو كيلوط الساعة . وهو وحدة قياس قوة الكهربا . وكل كيلوط ساعة يستنفده صاحب المزرعة من طريق استخدام جهاز متقن ، يرفع سبعة أطنان ونصف طن من الدريس ، من أرضه ، إلى الطبقات العليا من مخزن المحصولات الزراعية ويصفه في مخزن الدريس وذلك بمحرك متنقل يمكن حاملاً واحداً من كبس الدريس . وبهذه الطاقة عينها يتيسر خض مائة رطل انكليزي من اللبن ، أو غسل الأطباق التي تلزم لتقديم ٤٠ وجبة من وجبات الأطعمة المختلفة ، أو حلب ٣٠ بقرة . ولا تكلف الطاقة الكهربية التي يستهلكها صاحب المزرعة في أي عمل كان أكثر من بضعة قروش . وقد قل عن ذلك في بعض الجهات .

الالبزية الساخنة، ثم تعود المياه بسرعة متزايدة إلى خليج المكسيك حيث تتزود من جديد بحرارة استوائية.

ودائرة سير هذا التيار تقسه دوامة كبيرة باتساع ١٢٠٠٠ ميل، أما المياه الكائنة في وسط هذه الحركة الدائمة فانها هادئة نسبيًّا وتمتاز بما فيها من حشائش بحرية. وتروى الأساطير عنها انها مقابر البحارة إذ أن السفن الشراعية إذا ما توقفت عن السير فيها نتيجة لسكون المياه تحاصرها هذه الحشائش الزجة وتغدر بها. وفي واقع الأمر فان بحر الحشائش هذا ليس خطراً إلى هذا الحد، لأن حطام السفر التي كثيراً ما تطفو عليه انما تجذبها التيارات وتقذفها فيه فتأتي في ذيل شأن الحشائش، ولا تشهد هذه الحطام إلا من فواجع حدثت على بعد آلاف الكيلومترات من بحر الحشائش هذا ويقدر العلماء أن المدة اللازمة لتيار الخليج كي يتم دورته الكاملة هي ثلاث سنوات ولم يبتدئ آدمي على سير الزجاجات التي يقذفون بها في التيار حاملة ورقة مكتوبة بعدة لغات يطلبون فيها ممن يعثر على الزجاجة أن يدون على الورقة تاريخ العثور عليها ومكانه ثم يرسلها بالبريد — وقد سجلت ادارة البحوث البحرية الأمريكية الآف من هذه الرسائل.

والكل محيط في العالم شبكة من تيارات الدائرة الغامضة فيوجد في المحيط الهادي الشمالي تيار كوروسيفو الذي يجعل جو الاسكا وجو كاليفورنيا جوًّا معتدلاً. وإلى الآن لم يكتشف العلماء بما يعرفونه عن التيارات البحرية على انه يوجد أنصار لنظرية فرانكلن بشأن الرياح الموجهة، ومع كل فللتيارات أسباب أخرى مثل اختلافات المستوى ودرجة الحرارة والكثافة بين المحيطات وكذلك دوران الأرض.

ولا شك أن غالبية البشر انما يطلبون أن يستمر تيار الخليج وأمثاله في سيرها المفيد الأبدي الذي يساعد السفن على الوصول إلى موانئ السلامة ويلطف من حدة الرياح التي تهب على البشرية.

« مترجما من مجلة ساتكبيوننج الفرنسية »

وإذا حدث أن جاء شتاء غير قارص في نيويورك تعزي الجرائد هذا إلى أن تيار الخليج قد غيّر خط سيره وأنه ربما قد تنحرّل يوماً جزيرة لونج ايلاند الى فلوريدا أخرى عامرة بأشجار البرتقال ويقول العلماء إنه من المحتمل أن تيار الخليج لم يغير اتجاه سيره بصفة مستديمة منذ آلاف السنين ، ولو أن ذلك قد حدث فلا يؤثر بشكل محسوس على دول أمريكا الشمالية الساحلية لأن الرياح السائدة في تكييف درجة الحرارة تهب من الغرب ، ويقول الاخصائيون إنه حتى لو اقترب تيار الخليج من نيويورك لاشتد برد الشتاء لأن الضغط البارومتري المرتفع للبرودة والآتي من الغرب يتلكأ على المناطق الساحلية إذ تحجزه الجبهة الحارة الدافئة لتيار الخليج .

ويبلغ عرض تيار الخليج عندما يصل الى ساحل الأرض الجديدة ٣٠٠ ميل حيث يقابل تيار لبرادور البارد ويندمج من هذا التقابل بين المياه القطبية والمياه الاستوائية ضباب كثيف تشتهر به هذه المنطقة - وعلى أثر حادث غرق الباخرة « تيتانيك » سنة ١٩١٢ اقترح مهندس أمريكي بأن تقوم أمريكا وانجلترا باقامة حاجز بحري كبير شرق الأرض الجديدة فيحوّل سير تيار لبرادور وأضاف قائلاً إن الطمي والرواسب لا تلبث أن تكوّن على هذا الحاجز شبه جزيرة كبيرة تنقذ ساحل الأرض الجديدة من الضباب وحمال الثلج ميسرة لتيار الخليج بعد تحوره من تيار لبرادور أن يضفي على أوروبا الشمالية جوّاً كجو كاليفورنيا .

ومهما تبدو هذه الفكرة خيالية فقد أيدها كثير من عظماء المهندسين أمثال جوتال منشيء قناة بنما وعرض على الكونجرس الأمريكي مشروع قانون في هذا الصدد أهمل بعد نشوب الحرب العالمية .

*

وعلى الرغم من أن تيار الخليج يفقد شيئاً من سرعته وحرارته عند التقائه بالمضبة القطبية العظمى فانه يقاوم التيار البارد الآتي من الشمال مقاومة مدهشة ، وإذا كان تيار الشمال قويّاً يدفع تيار الخليج نحو الجنوب لمسافة كبيرة بدون أن يخترقه وحتى لو كان تيار الخليج محاطاً بجبال ثلجية،فانه يبقى كما هو يتبض بحياة بحرية استوائية لا توجد في المياه الباردة المجاورة .

وعندما يقترب تيار الخليج من أوروبا ينقسم الى فرعين أحدهما يستمر في سيره إلى الشمال حتى المحيط المتجمد الشمالي ، والآخر يتجه جنوباً ليعود فيتصل بخط سير رياح

البحري ولنعد بالتاريخ إلى سنة ١٥١٣ ، إذ دفع بونس دي ليون لما لاحظ أنه على الرغم من مساعدة الرياح القوية كانت سفينته تدفع إلى الخلف بقوة تيار مجهول ، وكان البريطانيون يتضرون من بطء وبدء المتجه غرباً إلى الولايات المتحدة قبل أن تنال هذه استقلالها ، فتدارسوا هذا الأمر مع بنيامين فرنكلن نفسه . فنظر هذا الأخير إلى الموضوع نظرة علمية وبعد أن تناقش فيه مع أحد قباطنة سفن الصيد ذوي الخبرة في شئون الملاحة البحرية استقى منه من المعلومات ما ساعده على وضع خريطة لهذا التيار وأطلق عليه الاسم المعروف به الآن .

وعلى أثر هذه الدراسة أخبر فرنكلن البريطانيين أن سفنهم سوف تقتصد أسبوعين في رحلتها من الشرق إلى الغرب إذا تجنبت التيار فلا تسير في مواجهته ، ولكن كبرياء القناطنة الانجليز حالت دون أن يعتنوا بهذه النصيحة إلا بعد زمن طويل — وفي أيامنا هذه تحول البواخر المتجهة الى أمريكا سيرها كي لا يعرقها تيار الخليج بينما تسير هذه السفن راغبة في مساعدته عن عودتها إلى أوروبا وفي وسع تيار الخليج في جنوب نيوبورك أن ينقص سرعة السفينة بمعدل ٧٠ ميلاً في اليوم .

وفضلاً عما تقدم فقد فسر فرنكلن تفسيراً معقولاً أصل هذا التيار قائلاً . إن رياح « البرم » التي تهب من قرب أفريقيا ، تجمع في هبوبها مياهاً استوائية ساخنة في خليج المكسيك فيرتفع مستوى المحيط في تلك المنطقة بضع سنتمترات : وتحت هذا الضغط المستمر الناتج من اختلاف المستوى تسعى المياه إلى مكان لتنصب فيه فتجد أمامها المنخفض الذي يفصل فلوريدا عن كوبا بعرض ٩٠ ميلاً وعمق ٦٠٠ متر وبوساطته قناة الممر تنحدر هذه المياه إلى الشمال في رحلة طولها ٥٠٠٠ ميل تؤدي بها إلى شبه جزيرة اسكندينافة .

ولا يجري تيار الخليج بسرعة موحدة تبلغ سرعته في الوسط ٥ كيلومترات في الساعة وتقل على الجانبين . وهو يبدأ سيره من فلوريدا متجهاً إلى الشمال بمحاذاة الساحل على بعد منه ، وقد تواجه باخرتك على بعد ٢٠٠ ميل من ساحل نيوبورك اعصاراً شديداً عنيفاً ، بينما ترى المحيط على بعد أزرق اللون يكسوه ضباب ثم لا تلبث حتى تشعر ان باخرتك انتقلت إلى جو الربيع إذ يبدو لك تيار الخليج الأزرق الزاهي ظاهراً بجانب لون المحيط الأخضر الداكر فتخلع معطفك بتأثير ارتفاع حرارة المياه من درجة ٥ إلى درجة ٢٥ وعندئذ تبدو اعلانات السياحة لميامك بمظهر أشد واقعية

نهر أزرق

ينساب في المحيط

للاستاذ إميل مراد

على أثر هبوط طائرة مائية من طائرات الخط نيويورك — برمودا هبوطاً اضطرارياً في ذات يوم قارص البرد من أيام شهر يناير منذ بضع سنوات، صاح أحد ركابها ممن قضوا عشر ساعات رهيبة في المحيط الاطلنطي، صاح قائلاً: «لو لم تكن المياه ساخنة لهلكنا جميعاً».

وكان لحسن حظ الركاب أن هبطت الطائرة حيث يشق تيار الخليج مجراه كنهر أزرق وأودع في مياه المحيط الخضراء الباردة، انه حقاً إحدى معجزات الطبيعة.

ومن المعلوم أن احتراق مليونين من أطنان الفحم والدقيقة الواحدة لا يكفي لانتاج الطاقة الحرارية الاجمالية التي ينقلها تيار الخليج عبر المحيط الأطلنطي وبدون هذه الطاقة الحرارية المستمدة من حرارة المناطق الاستوائية لكانت سفاعد بريطانيا الصخرة كشاهد شبه جزيرة لبرادور القاحلة والتي هي على خط العرض نفسه، ولحاصرت الثلوج موانىء بريطانيا في كل شتاء.

ولو فرضنا أن هبطت حرارة تيار الخليج ١٥ درجة فقط لتحولت مناطق شبه جزيرة اسكندیناوه وشمال فرنسا والمانيا إلى مناطق لا تصلح إلا لسكنى الاسكيمو.

وليس تيار الخليج سوى إحدى القوى الخارقة في عالمنا ويتلو منه خليج فلوريدا في المحيط الاطلنطي حوالي ١٠٠ مليار طن من الماء في الساعة ومهما تبلغ عظمة نهر المسيسبي يكون بالنسبة إلى تيار الخليج كمجرى بسيط، لا بل أن معدل تصريف مياه نهر الأمازون الضخم لا يعادل جزء من عشرين من تصريف تيار الخليج.

وانه في وسع أي ضابط بحري أن يحدد له بجلاء من قوة هذا الشريط الأزرق

في الخدمة الريفية الاجتماعية . والواقع انها اطمرة كبيرة لفتاة في الثامنة أو التاسعة والعشرين من عمرها أن تترك عائلتها وتنتقل الى القرية لتشرف على [illegible] بكثير عجزة المريض . ومن ثم تعرض عليهن بعض المرشحات الجامعيات لما يعرف بمعاهد الراهبات الاجتماعيين . فتهيأ لمن أماكن خاصة للسكنى في المبنى الرئيسي [illegible] ملاوة وبنية خاصة (وان كانت صغيرة) وتدفع لمن أجور عن العمل الاضافي [illegible] المعرضة موظفة حكومية تستحق الترقية وفقاً للقواعد الموضوعة .

والممرضة تعطي للنسوة في الريف الارشاد الذي يعطي الاخصائي الاجتماعي الزراعي مثله للرجال فالممرضة هي التي تدخل الدور وتقابل النسوة وتنصحهن في تحسين بيئتهن وعلى العناية بأطفالهن على أسس حديثة . وذلك طبقاً لبرنامج الزيارات المنزلية . يضاف إلى ذلك أن الممرضة تقوم فضلاً عن العناية بالنسوة المتعلات (بالحوامل) والاسبات والأطفال بمساعدة النسوة على تعلم أطفال الابرة وغيرها من الأعمال اليدوية التي من شأنها زيادة دخل الأسرة . كما انها تحاول اثارة اهتمام النسوة بأعمال المركز الاجتماعي وبحياة الجماعة وحملهن على جعل هذا الاهتمام عملياً ولا ريب في أن تأثير الممرضة في النسوة وفي الحياة الاجتماعية ، يتوقف على مدى نجاحها في عملها الرئيسي كممرضة وعلى ذلك ان الريفيات لا يزلن حريصات على ألا يتجاوزن نطاق المنزل ولكن ، متى اتخذت الخطوة الأولى لتلقي العون الطبي ، لم تعد الخطوة الثانية عسيرة ، أعني الذهاب إلى المركز الاجتماعي لتظفر بأنواع أخرى من المساعدة والمشورة . وان حاسة الممرضة بدورها وتفانيها في عملها ، هو الذي يقرر مدى نجاحها في مكافحة العقائد المتوارثة وكسب محبة النسوة .

ومن أهداف برنامج المراكز الاجتماعية كذلك استخدام طبيب دائم من خريجي كلية طبية معتمدة يكون على اتصال مستديم بكل مركز اجتماعي لعلاج النقص الشديد في الأطباء في مصر فضلاً عن عجز الحكومة عن ان تدفع لهم مرتبات تعوضهم عن جميع ما يحصلونه من العمل الحر في المدن أدى إلى جعل هذا الهدف بعيد المنال .

وعلى كل حيث تعذر استخدام طبيب دائم تتخذ لجنة الصحة والنظافة في المركز الاجتماعي الترتيبات اللازمة للاستعانة بخدمات طبيب محلي ليعمل بعض الوقت مقابل مرتب تدفعه اللجنة وتعززه وزارة الشؤون الاجتماعية . وهناك عدا الطبيب مساعد صيدلي متمكن يكون مسؤولاً عن اللوازم الطبية بالمركز وعن صرف الأدوية كما انه يقوم بالأعمال الكتابية للمركز الاجتماعي ويحافظ دفاتر الحسابات . [البحث بقية]

إلى الأبد عن مسقط رأسها ، راغبة في تجنب أي نزاع .

[illegible] تشجع الشباب المصريين المتعلمين على أن يعيشوا في الريف — حيث [illegible] من الريف — فقد عرضت عليهم امتيازات خاصة من نواحٍ الى تفريغ [illegible] في الريف . ومن ذلك مثلاً ان الاخصائي الزراعي الاجتماعي يمنح فضلاً عن المرتب [illegible] ف في الحكومة في درجة معينة داراً يسكنها بالمجان في المركز الاجتماعي [illegible] وظيفة خاصة له لأنه يعيش في الريف . وقد تقرر أخيراً منح مرتبات اضافية [illegible] العمل الاضافي ، لأن واجبات الاخصائي تقتضيه منوعة تكاد تحتاج الى العمل أربعاً [illegible] ساعة . أما الترفيعات التي ينالها الموظفون الحكوميون الآخرون ، فانها تصرف [illegible] على الاخصائي الاجتماعي والواقع ان ترفيعهم أصبحت سريعة الآن بسبب توسع [illegible] وزارة الداخلية ، ورغبة في زيادة اهتمام الاخصائي بعمله دائماً حتى لا يخلد رؤي [illegible] يكثر خبراء وزارة الشؤون مع زيارته . كما يدعى لحضور مؤتمرات اقليمية ووطنية حيث يتبادل الرأي والمذكرات مع زملائه من الاخصائيين . وبعد كل عامين يعود إلى مدرسة الخدمة الاجتماعية في القاهرة لدراسات اضافية .

ولكني لا ريب في أن حياة الاخصائي الزراعي الاجتماعي حياة جذابة جداً . والواقع انها قد تكون محفوفة بالخطر إذا كان من سوء حظ الشباب أن يثير عليه ثائره أحد الاشياء من أصحاب الأرض أو جماعة من الريفيين كما حدث مرة أو اثنتين .

وإذا كان الاخصائي يجد في داره الحكومية البهيجة عصمة من الاحوال الفطرية للريف المصري . إلا أن عزلته عن متع المدينة تكاد تكون عزلة تامة ولذلك فان الحاسة الملتهبة للعمل هي وحدها التي تجعل الحياة جديرة بأن يحياها . والواقع ان الحماسة للعمل والمرونة للاجادة هما أبرز المظاهر التي يتميز بها الشاب الاخصائي الزراعي الاجتماعي . يضاف إلى ذلك أن قدرة الشاب على ايصال هذه الحماسة عينها إلى الناس الذين يعمل معهم فضلاً عن الصبر والكياسة في التعامل معهم هي العوامل التي تقرر نجاح مركزه الاجتماعي أو اخفاقه .

والشخصية الثانية البارزة في المركز الاجتماعي الريفي هي الممرضة الصحية والاجتماعية ، والممرضة — على عكس الاخصائي الزراعي الاجتماعي — تأتي عادة من عائلة حضرية متوسطة الموارد ، وذلك لأن الفتيات الريفيات لا يسمح لهن عادة بالعمل .

وبعد ما تتخرج الممرضة في مستشفى القصر العيني في القاهرة ، تتلقى تدريباً خاصاً

الاجتماعي ومعروف أن من أسباب نجاح المشروع مساهمة أكبر عدد من سكان القرية باستلاكهم لبرنامج الاجتماعي كله .

ومتى تمت الموافقة على طلب انشاء المركز الاجتماعي تسلم الحكومة مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه في العام الأول ينفق منه ٦٠٠٠ جنيه على الانشاءات و٣٠٠٠ على شراء المعدات ونفقات المشروع في التنفيذ أما الباقي وقدره ألف جنيه فيكون مساعدة للجان التي تؤلف لادارة المركز

وفي الوقت عينه على أهل المنطقة في أثناء بناء منشآت المركز أن يهيئوا مقرًّا مؤقتاً حتى يتمكن الاخصائي الزراعي الاجتماعي من الشروع في العمل وفي معظم الأحوال تستخدم المباني المحلية مثل دار الجمعية التعاونية المحلية مقرًّا مؤقتاً في فترة الانشاء وقد يتبرع أحد الأثرياء بداره أو قد تستأجر الحجر الكافية .

وتجري تجارب زراعية مؤقتة في أراضي الفلاحين المختلفين وعندما يبدأ فعلاً أعمال الانشاء في المركز يتبرع أهل القرية بالأيدي العاملة فضلا عما تبرعوا به من المال في أول الأمر.

﴿ موظفو المركز الاجتماعي الريفي ﴾ عندما تقرر وزارة الشؤون الاجتماعية انشاء مركز اجتماعي ريفي تختار الوزارة شابًّا ليكون اخصائيًّا زراعيًّا اجتماعيًّا ، وشابة لتعمل في التمريض . وحيث أن نجاح المركز يتوقف الى حد كبير على هذين الشابين فان لاختيارهما وتدريبهما شأناً كبيراً .

ولا بدَّ لاختيار الاخصائي الزراعي الاجتماعي من أن يكون متخرجاً في احدى كليات الزراعة . ويتقدم طلباً للالتحاق بمدرسة الخدمة الاجتماعية في القاهرة ويكون اختياره في المدرسة خاضعاً لتقدير لجنة خاصة تتألف من مربٍّ وعالم نفسي ومصلح اجتماعي ترفده وزارة الشؤون الاجتماعية، والاختبار يكون على أساس شخصية الشاب وكفاءته .

ويدخل الشاب مدرسة الخدمة الاجتماعية في القاهرة — وهي مدرسة داخلية تتعاون مع الحكومة — ليقضي أربعة أشهر في التخصص والتدريب وينفق في الوقت عينه تدريباً عمليًّا في مركز من المراكز الاجتماعية المنشأة فعلاً. وبعد قراءته في هذا المنهاج المختصر يوفد الى حيث يتولى انشاء المركز الاجتماعي في احدى المناطق التي تكون قد اختيرت .

والاخصائي الزراعي يبلغ من العمر في العادة واحداً وعشرين عاماً أو اثنين وعشرين ، ويكون منحدراً من أسرة ريفية فان مواردها متوسطة أو فقيرة ، ويكون الشاب في التدريبة التي يلتحق إليها الآن يكون في غربة عما يحيط به من المناظر

المراكز الاجتماعية

الريفية في مصر

بحث للسيدة بياتريس مانيسن

— ٢ —

للأستاذ وديع فلسطين

والواقع أن وزارة الشؤون الاجتماعية تلقت في بضع السنين الأخيرة طلبات لانشاء مراكز اجتماعية أكثر مما تستطيع مجابهته . وهذه الطلبات ترد في الأغلب من جماعات قريبة من مناطق أنشئت فيها فعلاً مراكز اجتماعية .

﴿ انشاء المركز ﴾ والخطوات اللازمة لانشاء مركز اجتماعي ريفي سهلة واضحة.

فاذا أرادت جماعة انشاء مركز من هذا النوع أرسلت طلباً الى وزارة الشؤون الاجتماعية وعند مراجعة هذا الطلب تدخل الوزارة في حسابها الاعتبارات التالية :

أولاً — هل هناك جمعية تعاونية زراعية في هذه المنطقة . ثانياً — هل هناك مشاحنات خطيرة بين العائلات من شأنها اعتراض سبيل انشاء هذا المركز بنجاح . ثالثاً — هل هناك فروق في توزيع الثروة وملكية الأراضي في هذه المنطقة من شأنها أن تجعل واحداً أو اثنين من سراة ملاك الأراضي يهيمنان على المركز الاجتماعي ويحرمانه من أن يقوم بعمله كمنشأة ديمقراطية .

وحيث أن مبدأ اشتراك الجماعة على أوسع نطاق هو مبدأ أساسي في البرنامج كله فان كل جماعة ترغب في انشاء مركز اجتماعي عليها أن تقدم فدانين من الأرض لانشاء مبان دائمة عليها مع ترك مساحة أخرى لغير بناء وتدفع ١٥٠٠ جنيه مصري لتغطية نفقات المشروع في انشاء المباني وادارة المركز أما الاكتتابات لجمع المال فتكون أحياناً أما بنسبة القدرة المالية للسكان واما بالنسبة لما يملكه كل منهم من الفدادين .

ويحدث أحياناً أن تقرض الجمعيات التعاونية جزءاً كبيراً من هذا المبلغ وبين وقت وآخر يتبرع أحد ملاك الأراضي بالجزء الأكبر من مبلغ ١٥٠٠ جنيه ولكن جرى العرف على اجتناب هذه التبرعات الكبيرة حتى لا تقل اكتتابات الفلاحين في المركز

حالاً من الحمام الساخن عندما تشعر باحمرار وجه وحرارة قوية ودوار وخفقان .

﴿ فعل الحمام الساخن ﴾ الماء الساخن يسبب تمدد الأوعية السطحية فتمتلىء بالدم ويحمر الجلد وتزداد ضربات القلب إلاّ أن الضغط الدموي يقل ويعقبه ارتفاع حرارة الجسم وانتفاش الأعضاء الداخلية وتتضاعف عملية الافراز في الغدد المختلفة فيكثر العرق وإدرار البول وبذلك تقل السموم والأملاح المتراكمة ويكتسب الجسم نشاطاً في أول الحمام ثم يتحول ذلك إلى تراخ وخمول والحمام الساخن يفيد في تسكين الأعصاب المتهيجة ويزيل الألم والتعب ويجلب النعاس ، ويقل عادة وزن الجسم نحو ٢٠ أوقية عقب الحمام.

﴿ الحمام البخاري ﴾ وهو الحمام الشرقي المعروف ، أفضل من الحمام الساخن لأن المستحم فيه لا يخسر من العرق بمقدار ما يخسره ذاك . وهو يكاد يكون دواء للزكام والتهاب الشعب والتهاب الرئتين وضيق التنفس والسعال والسمن المفرط والروماتزم والأمراض الجلدية ، كما إنه مفيد في تسكين الآلام الناتجة من الرمل أو الحصى ، كما أنه جالب للنوم ومسكن الاضطرابات العقلية والهستيريا ومفيد في أمراض النساء التناسلية . ولكنه يضر المصابين بتصلب الشرايين والربو والذبحة الصدرية وأمراض القلب .

والغرض من الحمام البخاري هو تفتيح مسام الجلد وتعريقه فان العرق الكثير الذي يخرج منه يأخذ معه كثيراً من الفضلات المتراكمة في الجسم .

وإذا زادت درجة حرارة الماء من ٤٠ إلى ٤٥ درجة سنتغراد سببت صداعاً في الرأس وخفقاناً بالقلب وضيق تنفس وانحطاطاً عاماً ولذلك يمتنع الاستحمام بالدرجة المذكورة . إلاّ إذا أريد منه الاستشفاء من علة عضالة .

ولم تظهر حمامات البخار في باريس إلاّ في أوائل القرن الثاني عشر عندما رجع بعض الصليبيين من سوريا وجلبوا هذه العادة معهم ، فشاعت شيوعاً عظيماً حتى أنه كان في المدينة سنة ١٢٩٢ ـ ٢٥ حماماً تامة الاستعداد. ولم يكن يسمح للنساء العموميات بدخول هذه الحمامات التي كانت تفتح أبوابها نهاراً وتغلق ليلاً وكان الاقبال عليها عظيماً .

﴿ حمام الحوض أو المغطس ﴾ : يفيد كثيراً إذا كانت المياه ساخنة في ازالة التعب وفي تسكين ألم المغص الكلوي والصفراوي والمعوي .

[للبحث بقية]

ويحافظ على مرونتها وقدرتها على الانبساط والانقباض بسرعة ، وذلك مما يساعد على تكييف درجة حرارة الجسم ويعصمها من التأثر بالتغيرات الجوية المحيطة به ، وينشط الدورة الدموية ولاسيما للذين أعمالهم البدنية قليلة .

على أن الاختراعات الحديثة لم تترك للناس تعليلاً معقولاً لعدم الاستحمام بالماء الساخن يومياً وفي كل مناسبة، وما رخص أجهزة التسخين والوقود إلا دليل على ضرورة الافادة من الحمام الساخن يومياً وباحيذا لو اتفق أفراد العائلة الواحدة على وقت للانتفاع بالسخان دون حاجة إلى انفراد كل شخص بوقت معين وذلك من باب الاقتصاد .

وبما أن جهل قواعد الاستحمام يسبب أضراراً كثيرة كالموت الفجائي والدوار والنزلات والالتهابات وأمراضاً عصبية متنوعة وأمراضاً قلبية وآلاماً مفصلية وغيرها . فيحسن أن نذكر هنا قواعد الاستحمام لتبين فوائده ونتجنب أضراره .

﴿ ماء الاستحمام ﴾ ينظر إليه من ثلاثة أوجه .

أولاً : انه عنصر غريب يلامس الجلد فيحمله على فقداد الموازنة بين وظيفتيه الاقتصادية والافرازية .

ثانياً : إن الماء من حيث الحرارة ينظر إليه من وجهين — الأول ما كان منه فوق درجة الموازنة ويسمونه الحمام الساخن . والثاني ما كان تحت درجة الموازنة ويسمونه الحمام البارد .

ثالثاً : إن الضغط الواقع على الجسم المنغمس في الماء أعظم من الضغط عليه وهو خارج الماء ، والسبب في ذلك ان الضغط خارج الماء انما يكون من الهواء ، واما تحت الماء فيكون من الهواء والماء معاً .

﴿ الحمام الساخن ﴾ يختلف تأثير الحمام في الجسم باختلاف حرارة الماء ، بنوع انه كلما زادت حرارة الماء سخن الجلد بالنسبة وارتفعت حرارة الجسد عموماً . فالماء الذي درجة حرارته بين ٣٢ و ٤٠ درجة سنتغراد يستعمل غالباً في فصل الشتاء ويراد به تنشيط الجلد وتدفئة البدن ، والوقت الأصلح له في الماء قبل النوم فينظف الجلد حينئذ بالليفة والصابون . ويستحسن أن ينتهي بغسل البدن بإسفنجة مبللة بماء بارد وفركه وتنشيفه جيداً ، وفائدة الماء البارد تقليص مسام الجلد بعد تمتعها بالماء الساخن .

ومدة الاستحمام بالماء الساخن تتفاوت من ٥ — ١٥ دقيقة لا غير ويلزم الخروج

ومقاعد رخامية على جانبين لجلوس المستحمين ، بينما انتشرت في الجوانب مقاصير صغيرة للاستحمام الخاصة بأجور أكبر ، وبه مغاطس من المرمر مزودة بالماء الحار يستعملها رواد الحمام بعد الاستحمة وأخرى على سبيل التطبيب واخراج الرطوبة والأمراض من الجلد.

وفي أبهاء الحمام الواسعة ومقاصيره المتعددة الموضوعة في جميع سقوفها قمرات زجاجية لادخال الضوء ينتشر بخار حار يذيب جميع ما علق بالأبدان من عرق ونحوه .

وقد يكون من الطريف أن نذكر أن تلك الحمامات المزودة بالماء الساخن والدافئ والبارد كان يجري فيها هذا الماء في أنابيب خاصة استعملها المصريون في العهد الفاطمي بمصر، ويكاد ما يتبقى إلى اليوم بالقاهرة من حمامات يكون نماذج متواضعة جداً تشبه إلى حد قريب هندسة حمامات العصر الفاطمي وإن خلت من مظاهر العظمة والترف . وظل الحمام محتفظاً بأهميته في بلادنا إلى عهد قريب ، فكان مقصد الناس من أغنياء وفقراء ولم يفضل نصيب المرأة فيه ، تخصص للنساء يوم في كل أسبوع واعتبر هذا اليوم عنواناً لكل حمام .

﴿لماذا يستحم الانسان﴾ يعلم لدى البحث إن وجود البشر في البلاد الحارة كان من جملة البواعث التي حفزهم على اتخاذ الاستحمام عادة (١) لبقاء الجنس وحفظ النوع لما في هاتيك البلاد من الحر الذي يزيد إفراز العرق من البدن ولوجوب تنظيف البدن مما يتراكم عليه من الأوساخ عقب ذلك الافراز ، لذلك وجب الاستحمام من حين لآخر لازالتها حتى لا تعوق البشرة عن تأدية وظائفها تأدية صحيحة كاملة (٢) للاستشفاء من علل كثيرة ودره أخطار الأمراض المتعددة التي تأتي من طريق الجلد من الأوساخ والادواء التي تتعرض لها بلمس الأجسام الجامدة والسائلة (٣) لنزع ما تجمد على الجسد من القشور الجلدية والأملاح التي أفرزها العرق من الغبار والأجسام التي في الهواء

﴿فعل الاستحمام في الجسم﴾ يشعر الانسان عند الاستحمام بقطع صغيرة يلمسها بيده هي من مستهلكات الجلد ورماد ودهن وعرق يسد بقاؤها الملايين من المسام وهذه القطع الصغيرة تزول بالاستحمام بالماء الساخن والصابون . ومن الناس من اعتاد الاستحمام بالماء البارد وهذا لا يحل محل الاستحمام بالماء الساخن والصابون فهو مهم ولو مرة كل اسبوع شتاء ومرتين صيفاً . والاستحمام ضروري لا كمالي ويتخذه كثير من الأطباء مذهباً يتصلونه في كل الأمراض والعلل . وله فائدة مهمة هي المساعدة على تنظيم درجة حرارة الجسم الطبيعية . كما إنه يحافظ على أوهية البشرة والجلد في حالة صحية

الاستحمام بالماء

انواعه — فوائده — أضراره

للأستاذ أمين سويدي

﴿نبذة عن الحمامات﴾ أنفأ الناس الحمامات من قديم الزمان فتفنن اليونان والرومان فيها وبلغوا من اتقانها حداً لم يصل إليه أبناء هذا العصر . فقد قام شيشرون وبليني وغيرهما واصطنعوا الحمامات الخاصة بالعائلات، وقام بعدهم ماسيني وباشر بناء الحمامات العمومية ونهج منهجه كثيرون بعده فاكثروا منها وبالغوا في اتقانها وجعلوا فيها من الزينة والزخرف والنقش ما يبهر الأنظار . وجرى العرب مجراهم لما فتحوا بلاد الروم وبدأت العناية بالحمامات في عهد الأمويين فكانت حماماتهم في مدن الشام من أعظم مبانيها وأجلها.

وأجمع الذين زاروا البلدان الشرقية على تفضيل حمامات دمشق على غيرها لما فيها من الاتقان والنظام والهندسة .

وهذه الحمامات كثيرة ومتفرقة في أنحاء المدينة ، أشهرها حمام الخياطين وحمام القيشاني وجدرانه مفضضة بالقيشاني وحمام النوفرة وحمام الملك وهو أتقن الحمامات وأجلها وحمام الناصري في الشاغور وحمام البكري وحمام القيمرية وحمام الشيخ اوسلان وغيرها .

وكان عصر الفاطميين في مصر برغم ما كان بينهم وبين أهلها من فوارق مذهبية ، عصر نهضة شملت جميع نواحيها . فالقوة واتساع النفوذ وتكدس أموال الخراج كلها دلائل على ما عرف عنهم من ترف وبذخ واسراف في التجمل والزينة ومظاهر العظمة .

ولعل من أهم ما عنى به المصريون في هذا السبيل أثناء الحكم الفاطمي تلك الحمامات التي تفننوا في بنائها وتنسيقها فبلغت شأواً كبيراً لم يخفضه سوى الحاكم بأمر الله (٩٩٦ — ١٠٢١ م) الذي أوصد أبواب أكثرها ومنع النساء من غشيانها .

وكانت الحمامات في ذلك العصر تبنى من الرخام والمرمر ويجعل في أولها دهليز قصير يفضي إلى ايوان، الذي يوصل إلى ساحة الحمام الواسعة يتوسطها حوض كبير مملوء بالماء

. . وهو في كل ذلك رقيق رفيق ، كما تزجر الأم وليدها ، إذا لعبت بفكره الصغير أهواء العبث ، وجنوحها يطامن ثورتها ، وحنانها يسبق صوتها !

وعلى قيثار الربيع الخالد رددت أغنية الصبا ، رواية بالغة الأطراب ، رقاعة الصدى ، معطرة الأطياف .

فانبعثت من لهاتك نغماً ملائكيًّا ، طاهر المقاطع ، مطيب الروي ، وجعته ضفاف الوادي أصداء حلوة فتية ، وتدفقته روابيه مع طيوب الزهر ، وانغلست به خمائله مع قطرات الندى ، ورقصت على أناسيه الشفقية الحالمة مع مواكب الرخاء ، وأسراب الطيور.

وعلى الضفاف الخضر الغيناء رتعت ، وفي أماسيها القمرية الحالمة ياطالما تراكضت وراء ظلك المسرع في الاختفاء سلك . .

. . تجد في اللحاق به وهمن في الهرب ، وتظل تركض وتركض ، لا أنت ظافر به ، ولا هو مختف من بين يديك . .

. . حتى يصيبك الهبر ، ويدركك الأعياء ، فتستلقي ، متلاحق الزفير ، متصبب العرق ولكنك لا تكف ، ولا تستسلم ! !

ألا تذكر ياقلبي ؟ ابلك ذاكر فنادم . .

. . حين خانتك الأقدار في غيبة الربيع ، فسلبتك بهجتك ، واغتصبت سرورك ، وحطمت كؤوسك ، وبددت سامرك . .

فما عاد الربيع إلا وأنت حزين .

يداعبك فلا تبسم ، ويعابثك فلا تمرح ، ويستجلب دواعي سرورك ، فلا تبتهج !

ثم يلبث شجوك أنيناً خافتاً . خافتاً كأنه آت من أعماق الزمن !

وأنكرك الربيع ، فما عهدك ضجراً ولا متبرماً ولا حزيناً !

لكنه كاد لك خفيًّا ، فحشد جنوده ، وأحذ زينته ، وزخرف لك ما بين أرضه وسمائه ، وزفك في عرس ملائكي تغرد لك الطيور ، ويطن في مسامعك النحل. ويتضرع من حولك الهبير ، وتحف بك الورود والرياحين ويهتف بك الربيع

بنفسي أنت أيها القلب الشاب . .

لو طابت لك الحياة . لملأت الكون بهجة وسروراً !

ولو اسعدتك الاقدار . لاسمعت الحياة من أغاريد المجد وأناشيد الخلود !

صفراء ذاوية ذابلة محترقة ، تخيمت عليها الحياة خطوطاً مضطربة من الألم والتعاسة والشقاء؟

•

سأغني . . ولكن لنفسي ! !

اغنيات صامتة حزينة ، لا يسمعها الا قلبي ، فيرقص عليها رقصات الفناء !

وسأمرح . . ولكن مرح الهموم ، يهذي من طول ما استبد به الألم !

سأغني لك يا قلبي . . فاستمع اليّ . . وتخفف من آلام الحياة . .

واستقبل النهاية شجاعاً صابراً مرحاً !

ألا تسمع الى هذا اللحن الحنائي الرائع ؟

إنه لحن موقع على أشعة الشمس ، المشدودة على قيثارة النهار . .

وقد طيبته عطور الربيع المنتشرة حول مهدك المفزع بالرحيل . .

ولوّنته حمرة الشفق الباكي ، المصبغ بدم النهار الصريع على مسرح الغروب . .

وتوّجته الأزاهير المنجمعة باقات باقات ، أو المتناثرة دراري دراري في إكليل يانع بديع.

وكذلك يحشد لك الربيع جنوده ، ليزفك الى الأبدية يا قلبي . .

وإلاّ فمن يحتفي بتشييعك غير الربيع ؟ !

•

إن له عندك تراث وذكريات يا قلبي . . ألا تذكر — في الان الصبا — كيف أشقيته؟

أنسيت أيام تنبعث بين خمائله الفينانة . . تقطف زهوره ، وتفزع طيوره ، وتملأ رياضه صخباً ، وتضج بالضحك بين مغانيه الساكنة الوادعة ؟

أنسيت أنك شغلت أيامه بالحركة والضجيج . ولياليه بالأحلام والتهاويل؟

أنسيت أنك اقتحمت عليه جلاله ، وتطاولت على جبروته . أيام تلثم ذرا أشجاره العالية ، وتطأ براعمها السامية ، وهي ذخائر الحياة والجمال التي أودعها لدى الطبيعة . . أيام تلهو بأعشاش الطيور ، وهي المهاد التي بناها ، ليستقبل فيها الحب الوفي والوداد الصافي ، فينسج في ظلالها خيوط الحياة ، ويضفي عليها سمات الخلود ؟

أتدري كيف كنت تهدم ما يبنى وتحطم ما يشيد ، فلا يزيد على أن يهلك الدم الفائر الغزير ، ويضاعف من دقاتك ، فتسرع الرئتان لتسعفاك بأنسامه العطرة العليلة ، فتنشرح الوجنتان ، ويعطبغ الوجه بدمك الغض الفائر ؟

اصداء الربيع !

للأستاذ رضوان ابراهيم مصطفى

بنفسي أنت أيها الربيع ..

لو أن بين ضلوعي قلباً يخفق ..

.. إذن لملأت الأرض أفراحاً ، وأضفيت على الكون من حبي نضرة أبدية ، وعطراً خالداً .

لو كان لي جناح يصفق ..

... لملأت الروض مرحاً ، والأفق اختيالاً

لو أن في لحاني أوتاراً تهتز لأخيلة السعادة ..

... لأشبعت الجو غناء عذباً وتغريداً علوياً رائعاً

لو كان بين جنبي نفس تتردد ..

. لأفعمت دنياي بالحرارة والضياء ، والأمل والرجاء

ولو كان لي على ضفاف الزمان حبيب ..

.. لامتلأت ايامك بالعطر والنغم ، ولياليك بالسرور والبهجة .

لكنني صحوت من احلامك الوردية على قسمة الحياة تهصر قلبي كمثل طائر وديع يتنفض تحت حزات الشفرة !!

وهيض جناحي ، فأصبح يسف ولا يحلق .

واحتبس لساني ، فاتت على شفتي أغاني السعادة !!

فماذا تبتغي مني أيها الربيع ؟

ماذا تبتغي من حطام قلب طوّحت به رياح الخريف في أودية النسيان ، فسقط ورقة

وتمشي كما يمشي « المسيحُ » مباركاً وتسعى كما يسعى «الأمينُ» إذا لبّى
قداسةُ روحٍ في طهارة هيكلٍ ، وعفةُ قولٍ ليس تنهج العيبا
عليها الدموع الغُرّ تسكب فيضها بمقدار ما فاض الحنانُ لنا سكبا

✲

ضجيعةَ أرضٍ لم تمسّ ترابَها خُطا قدميها طفلةً تنشد اللعبا
وثانيةً عن أرضها اتخذت لها من النيل ريّا طاب في فمها شربا
وجامعةً بالحب والسلم والهدى ـ متلّثةً ـ شرقَ البسيطة والغربا
أحاطتكِ في الأرض الغريبة طاقةٌ من الحب أغنت عن حنان ذوي القربى
لقد عشتِ رمزاً للأمومة رائعاً كأكرم من زكّى النفوس ومَن ربّى
مضيت مُضيءُ الفجر في غير ضجّة كما عشتِ ، لا زهواً مشيتِ ولا عُجبا
مضيتِ ونور الذكر حولك هالةٌ وغبتِ في أفقِ الصباح لنا السحبا
لقد كان خطباً لاحقاً بسوابقٍ ، ولا صبرَ عندي يلحق الخطبَ والخطبا
عليك سلام الله في جبرة الألى أحاط بهم رضوانه أكرمَ الصُقبى !

✲

أحبّايَ في ركن من الخلد هادىء نعمتم به لُقيا ، وطبتم به قُربا
هنيئاً لكم هذا النعيم ، فانتا لنجرعُ من كأس الشقاوة ما يُؤبى!
يؤرّقنا ليلٌ من الحزن غامضٌ ويفزعنا نورُ الصباح إذا دبا
تركتم لنا هذا الفراغَ محيّراً برهبته القلبَ المحطّم والنُهبا
يضيق بنا الكونُ العريض كأننا نعالج ضيق القبر لا العالمَ الرحبا
ومن يفقدِ الأحبابَ يفقد عزاءهُ وأيُّ عزاء للذي افتقدَ الحبّا !

٨ إبريل سنة ١٩٥٢

رثاء حليم

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

(بلغ الشاعر منذ أشهر نبأ الرحمة والدته
وفي الشهر الماضي توفيت السيدة حماته وكانت أماً
ثانية له فصور في هذه المرثية هذه النجيعة)

أعزّاءنا . . . ! ما للرحيل بكم حبّا ... أرى كلّ يوم في وداعكمُ كربا !
سمت بكمُ الحدباء ، لا الموت راحمٌ ... أساءَ ، ولا رقّت لدمعيَ الحدبا
يفارقني فيكم ظلالٌ رحيمةٌ ... وغيثٌ حنان يُخضب المحلَ والجدبا
أرى الركب يتلو نائيَ الركبِ مسرعاً ... وفلذات قلبي بالأسى تتبع الركبا
وأنظر للقبر الرهيب مغيّباً ... وجوهاً عزيزٌ أن تغيب وأن تُخبا
وأدفن في هذا التراب أحبّتي ... وأرجع لا ألقى حناناً ولا حبّا . . . !

*

وزهرةُ خيرٍ من « يسوع » تنقّلتْ ... الى روضة يُزكي « محمّدُها » التُّربا
زكت عنصريّ بِرٍّ وعدلٍ ورحمةٍ ... فأرضت بذاك النفسَ والخَلْقَ والربّا
صفا قلبها لله حتى كأنما ... نما جسمُها والسنُّ ما مسّت القلبا
خلا قلبها من غيم كل ضغينة ... فما شوهدت يوماً لحادثة غضبى
وتصفح عن زلّات مَنْ ساء فعله ... ولا لومَ تلقيه عليه ولا عتبا
تفيض على الناس المحبةَ جدولاً ... رقيقَ الحواشي ، سلسلاً ، سائغاً ، عذبا
وتخفض للناس الجناح ، وتبتغي ... لكلٍّ من الخير المؤمّل ما حبّا
وتزهدها في يد الناس عفةً ... وتنزل عما يحرص الشحُّ ، من عُتْبى
تداوي جراحات الورى بحنانها ... وتطوي جراحاً ما عرفنَ لها طبّا

كما اجتاحها وباء التيفوس الذي قضى على حوالي ٤٠ ر ٠٠٠ ، والحمى المخية الشوكية، وفي الأمراض الوافدة تساوم وزارة الصحة إلى القضاء عليها وقد نجحت في جميع الحالات . والأمراض الوافدة تتوقف على الحجر الصحي ودقته وهي تكثر في أوقات الحروب لضعف هذه الرقابة

٨ — ﴿ الأمراض السرية ﴾ وقد تفشت في مصر في السنوات الأخيرة والفضل في ذلك يرجع لمركبات السلفا والبنسلين .

٩ — ﴿ أمراض العيون ﴾ : وقد قلت في مصر في السنوات الأخيرة بعد أن كانت واسعة الانتشار وكثيراً ما كانت تسبب العمى وأشهرها التراكوما وتعالج بالسلفا وأوريومايسين .

١٠ — ﴿ الدرن الرئوي ﴾ : وهو واسع الانتشار في القطر المصري وأني أخذ رأي سعادة الدكتور أحمد الحلواني مدير معهد الأبحاث في أن المشكلة تتلخص في أن الحكومة لا يمكن أن تنشئ العدد الكافي من الأسرة لجميع المصدورين وحلها يتوقف على ايجاد عقار يعطى للمرضى في العيادة الخارجية وكان عقار الكونتين هو العقار المثالي لو كان ينفع في حالات الدرن الرئوي مثل نجاحه في علاج الدرن غير الرئوي أما تطعيم B. C. G. فقائدته في مصر لم تعرف بعد على وجه الدقة .

١١ — ﴿ الجذام ﴾ : عدد المجذومين ليس كبيراً ومعاربته منتظمة في مصر وكانت له مستعمرة في عهد رمسيس الثاني وربما وصل الجزام لمصر عن طريق الاحباش حيث تعتبر الحبشة موطن الجزام ويقدر عدد المجذومين في مصر بحوالي ٣٠ ر ٠٠٠ شخص وتوجد مستعمرة الجزام في الخانكة وهي مستعمرة مثالية ولها مصادرها الخاصة للكهرباء والماء ويعكس المرضى العمل في الزراعة ولا يوجد سياج يفصلهم عن العالم الخارجي ومع ذلك فان أحداً منهم لم يفكر في الهرب في يوم من الأيام وعلاجه الحديث هو السلفون والكونتين .

١٢ — ﴿ داء الكلب ﴾ : يعض سنويًا حوالي ١٠ ر ٠٠٠ نسمة بوساطة الكلاب والقطط والجمال والحمير وخلافها وعدد كلاب الضوارع كثيرة حيث لا تقتل الكلاب المجروحة والمريضة بل تطرد خارج المنزل وأي انسان يعضه يجب أن يسارع بالذهاب إلى القاهرة أو الاسكندرية معجلاً من الطبيب أو عجلاً بوساطة البوليس الى مستشفيات الكلب ويلاحظ راحة المرضى أثناء العلاج وغذاءهم جيداً وان الحقن شديدة المفعول ودور الحضانة في المرض من أسبوعين إلى ستة أشهر وتكثر الحالات في الشتاء ويستمر العلاج ٢٠ يوماً وبالرغم من العلاج تحصل الوفاة في قليل من الحالات من ١ — ٢ ٪ .

٩٠ ٪ من سكان بعض المناطق حيث لا يهتم الأهالي بالصحة العامة وبنسبة ٦٠ ٪ في بعض القرى الأخرى. وهي تقل كلما ارتفع المستوى الصحي بين السكان ومعظم مرضى الأميبيا يعانون الدور المزمن. ومن المؤسف له عدم وجود عقار حتى الآن يعطى نسبة شفاء ١٠٠ ٪ بالرغم مما قيل عن الأدوية المختلفة ومن العجيب أنه يوجد عدد من سكان أوربا يحملون الأكياس الأميبية بدون أن يعانوا المرض نفسه ويعلل بعضهم ذلك بسبب الغذاء الاوربي الذي يختلف عن الغذاء في مصر. ويوجد نوع آخر من الدوزنتاريا في مصر وهو منتشر أيضاً ويسمى الدوزنتاريا الباسيلية ويشخص بوساطة زرع البراز

٤ — ﴿داء الفيل﴾ : وفي هذا المرض الغريب حيث تتضخم الأطراف لدرجة كبيرة حتى تكاد أن تشبه رجل الفيل في ضخامتها وهو منتشر في مصر ولكنه يذكر في بعض المناطق كرشيد وكفر غطاطي. القرين ويتسبب المرض عن الدغة ناموسة الكيولكس الواسعة الانتشار في مصر ولكن من النوع الذي يعيش في مياه الآبار داخل المنازل وهذا المرض آخذ في النقصان. ففي دمياط مثلاً كان المرض منتشراً. لكنه قل بعد إدخال مياه النيل إليها وقد وجد عقار جديد يقتل الفيلاريا في الدم وهو المترزان.

٥ — ﴿الملاريا﴾ : وهي أهم أمراض البلاد الحارة ولكنها لا تحتل المكان الأول من الأهمية في مصر لانتشار البلهارسيا والعائل الوسيط للمرض هو الناموس من نوع الأنوفيل الفرعوني الذي يكثر في زراعة الأرز والذي يتغذى على دم الحيوانات وحيث لا يتيسر له ذلك يتغذى على دم الانسان وكانت الكينا هي العقار الوحيد للملاريا ثم ظهر بعدها الأتبرين ثم ظهر حديثاً الأرالين والريوكين والبالودرين وغيرها ولم تظهر نتائج حاسمة من رش عقار الـ د . د . ت لتقل يرقات الناموس لأن السائلات الغزيرة التي تنمو في مجاري المياه تمنع وصوله إلى اليرقات أما مسألة رش الـ د . د . ت من الطائرات فمن المرجح أن تكون عديمة الفائدة على الاطلاق.

٦ — ﴿القرحة الشرقية﴾ : والعائل الوسيط فيها هي ذبابة الرمل وهي موجودة في مصر في مديرية الشرقية وتظهر القرحة على الوجه أو الذراع أو الرجل أي الأجزاء العارية من الجسم عند النوم وقد تلتئم القرحة بنسيج ليفي ينشأ عنه تشوه في الشكل

٧ — ﴿الأمراض الوافدة﴾ : ومصر معرّضة للأمراض الوافدة فقد اجتاحتها الكوليرا وكلفت مصر من الأموال حوالي مليون من الجنيهات فضلاً عن الأنفس قد وصلت إليها عن طريق الهند. واجتاح صعيد مصر وباء الجاميبا الذي أتى من الجنوب

وهما يختلفان أيضاً من حيث توزيعهما في المملكة المصرية ففي شمال الدلتا تصيب البلهارسيا المانسوني حوالي ٦٠ ٪ من السكان وتمس النسبة تقريباً تسببها البلهارسيا الهياتوبيوم وكثيراً جداً من المرضى مصابين بالنوعين معاً وفي جنوب الدلتا تصيب بلهارسيا المانسوني حوالي ٦ ٪ . من السكان بينما تصيب الهياتوبيوم حوالي ٦٠ ٪

وفي الصعيد من القاهرة جنوباً لا توجد غير البلهارسيا الهياتوبيوم أما عن شدة المرض فهي في الدلتا أشد وتسبب الوفيات والمضاعفات أكثر من الصعيد . ومن العجيب أن للقاهرة هي الحد الفاصل الفجائي لانتشار البلهارسيا الهياتوبيوم والبلهارسيا المانسوني والسبب في ذلك أن القوقع المسمى بلانوربس وهو العائل الوسيط للبلهارسيا المانسوني يعيش في مياه الدلتا وقوقع البوليبس العائل الوسيط للبلهارسيا الهياتوبيوم يعيش في الدلتا كما يعيش في الصعيد والسبب في ذلك غير معروف حتى الآن .

٢ ﴿ الانكلستوما ﴾ وتصيب حوالي ٥ — ٦ ملايين من السكان وقد وجدت مؤسسة روكفلر في بحوثها في مصر ما بين سنة ١٩١٣ و ١٩١٥ أن الانكلستوما واسعة الانتشار في جميع القطر المصري فنسبها في مديرية الشرقية ٥٥ ٪ وفي أسيوط ٨ ر ٤٥ ٪ ومن الغريب أن نسبتها تزيد في نزلاء السجون فهي في نزلاء سجن أسيوط المصري ١ ر ٧٣ ٪ وفي نزلاء سجن الشرقية ٥ ر ٧٤ ٪ كما وجدوا أن النسبة في المدن الكبيرة أقل كثيراً من القرى الصغيرة وذلك لسبب بسيط هي وجود المراحيض في المدن وليس الأحذية وهما يقللان نسبة الاصابة بالانكلستوما الى درجة كبيرة .

والانكلستوما تسبب في المصاب الأنيميا بجميع أعراضها المختلفة وقد يصل هيموجلوبين الدم الى ٢٠ ٪ من نسبته الأصلية .

﴿ الاسكارس ﴾ وقد وصلت اصابتها في بعض المدن إلى ٩٠ ٪ من عدد السكان وتصل إلى الجسم عن طريق أكل بويضات الاسكارس الموجودة على الخضروات التي لم تغسل غسلاً جيداً وهي واسعة الانتشار في المدن الكبيرة .

﴿ الدودة الشريطية ﴾ : وهي منتشرة في مصر أيضاً حتى في الأطفال وهي من النوع المسمى تينيا ساجينا ويبلغ طولها في الأحياء عدة أمتار وهي تتسبب من أكل لحم البقر وهي أكثر انتشار من الدودة الشريطية المعروفة بالتينياسوليوم التي تتسبب عن أكل لحم الخنزير .

٣ — ﴿ الدورنتاريا الأميبية ﴾ : وهي واسعة الانتشار في القطر المصري ويقدر المصابون بها حوالي مليونين من السكان اذ لم يكن أكثر وقد وجدت الأميبا في حوالي

انتشار الامراض

في مصر

للدكتور محمد داود

نعرض في هذه المقالة القصيرة لملخص اجمالي لأشد الأمراض فتكاً بالشعب المصري . وبعضها أمراض قد لاتؤدي الى الوفاة العاجلة ولكنها خطر يهدد الصحة العامة والاقتصاد القومي ويؤثر على سعادة الأسرة فان الفرد المريض عضو لا يؤدي وظيفته كاملة في المجتمع نحو أسرته وأبناء قومه وهو في الغالب عالة على سواه لأن المرض يضعف قواه فلا يستطيع الظفر بمطالبه فضلاً عن مطالب أسرته ومن أسمى الواجبات أن يكافح هذه الأمراض حتى نظفر بأفراد أقوياء يعاونونا على تحمل أعباء الحياة وفي الوقت نفسه لا يكونوا خطراً يهدد صحتنا بانتقال أمراضهم إلينا .

١ — «البلهارسيا» : وسأبدأ بذكر مرض البلهارسيا الذي صاحب المصريين منذ أقدم العصور فقد اكتشفت بويضاتها في مومياء الفراعنة . ورغم مرور الزمن فان المرض زاد واستفحل في نصف القرن الأخير نظراً لزيادة التوسع في نظام الري وزيادة المياه . وما زال المرض في ازدياد بالرغم من مجهود وزارة الصحة الجبار في مكافحة المرض وهذا لا ينطبق على مصر وحدها بل نراه في بلاد أخرى من العالم كالبرازيل وفنزويلا وجنوب أفريقيا وشرق آسيا . والبلهارسيا في طريقها لتحتل مركز الملاريا من الأهمية من حيث انتشارها في العالم . ويعاني من البلهارسيا في مصر البالغ عدد سكانها حوالي ٢٠ مليون نسمة حوالي ثلاثة عشر مليون من الأنفس .

ويوجد في مصر نوعان من البلهارسيا — بلهارسيا الهيماتوبيوم وبلهارسيا المانسوني — وتسبب الأولى أعراضاً اكلينيكية تختلف عن الأخرى فالأولى تصيب المجاري البولية وينتج عنها البول الدموي وحصى المجاري البولية وسرطان المثانة وتصيب الثانية المستقيم وتسبب دوسنطاريا البلهارسيا وتليف الكبد وتضخم الطحال والاستسقاء وكلاهما يتسبب في وفاة عدد كبير من المصريين في سن مبكرة .

أبي الحسن سليمان ، فلما وقف على الكتاب قال : إني قد نسيت الشام وأهله ولم يمر ببالي ذكره .

وكان متهماً بالاعتزال والاعتزال من مذاهب علم الكلام ، يبحث في العقائد الاسلامية بالعقل والمنطق ، وأهله يعرفون بالمتكلمين ، ونشأ الاعتزال في أواخر الدولة الأموية ، وعن أيدي من خلفائها يزيد بن عبد الملك ، ثم أخذ يزداد تقدماً وقوة وسلطاناً ، حين ترجمت العلوم الكونية والفلسفية إلى اللغة العربية ، وحين اتيان من أسلم من علماء الأديان المختلفة إلى دينهم الجديد وهو الاسلام وأخذوا يؤلفون بينه وبين أديانهم القديمة والفلسفة حتى بلغ أوج مجده في القرن العباسي الأول وبخاصة في عصر المأمون أعظم أنصاره ، حتى صار المعتزلة يطمعون في أن يصير مذهبهم مذهب الخلافة الرسمي وأخذ الخليفة والمعتزلة ينكلون بمن خالفهم في القول بخلق القرآن من علماء الحديث والفقه وغيرهم حتى كره الناس الاعتزال .

وجاء المتوكل فأعلن سنة ٢٣٤ هـ إبطال القول بخلق القرآن وقرب أهل الحديث والفقه وغيرهم من أعداء المعتزلة وأغدق عليهم العطايا فأخذ هذا الاعتزال في الاضمحلال (ضحى الاسلام) . وحين قلبت الخلافة للاعتزال ظهر المجن صار تهمة ، وصار كثير من العلماء يسترون اعتزالهم ، ولعل منهم أبا علي الفارسي .

ولأبي عليّ من الكتب كتاب الحجة ، وكتاب التذكرة وكتاب أبيات الاعراب ، وكتاب الايضاح الشعري ، وكتاب الايضاح النحوي ، وكتاب مختصر عوامل الاعراب ، وكتاب المسائل الحلبية ، وكتاب المسائل البغدادية ، وكتاب المسائل الشيرازية ، وكتاب المسائل القصرية ، وكتاب المسائل المنثورة ، وكتاب المسائل الدمشقية ، وكتاب المسائل البصرية ، وكتاب المسائل العسكرية ، وكتاب المسائل المصلحة ، وكتاب ابن السراج ، وكتاب المسائل المشكلة ، وكتاب المسائل الكرمانية ، وكتاب الأغفال وهو مسائل أصلحها على الزجاج ، وكتاب المقصور والممدود وكتاب نقض الهاذور؟ وكتاب الترجمة وكتاب أبيات المعاني ، وكتاب التتبع لكلام أبي عليّ الجبائي في التفسير ، وكتاب تفسير : يأيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة .

وذكر المعري في رسالة الغفران أن أبا علي الفارسي كان يذكر أن أبا بكر بن السراج عمل من الموجز النصف الأول لرجل بزاز ثم تقدم الى أبي علي الفارسي بأتمامه قال وهذا لا يقال انه من انشاء أبي علي لأن الموضوع في الموجز هو منقول من كلام ابن السراج في الاصول وفي الجمل فكان أبا علي جاء به على سبيل النسخ لا أنه ابتدع شيئاً .

فقال أبو علي : إني لأعجب كم على قول هذا الشعر فان خاطري لا يواتيني على قوله مع تحققي للعلوم التي هي من موادّه فقال له ذلك الرجل فما قلت قط شيئاً منه البتة ؟ فقال : ما أعهد لي شعراً إلا ثلاثة أبيات قلتها في الشيب وهي قولي :

خضبت الشيب لما كان عيباً وخضت الشيب أول أن يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خل ولا عيباً خشيت ولا عتابا
ولكن الشيب بدا ذميما فصيرت الخضاب له عقابا

فاستحسناها وكتبناها عنه .

وكان أبو علي شديد العناية بالقياس ، عظيم التقدير له ، كبير الحرص عليه ، قليل العناية بالرواية ، قليل التقدير لها ، فقد روى عنه ، أنه قال : لأن أخطئ في خمسين مسألة مما يأبه الرواية أهون علي من أن أخطئ في مسألة واحدة قياسية وقال : أخطئ في مائة مسألة لغوية ولا أخطئ في واحدة قياسية

وللشيخ أبي محمد بن الخشاب مخطه كان شيخنا يعني أبا منصور موهوب بن أحمد الجواليقي فما ينقل عنه ممارس للصناعة النحوية ولو طال فيها باعه ما لم يتمكن من علم الرواية ، وما تشتمل عليه من ضروبها ولا سيما رواية الأشعار العربية وما يتعلق بمعرفتها من لغة وقصة ، ولهذا كان مقدماً لأبي سعيد السيرافي على أبي علي الفارسي رحمهما الله — وأبو علي أبو علي في نحوه وطريقة أبي سعيد في النحو معلومة ويقول : أبو سعيد أروى من أبي علي وأكثر تحققاً بالرواية وأثرى منه فيها ، وقد قال لي غير مرة لعل أبا علي لم يكن يرى ما يراه أبو سعيد من معرفة هذه الأخباريات والأنساب وما جرى في هذا الأسلوب — كبير أمر وكان لا يبخل في طلب العلم بالمال فقد روى عنه أنه قال : جئت أبا بكر السراج لأسمع منه الكتاب وحملت إليه ما حملت فلما انتصف الكتاب عسُر علي في مقامه فانقطعت عنه لتحكي من الكتاب فقلت لنفسي بعد مدة . إن سرت الى فارس وسئلت عن مقامه فان قلت : نعم : كذبت وان قلت: لا سقطت الرواية والرحلة فحملت إليه رزمة فلما أبصرني من بعيد أنشد .

وكم تجرعت من غيظ ومن حزن إذا تجدد حزن هوّن الماضي
وكم غصبت فما باليتم غضبي حتى رجعت بقلب ساخط راضي

وأثر عن أبي علي ما قد يفهم منه أنه قليل الوفاء ، قيل إنه لما ذهب الى العراق ، وصار له فيه جاه عظيم أيام عضد الدولة ، قصده بعض أهل المتّرة في حاجة بكتاب توصية من القاضي

بالفعل المتقدم بتقويته إلاّ .

وصنف أبو علي كتاب الايضاح في النحو لعضد الدولة فلما حمله إليه واطلع عليه استقصره وقال له : ما زدت على ما أعرف شيئاً ، وانما يصلح هذا للصبيان ، فصنف له التكملة ، ولما حمله إليه واطلع عليه قال : غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو . وكان الصاحب بن عباد من المعجبين بأبي علي المحبين له ، وكان بينهما رسائل تدل على هذا التقدير

وقال الأستاذ أبو العلاء الحسين بن محمد بن سرويه في كتابه (أجناس الجواهر) كنت بمدينة السلام أختلف الى أبي علي الفارسي النحوي — رحمه الله — وكان السلطان رسم له أن ينتصب لي كل أسبوع مرتين لتصحيح كتاب التذكرة لخزانة كافي الكفاة فكنا إذا قرأنا أوراقاً منه تجاوزنا في فنون الآداب ، واجتنينا من فوائده ثمار الالباب ورتعنا في رياض ألفاظه ومعانيه ، والتقطنا الدر المنثور من سقاط فيه ، وقال :

ذكر يوماً بعض الحاضرين الاصمعي ، وأسرف في الثناء عليه وفضله على أجيال العلماء في أيامه فرأيته — رحمه الله — كالمنكر لما كان يقول . وكان فيما ذكر من محاسنه أنه أنكر على ذي الرمة مع علو منزلته في العربية قوله :

(وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم) لانه كان يجب أن ينوّنه فقال أبو علي ، أما هذا فالاصمعي مخطيء فيه وذو الرمة مصيب والعجب أن ابن السكيت قد وقع عليه هذا السهو في بعض ما أنشده لاعرابي من بني أسد : وقائله أسيت فقلت جير : فقال يعقوب قوله : جير : أي حقاً وهي مخفوضة غير منوّنة فاحتاج الى التنوين — قال أبو علي — هذا سهو منه لان هذا يجري مجرى الاصوات وباب الاصوات كلها والمبنيات بأسرها لا ينون إلاّ ما خص منها لعلة الفرقان فيها بين نكرتها ومعرفتها فما كان منها معرفة جاء بغير تنوين فاذا نكرته نونته ويكون من ذلك أنك تقول في الأمر صَهْ ومَهْ تريد السكوت يا فتى فاذا نكرت قلت صَهٍ ومَهٍ تريد سكوتاً ، وكذلك قول الغراب غاقِ أي الصوت المعروف من صوته وقول الغراب غاقٍ أي صوتاً وكذلك إيهٍ يا رجل تريد الحديث وإيهٍ تريد حديثاً فقوله : جير : بغير تنوين في موضع قوله الحق ، ونجعله نكرة في موضع آخر فتنوّنه فيكون معناه قلت حقاً ولا مدخل للضرورة في ذلك ، إنما التنوين للمعنى المذكور ، وتنوين هذا الشاعر على هذا التقدير .

ولم يكن أبو علي يقول الشعر في مسائل نحوية تنسب الى ابن حني قال : لم أسمع لأبي علي شعراً قط الى أن دخل إليه في بعض الأيام رجل من الشعراء فجرى ذكر الشعر

تحتاج إليه ولو سرت من المشرق الى المغرب لم تجد أعرف منك بالنحو وأبق تلاميذه ذكراً وأبعدهم صيتاً وأقدرهم على نشر علمه أبو الفتح عثمان بن جني الذي لازمه زمناً طويلاً هو على أقل تقدير أكثر من عشرين سنة ووعى كل علمه ودونه وألف فيه عدة كتب كلها جيد وعرضها عليه فاستجادها كلها ، وهي مذكورة في ترجمة ابن جني

وما زال أبو علي جاداً في طلب العلم ، مقبلاً عليه حريصاً على استيعابه ، سخياً في انفاقه ، حتى صار أوحد زمانه في علم العربية ، وذاع صيته وعلت شهرته ، حتى قال بعض تلاميذه ، إنه فوق المبرد وأعلم منه ، وكان أبو طالب العبدي يقول : لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه أحد أبصر بالنحو من أبي علي ، وكان حاذقاً صافي القريحة ، ومما يدل على صفاء قريحته أنه سئل قبل أن ينظر في العروض عن خرم متفاعلن ففكر وافتزع الجواب فيه من النحو قال لا يجوز : لأن متفاعلن ينقل الى مستفعلن إذا أضمر فلو خرم لتعرض للابتداء بالساكن إذ الخرم حذف الحرف الأول من البيت والاضمار تسكين ثانيه

وكان له بعلم الصرف عناية فائقة وله فيه آراء صائبة حضر يوماً مجلس أبي بكر الخياط وهو من شيوخه فأقبل أصحاب أبي بكر عليه يكثرون من مسألته وهو يجيبهم ويقيم الدلائل على ما يقول فلما أنفدوا ما عندهم أقبل أبو علي على أكبرهم سناً وأكبرهم عقلاً وأوسعهم علماً عند نفسه فقال له : كيف تبني من ضرجل مثل عنكبوت فأجابه مسرعاً : ضفرروت ، فحين سمعها قام من مجلسه وصفق بيديه وخرج وهو يقول : ضفرروت فأقبل أبو بكر على أصحابه وقال لا بارك الله فيكم ولا أحسن جزاءكم خجلا مما جرى واستحياء

وتنقل أبو علي في البلاد ، وكانت شهرته تسبقه إليها ، فحظي عند الملوك والأمراء ، وتوثقت بينه وبين بعضهم أواصر الحب والمودة ، فقد وفد على سيف الدولة الحمداني أمير حلب ، وأقام عنده ما شاء الله أن يقيم ولقي عنده أبا الطيب المتنبي ، وكانت لهما مجالس محمودة ممتعة

وعلت منزلته عند عضد الدولة بن بويه ، فكان يقول : أنا غلام أبي علي في النحو ، وغلام أبي حسين الرازي الصوفي في النجوم ، ولما خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة ، عرض على أبي علي أن يصحبه فاعتذر ودعا له بخير فقبل اعتذاره ، وأثنى على إخلاصه له . وكان معه مرة في الميدان ، فسأله بماذا ينصب الاسم المستثنى إلا فقال : بتقدير استثنى زيداً : فقال له : لم قدرت استثنى زيداً فنصبت ؟ هلا قدرت : استثنع زيد : فرفعت : فقال أبو علي : هذا الذي ذكرته جواب ميداني فاذا رجعت قلت لك الجواب الصحيح وذكر أبو علي في كتاب الايضاح أنه انتصب

هذه العوامل شيوع اللهو والفساد والظلم .

وكان المفروض أن العلم يضعف بهذا الانقسام ، غير أنه انتعش لأسباب أعظمها أن النهضة العلمية في أول نشأتها كانت قوية جداً فبقيت عجلتها دائرة بقوة الدفع الأولى ، ومنها أن رؤساء هؤلاء الدويلات كانوا من الأعاجم ، وكانوا يستمدون سلطانهم الروحي والأدبي من الخلافة العباسية ، فلم يكن لهم مفر من أحياء علوم هذه الخلافة الاسلامية العربية فتنافسوا في استجلاب العلماء وفي اكرامهم وتشجيعهم حتى نشط العلم .

نشأ أبو علي الفارسي ، في وسط هذه الأحوال ، ونظر يميناً وشمالاً فوجد ببغداد وسائر الأمصار الاسلامية خاصة بجلة من العلماء الأفذاذ أمثال .

١ — أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش الصغير سنة ٣١٥ — ٢ — أبي بكر بن السراج محمد بن السري أسفر تلاميذ المبرد سنة ٣١٦ — ٣ — أبي اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج سنة ٣١١ — ٤ — أبي بكر الخياط — ٥ — محمد بن الحسن ابن دريد صاحب الجمهرة سنة ٣٢١ — ٦ — أبي عبد الله ابراهيم بن محمد المعروف بنفطويه سنة ٣٢٣ — ٧ — محمد بن القاسم بن بشار بن الحسن الانباري سنة ٣٢٧ ٨ — أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي سنة ٣٣٩ — ٩ — أبي بكر العسكري محمد بن علي بن اسماعيل مبرمان سنة ٣٤٥ — ١٠ — أبي بكر العطار محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم سنة ٣٥٣ وقيل سنة ٣٥٤ — ١١ — أبي علي الفارابي البغدادي اسماعيل بن القاسم بن عيذون سنة ٣٥٦ — ١٢ — أبي سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي سنة ٣٦٨ — ١٣ — صاحب الأغاني سنة ٣٦٠ .

وغيرهم من العلماء الأجلاء الذين انتشروا في الحواضر الاسلامية وملأت شهرتهم الآفاق وازدان بهم عصره وكان هو ذا ميل شديد الى العلم وقريحة صافية وهمة عالية ، فلم يطق صبراً على ما هو فيه ، فلما اشتد ساعده وحصل في بلاده من العلم قدراً صالحاً يؤهله لاغترافه من ينابيعه ، ذهب الى بغداد عش العلماء وأكب على تحصيل العلم حتى ضرب فيه بسهام صائبات وضارع بعض أئمة عصره ، وفاق آخرين ، وأخذ ينفق مما جمعه منه بسخاء فازداد علماً ، لأن العلم يزداد بالانفاق ويرع له تلاميذ صاروا أئمة ، فمن شيوخه — ١ — أبو اسحاق الزجاج و — ٢ — أبو بكر العسكري مبرمان و — ٣ — علي بن الحسن بن معدان و — ٤ — أبو بكر الخياط .

ومن تلاميذه علي بن عيسى الربعي وقد لازمه عشر سنين حتى قال له ما بقي شيء

ابو علي الفارسي

للأستاذ عبد الله العلايلي

هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، بن محمد بن سليمان ، بن أبان الفارسي الفسوي النحوي وأمه سدوسية ، من سدوس شيبان ، من ربيعة الفرس

ولد في مدينة فسا ، ونشأ فيها ، ونسب إليها ، وعرف بها ، وفسا بالفاء المفتوحة والسين والألف ، من مدن فارس القديمة الكبيرة ، ومن أزهرها ، ويسميها أهلها بسا بالباء ويضمون إليها نسبة شاذة في العربية ، فيقولون البساسيري .

وكان مولده سنة ٢٨٨ هـ في أواخر أيام المعتضد (٢٧٩ — ٢٨٩) ، وارتحاله من بلاده لطلب العلم الى بغداد سنة ٣٠٧ هـ وسنه حينئذ تسع عشرة سنة في خلافة المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠) ووفاته سنة ٣٧٧ هـ عن نحو تسعين سنة في خلافة الطائع (٣٦٣ — ٣٨١) فيكون من يوم أن رحل الى بغداد لأول مرة وهو ابن تسع عشرة سنة الى أن مات سنة ٣٧٧ عن نحو تسعين سنة ، قد أدرك سبعة من الخلفاء العباسيين وهم .

(١) المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠) (٢) القاهر (٣٢٠ — ٣٢٢) (٣) الراضي (٣٢٢ — ٣٢٩) (٤) المتقي (٣٢٩ — ٣٣٣) (٥) المطيع لله (٣٣٤ — ٣٦٣) (٦) الطائع لله (٣٦٣ — ٣٨١) (٧) المستكفي بالله (٣٣٤ — ٣٣٤) وهو الخليفة الذي حدث في عهده القصير الانقلاب الخطير ، باستيلاء البويهيين على بغداد ، وتجريد الخلافة العباسية ، والخلفاء العباسيين من جميع السلطات الدنيوية ، وتجزئة ملكها الواسع الى دويلات صغيرة ، وهذا الانقلاب هو الحد الفاصل بين العصرين الأول والثاني ، وهو وما سبقه ، وتلاه ، من أحداث جسام ، كان وليد عوامل هدم كانت تدب في جسم الدولة العباسية ، منذ نشأتها ، منها عداء الأمويين الذين اغتصب العباسيون دولتهم ، وعداء العلويين الذين يرون أنفسهم أحق بالخلافة من كل أحد ، وطغيان الفرس ، الذين أقاموا الدولة العباسية على اكتافهم ومنها تنقل الخلافة بين الخلفاء بلا قاعدة الوراء ، ولا قاعدة للانتخاب ، ومنها اتساع رقعة الخلافة اتساعاً بعيد المدى طفرة ، قبل أن تثبت قواعدها ، وشر

أما قيمة الثروة فتختلف كذلك باختلاف القبائل والباحث يسأل هذا السؤال : ما هي الوظائف التي تؤديها الثروة في النطاق الذي يتجاوز درجة التشبع المادي ، واستنفاد ما هو ضروري للحياة ؟ وإنك لتعجب بأن الثروة في ذلك النطاق تستهدف قيماً ثانوية مثل الطمأنينة أو الشهرة والصيت ، أو القوة ، أو التقدم والنجاح ، أو الحب . فهل نجد في القبائل مثل هذه القيم ؟

في قبيلة سامو يمكف الناس على ثمار الحدائق ، وعلى صيد الأسماك . وهم يبنون الزوارق ويصنعون الشباك ولكنهم لا يجمعون ثروة مما يفيض عنهم لأن نظامهم الاقتصادي يقضي بتبادل الهدايا ، والتداول المستمر للفائض من حاجاتهم ومن ثرواتهم . وهذا النظام معمول به كذلك بين قبائل الزوناي (Zuni) .

•

وعلى النقيض نجد الجماعات في جزر التروبرياند (Trobriand) فهم يكنزون الثروة حتى درجة البخل ، وذلك لتجدهم يجمعون الطعام بنهم وحشع ، ويظل مختزناً لديهم حتى أنهم يلقونه معطياً في موسم الحصاد التالي لعل سبب ذلك يرجع الى نفسية قلقة تلح عليهم ألا يفرطوا فيه تنع عليه أيديهم . ومثلهم جماعة الـ (Dobuans) الذين يكنزون الطعام بدافع الخوف من السحر الذي له عليهم تأثير عظيم .

أما جماعة الاسكيمو فلا يعرفون تملك الطعام لأنهم يعتبرونه ملكاً للجماعة بأسرها وهم رغم فقرهم وفاقتهم يشعرون بالطمأنينة والغنى النفسي ، واعتمادهم على خبرتهم بالصيد ، ومقدرتهم على جلب الرزق أساس شعورهم بالقوة وعدم الحاجة الى اختزان الطعام أو السعي لاكتناز الثروة

وعلى نقيض جماعة الاسكيمو نجد جماعة الشكشي ، فهم يتبعون نظام الملكية ويجمعون الثروات مما يفيض عنهم ، ومع ذلك نجد نفسيتهم يهددها القلق والخوف من المستقبل وعدم الطمأنينة في الحياة .

اجتماعية يمينها مقترنة بحياة الرعي (Pastoral)مثل الانتساب الأبوي (Patriliny) ، والاقامة في قبيلة الأب ، وشراء الزوجة ، وتعدد الزوجات ، ومركز المرأة الضئيل ، وعبادة الأسلاف . فالانتساب إلى الأم (Matriliny) والوراثة من طريق الأم أمران يصعب تحقيقهما بين جماعات الرعاة حيث يقوم الرجال بالرعي ؛ ولكننا نرى استثناء لهذه القاعدة في قبائل الـ (Herero) والـ (Bella) في أفريقية الجنوبية ، وفي قبيلة (Navajo) الأمريكية فهي قبائل رعاة ومع هذا فالنسب يحتسب بالنسبة إلى الأم . ويبدو من ذلك أن لكل حضارة حالتها الخاصة بحيث يستحيل علينا أن نخرج بنظريات تخضع لها جميع الحضارات .

*

﴿ القيم ﴾ إن كل نظرية حتمية تبعد فهمنا الصحيح للظواهر الحضارية : ووراء كل نظرية من هذا القبيل معنى عام هو أن الحضارة سلوك تكيفي ، كل فعل فيه إنما يهدف الى نهاية معينة من القوة الاقتصادية (maximum efficiency) في البيئة المعينة . ومعنى هذه القوة الاقتصادية متقدم لدى القبائل البدائية ففي قبيلة Mafulu يتحرون الخنازير ، فهم يعدمون للتصادم ، وأفراد قبيلة (Arapesh)يسافرون لمدة أيام لكي يجمعوا الحصاد في حقول أقاربهم . فالمشكلة المادية انما هي جزء من مشكلة كبرى تتعلق بالحياة الفضلى وقيمتها في نظر الناس ، وهذه القيمة تختلف من قبيلة الى أخرى . فقبيلة Arapesh تضع الطمأنينة الاجتماعية وما ينجم عنها من سعادة ، القسط الأوفى من عنايتها وذلك على حساب هذه القوة الاقتصادية . كما أن عملاً من الاعمال قد يخدم عدة أهداف في آن واحد . وتلك صفة مهمة من الصفات النفسية التي تقترن بالاقتصاد . ففي أعياد جماعة الـ (Quiché) هناك حفلات لعبادة الأسلاف ، يقيمونها بأكلهم لوجبات دسمة مقدسة . وفي غينيا الجديدة يحتفل آكلو لحوم البشر بحفلاتهم الانتقامية . وعند قبيلة Zuni تأخذ عملية البناء الخطوات الأولى للاستعداد لحفلات الحصاد واقامة طقوسها التقليدية .

واستهداف الراحة (Comfort) كذلك تختلف قيمته لدى قبيلة عن أخرى ، فالاسكيمو (Central Eskimo) يعمدون الى راحتهم حتى في الشتاء ، والرجل منهم يعمل على إنجاز بناء منزله الجليدي . في حين أن الناس من قبيلة (Arapesh) يهيمون والمطر منهمر وسط الأوحال ومثلهم الناس من قبيلة الـ (Chukchee) ، فاذا هبت عاصفة في منطقة التندرا حيث يعيشون ، ترى الرجل منهم يستلقي على الأرض ويلتظر كذلك حتى تمر العاصفة .

وفي الصيد البري هل الحيوانات تطارد جماعة أم أفراداً ، وهل يحدث الصيد في الغابة أم في حفر مائية ، وهكذا .

مثال ذلك أن الاستراليين الداليين يقيمون بقرب حفر مائية ويحترق المنكية للارض التي يقيمون عليها حقوق مقدسة لا ينازع فيها ، في حين أن قبيلة Kaingang البرازيلية تحرم بحرية من مكان الى مكان في قابلهم .

ومن الواضح أن هناك علاقة متينة بين البيئة ، والغذاء ، وأسلوب الحياة . فصيادو الحيوانات التي تعيش فرادى ، يعيشون في جماعات مبعثرة ، سريعة التنقل ، مفككة الأواصر الاجتماعية ، في حين أن الناس الذين يجنون ثمار الحدائق (Garden people) يقيمون في أماكن مستديمة ، ومن هنا نشأ بينهم حق تلك الارض (Land Tenure) ومع ذلك فليست هذه قاعدة عامة : فقبيلة (Arapesh) ، وهي من جنة الحدائق في غينيا الجديدة ، قبيلة مفككة لا يرتبط أفرادها إلا كما يرتبط أفراد القبائل البدائية ، ذلك لأنهم زراع رحل ، يزرعون في كل حقل يلتجئون اليه بجانب اعتمادهم على ثمار الحدائق وأكل الخازير !

أما قبائل الاستراليين الأصليين فهم رغم اعتمادهم على الصيد البري ، يقيمون كما ذكرنا في أماكن ثابتة ، بجوار القنوات المائية ، ولهم لذلك يتحتمون بما تنتجه الأرض من طيبات (right of access) ، ولهذا فهم جماعة متماسكة مرتبطة بنظم اجتماعية متينة .

ومن هذه المقارنات ، لا يمكن إذن أن نبني نظريات ثابتة للنظم الاجتماعية على الطراز المعيشي . ومع هذا ، فهناك ارتباط وثيق بين الاقامة الثابتة والتنظيم الاجتماعي المعقد ، والنمو الحضاري ، وهو ما نشاهده بين أهل الزراعة .

•

أما النظم أو الاشكال الاجتماعية فلا تتكون في الواقع من المصادر المعيشية بقدر ما تتكون من فائض الثروة . في ساحل أمريكا الشمالي الغربي ، وفي البراري الغربية ، يسكن جماعات الصيادين ، وصيادو الاسماك ممن تتجمع لديهم الثروات والموارد الفائضة . وقد تكونت تبعاً لذلك الاشكال العديدة من النظم الاجتماعية والدينية ، مما يفترق عادة بالاقتصاد الزراعي . وحيثما نجد مشكلة الطعام لا تحدد لنا الاقامة الثابتة ، فمن الصعب أن تتحدد المسائل الاجتماعية الاخرى مثل التنظيم الطوطمي ، والافكار الدينية ، وتقسيم الانساب ، أو العلاقات بين الجنسين . ومع ذلك فانك تجد مسائل

العوامل المؤثرة

في النظم الاقتصادية لدى القبائل البدائية

للأستاذ أميل توفيق

إن النظام الاقتصادي الذي تتبعه جماعة معينة ، هو وليد عوامل ثلاثة مهمة : العامل المادي ، والعامل الشكلي ، والعامل النفسي .

فالعامل المادي (material) يتضمن علاقات الانسان المادية بالبيئة المحيطة به . والعامل الشكلي (formal) هو في الواقع « التنظيم الاجتماعي » للجماعة أو بمعنى آخر هو شبكة الالتزامات التي يرتبط بها الافراد بعضهم نحو بعض ، وتحددها مراكز الأفراد في المجتمع . أما العامل النفسي (psychological) فيتضمن مسألة القيم المادية والمعنوية بشكل عام .

على أن هناك عاملاً رابعاً يؤثر في النظام الاقتصادي ، وهو التأثير الخارجي أو التاريخي مثل تأثر جماعة معينة بصفات جماعة أخرى تجاورها ومثال ذلك أن جماعة الإسكيمو تبنت تربية غزال الرنة (reindeer) من قبيلة Tungus . كما أن نظام الطبقات (Caste Systems) إنما هو وليد حضارات غريبة عليه . وذلك أن في أعقاب الحروب والهجرات يحدث أن تتزاوج العناصر الدخيلة مع أهل البلاد ، ثم يجري التبادل التجاري والتأثير الثقافي . وهذا ما حدث في الجماعات التي تعيش متجاورة في أفريقية وميلانيزيا .

وتقسم الجماعات وفقاً لنوع معيشتهم أو تبعاً لكيفية حصولهم على الطعام . فهناك الصيادون (Hunters) ، وهناك الحصادون Harvesters ، وهناك الزراع (Agriculturalists) ، وهناك الرعاة (Pastorals) . ومثل هذا التقسيم واسع المدى ، والباحث هو الذي يضيق مداه بأن يرجع الى نوع الصيد مثلاً . . أهو بري أم بحري ،

هو غايةُ الاجرامِ للوطنِ الذي ... عانى وعانى من أذاهُ خسائرا
لن يمنحَ الوطنُ المفدّى صفحهُ ... لفتى يخادِعُ أو يخادَعُ صاغرا
ويرى بالاستعمارِ إمضَ خلاصهِ ... هل كان الاستعمارُ إلاّ جائرا ؟
يفتنّ في صفكِ الدماء ، وإنها ... لأعزُّ ما خلقَ الاباء الثائرا

•

يا ليتني كنتُ الفداء وإن أكنْ ... أعطي أعزَّ نهايَ فكراً سائرا
وأبيتُ من شيخوختي اسقامها ... فوهبتُ صدقَ هوايَ لحناً شاعرا
ما كان من شيم الأسودِ تنقّلٌ ... فهو (ابنُ آوى) كيف قال مكابرا
قرنٌ من التغرير علّمَ نعأنا ... أن يحذروه مقاوماً ومقاورا
الغادرُ السفّاحُ ، (نافارين) لم ... تبرحْ تحدّثُ عنه عهداً غادرا
منه تلصّصت الدمائسُ فتنها ... وتتلنَ فتنِ الوضيعِ ضمائرا
حذراً بني وطني ! فداكَ عدوُّكم ... مهما تقلبَ في المظاهر ماكرا
لا تمنحوه سوى القطيعةِ وحدها ... فلن القطيعةِ ما يكون الزاجرا
أو ما يكونُ به الخلاصُ ليومكم ... وغدٍ تؤمل فيه بعثاً باهرا !

•

حذراً بني وطني ! وكونوا وحدةً ... فعّالةً ، لا ضجّةً وحناجرا !
ليست سلامتكم مجالاً هيناً ... إنّ السلامة قد تكون مخاطرا
لا تأسفوا - مهما حزنتم - للألى ... ذهبوا الضحايا في (القناة) حرائرا
حمل الأديمُ من النجيع وصيّةً ... تبقى لأحقابٍ تدوم ذواكرا
ويظلُّ يسألنا المزيد تطهّراً ... من رجسِ ماضينا ، ويرشدُ حائرا
خلعوا الثقي بالجدودِ وفضلهم ... فهو الغني بذاته عن ذكره
إلاّ ليلبسَ ثائباً أو ساهرا
وخذوا بأسبابِ المنعةِ حاضرٍ ... إنّ الحقيقة ما تمثل حاضرا
كونوا من الشهداء في اعجازكم ... بثباتكم ، لا تجعلوه الطائرا
لا عذرَ بعد اليوم عند تهاونٍ ... إنّ التفرّقَ لا يطيقُ معاذرا !

نداء الحرية

The Call of Liberty

للدكتور احمد زكي ابو شادي

بوركتَ يا شعبَ (الكنانة) ثائرا ... مرًّا ، ويا وطنَ البطولة قاهرا
ازجي اليكَ تحيتي من خاطرٍ ... دامٍ ، ومن قلبٍ يذوب شواعرا
يأبى النفاقَ ولا يبوحُ بغير ما ... جعلَ الحياةَ نقائضاً وذخائرا
ليس الصديقُ هو المقرّب وحده ... ولربَّ مهجورٍ يظنُّ الهاجرا
إبدأ بنفسكَ مصلحاً ومقوّماً ... فتكونَ أقدرَ حين تلقى الفاجرا
إن كان غيّبني (المنونُ) فهجتي ... لكَ أين كنتُ مكافحاً ومناصرا
آبى مساومة الطغاة وإنْ أذق ... شرَّ الأذاة موالياً لك ذاكرا
من علّم (الأسد المجوز) وقد مضتْ ... أيامُه ألاَّ يكونَ مخاطرا؟
ليس المغامرُ والموفقُ واحداً ... فمن التدهورِ ما يكون مغامرا
إن كان يعوزُنا السلاح فربما ... خلق الاباء بنا السلاح الباترا!

•

وحشٌ للاستعمار يعمل شرّه ... باسم الحضارة والتقدّم ساخرا
وكأنما حسبَ العقولَ نهايةً ... للناس ، أو بعض الهواجس دائرا
هل يصلحُ المذياعُ من آثامه ... حينَ الرصاصُ يصيخُ أرضَ كافرا؟
حين الفظائع قد خطتْ بألسنٍ ... للنار واعتلتْ الجراحَ منابرا ؟
حين الأساطيرُ التي يدلي بها ... سبّتْ بصائرَ الورَى وسرائرا ؟
حينَ الطرائبُ سارحاتٌ حوله ... مثلَ اليتامى لا تمثّلُ عامرا؟
حين التحكّم في الحقوق ونهبها ... مثلُ الوعود الضائعات طوائرا؟
إن كان ضمنَ الظرف ... أوّلاً ... فيه ، فكيف يعدُّ ذنباً آخرا؟

ومهمة الناقد الأول إذن إنما هي الوجدان الأدبي في فرنسا ، بل في الأقطار الأوربية جميعها ، بأسلوب الوجدان الديني . والمؤلف العظيم لا يكتب ليسري عن نفسه هموم ويرفه عنه ، بل هو يزيده هموماً ويبعث فيه اهتمامات روحية ، ويحمله تبعات اجتماعية جديدة . هو يماثل الرسم الجديد . فقد كان الرسام القديم يرسم الصورة الجميلة للمرأة الجميلة . أما الرسام الجديد فانه يعني برسم المشكلات والأهداف ولا يبالي أن يحزنك أو يبعث فيك الاشمئزاز . فأنت تنظر الى الرسم لتدرس وتتألم وليس لتتسلى وتسر .

وهكذا الشأن في الأدب . فان رسالته العصرية جليلة ولكنها مع ذلك بشرية

وهذه الجملة الأخيرة تحتاج الى تفسير . ذلك أن الأديان الغيبية القديمة كانت تحملنا تبعات وتطالبنا بواجبات . ولكن القيم الأخلاقية والاجتماعية في هذه الأديان كانت قيم الآخرة ولم تكن قيم الدنيا . فكان علينا أن نكون صالحين كارس الفضيلة حتى نستمتع بالفردوس ولا نتعرض للعقوبة بعد الموت . فالقيم هنا أخروية . ولكن الأدب الفرنسي العصري ، بل الأوربي كله ، يحملنا أيضاً تبعات ويطالبنا بواجبات . ولكن القيم الأخلاقية والاجتماعية فيه هي قيم الدنيا فقط . فيجب أن نكون صالحين وأن نمارس الفضيلة كي نخدم المجتمع البشري ونرقي بشخصيتنا اخلاقاً ومعارف ونجعل من كوكبنا فردوساً نجد فيه السعادة والخير والشرف .

ومن هنا المبدأ الأول في « فلسفة » أو أدب جول سارتر . وهو الفلسفة ومع أن هذا المؤلف يدعونا الى التحرر من الديانات الغيبية ومن المجتمع فانه يعترف بأننا في هذه الحال ، في بعد التحرر ، سنعيش في ظلماء مياه بلا بوصلة وبلا نجوم يهتدي عندئذ أي لنا طريقنا وحدنا دون أن ننتظر أية معونة ودون أن نستند الى أي سلطة سوى ضميرنا .

وصار التعليم في المدارس مدنيًّا بحتاً . حتى ان أسماء الشهر والسنة في التقويم الابتدائية كان يعني مؤلفوها فيها بحذف الكلمات التي تدل على معنى كنسي أو ديني .

وزاد في تشهير الكنيسة أن الروح المادي تفشى زمناً [illegible] له نحن في مصر ، لم يعد له من الخطورة ما يدعو الى قيام [illegible] الكنيسة في فرنسا . فان جول سارتر مثلاً يجعل الالحاد أساس فلسفته دون مبالاة [illegible] الرأي العام .

وليس بين الادباء من هو أحب الى القلوب من أناطول فرانس . ومع ذلك لا يخلو كتاب لهذا الاديب من زندقة ، وهو على الرغم من استغراقه في الشكوك والحيرات الدينية ، بل على الرغم من الاحساس الديني العجيب الذي يقحم به [illegible] الكنيسة بالسخرية ثائراً جامحاً ، ولكنه يجمد بلا غضب امام [illegible] يضحك على [illegible] ويسخط في حنان من خصومه .

ثم يجيء أندريه جيد ، وهو بشري الدين يجمد الخبيثات كلها ، ويدعو الانسان الى أن يرتفع فوق نفسه ويشد الهدف الاعلى بعد الهدف المنال . ثم هو يكافح في السياسة فيؤلف ضد الاستعمار وضد الاستغلال . وأحياناً يستهتر . ولكنه في استهتاره يحس بالنبعات الدينية حتى لتكاد تحكم عليه بأنه انما يستهتر للتجربة الفنية فقط .

وفيما بين ١٩٢٠ و ١٩٣٥ نجد كاتباً ماسفاً هو هنري باربوس ، يكتب رسلاً ايمانياً وكفاحاً . وهو يلخص في أدبه ، في فلسفته ، في سياسته ودعايته ، كل هذه النزعات التي سبقته ولكنه يمتاز من جميع هؤلاء الذين سبقوه انه مع الشعب . ولذلك كان صحيحاً كما كان مؤلماً ، وشيعته باريس ضد وقته في ١٩٣٦ كما تشيع كاتباً آخر مثله وهو فكتور هيجو .

وأخيراً نجد جول سارتر الذي يمكن أن نعده خصماً سياسيًّا لباربوس . ولكنه فيما عدا السياسة يمتاز على كل من سبقوه من حيث انه جعل الفلسفة موضوع الشهرة والجريدة يقاشح العيال والطلبة كما يدرسها الأدباء من النساء والرجال .

وليس شك أن هناك نزعات استهتارية في الأدب الفرنسي ، كما نرى مثلاً في مارسيل بروست أو بودلير ، على اختلافهما . ولكن يجب أن نعترف أن هذا الأدب ينحو في مجمله نحو الجد والاحساس بالنبعات الاجتماعية . ومن هنا هذا الاحترام الذي يجده من الجمهور ، وهو احترام يأخذ مكان الاحترام السابق للكنيسة .

بداية هذا القرن مقام الكنيسة والكهنة . والشعب يسترشد بأناطول فرانس واندريه جيد ، وهنري باربوس ، وبول سارتر . كما كان يسترشد أسلافه بكهنة الكنيسة وقديسيها .

وهذا طراز آخر من الأدب لم نعرفه نحن في تاريخنا الأدبي . إلا إذا عرونا الى المري هذه النزعة أو هذا الموقف حين أخذ على نفسه الاضطلاع بتعيين الاخلاق ورسم القيم . وقد فعل ذلك في حذر وتردد . وأحياناً في مراوغة ومهارب . وقد كان المعري بحربًا ينكر الغيبيات .

أما أدباء فرنسا فيضطلعون بهذه التبعات دون خوف . وهم يوجهون أدبهم هذه الوجهة منذ بداية القرن العشرين . وكثيراً ما أقرأ لأحد الناقدين نقداً موجهاً إليهم فلا أدري هل هو ينتقد دياناتهم أم سياستهم أم فلسفتهم أم أخلاقهم أم فنهم ؟

والواقع أنه ينتقد ، أو هو يحاول أن يستوعب في نقده كل هذا . وقد سبق هذه النزعة الأدبية الاسلامية لحياة محاولات ابتدائية من بلزاك ، وفكتور هيجو ، وزولا .

كان بلزاك الذي يعد أعظم القصصيين في القرن التاسع عشر قد استطاع أن يجعل القصة مسرحاً للنقد الاجتماعي . وهو نقد دقيق وبعيد معاً . ولكنه لم يكن على وجدان الأدب الفرنسي الحديث بأن الأديب يجب أن يكون على ايمان وكفاح . كما نجد في هنري باربوس مثلاً . ثم جاء بعد بلزاك فكتور هيجو . فكان مكافحاً في السياسة يدعو الى الجمهورية كما كان في « البؤساء » بصيراً بالخفايا الاجتماعية والشقاء البشري.

ثم جاء أميل زولا الذي نهج نهجاً جديداً في « الطبيعية » أي نقل الحقائق البشرية كما هي بلا تزويق . وشرح الطبيعة البشرية عارية مكشوفة . وقد وجد في أيامه أنصاراً يحبون الصدق ولو آلم كما وجد خصوماً يكرهون الحقائق لبشاعتها .

وهذه البذرة التي زرعها اميل زولا ، وهي التزام الحقائق وتحري الصدق ، دون القناعات الخفية ، هذه البذرة هي التي نبتت في القرن العشرين وجعلت الأدباء الفرنسيين يجابهون المجتمع ويكشفون عن حقائقه في استقلال الرأي وثبات العمد .

ووافق ذلك تقهقر الكنيسة . وفي فرنسا تقاليد ، منذ الثورة الكبرى ، ضد الكنيسة . وقد انتهت هذه التقاليد الى فصل الدين من الدولة في أوائل القرن الحاضر .

الأدب الجديد
في فرنسا

للأستاذ سلامة موسى

لكل أمة خصائصها التي تستوهب نشاط أبنائها . والشباب والطلبة أعظم من يمثلون هذه الخصائص . ففي انجلترا نجد العناية الكبرى بالرياضة وممارياتها . وأحياناً تستوهب أخبارها أكثر من صفحة في الجرائد اليومية . ولكننا لا نجد في فرنسا مثل هذه العناية بالرياضة . وانما نجد في مكانها عناية بالأدب .

والمدارس الفرنسية الثانوية هي في جميعها كليات للأدب الفرنسي . ذلك أن الطالب يدرس اللغة دراسة وافية ويدرس أدباء فرنسا القدامى والمحدثين بالروح الوطني والذوق الفني . ويعيد أن نجد طالباً يخطىء في لغته حين يتكلم فضلاً عن الخطأ في الكتابة .

وفي باريس هذه الأيام حركة أدبية تندمج فيها السياسة والدين والفلسفة ، هي الحركة الوجودية التي يتزعمها بول سارتر .

ولهذه الحركة صيرة ولها مبركثيرة . فان وصولها إلى الجماهير بل الى العامة برهان على ارتفاع المستوى الثقافي بين الشعب . ذلك ان لها أنصاراً وخصوماً من الشعب . وهي سياسية من حيث انها تخاصم المذهب الماركسي . وهي دينية من حيث انها تلغي الغيبيات التي يرتكز عليها الدين ثم هي أيضاً تأخذ مكان الدين في تعيين الأخلاق والقيم الانسانية . ثم هي فلسفية من حيث انها تعالج جميع المشكلات التي يعالجها الفلاسفة كالمبدأ أو الميعاد والمصير والأسلوب والكائن البشري بين كونه وبين خلاصته أو بين نشأته وبين نضجه .

ولست هنا أقدح أو أمدح هذه الوجودية ولكني أستخلص منها هذه العبر التي ذكرت ، وأحب أن أؤكد أن أعظم هذه العبر هي ان الأدباء يقرمون في فرنسا منذ

التي تحيا في كثير من بقاع العالم فريسة للتعاسة والعوز المادي ؛ ولكن الأهم من ذلك كله والأدهى الى اثارة غرائزنا وتحريك بلابلنا وحفزضمائر الخلق كافة ، هو الدأب على اشاعة لون جديد من التربية العالمية لا يفصل بين الضمير الاجتماعي ذي النزعة العلمية والفنية ، وبين الضمير الأخلاقي ، لون من التربية يؤمن بأن الثقافة الاجتماعية والعلمية متممة للثقافة الأخلاقية ، فيصبح عمل العلماء الفاعل ، في كل زمان ومكان ، أن تجيء ولائد أفكارهم ونتاج مخيلاتهم ، من آلات ومخترعات وأساليب ومصروفات ، مطابقة في صميم الغرض والغاية لروح التعاليم الأدبية والمعايير الأخلاقية ، وإلاّ فلت البشرية مستهدفة أبداً لسلسلة متصلة الحلقات من الحروب والكوارث والجاعات ، معرّضة للخراب في مواردها الطبيعية واستغلال قوى ثرواتها الكامنة ، وكنوزها الطبيعية ، بسبب إفلات زمام « الآلة » وقيادة « المحرك الميكانيكي » من سيطرة ووحي أولئك الذين يضيرون صالح البشرية على كل شيء آخر ، ويؤمنون على الدوام بأن العلم مجموعة من « القيم » لا طائفة من المعارف والمدركات ، ويؤمنون أيضاً بأن السياسة الدولية يجب أن تنطلع بطابع انساني سمح أصيل . وبغير هذا نجدنا حقيقين أن نساق في النهاية الى أروع الكوارث وأنكاها ، تلك هي كارثة الوجود في عالم جرده العلم والعقل الانساني من نعمة الوازع الأدبيّ وثروة الادراك الأخلاقي الى الأبد ، سواء في ميدان العلم أو في ميدان الاجتماع والسياسة . وسبيل من هذا الذي عرضنا له ، نستطيع الحكم على مستقبل الحضارة الانسانية في هذا العصر الذري الذي تستشرف أقدارها له ؛ ولعل اتساع نطاق معارفنا ومداركنا من عالم الذرة ، وافتراق هذه المعارف العلمية والفنية المنقسمة بنصيب أوفى من التفاهم والمحبة بين أجناس البشر ، وبقدر أعظم من الايمان بجوانب الصلاح والخير في الانسانية وفي قيمها ، لحقيق أن يجعل من هذا العصر الذريّ الذي بزغ فجره ، عصراً للرحمة والاخاء والهناء والأمل ، بل عصراً من أكثر عصور التاريخ البشري خيراً وبركة .

فهل ترى نثبت الانسانية حيويتها ووعيها ، وتؤكد وجودها وتملي من تأذ إرادتها الايجابية الخيّرة ، فتستعلي على حاضرها السياسي والاجتماعي القاتم ، أم تراها تستحذي لهواتف الاستضراء والشر والأنانية ، فتطويها ظلمات العدم الى غير بعث أو رجعة ؟ !

رجعنا في هذا البحث الى كتابات هكسلي وراسل وليباد ولاسكي وليلنتول .

التي يخلقها الكسب الحضاري في خلائق الانسان وطباعه الأولى . هذه الطباع المركوزة في أغواره البعيدة وراء ستار من تقديمه وتهذيبه الظاهر.

فالآلة إذن ، بكل ما أجدته وما تجدده من فنون الثقافات العجيبة والمعارف الصناعية والفنية المعقدة التي عمت آثارها كل جوانب الحياة . هذه الآلة ، ليست في حد ذاتها شراً صرفاً أو خيراً محضاً. انها مصدر لكل خير ونعمة، وهي عامل من عوامل رفاهية الحياة وسعادة الانسانية ، حين يستخدمها الانسان في تحقيق أهدافه الخيرة. وهي مصدر أصيل لكل نقمة وشر وموبقة حين يعمد الانسان ، مسوقاً بسعار نزعاته الحسية الأولى الى قضاء أغراضه الشريرة وتحقيق شهواته المتعددة المختلفة عن طريقها. ونخلص من هذا الى أن ثمرات هذا التقدم العلمي والفني الذائب النطور والحركة ، في مقدورها أن تحكم على الانسانية بذلك الانحطاط الروحي والمعنوي الذي يردها وشيكاً الى درك الحيوانية ، كما أن في مستطاعها أن تفتح لها مجالات جديدة ورحبة من الفرص والامكانيات والقوى التي تجدد شباب الحضارة وترجح على الدوام كفة قيمها العليا التي تغذي روح الانسان وتصور له على معنى جديد ومثالي الاتجاهات التي يجب أن تنصرف اليها أفكاره ومشاعره وعزماته . ومن هنا وجب علينا أن نقرن هذا الطابع الثنائي ذاته ، الذي يكشف عنه دور الآلة ومهمتها في الحياة ايجاباً وسلباً ، بأرواح وضمائر القائمين عليها والمستغلين لمديد أنماطها ومنافذها ومجالات قواها . وكل محاولة تهدف الى الفصل بين « رسالة » الآلة وبين « رسالة » الضمير العلمي الذي يحتضن ويؤازر حركة البحث والابتكار والكشف ، وبوجه أقدار الفكر والحضارة ، ليست إلا محاولة قاصرة لاطفاء شعلة الايمان بصلاحية الجنس البشري للارتفاع بموازين الروح والارتقاء وأهداف المادة وتعزيز إيماننا الدائم بالقيم العليا للحياة على تعاقب عصور الحضارة .

٥

والحق أنه ليس يكفي أن تواصل الأمم حركات البحث العلمي وترصد لها الآلاف والملايين في ميزانياتها ، وليس يكفي أن تظل الأمم تجري في ميدان المباراة الآلية والفنية مدفوعة بسعار السبق أو شهوة التفوق وحدها ، وليس يكفي قيام المنظمات الدولية بأعداد برامج عالمية رائعة بقصد احياء وانعاش مرافق الثقافات المختلفة في مضمار التعاون لمضاعفة نصب الانتاج ورفع مستويات الحياة فيها ، وليس يكفي تطبيق الوسائل والأساليب التي من شأنها اتاحة ثمرات العلوم والمعارف الفنية للملايين المتعطشة

وأقرب مثل نسوقه في هذا المقام قوة « النار » ، هذه القوة الطبيعية الهائلة التي صاحبت الانسان منذ فجر التاريخ البشري ، واستطاع بها أن يحدث ، في متعاقب أدوار التاريخ ، الخوارق والمعجزات في مختلف نواحي الانتاج المادي لخير العالم ورفاهية الانسانية ؛ ومع كل هذا في مقدور هذه القوة الجبارة ، اذا أفلت زمامها من بين أيدينا ولم نستطع التحكم في أوجه استغلالها كافة ، أن تحدث لنا أشد النكبات والكوارث؟ ونظرة واحدة الى وسائل الهلاك العسكري في هذا العصر ، تلك التي تحصد حياة الناس بالملايين والألوف دفعة واحدة ، وتحيل مدناً آهلة الى مجرد رماد وركام في طرفة عين نظرة واحدة ، كفيلة بأن تقنعنا أي عدو مروع هذا الذي يستتر أمامنا في ثياب الخادم الأمين ، أو الصديق الوفي الكريم !

ولكن ترى هل يجمع البشر أمرهم يوماً ما على الغاء هذا الصديق المراثي أو العدو المداجي من صحيفة وجودهم ، لمجرد اتصافه بهذه الطبيعة المزدوجة والخطة غير المأمونة؟

•

إن تحديد الاجابة على هذا السؤال ظهر من قبيل الاجابة التي قد يطلب إلينا تحديدها عن طبيعة « الآلة » أو عن خصائص هذا « العصر الآلي » التي نحيا منهوكي العقول مستوفزي المشاعر والأعصاب بين ضجيج قراءة « الميكانيكية » الهائلة .

وأيّا ما كانت الاجابة على فهم من هذا كله فان الذي لا مراء في بداهته وصدقه هو أن الرجعة المطلقة او حتى النسبية محال يتناقض مع سنن الحياة وقوانين الطبيعة ، وأن محاولة القضاء الأبدي على كنوز الحضارة وقوى الابداع فيها ، بقصد الخلاص الدائم من جرائمها الشريرة وتأمين الانسانية من فواتكها ومفاتكها ، محال كذلك ؛ بل لعلّ مجرد التفكير فيه يوحي ، الى جانب مرارته وسخفه ، بالنكسة الرهيبة الى عصور الظلام والموت ، حين كان هم المجتمع البشري ، ممثلاً في نقاته وجلاديه ، القضاء على ذلك الدافع الفطري العميق الذي يحفز قوى العقل البشري ويحفزها إلى ولوج رحبات وآفاق جديدة من البحث والادراك والخلاص من ربقة الأوهام والخرافات ، حتى يغدو في مقدور الانسانية أن تستعلي دوماً على رواسب نفسها المكبوتة وشطحات حاضرها القاتم ومن ثم فان هذه النزعات الفلسفية المتهوسة التي لا تني تصرخ في سبيل العودة الى حياة الفطرة الأولى والانقلاب الى الماضي البعيد في حياة الانسانية ، للاستمتاع بمباهج الحياة الساذجة بين أحضان الطبيعة ، ليست إلاّ لوثة عارضة من هذه الوثبات المحمومة

ومن هنا كان السر في اتجاه حركة التقدم العلمي على حرية الاستقصاء والبحث إلى أبعد حد ، وفي تسقادها دائماً الى حرية التبادل العقلي في محصول الآراء والأفكار بين الرجال الأحرار في العالم . والثابت الذي لا مراء فيه أن قوى الابداع والخلق التي ينطوي عليها العلم ، تصدر أصلاً عن تلك الخاصية التي تجعل المعرفة الحرة قابلة للانقسام والتشعب على وجه الدوام ، الى أنماط جديدة من الفنون والعلوم والمعارف .

ولو أننا عدنا قليلاً الى الوراء ، وسرّحنا البصر في أحداث عصر مديد من الجهاد العلمي السابق على اكتشاف قوة الذرة ، لبهرتنا سلسلة نظيمة من الأحداث الخالدة بوقائعها وأمجادها ، تعاقبت خلالها أجيال من أحرار الفكر في أثرها أجيال من شهداء الحقيقة ، انصرفت عقولهم النوّاقة الملهمة الى التساؤل والتجريب والشك وسبر أغوار كل شيء بقصد استخلاص الحقائق التي تنطوي عليها طبيعة هذا العالم المادي وظاهراته المختلفة . ولقد جاء العصر الذي توّج فيه هذا الجهاد المرير « العذب » بنصر بلغ من روعته أن خفيت على الانسانية الواعية المثقفة حقيقة الخير وحقيقة الشر فيه .

إن الناس في عالم اليوم المضطرب الحائر ليتساءلون بحق : ترى أكان اطلاق هذه الطاقة الكبرى الكامنة في دقائق المادة أمراً من الأمور الباعثة على غبطتنا وارضاء غرور التحضر فينا أم أننا خليقون بأن نلتاع ونتكش من فزع وذعر ، لأن هذا الانسان « العفريت » استطاع أخيراً أن يكتشف هذا « العفريت » القويّ ويطلق له السراح ليفعل به الأفاعيل الى أقصى مدى تطيقه طبيعته ؟ !

إن إجابة دقيقة شافية على هذا التساؤل ليست أمراً ميسوراً أو موضوعاً ماديًّا نستطيع لأول وهلة الاحاطة بكل نواحيه . وعلينا أن ننتظر فسحة مديدة وكافية من الوقت تتعرّض خلالها معايير حضارتنا للاهتزاز والتقلقل ، لنستطيع الحكم مطمئنين ، سواء في عهدنا أو في عهود ذرارينا ، على مدى الغنم أو الغرم الذي يصيب البشرية من وراء مثل هذا الانقلاب الهائل في سير المعارف والعلوم التي تبنّتها حضارتنا الراهنة .

فالحق أن لهذه الحضارة أساليب وقوى ومكتشفات عريقة عراقة الأصول الحضارية ذاتها ، وهذه المكتشفات وتلك القوى ما زالت مزدوجة الطبيعة متعددة وجوه النفع والضرر والخير والشر على السواء ، حتى ليكاد الانسان يحار حيرة مطبقة وهو يسائل فكره في اي مكان من ثبت الحقائق والقيم يجب أن تسلك ، وما هو على التحديد مقامها من تراث الحضارة العام ؟ !

من صور الحياة السياسية ٢

الاتجاه الحضاري
في عصرنا الذري

للأستاذ صلاح الدين الشريف

لا يصح تحديد العلم بمجرد حدود اصطلاحية أو نخوم رمزية تحصر في نطاقها المرسوم طائفة معينة من المعارف والمعلومات ؛ إذ العلم في طبيعته وجوهره مجموعة من « القيم » الموصولة بصميم الروح ، إن صح هذا التعبير ، وإنه لصحيح . فالعلم روح كل محاولة من المحاولات وكل تجربة من التجارب ؛ وهو من ثم الدافع المعنوي لكل نزعة أو سليقة نفسية تغري الانسان باستقصاء وكشف ما وراء الظواهر والسطحيات . وهو أيضاً المحرك الفعّال لروح كل منهج من المناهج وكل أسلوب من الأساليب التي يتهدّى بها الانسان ، هذا الخالق المغير والكائن المفكر ، الى التعرّف الدائب على أي مجهول أو مستحدث من الحقائق والأفكار والقيم .

والعلم في جلته « فن » أصيل من فنون العقل الانساني العريق ، المكافح دائماً في سبيل التحرر من كل قيد من القيود المبثوثة أمامه على طول النخوم الفاصلة بين الجهل والمعرفة ، بين ممالكتي الظلام والنور ؛ فالعلم إذن يتجسد ذلك المظهر الروحي القوي لايمان الانسان إيماناً أبديًّا ومثاليًّا بقدرة المعرفة وسلطانها ، أو بمعنى آخر بقدرة الحقائق وحدها على جعل أفراد الجنس الانساني أحراراً وسعداء في الحياة .

وثمة على قمة كل ضرب من ضروب المعرفة الانسانية ، ترتكز تلك العقيدة الراسخة التي تنادي بأن آمال الانسان الشريفة ومطامحه المثلى ، متوقفة على المدى دائرة الرقعة التي يسودها حكم العقل لا حكم الطغيان والقوة العاتية ، لأن العقل لا الغريزة ، هو الذي يوجّه أبداً مصاير الانسان ، ويحدد ويحكم العلائق والصلات التي تربط بينه وبين سائر بني جلدته في عامة بقاع العالم

الفهرست

للجزء الرابع من المجلد العشرين بعد المئة

أ	حديث المقتطف	☆ ☆
ب	التصدير	للاستاذ اسبيرو جسري
ر	التقدمة	للدكتور الأب بولس مسعد
١	الفصل الأول	بيئة ابن سينا
٦	الفصل الثاني	سيرة ابن سينا
١٠	الفصل الثالث	مصنفاته وتقسيمه العلوم
١٣	الفصل الرابع	منطق ابن سينا
١٥	الفصل الخامس	طبيعيات ابن سينا
١٨	الفصل السادس	النفس في نظر ابن سينا
٢٨	الفصل السابع	العلل والوجود
٣٠	الفصل الثامن	الله تعالى
٣٤	الفصل التاسع	الخلق في نظر ابن سينا
٣٧	الفصل العاشر	هل يعرف الله الجزئيات؟
٤١	الفصل الحادي عشر	العناية الالهية
٤٤	الفصل الثاني عشر	الشر والخير
٤٧	الفصل الثالث عشر	السعادة والشقاوة أو علم الأخلاق
٥٧	خاتمة	للدكتور الأب بولس مسعد

وأفلوطين . من ذلك نظرية الفيض ، والمزج بين المبدإ والعلة ، وبين العقل والنفس .

إن فضل ابن سينا الوحيد على العلم هو أنه جمع في صدره خلاصات الحكمة والطب والأدب وهضم نتاج المفكرين الأقدمين بقدر ما سمحت له الظروف ، وزاد عليها وزكاها قليلاً . ظهر الشيخ الرئيس في أبان ازدهار المدنية العربية ، فأفرغ ما وعاه العقول العربية ، وما نقلوه عن الأمم الغربية من الآراء والاختبار في العلم والفلسفة والطب ، ورتبها في موسوعات وكتب ورسائل منظمة ، فساهمت لعالمه شهوراً ، وذاع ذكره بين علماء المشرق والمغرب ، وترجمت مؤلفاته الشهيرة مثل « القانون » و « الشفاء » و « إلهيات النجاة » إلى اللاتينية ، ودرست في جامعات أوربا إلى القرن السادس عشر ، ولا تزال بعض آرائه معتمدة عندهم مثل حالات الجواهر الثلاث ، قبل الكثرة ، وفي أثناء الكثرة ، وبعد الكثرة ؛ والفصل التام بين الوجود والماهية في الموجودات المحدودة ، ونظرية الامكان والوجوب ، وأقواله في الخير والشر والسعادة والعناية الخ ...

إننا لا نبعد الحق إذا قلنا إن ابن سينا هو أول فيلسوف في العربية كتب مذهباً فلسفياً منسجماً ، وقدر له ذلك فلاسفة الغرب في العصر الوسيط فتأثروا به تأثراً عميقاً تارة لاعتقادهم أنه أحسن من فسّر أرسطو ، لأن حقيقة فلسفته كانت غير معروفة ، وطوراً كانوا يعدونه تلميذاً لأفلاطون والقديس أغسطين ، والمدرسة الأوغسطينية . فكان بذلك عملاً لثقة الجميع ودليلاً طوال مئة عام . ولما ظهرت أخطاء نظريته كان خصومه أنفسهم قد تغذوا من فكره . ثم مرّ قرنان كان فيهما أصدقاؤه وأعداؤه عالة عليه . وبذلك حفظت له موضوعات شخصية في الفلسفتين الترماوية والسكوتية ، واستحالت أجزاء لا تنفصل من الكيان الفكري الغربي [1] .

وإذا كان لنا من تعليق على هذه الدراسة فهو أن الفكر الانساني الصالح لا تقيده الأديان والجنسيات ، ولا تكبله الحدود والتخوم ، بل ينطلق بحيناً وينطلق فعالاً ، ويهدم ويبني الى أن يقبض على الحقائق الخالدة التي هي وجهة جميع الصالحين .

الأب بولس مسعد

(١) كتاب الآنسة جواشون ، النزعة العربية ، ص ١٣

أن العقل السليم لا يناقض الوحي كما أنه لا يستطيع إثبات أسراره إثباتاً لا مرد عليه ، فالفلسفة تقوم على ما يقره العقل ، ويقدم الأدلة القاطعة على وجوده ، والدين يقوم على الوحي أي على كلام الله . والفيلسوف يستنتج براهينه من المبادىء الأولية المسلم بها عند الجميع ، واللاهوتي يستمد براهينه أولاً من الوحي ثم من العقل . هذا هو الفرق إذن بين العقل والوحي ، وهذه هي الحدود بين الفلسفة والدين . وفلاسفة العرب غابت عنهم هذه النتائج المنطقية الخطيرة .

أما ابن سينا فقد انقسم مفكرو العرب في نقده قسمين : قسم يرفع ذكره ، وينسب إليه أنه خطا بالفلسفة الاسلامية خطوة أوفت بها على الكمال ، ويمثل هؤلاء الشهرستاني بقوله [1] : —

« طريقة ابن سينا أدق عند الجماعة ، ونظره في الحقائق أغوص » . أجل أن الشيخ الرئيس قد استقى معظم نظرياته الفلسفية من الفارابي ، إلا أن هذا قد أجمل القول إجمال الممهدين ، وذاك فصّل كلامه تفصيل الشارحين فزاده وضوحاً وتقريباً من الأذهان حتى حجب بصيته وشهرته اسم السابق والممهد ، واستحق أن يسميه الشهرستاني « علامة فلاسفة العرب » .

والقسم الثاني يبالغ في ذم الشيخ الرئيس . منهم الغزالي الذي يصف نظرياته « بالتهكمات » في كتابه التهافت ، وابن طفيل الأندلسي الذي يقول « إن الحقيقة لا توجد في كتب ابن سينا [2] » وابن سبعين الأندلسي الذي يقول : « ابن سينا مموّه مسفسط ، كثير الطنطنة ، قليل الفائدة ، وما له من التآليف لا يصلح الشيء [3] » ثم يثبت أن فلسفته مخالفة لفلسفة أرسطو الملقب عندهم بالحكيم ، وأن ما ذكره من نظريات في التلويحات والاشارات ، وما رموه في حي ابن يقظان هو « من مفهوم النواميس الأفلاطون : كلام الصوفية » .

ونحن نرى أن فلسفة ابن سينا لا تختلف بجمل تقسيمها عن فلسفة أرسطو ما عدا النظريات الأخلاقية والسياسية من الناحية النظرية ، فالشيخ الرئيس يبدع ذلك الفقيه والدين كما أنه في الالهيات ، وعلم النفس قد خلط في أكثر الأحيان بين أرسطو وأفلاطون

(١) كتاب الملل والنحل ، الهامش ، ج ٣ ص ٩٣ .

(٢) في ابن يقظان لابن طفيل ص ١٩ — مطبعة الفرنسي بدمشق سنة ١٩٣٩ (٣) كتاب لويس ماسينون ص ١٢٨ ، وسنذكره باسم هذا الجزء ص ٤٣

خاتمة

إن وهن الفلسفة العربية مردّه ، والفلسفة السيحية حصوصاً ، ناجم عن نقص في الثقافة ، والتأمل الفلسفي العميق . فأساس الفلسفة العربية الفلسفة اليونانية يقول ابن سينا : « وأما نحن فسهل علينا التفهم لما قالوه ، وأول ما اشتغلنا به ، ولا يبعد أن يكون وقع إلينا من غير جهة اليونان علوم [1] » ومع ذلك فالفلاسفة الأعاريب مثل ابن سينا قد حاولوا شرح الفلسفة اليونانية ، والتوفيق بين نظريات حكمائها من غير أن يكون للأكثرية الساحقة منهم أدنى إلمام باليونانية ، فضلوا سواء السبيل . وبما أن الترجمات التي عوّلوا عليها في دراساتهم كانت مشوّهة وممسوخة ومقسوبة لغير أربابها في بعض الأحايين ، أتت فلسفتهم في الغالب مبتورة ومفككة الأوصال ، وفيها مناقضات لا تغرب عن بال الناقد .

لقد كان لزاماً على فلاسفة العرب أن يدرسوا اليونانية قبل أن يقتبسوا من حكمائها ، ويعلّقوا عليهم ، وهذا لم يكن صعباً عليهم ، لأن أغلب أساتذتهم السريان في فن الترجمة كانوا يجيدون تلك اللغة العلمية الجميلة . غير أنهم لم يفعلوا لغير العلم بسبب ذلك كثيراً . وإذا كان السريان قد عدّلوا نظريات حكماء اليونان بالزيادة أو النقصان ، فذلك صدر منهم لتأييد عقيدة دينية أو نقض أخرى كما أثبت ذلك النقد الحديث .

وبما أعاق أيضاً الفلسفة العربية عن التعليق في سماء الابداع ، هو خلط الفلاسفة بين الفلسفة والدين . فلقد سهوا عن أن الدين مصدره الوحي ، والفلسفة لا تؤمن إلاّ بالعقل المجرّد . ولو كانوا توقفوا عند توفيقهم بين الفلسفة والدين لكانت المصيبة محتملة ، ولكنهم أرادوا أن يخضعوا الحقائق الدينية للعقل ، بل رفع ابن رشد الحقيقة الفلسفية الى مستوى أعلى من الحقيقة الدينية ناسياً أو متناسياً أن المتناهي جزء من اللامتناهي ، والخالق أسمى بدرجات من المخلوق .

نحن لا ننكر أن الفلاسفة المسيحيين في العصر الوسيط قد طرقوا هذا الموضوع ، إلاّ أنهم وفقوا الى الفصل بين العقل والدين . فميزوا أولاً بين العقل والوحي ثم أبانوا

---

(١) منطق المشرقيين طبعة القاهرة ص ٣ .

وفي رسالة علم الأخلاق يريد الشيخ الرئيس هذه الفكرة وضوحاً ، ويبرهن على أن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، وأن الأخلاق كلها مكتسبة لا فرق بين الجميل منها والقبيح ، ولهذا من الممكن أن ينتقل الانسان من خلق لآخر بتعود الأعمال التي تناسبه . والفضائل تختلف في الناس بحسب المزاج والفطرة كما يختلف الاعتدال المطلوب في صحة البدن من فرد الى آخر [1] . لذلك يجب على الانسان أن يصبر على نفسه بليغاً صبراً حتى إذا مالت الى جهة من جهتي الافراط أو التفريط زجرها وأعادها الى الاعتدال .

٥ — إن بعض النقاد المعاصرين قد وجهوا النقد الى نظرية أرسطو في الفضيلة ، وهم بذلك ينتقدون تقريباً جميع الفلاسفة المسلمين الذين أخذوا عن المعلم الأول وتقدم ينتسب على أن وسط الشيء هو موقف هين لين فكيف يكون فضيلة ؟

إلا ان هذا النقد ليس في محله لأن الفضيلة ليست وسطاً حسابياً أو شيئاً بين بين بل هي من حيث الخير حد أقصى وقمة إذ أن الوسط هو ما تحكم الحكمة بعد تقدير جميع الظروف انه ما يجب فعله « هنا والآن » فهو خير بالاطلاق . ومما تجب ملاحظته أيضاً أن من الأفعال والانفعالات ما لا يحتمل الوسط ، فان من الانفعالات كالحسد والغيرة ومن الأفعال كالسرقة والقتل ما مجرد اسمه يدل على اثم وما هو مذموم بلا استثناء ، وأية كانت الظروف لأنها رذائل بالذات لا بسبب الافراط فيها أو التفريط ، فهي اذن غير قابلة للوسط التفاضل ، كما ان مثل هذا الوسط لا يوجد بين خيرين الواحد أكبر والآخر أصغر من حيث أن الفضيلة قمة في الخير [2]

ونختم هذا الفصل بكلمة بليغة لابن رشد قال فيها : « إنه يجب أن يستعين المتأخر بالمتقدم حتى تكمل المعرفة ، فانه عسير أو غير ممكن أن يقف واحد من الناس من تلقائه وابتداء على جميع ما يحتاج اليه في ذلك » فبين انه يجب علينا أن نستعين [3] بالغير .

---

(١) مجموع رسائل نشرها محي الدين الكردي عام ١٣٢٨ هـ . ص ١٩١

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ كرم ص ٢١٨ (٣) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣ ، طبعة هوتسما ص ١٨ .

مادة لها . لكنه لا ينصح الناس باستقراء الآراء السائدة وحكمة الشيوخ . إنما يبرهن على أنه « لابدّ في المعاملة من سنة وعدل . ولا بد للسنة والعدل من سائن ومعدّل . ولا بد أن يكون هذا بحيث يجوز أن يخاطب الناس ، ويلزمهم السنة ، ولا بد من أن يكون هذا انساناً . ولا يجوز أن يترك الناس وآراءهم في ذلك ، فيختلفون ويرى كل منهم أنه له فعدلاً ، وما عليه ظلماً . فالحاجة الى هذا الانسان من أن يبقى نوع الناس ويتحصل وجوده أشد من الحاجة الى انبات الشعر على الأشفار ... فواجب إذن أن يوجد نبي ، وواجب أن يكون انساناً وواجب أن يكون له خصوصية ليست لسائر الناس حتى يعلم الناس فيه أمراً لا يوجد لهم فيتميز به عنهم . فتكون له المعجزات التي أخبرنا بها . فهذا الانسان اذا وجد وجب أن يبين للناس في امورهم علماً بأمر الله تعالى واذنه ووحيه ، بهذا وانزاله الروح القدس عليه [1] » .

اذن يختلف ابن سينا عن أرسطو في هذا الموضوع بما اقتبسه من الدين . وهو يجعل النبي المشرع الخلقي الذي يضع السنن للناس وأسس إيمان الناس . بالأنبياء على المعجزات التي يخبرون بها ، وعلى عظمة تلك المعجزات . وهذا تحليل منطقي بالنسبة الى رجل له دين ، كما أن أقوال أرسطو منطقية بالنسبة الى رجل وثني .

ح — يعلّم أرسطو ان الفضيلة ليست طبيعية وانما الطبيعي فينا قوى واستعدادات تكتسب الفضيلة بمعاونة الطبيعة أي بطبعها على حالات معينة . فالفضيلة تتعلم كما يتعلم أي فن بإتيان أفعال مطابقة لكمال ذلك الفن ، وتفقد الفضيلة بإتيان أفعال مضادة لذلك تكون الفضيلة استعداداً ما بإزاء الانفعالات فتنشأ من ثم قوة بالمزاج وهي حالة توسط بين طرفين أي بين الافراط والتفريط [2]

وابن سينا لم يشذ عن هذا التعليم بل ذكره في مؤلفاته ولم يحد عنه طوال حياته.

وشرح الفيلسوف في رسالة « السعادة » فقال : « لا بد لبقاء العالم من استعمال القوى الشهوانية ، إذ اتصل بقاء الأنواع بها . ومن استعمال القوى الغضبية في الدفاع عن المدن الفاضلة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فاذن ليس بواجب أن تعطل هذه القوى كل التعطل ، بل الواجب أن تتوسط بين طرفي الافراط والتفريط [3]

---

(٣) طبعة حيدر آباد الدكن عام ١٣٢٨ هـ ص ١٠

(١) النجاة ص ٩٤ ، (٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام لمحمد لطفي جمعة وعثمان أمين ص ٢٤٧

ويتنافسوا ، لأنه بالمنافسة تحرك الفضائل ، وترجب الحدود على النفوس الشريرة التي لا تزجر عن المعاصي بزجره (رسالة الحدود)

*

ثالثاً — وقبل نشر القلم من هذا الفصل ينتظرنا الواجب الى ايجاز فكرة الأخلاق في الفلسفة السينوية اتماماً للفائدة من هذه الدراسة .

١ — وضع أرسطو كتاباً في علم الأخلاق أسماه « الأخلاق النيقوماخية » وهو في عشر مقالات . ونفهم عنه أن علم الأخلاق ينظر في أفعال الانسان بما هو إنسان ، ويدبرها على هذا الاعتبار ، فهو علم عملي ، وغايته تقرير ما يجب فعله ، وما يجب اجتنابه أي تنظيم الحياة بالقانون [1] .

وابن سينا يقسم العقل الى قسمين : العقل النظري ، والعقل العملي . الأول يستخدم في كسب الحقائق أي العلوم . والثاني تكون غاية تدبير البدن . قال أرسطو الاسلام : « وأما النفس الناطقة الانسانية فتنقسم قواها أيضاً الى قوة عاملة وقوة عالمة . وكل واحدة من القوتين تسمى عقلاً باشتراك الاسم فالعاملة قوة هي مبدأ محرك لبدن الانسان الى الأفاعيل الجزئية الخاصة بالروية . على مقتضى آراء تخصها اصلاحية ... وأما القوة النظرية فهي قوة من شأنها أن تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة . » [2] أي تكسب النفس العلم .

والأخلاق تكسب على وجه التحقيق الى القوة العاملة ، التي من القياس الى نفسها فيما بينها وبين العقل النظري تتوفر الآراء الذائعة المشهورة مثل الكذب قبيح [3] أي تقرير ما يجب على الانسان أن يفعله ، وما يجب عليه اجتنابه . وهذه هي فكرة أرسطو .

ب — يعتقد أرسطو أن علم الأخلاق متغير جداً ، والمعاني الخلقية معقدة متغيرة أيضاً ، وليس من اليسير كشف العلة فيها ، فيجب أن نبدأ بما هو أبين بالاضافة إلينا ، لا بما هو أبين بالذات ، ونعتمد بالاضافة إلينا ، فنستقرىء الآراء الشائعة ، ونستعين بخبرة الشيوخ ، وعلى الأخص بخبرة الفضلاء ، لأن علم الأخلاق يكتسب بالخبرة [4] .

وابن سينا يعلم أيضاً أن الخلق ملكة يصدر بها عن النفس أفعال ما بسهولة من غير تقدم الروية أي ان الأفعال الخلقية تصدر عن النفس متى رسخت فيها ، وأصبحت

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم ص ٢٣٠ (٢) النجاة ص ٢٦٧
(٣) نفس المصدر ص ٢٦٧ (٤) المصدر نفسه ص ٢٤٦

وخير النساء العاقلة الدينية ، القطنة ، الولود ، الرزينة ، العالمة الذياء . وعليها ثلاثة شروط : أولاً أن تهاب زوجها مهابة شديدة ، وفي غير ذلك الانقلاب . ثانياً أن تكرّم زوجها كما عليه أن يكرّمها اذ أن الاكرام يدعو الى أمور كثيرة جميلة . ثالثاً أن تشغل رأسها بالأمور البيتية بلبية كياسة الأولاد، وتدبير الخدم والسير على طرق الانفاق، لأن المرأة من غير عمل تكون مفسدة . فما أحرجنا في هذا العصر الى هذه التعاليم النافعة !

د — وفي القسم الرابع تحدث عن حقوق الولد على والده ، فأوجزها فيما يلي : أولاً حسن التربية واختيار المرضعة . ثانياً الشروع في تأديبه بعد الفطام حالاً . ثالثاً — تعويده الأخلاق الفاضلة تارة بالترحيب ، وطوراً بالتوبيخ ، وان اقتضى الأمر فبالضرب ، إلاّ أن الضربة الأولى يجب أن تكون غير موجعة لئلا تسيء الى الصبي بها . رابعاً — تعليمه في المدارس . خامساً — دفعه الى مدرس رزين متدين صاحب مروءة . سادساً — السير على العشرة ، حال الصبي من الصبي ألقن . سابعاً — تعليمه صناعة تشاكل طبعه وتناسبه . ثامناً — ابعاده عن الكسل وتعويده العمل . وإذا لم يصنع معه كذلك كان الوزر والاثم على والديه . .

ر — وفي القسم الخامس تحدث ابن سينا عن سياسة الرجل خدمه ، وأوجب عليه احترامهم والبعد عن احتقارهم ، لأن من يكفينا التناطي بيدنا فقد قام عندنا مقامها . ولا يجوز لنا أن نتخذ خادماً إلاّ بعد الاختبار له ، وعلينا أن نجانب منهم ذوي العاهات كالعوران والمرجان ، وألاّ نثق بذوي الكياسة الكثيرة والدهاء البين . . .

ز — صفوة القول إن سياسة ابن سينا مع ايجازها ، وقلة ابتكارها ، وبعض الهنات التي تصورها لا تزال من أفيد كتبه وأحسنها . والغريب ان كتاب السياسة عند أرسطو من الكتب المطوّلة ، وهو يقع في ثماني مقالات : في تدبير المنزل ، وفي الحكومات والدساتير ، وفي الدولة والمواطن ، وفي الدساتير الوضعية في ثلاث مقالات ، وفي الدولة المثلى في مقالتين . وكذلك أفلاطون له كتاب الجمهورية المشهور ، فكيف نفسر عدم تأليف ابن سينا في السياسة والأخلاق نظريات متماسكة ومشروحة بإسهاب ؟

يذهب « دي بور » في كتابه « تاريخ الفلسفة في الاسلام » إلى أن ابن سينا « لا يتعرض لأن يبني مذاهب أخلاقية وسياسية من الناحية النظرية ، بل يدع ذلك للفقهاء ، ويستشعر من نفسه أنه رجل منهم فوق المرتبة الانسانية ، وأحكام الشريعة الطبيعية والالهية هي لعامة الناس وليست لخاصتهم » . والأنبياء برضعهم الشرائع ينصّون على الكليات ، ويفوّضون الجزئيات إلى رأي المجتهدين ليجتهدوا فيها ، فيستخرجوا

ب — في القسم الأول تحدث ابن سينا عن سياسة الرجل نفسه ، فبرهن على انه لا يستطيع إصلاح غيره ما لم يصلح نفسه أولاً ، لأنها أقرب الأشياء اليه ، وأكرمها عليه ، ولأنه متى أحسن سياسة نفسه تيسر له تقويم الغير . ثم على المرء أن يعرف أن له عقلاً هو النائس ، وأنفعالاً هي المسوسة ، فكل فعل لا يقوده العقل يكون في الغالب مفلوطاً . والعقل لا يقدر على إصلاح النفس ما لم يعرف مساوئها معرفة محيطة ثم يبدأ استئصالها . غير أن هذا الأمر عسير ، لأن الواحد منا مفطور على حب نفسه على غيره ، وكثير المسامحة لها عند محاسبتها ، لذلك هو بحاجة الى الأخ اللبيب الوداد الذي يكون منه بمثابة المرآة تريه حسن أحواله حسناً ، وسيئها سيئاً . وأحوج الناس الى الاصلاح هم أصحاب السلطان ، لأنهم لا يكترثون للسقطات ، ويغضبون على من يطلعهم على حقيقة حالهم ، ويقربون منهم قرناء السوء الذين يفسدون عليهم الاصلاح بتزاحمهم وتدليسهم . أما عامة الناس ، فاصلاح فاسدهم سهل متى توفرت النية الحسنة . وخير وسيلة لاصلاح النفس غرس مناقب الغير ومثالبه ، والاتعاظ بها مع إثابة النفس باللذة المشروعة اذا اكتسبت الفضائل ، وحرمانها اللذة وتعذيبها إذا جمحت وتمردت .

ج — وفي القسم الثاني تحدث ابن سينا عن سياسة الرجل دخله وخرجه ، فأقام الدليل على أننا نفتقر الى الأقوات ، وعلينا أن نكتسب معيشتنا بالوجه المشروع ، وهو نوعان : الوراثة ، والعمل للكسب الشريف الذي يكون بطريقتين إما بالتجارة ، وإما بالصناعة التي هي خير من الأولى لأن آفاتها أقل ، وعواقبها أسلم . وهذا القول يذكرنا بتعاليم جان جاك روسو الذي فرض في كتابه المدهر « إميل » على الرجل الكامل أن يتعلم الحرف النافعة في غير شبابه . وصناعات ذوي المروءة بحسب تعليم ابن سينا ثلاثة : حسن التدبير والمشورة والرأي ، وهو صناعة أصحاب السلطان ، والأدب والعلم وهما صناعة الأدباء ، والقوة والشجاعة وهما صناعة الجند والفرسان . ثم تكلم عن الصدقات والزكاة ، وحرض الناس على البعد عن الكسب الحرام ، وحضهم على المعروف بخمسة شروط : بالتعجيل ، والكتمان ، والتصغير ، والمثابة ، ووضعه في محله ، وإلا كان لا قيمة له . وأما النفقات فيجب أن تكون في الاعتدال ، وأما الذخيرة فلا ينبغي للعاقل أن يغفلها متى أمكنته ، لئلا يحتاج إلى غيره متى دهمته المصائب .

د — وفي القسم الثالث تحدث الشيخ الرئيس عن سياسة الرجل أهله ، والأهل بحسب تعبير ابن سينا امرأة الرجل وشريكته في ماله ، وقيمته في ماله ، وخليفته في رحله

وتذكر مقتضيات البدن أنها تنامي بعد جزاء ذلك عذاباً ناشئاً أما النفوس المقدسة فانها تبتعد عن أعمال الجسد، وتتصل بمبادئ الذات، وتتغمس في اللذة الحقيقية، وتتبرأ من النظر الى عالمها وان المعاني التي كانت لها كل التبرأ. وعلى هذا تكون السعادة في مذهب الشيخ الرئيس — سواء أكان هذه الدنيا كانت أم في الاخرى — قائمة بشيء تفاني البدن، وكذا الشقاوة تجري ايضاً على هذا النهج. وقد خالف ابن سينا في نظرية السعادة عن أستاذه الفارابي، لان هذا كان يسلم بأن النفوس الجاهلة الفاسدة تصير بعد الموت إلى العدم مثل الحيوانات العجماء، وأن لا شقاوة وسطى بين الشقاوة الابدية والسعادة الأبدية (راجع المدينة الفاضلة).

*

ثانياً — نلفت النظر إلى أن فلاسفة المسلمين لم يفهموا العلم السياسي بمعناه الفسيح بل ان جل جهودهم انصبت على سياسة المرء مع رؤسائه، وأكفائه، والذين هم دونه (راجع كلام الفارابي في المدينة الفاضلة). أما ابن سينا فانه خصص الفصل الخامس من المقالة العاشرة في الشفاء للكلام عن الخليفة، والامام، ووجوب طاعتهما، وعن السياسات والمعاملات، والاخلاق. ثم ترك لنا رسالة في الاخلاق وثانية في السياسة لم يأت فيهما بجديد، وطبعتا في كتاب عنوانه « مقالات فلسفية قديمة لبعض مشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصارى » بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩١١. وقد عد الأب قنواتي مؤلفات ابن سينا في كتابه « مؤلفات ابن سينا » فبلغت ٢٧٦ كتاباً بين طويل وقصير، وفيها بعض الكتب المنحولة، ومع هذا المحصول الوافر لم ير ابن سينا السياسية سوى اهتمام بسيط. فضلاً عن أن كلامه في هذا الموضوع بعيد من العمق والابداع، ومع ذلك نرى تلخيص نظر ابن سينا في السياسة اتماماً للفائدة:

١ — تنقسم رسالة ابن سينا في السياسة الى مقدمة، وخمسة أقسام. تكلم في المقدمة عن التفاوت بين الناس في الصفات والرتب. وهذه الفكرة طبيعية، وموجودة في فلسفة أفلاطون وأرسطو وفي دين ابن سينا نفسه. إلا أن الفيلسوف المسلم لم يجار أرسطو بجعل الرق من نظام الهيئة الاجتماعية، ولم يعد العبد بأنه « آلة حية » و « آلة للحياة » ضرورية لضرورة الاعمال الآلية المنافية لكرامة الوجدان الحر، بل تحدث عن سياسة الرجل خدمه برفق كما سترى. وقد شبّه ابن سينا رب البيت بالراعي الذي يسهر على غنمه، وأوجب عليه الاهتمام بنفسه، وأهله، وخدمه وخرجه، وأولاده، وخدمه.

في التكاليف الشرعية وهو في حكم من لا يكلف » (مقامات العارفين ص ٢١). ثم يعقب العارفين أصحاب النفوس المترددة ، وهؤلاء ليسوا في قوة الكمال لأنهم لم يتجردوا من ذواتهم بعد ، وليسوا على الحضيض لأنهم يشكرون قسطهم الكمال أخيراً يتار هذه المرتبة أصحاب النفوس الخمسة لأنهم « بمرتبة النفوس المنغمرة في عالم الطبيعة المغموسة التي لا مناص لقائها المنكوسة » وهؤلاء في عمق أعماق الشقاء .

من هذا يظهر أن النفس في نظر ابن سينا يمكنها أن تتمتع في السعادة السامية وهي مكبلة بأغلال البدن ، وذلك متى تم لها اقتباس سائر العلوم النظرية والعملية والاتشاح بثوب العفة والشجاعة والابتعاد عن شهوات الجسد الدنيئة ، لأن هذه لا تزال في النفس اللذة الوقتية حتى تذيقها أفدح الارجاع وأمرها ، فتكون اذن شقاوة هذه الحياة في عدم المقدرة على التلذذ .

هـ — أما في الحياة الباقية فان النفس ثلاث حالات : سعادة أبدية ، وشقاوة مؤقتة ، وشقاوة أبدية . فالسعادة الأبدية يظن ابن سينا أنها تتوم بتصور الأنسان المبادىء المفارقة تصوراً حقيقياً وبالتلذذ بالمشاهدة الالهية ، فليست إذن مادية ولذلك أول من ينال هذه السعادة هم الذين صار فيهم الكمال ملكة . أما نفوس الجهال التي لم تكتسب الشوق الى العالم الثاني ، فانها اذا فارقت البدن ، وكانت غير مقيدة بالعادات البدنية الرديئة صارت الى سعة من رحمة الله ، ونالت السعادة الأبدية . وسعادة العالم أسمى من سعادة الجاهل ، ولكن الجاهل الصالح خير من العالم الشرير .

وان ابن سينا لم يحدد ماهية الشقاوة ولكنه علّم ان أهل الشقاوة المؤقتة هم الذين سقطوا في هذه الحياة سقوطات عديدة إلاّ أن هذا لم يمنعهم كلياً عن تأمل الخير المطلق . فهؤلاء متى فارقت نفوسهم أبدانهم يذهبون الى مكان يطهرون فيه من أدناسهم بعقوبة غير خالدة « بل تحمى قليلاً قليلاً حتى تزكو النفس وتبلغ السعادة » (النجاة ص ٢٨٨) . وهذا تعليم المسيحيين في المطهر ، فهم يؤمنون بأن من يموت منهم في حال الخطيئة العرضية يذهب الى المطهر حيث تزكو نفسه بألوان من العذاب الزمني ثم تخرج الى سعادتها الأبدية .

أما أبناء الشقاوة الأبدية فهم فئة الآثمين أي الذين كثر شرهم وعظم آثامهم في الدنيا والآخرة . ويشارك هؤلاء في الشقاوة الأبدية العلماء الذين يعرفون الكمال ويحنون إليه دون أن يتصفوا به .

وخلاصة القول إن النفوس الشقية يغمرها شقاؤها بالالتفات الى أحوال الدنيا ،

اليها ولا يستلذها ، كما أن المريض لا يستلذ الخل وكذلك المعارض . . . إن لذة كل قوة حصول كمالها . فلحس المحسوسات الملائمة ، والتفكر في العلوم ، والترجاء للظفر ، ولكل شيء ما يخصه ، وللنفس الناطقة مصيرها عالماً عقلياً مضاهياً للعالم (النجاة ص ٤٠٢) . أما اللذة الحسية فهي أفعال البدن الواثقة ، وهو دوماً يحن الى ممارستها . واللذة السامية هي التي تلائم النفس ، وتسوقها الى إدراك الكمال لأن كل من يحصل له كمال ما يجد في الحصول عليه لذة . إلا أن الكمال يختلف باختلاف مراتب القوى النفسانية ، فالكمال الأتم ينشيء في النفس لذة أبلغ وهو الأصل .

٥ — وكما أنه توجد لذتان عقلية وحسية هكذا توجد سعادتان : وقتية ودائمة . فالسعادة الوقتية تقوم في اللذة الحسية ، والسعادة الدائمة تقوم في اللذة السامية . أما الانسان فانه في السعادة الحسية يشارك الخير والبهائم التي لها « حالة طيبة ولذيذة » على حد تعبير الشيخ الرئيس ، وفي السعادة السامية يشارك الجواهر المفارقة ، ويرتفع فوق وجوده .

أجل إن الجسد يعيقنا عن بلوغ الكمال ، والمادة تضع في وجهنا العراقيل لئلا ننتهي إلى السعادة الدائمة ، ولكننا إذا خلعنا ربقة الشهوة ، والغضب ، وأخواتهما من أعناقنا ، وطالعنا شيئاً من تلك اللذة السامية ، فحينئذ ربما تخيلنا منها خيالاً طفيفاً خفيفاً (النجاة ص ٤٨٢) فتكون اللذات الروحية في رأي الشيخ الرئيس أفضل من اللذات الجسدية . وبما أن النفس الناطقة هي روح فيمكنها أن تحصل على السعادة السامية في هذه الحياة ، وذلك بالتحلي بالفضائل ، والشغف بالجمال الحقيقي .

٦ — إن السعيد الذي لا يفتقر في سعادته الى أحد هو واجب الوجود . والذي يتلوه في رابعات السعادة العقول المفارقة ، التي كلما دنت منه تعالى ، وبالغت في تأمله زادت لذة وكمالاً مثل الأجسام الطبيعية التي كلما جاورت النار تزداد حرارة . ثم بعد العقول المفارقة يأتي عشاق الخير المطلق ، وهم الذين قد وصلوا الى أعلى درجة يمكن أن يبلغها الانسان من الكمال . وهؤلاء السعداء في نظر ابن سينا هم العارفون الذين يتجاوزون عن غيرهم بانطلاق أرواحهم من القيود ، وهو سر يجب الاحتفاظ به عن العامة ، ويفضي به الفيلسوف الى مريديه أي الطالبين له . ولقد وصف ابن سينا العارف في الخط التاسع من « الاشارات والتنبيهات » وصفاً شائقاً ثم في مقامات العارفين المطبوع في ليدن ، وبلغ به الاندفاع الى القول : « ربما ذهل العارف وغفل عن كل شيء فصدر عنه احوال

الفصل الثالث عشر

السعادة والشقاوة

أو علم الأخلاق

اولاً — نشعبت نظريات الفلاسفة في أمر سعادة الانسان وشقاوته فأفلاطون وأتباعه من قدامى ومحدثين وضعوا سعادة الانسان في الفضيلة ، وشقاوته في الرذيلة . وأرسطو وأتباعه من قدامى ومحدثين أيضاً وضعوا سعادة الانسان في الخير الأعظم الذي هو الله والشقاوة في العدم التام . ومن الفلاسفة من جعل السعادة في مخالطة البشر والتمتع بلذات الحياة ، والشقاوة في هجر المجتمع وأطايب الحياة . ومنهم من قال مع هوبس : « الانسان ذئب على أخيه الانسان » والسعادة في الانسلاخ عن المادة وأعمالها المرهقة . أما ابن سينا فانه يعتقد أن سعادة الانسان في اللذة ، وأن الوصول اليها يكون عن طريق الفضيلة ، والشقاوة في حرمان اللذة .

ا — ينظر الشيخ الرئيس الى الحياة نظرة المتفائل لأن الخير شامل في الوجود والشر جزئي ، ولأن الانسان أفضل معوان في جلب السعادة لأخيه الانسان . وهو يفارق سائر الحيوانات ، لأنه لا يحسن معيشته لو انفرد وحده ، وهو لا بد أن يكون مكفيًا بآخر من نوعه يكون ذلك الآخر أيضاً مكفيًا به وبنظيره ، فيكون مثلاً هذا ينقل إلى ذاك ، وذاك يخبز لهذا ، ولهذا أضطر الناس الى تأسيس المدن (النجاة ص ٤٩٨) وهذا القول مأخوذ عن أرسطو الذي يقول « إن الانسان مدني بالطبع » .

ب — بعد أن يؤمّن الانسان ضروريات حياته يركض الى اللذة ، إلاّ أن البشر متفاوتون في الاستمتاع بلذات الحياة كما خلقوا درجات بعقولهم ورتبهم . واللذة في المذهب السينوي تقوم في الفعل ، وهي على أربعة أنواع : عقلية ، وحسية ، وخسيسة ، وسامية ، إنما يمكن جمعها في نوعين : عقلية وحسية . والفرق بين اللذتين يقوم في أن اللذة التي تجب لنا بأن نتعقل ملائماً هي فوق التي تكون لنا بأن نحس ملائماً ، أولاً لنسبة بينهما . والانسان بعقله يسمو الى اللذة العقلية ، إذا بذله بعد الوصول

موجود ، وهو أكثر من الشر النسبي ، إلا أن الشر المطلق لا محالة من الوجود شيئاً .

قلنا إن الخير الجزئي أكثر من الشر الجزئي ، لأنه لو كان الشر في شيء من الأشياء أكثر من الخير ، لامتنع وجود ذلك الشيء ، أي لو كان مثلاً ضرر النار أكثر من نفعها لما وجدت النار ، من هذا يبدو جلياً أن الخير من طبيعة الوجود ، والشر من طبيعة العدم [1] .

هنا يتوارد إلى الخاطر سؤال : أما كان باستطاعة الباري أن يوجد الخير بمعزل عن الشر ؟

أجاب الشيخ الرئيس على هذه المسألة بقوله : إن الله صحح بوجود الشر ، لأننا لولا الشر لما عرفنا الخير ، كما أننا لولا الظلمة لما كنا نعرف النور ، ولولا المرض لما كنا نغتبط بالصحة . وكأن هذا الجواب لم ينف كل ريب من رأس أمير فرسقة المشرق فزاد أن البشر لا يمكنهم أن يدركوا حكمة الخالق في خلقه : « لو كان أمر الله تعالى كأمرك ، وصوابه كصوابك ، وجميله كجميلك ، وقبيحه كقبيحك (كذا) لما خلق أبا الأشبال أفضل الأنياب ، أحجن البرائن لا يغذوه العشب » فالله إذن لا يفتش في أحكامه عما تفتش عنه نحن في أحكامنا الضعيفة ، وأحلامنا القاصرة ، بل ينظر الى الوجود نظرة سامية لا نستطيع الى ادراكها سبيلاً .

لكن إذا كان البشر يعرفون الشر فكيف يصنعونه ؟ . . . ليس بين الناس من يقترف الشر بما أنه شر ، ولكنه يقترف الشر ظناً منه أنه سينال خيراً ولذة وبهجة وقت يقدم على عمله . والله تعالى لا يعارض أحداً عند ارتكابه الشر . جاء في الحديث « خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي ، وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي ، وكل يسر لما خلق له » . ونظرية ابن سينا في الخير والشر مرتبطة تمام الارتباط بكلامه عن تكوين العالم والعناية الالهية .

لهذا لا نغالي اذا قلنا إن نظرية ابن سينا في الخير والشر ، على الرغم مما يعتورها من هنات ، هي من أبدع نظرياته وأجلها وأشدها التصاقاً بالحقيقة بعد نظرية الامكان والوجوب التي أخذها عن أستاذه الفارابي .

وتناول هذه النظرية القديس توما الأكويني وسائر الأئمة المدرسيين عن الشيخ الرئيس ، وزادوها بسطاً وشرحاً إلا أن الجوهر لا يزال واحداً : « الخير مقتضى بالذات ، والشر مقتضى بالعرض » .

---

[1] راجع كتاب « من أفلاطون الى ابن سينا » : فلوطين جبل تطهير من كتاب ماير

له طعامه فهي خير ، ولكنها اذا حرقت ثوب فقير يتسول ، فعندئذ تصير شراً . إن العمى في أعين جميع الحيوانات شر ونقص لها ، والنقص قريب من العدم ، ولكنه للخفاش خير لأننا لولا العمى لما كنا نلتف بالصدر .

وكما انه لا وجود للخير المطلق في هذا الكون لأنه لا شيء فيه واجب الوجود كذلك لا شر مطلق في الكون لأنه لا خير عن عدم مطلق ، فليس شر بشيء حاصل ، ولو كان له حصول لكان الشر خيراً . غير أن الشر إما يعرض للمادة قبل اتمامها أو يطرأ عليها ، فاذا عرض لمادة ما في أول وجودها بعض أسباب الشر الخارجة فكونت منها هيئة من الهيئات ، فتلك الهيئة تمانع استعدادها الخاص للكمال الذي تهيئت بشر يوازيه . مثل المادة التي يتكون منها انسان أو فرس ، إذا عرض لها من الأسباب الطارئة ما جعلها أردى مزاجاً ، وأعصى جوهراً فلم تقبل التخطيط والتشكيل والتقويم فتشوهت الخلقة . وأما الأمر الطارىء من خارج ، فأحد شيئين . إما مانع للكمال ، وإما ماحق للكمال . مثال الأول وقوع سحب كثيرة وتراكمها ، وظلال جبال شامخة تمنع تأثير الشمس في الثمار على الكمال . ومثال الثاني حبس البرد للنبات المصيب لكماله في وقته حتى يفسد الاستعداد الخاص وما يتبعه . وأسباب الشر توجد فيما تحت فلك القمر ، وجملة ما تحت فلك القمر نظيف بالقياس الى سائر الوجود [1] .

ولكن ما هي حكمة الله من الشر في العالم ، وكيف استطاع وهو الخير المحض أن يوجد الشر ؟

إن الله لم يوجد الشر ، لأن الشر لا يملك وجوداً بل نقصاً ، وعدماً ، والله لا يمكنه أن يخلق النقص والعدم لأن لا وجود لها ، على أنه تعالى أوجد الخير والخير تام انشر بنوعه النسبي . وبعبارة أصرح : إن الله أوجد مباشرة العقل الأول . ومن العقل الأول صدرت سائر العقول المفارقة بترتيبها المعروف ، ثم العقل المفارق الأخير أصدر البسائط وعنها انبثقت المركبات التي فيها وحدها ، وهي ما تحت فلك القمر ، ينحصر الشر . عدا ان هذا العالم الذي نحن فيه يقتضيه وجود الخير مع الشر ، لأنه عالم الكون والفساد ، بل عالم القوة والفعل ، وحيث توجد القوة لا بد من وجود الشر . إلا أن هذا الشر أقل ذيوعاً من الخير ، لأن الخير المطلق موجود وهو الله تعالى ، والخير النسبي

(١) النجاة ص ٢٣٣

الفصل الثاني عشر

الشر والخير

لا بد للمتبصر من أن يسلم بوجود الخير والشر في العالم . ألا ترى مثلاً أن الأمطار هي حياة المزروعات ، ولكن اذا هطلت على انسان لا يجد ستقاً يأوي اليه أيعدها خيراً سكبته عليه العناية الالهية هذا ما لا نظنه . إذن ما هو الخير والشر في الشر ابن سينا ؟

إن الكمال المحض والخير المحض هو واجب الوجود لأنه يملك تمام الوجود ، وحق بكل معاني الحق . والشر بنفسه هو العدم ، أي أن الخير هو ذاك الشيء التام الوجود الذي يشتاقه كل انسان ، والشر لا ذات له ، بل هو إما عدم جوهر أو عدم صلاح حال الجوهر [1] . فيكون مثل الشر المانع للخير في العالم مثل سحابة ظللت فحجبت شروق الشمس . « الوجود خيرية ، وكمال الوجود خيرية الوجود . والوجود الذي لا يقارنه عدم ، لا عدم جوهر ، ولا عدم شيء للجوهر بل هو دائم بالفعل ، فهو خير محض . والممكن الوجود بذاته ليس خيراً محضاً لأن ذاته بذاته لا يجب له الوجود ، فذاته بذاته تحتمل العدم ، وما احتمل العدم بوجه ما فليس من جميع جهاته بريئاً من الشر والنقص ، فاذن ليس الخير المحض الا الواجب الوجود »[1]

يظهر من هذا الكلام وغيره أن ابن سينا يقسم الشر والخير في الوجود الى قسمين متقابلين : خير مطلق وشر مطلق ، خير نسبي وشر نسبي . فالخير المطلق هو واجب الوجود لأن لا امكان فيه ، وكل شيء فيه هو بالفعل ، والشر المطلق هو عدم مقتضى ما يليق الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته . ولهذا قال أرسطو الاسلام في الطبيعيات الشفاء : « الخير مقتضى بالذات ، والشر مقتضى بالعرض »[2] ، أي عندما يتسلط العدم على وجود ما يكسبه شراً .

أما الخير النسبي والشر النسبي فيمكننا ايضاحهما بما يلي : يتفق في بعض الأحايين أن يكون ما هو شر لواحد خيراً لآخر . إن الشر اذا حسبناها مجردة عن ظروف المكان والزمان هي قابلة أن تكون خيراً وشراً ، فاذا كانت — مثلاً — تحت « حلة » الفلاح تنضج

(١) النجاة ص ٢٧٣ (٢) النجاة ص ٢٧٤

جاء في كتب اللغة : « أحاط بالأمر علماً » أي أحدق به دلهه من جميع جهاته . وعلى أحدق علم الانسان بشيء يكون قد تعقل ذلك الشيء . والحال أن ابن سينا قد ركز مبدأ أبينا على ذكره وهو أن التعقل عند الجواهر المفارقة هو بمثابة الابداع ، فيكون ذلك أن الله ، بحسب هذا القول ، يعقل جميع الأشياء ، وبما انه قد خلقها فيجب أن يبدعها بمعزل عن توسط أي علة أخرى . وبهذا يقضي على نظرية الفيض من حيث لا يدري . ويصح فيه بنوع ما قول ابن سينا نفسه : « ابن سينا نفسه مغلوط ، كثير الخلجة ، قليل الفائدة » (١) .

٣ — وقد شرح القديس توما العناية الالهية بوضوح فقال : —

« لما كان ان كل فاعل يفعل لغاية معلومة ، كان عموم سوق المعلومات إلى غاية على قدر عموم علية الفاعل الأول . وبما أن علية الله الذي هو الفاعل الأول تعم جميع الموجودات ليس من حيث المبادىء النوعية فقط بل من حيث المبادىء الشخصية أيضاً ، لا في الأشياء غير الدائرة فقط بل في الأشياء الدائرة أيضاً ، كان لا بد أن تكون جميع الأشياء الموجودة بحال من الأحوال مسوقة من الله الى غاية . ولما لم تكن عناية الله إلا سبب سوق الأشياء الى غايتها فلا بد أن تكون جميع الأشياء خاضعة لها من حيث هي مشتركة في الموجود . وبوجيز العبارة اذا كان الله هو علة جميع الأشياء المباشرة ، وكان يعرف جميع الأشياء كليها وجزئيها مباشرة كان عليه ولا ريب وهو الحكيم العام أن يعتني بجميع الأشياء مباشرة . وهذا واضح حتى أن ابن سينا نفسه قد أقره بطرق مبهمة .

ويسرنا أن نختم هذا الفصل بكلمة بليغة كتبها أحد مؤسسي المقتطف المأسوف على علمه الدكتور يعقوب صروف . قال أجزل الله ثوابه :

« من الناس من يقول : « ان الله معتنٍ بالأمور الكبيرة ، ولكنه لا يلتفت الى الصغيرة » فلو صح زعمهم وترك صغار الأشياء لترك الجراثيم نفسها لأنها من أصغر ما يوجد . ولو تركها سنة واحدة لخرب نظام العالم ، وصار الانسان يزرع أرضه قمحاً فتنبت له عقارب ، وينصب كرمه عنباً فيخرج له حيات ، ويتزوج بامرأة فتلد له جنادب ، ويركب على فرس فيستحيل تحته ضفدعاً ... لو بطلت العناية لحظة من الزمان لتعذر علينا أن نعرف مصير هذه الجراثيم » . وكان مصيرنا معها الفناء . فسبحان العناية الالهية .

(١) أنظر كتاب ماسينيون المستشرق :

Recueil des textes inédits concernant l'histoire de la mystique en pays de l'Islam, Paris Geuthner 1929 p 123

أو بشعورها »[1].

فينتج من ذلك : كما أن الله ، في نظر فيلسوفنا ، يعرف الجزئيات بعلل الكليات ، هكذا يعني الجزئيات ويدبرها بالعلل الكلية . إذ ليس شيء في شيء من الجزئيات إلا وهو صادر عن علة كلية ، بوساطة العليا .

وهذا الرأي المغلوط يتساوق مع النظرية السببية في تكوين العالم ، ويناقض كتب الوحي التي تصرح بأن عناية الله لا تنحصر في العلل العالية ، ولا في السماء ، الأرض ، ولا في الإنسان والملك ، بل تشمل أحشاء أصغر الحيوانات أو بصيرة الغربان ، يعلم الله دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء .

٢ — نشير أن الشيخ الرئيس ، إيضاحاً للشرح ، أضاف إلى ما تقدم قولاً معقداً هاكه بالحرف :

« ليس لك سبيل الى أن تنكر الآثار العجيبة في تكوين العالم ، وأجزاء الحيوانات ، وأجزاء النبات والحيوان مما لا يصدر ذلك اتفاقاً بل يقتضي تدبيراً ما ، فيجب أن تعلم أن العناية هي كون الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير ، علة ذاته للخير والكمال بحسب الإمكان ، وراضياً به على النحو المذكور فيعقل نظام الخير على أوجه الأبلغ الذي يمكنه فيضاناً على أتم تأدية الى النظام بحسب الإمكان فهذا هو معنى العناية »[2].

حقاً إن هذا الكلام فيه من المغالطة ما ليس بقليل . هب أن الأول يعلم من نفسه نظام الخير ، وأنه هو نفسه علة هذا الخير والكمال « بحسب الإمكان » فهل يكفي ذلك لتقدير العناية الإلهية التي تعتني بدقائق الجزئيات ؟ هذا ما لا نظنه . وكما أن الطبيب الأفضل ليس من يلاحظ الكليات فقط ، بل من يقدر أن يلاحظ دقائق الجزئيات أيضاً ، هكذا المعتني الأفضل ليس من يعرف نظام الموجودات وحده ، بل من يحيط علماً بأصغر الموجودات وأدقها .

قال ابن سينا : « العناية هي احاطة علم الأول بالكل ، والواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن نظام » . ومعناه أن العناية الإلهية تشمل جميع الموجودات في هذا الكون الفسيح الأرجاء ليتم اتساق الوجود .

---

(١) الهيات النجاة ص ٤٦٣ .

(٢) الهيات النجاة ، ص ٤٦٩ .

الفصل الحادي عشر

العناية الالهية

إن أقوال ابن سينا في العناية الالهية جد متناقضة . فبينما نشعر بأنه يشرح هذه القضية شرحاً يلائم نظريته الصدورية ، وينافي القرآن وسائر الكتب السماوية ، نراه من جهة أخرى يتملص من تبعة آرائه المضللة مؤمناً بأن الله تعالى يدبر كل شيء ويعتني بكل شيء مما في السماوات والأرض بعناية مطلقة .

١ — إن أفلاطون الالهي — كما يسميه علماء العرب — كان يقول بعنايات ثلاث : فالعناية الأولى تختص بالاله الأعظم الذي يعتني أولاً وبالذات بالروحانيات ، وتماماً بالعالم كله من حيث الأجناس والأنواع والعلل الكلية . والثانية تتعلق بالجزئيات التي يعرض لها الكون والفساد ، وقد نسبوا الى الآلهة المحيطين بالسماوات أي الى الجواهر المفارقة التي تحرك الأجرام السماوية بحركة مستديرة . والثالثة هي العناية بالأمور الانسانية ، وقد عزاها الى الشياطين الذين كان يجعلهم الأفلاطونيون وسطاء بيننا وبين الله ، على ما رواه القديس أغسطين في كتابه الموسوم « بمدينة الله » (Civitas Dei) (١) .

ونحن نعتقد أن الشيخ الرئيس ، استناداً الى هذا التعليم ، قال بأن الله ، أو المدبر الأول ، يدبر ويعتني بالعقل الأول وبكل ما يصدر عنه . والعقل الأول يدبر ويعتني بالعقل الثاني وبما يفيض منه . والعقل الثاني يدبر ويعتني بالعقل الثالث وبما تحته . وهكذا هي تتسلسل هذه السلسلة المنتظمة الى العقل الفعال الذي يدبر أنفسنا (٢) لأن العلل العالية والصدورات الأولى من واجب الوجود « لا يجوز أن تعمل ما تعمل » العناية لأجلنا » (٣) بل بالعكس « لأنها لا تعلم أنها تعلم » وتسوقنا الى غايتها الخ . وبهذا العمل الى الأمام الأعلى ، الذي أساسه تؤثر في أجسام هذا العالم بالكواكب التي تختصها وتسري منها الى هذا العالم ، تؤثر في تدبير هذا العالم . ويرى هذا الفيلسوف أن الطبيعة التي هي مدبرة هذه الأجسام بالكواكب والصور مأخوذة عن النفس الناطقة في الفلك

---

(١) ك ٨ : ١ و ٢ ، ك ١٨ : ١ و ٢ (٢) النجاة : ص ٢٥٥ (٣) النجاة : ص ٢٩٦ .

الكسوف بما هو كسوف لا يعرفه . ولذلك يكون علم الجزئيات عن طريق الكليات نقصاً في العلم ، والله منزه عن كل نقص وشرح القديس توما نظريته فبرهن على أن العلم الكامل يجب أن ينسب لله ويتضح ذلك :

أولاً — من كون العلم كمالاً وكون الله كاملاً .

ثانياً — أن السبب في كون موجود ما عارفاً هو تجرده عن المادة حتى يقبل الصورة المعروفة للشيء المعروف ، وتتفاوت المعرفة بتفاوت حال التجرد ، والله في غاية التجرد عن المادة ، فهو في غاية المعرفة .

ثالثاً — إن الله العلة الفاعلية الأولى ، فلا بد أن يكون لمعمولاته وجود سابق في علمه .

اذن فالله يعقل ذاته ، لأنها مجردة معقولة ، ويعقل ذاته بذاته لا بقوة ممتازة من الذات ، لأن ليس فيه شيء بالقوة ، ولكنه فعل محض ، فلا بد أن يكون فيه العقل والمعقول واحداً ، وان يكن تعقله عين ماهيته . والله يعرف غيره في ذاته من حيث يعرف جميع الأحوال التي تقبل ذاته المشاركة فيها بوجه ما من أوجه المشابهة . أما علم الله بالمادة فهو ليس تدريجياً ، ولكنه حاصل دفعة واحدة لحضور الذات الالهية لذاتها حضوراً تاماً ولذلك في عقل الله لا وجود لماض أو مستقبل ، بل جميع الموجودات حاضرة ، والماضي والمستقبل هما بالنسبة لباقي العلل .

٥ — نستنتج مما قلناه أن تقص النظرية السينوية في علم الله نشأت من عقم نظرية الفيض . فالقديس توما يستمد قوة برهانه على علم الله من أنه تعالى قدير وقدرته تشمل البسائط والمركبات . والشيخ الرئيس قد استمد قوة برهانه من قدرة الله ولكن بما أن قدرته تعالى لا تعم المركبات ، فقال بكون الله يعرف الجزئيات من البسائط التي هي علل المركبات ، لذلك لا يجوز أن ننسب الى الشيخ الرئيس انه أنكر على الله معرفته للجزئيات ، كما اننا لا نستطيع الاقرار بأن النظرية السينوية في علم الله هي كاملة .

وغني عن البيان أن ابن سينا يردد في الهياته أن الله هو المبدأ الأول للموجودات بأسرها ، وأن قوته وفاعليته تمتدان الى كل درجة من درجات الحقيقة ، فاذن يجب أن تمتد معرفته الى كل درجة من درجات الحقيقة .

وإذ قرر أن الله يعرف الأشياء بمقدار ما يعرف ذاته نظراً لكونه يعرف فعله وقوته أضاف الى ما تقدم مبرهناً : إن الله هو مبدأ جميع الأشياء ، ولكن ليست كل الأشياء تصدر عنه بنظام واحد بل بعضها يشتق عنه مباشرة والبعض الآخر بوساطة لا سيما الموجودات الفاسدة ، فانها تصدر عن البسائط غير الفاسدة ، فينتج من ذلك أن الله يرى في ذاته فعل كل شيء المخلوقات التي لا تقبل الانحلال ، ويرى المخلوقات أو الموجودات الثانوية بعللها الخاصة . وبعبارة أدق : إن الله يعقل البسائط بذاته لأنه عاقل وعاقل ومعقول جوهري ، وبما أن الأشياء المركبة تصدر عن البسائط ، والله تعالى يعرف البسائط معرفة تامة ، فهو أنه يعرف المركبات بعللها الخاصة التي هي البسائط ، وهذا كما لا يخفى تحليل عميق .

فيكون فيلسوفنا قد بنى نظريته على هذا المبدإ « إذا توقفت الاحاطة بجميع الأسباب في الأشياء ووجودها انتقل منها الى جميع المسببات » (النجاة ص ٤٠٧)

٣ — إن العقل النظري في الانسان هو السبب الوحيد للعقل العملي ، والارادة هي التي تحركنا للعمل . فتكون القوة غير الارادة فينا . أما واجب الوجود فليس محتاجاً الى شيء من ذلك ، لأن عقله وارادته وعلمه وصفاته هي ذاته . من هذا ينتج : « أن القدرة التي له هي كون ذاته عاقلة للكل عقلاً هو مبدأ للكل لا مأخوذاً عن الكل ، ومبدأ بذاته لا متوقف على وجود شيء » (النجاة ص ٤٠٧) . وهذا حقيقي لأن الله يعرف ذاته ووجوده ، وما هو مبدأ له حتى انه يرى جوهره قائماً في الوجود . فالله اذن يعلم الموجودات بأسرها وفيض جوهره فيها لأنه العلة الأولى الفاعلية

٤ — نظر القديس توما الاكويني في مشكلة علم الله ، ووافق الشيخ الرئيس على أن الله بمقدار ما هو علة لجميع الموجودات هو عالم بجميع الموجودات . وبعبارة فلسفية محكمة ، عموم علم الله على قدر عموم عليته الفاعلية لكنهما اختلفا في تقرير كيفية علم الله . فالقديس توما ينسب الى ابن سينا التقصير اذ جعل علم الله قاصراً لأن الجزئيات تفيد من العلل الكلية صوراً أقوى مهما يتقارن بعضها ببعض ، ولا تتشخص إلا بالمادة التي هي قوة صرفة . وعلى هذا لو عرف الله جميع الحركات الكلية التي في السماء لا تنتج أية

طارض لذاته أن تعقل فلا تكون واجبة الوجود من جميع نواحيها .

ولكن هل يعقل واجب الوجود الاشياء بصورتها الذهنية ؟

على هذا يجيب فيلسوفنا بالانكار أيضاً ، لان هذه الصور الذهنية تتغير « عقلاً زمانيًا متشخصاً » فيكون الله متغير الذات ، فضلاً عن أن كل صورة محسوسة ، وكل صورة خيالية ، فانما ندركها من حيث هي محسوسة وتخيلها بالة متجزئة [1] . لان هذه المعرفة تأتي إلينا من الخارج ، والخارج يتغير بتغير الزمان والمكان ، الأمر الذي لا يمكننا أن نسلم بوجوده في الله سبحانه وتعالى . وقبل أن يختم ابن سينا كلامه في هذا الخصوص يقول : « كما أن اثبات كثير من الأفاعيل لواجب الوجود نقص له ، كذلك إثبات كثير من التعقلات » [2] .

إذن كيف يستطيع الله أن يعرف الجزئيات ؟

إن الرئيس يشرح ذلك شرحاً شائقاً لا ينقصه الابتكار والتفرد بالرأي . فبعد ما نفى عن الباري كل تعدد وكل امتزاج بالخلائق قال ما معناه : أما كيف يعقل واجب الوجود الأشياء ، فانه اذا عقل ذاته ، وعقل أنه مبدأ كل موجود ، عقل آثار الموجودات وما يتولد عنها ، ولا يوجد شيء من الأشياء إلا بأمره واذنه ، وعليه فاذا كان واجب الوجود يعلم الأسباب ومطابقاتها فيعلم ضرورة ما تتأدى إليه وما بينها من الأزمنة ، وما لها من العودات ، لأنه ليس يمكن أن يعلم ذلك ولا يعلم هذه ، فيكون مدركاً للأمور الجزئية من حيث هي كلية ، أعني من حيث لها صفات ، وإن تخصصت بها شخصاً فبالاضافة الى زمان متشخص أو حال متشخصة [3] .

ظهر اذن مما سبق أن الرئيس يعتقد أن الله يدرك الجزئيات ، ولكن من ذاته الشاملة ومن أسباب الجزئيات هيئتها .

٢ — بقي علينا أن نوضح علاقة العقل الالهي البسيط كذاته بالأشياء المركبة والمتعددة القابلة والبعدية . ويلوح لأول وهلة أن ابن سينا يبذل وسعه لكي يحل هذه المسألة كما حل السابقة :

إن واجب الوجود في نظر فيلسوفنا ، بمقدار ما يعرف ذاته معرفة كاملة يعرف الأشياء معرفة كاملة . وإذا سلمنا بهذا علينا أن نسلم أيضاً بكونه تعالى يعرف صفاته وكمالاته معرفة كاملة . وبالتالي يعرف فعله وقوته .

---

(١) (٢) و (٣) راجع النجاة ص ٢٠٠

الفصل العاشر

هل يعرف الله الجزئيات ؟

انقسم مؤرخو فلسفة ابن سينا فئتين : فئة تقول إن ابن سينا أنكر على الله معرفته الجزئيات ، وأثبت أن معرفته لا تتعدى الى الكليات ، وفي طليعة هذه الفئة الغزالي الشهير . بل إن بعض النقاد قد غالى في هذا الأمر ، وقال اذا جاز لأحد أن الرئيس يبرهن ، في بعض الأحايين ، على أن الله يعرف الجزئيات ، فيجب شرح هذه البينات شرحاً يلائم مقتضيات نظريته الصدورية .

والفئة الثانية تناقض الأولى على طول الخط ، وتفرغ وسعها لتظهر الشيخ الرئيس بمظهر المتدين الورع ، ويبرهن على أنه قد أعلن أن الله يعرف كل ما في السماوات والأرض حتى أدق الجزئيات . ولعل أشد النقاد المصريين حماسة في اثبات هذه القضية المطران نعمة الله أبو كرم الماروني في المقدمة التي علقها على الترجمة اللاتينية لاطيات النجاة ، وأصدرها مطبوعة عن رومية ١٩٢٦ .

أما نحن فاننا نميل الى شرح كلام الشيخ شرحاً عقليًّا على الاعمال والروية موضحين أن المسألة لا يمكن أن تتفق تماماً مع هذين التخريجين ، واذا كانت الطرق التي نهجها ابن سينا في تقرير نظريته تفتقر الى المنطق الموزون ، والوضوح السديد ، فهذا ليس معناه أنه أنكر على الله سبحانه معرفته الجزئيات كما أنه ليس معناه أيضاً أنه سلم بهذا الأمر .

١ — يعلّم ابن سينا أن التسليم بأي تركيب أو تعدد في واجب الوجود هو من الجهل بالمكان الأعلى ، ومن جهة أخرى يعتقد أن الله « يعقل كل شيء ، ولا يغرب عنه شيء شخصي ، فلا يغرب عنه مثقال ذرة في السموات ، ولا في الأرض ، وهذا من العجائب التي يحوج تصورها إلى لطف قريحة »[1] . إذن إن الصعوبة عند كل من يسلم بهذا هي في التوفيق بين البساطة السامية ، وادراك الأمور الجزئية في واجب الوجود .

في حل هذه المسألة العويصة يثبت الشيخ انه لا يجوز ان يعقل الله الأشياء من الأشياء ، لئلا تكون ذاته إما منقومة بما يعقل ، وبالتالي يكون تقومها بالأشياء ، وإما

(١) النجاة ص ٢٠٤ م

... ، ويخالف صاحبها مع أصحاب المذاهب الفاسدة بهذه الدرجة القاسية: «ما ذكرتموه ... ، هو على التحقيق ظلمات فوق ظلمات [1] » ذلك لأن نظرية الصدور تردي ... ترد فتجعل العالم من طبيعة الله وهذا كفر صريح في النصرانية والاسلام.

... إن مشكلة الخلق نفسها قد عالجها القديس توما الاكويني المتمسك بتعاليم ... تمسكاً تاماً، واستطاع بقوة عقله الجبار وعلومه الزاخرة أن يوفق بين الفلسفة ... في مسألة الخلق، كما انه انتقد ابن سينا انتقاداً عسيراً.

... القديس توما الدليل على أن الوجود بالمشاركة ليس صدوراً عن ذات الله، كما ... الافلاطونية الجديدة، لأن ما يصدر عن الذات صدوراً ضرورياً فهو مثل الذات، وليس العالم مثل الله. ومن هذه الناحية أيضاً يسقط مذهب وحدة الوجود الذي يعد العالم مظهراً لله. أما قول ابن سينا إن من شأن الواحد دائماً أن يصدر عنه واحد فيصدق على الفاعل بالطبع، لا على الفاعل الارادي الذي يفعل بالصورة المعقولة. ولما كان الله يتعقل أموراً كثيرة، فهو يقدر أن يصنع أشياء كثيرة. يضاف الى ذلك استحالة صدور الموجودات بعضها عن بعض، لأن المخلوق غير موجود بذاته، فلا يستطيع أن يمنح وجوداً ليس له بالذات. ولئن كان الموجود المخلوق متناهياً، فان المسافة بين اللاوجود والوجود لامتناهية. فالخلق يقتضي قدرة لامتناهية، لذلك كان خاصاً بالله وحده.

إن الله لا يريد بالضرورة إلا ذاته، ويريد غيره بالاختيار. فهو ليس يريد بالضرورة أن يكون العالم، ولا أن يكون قديماً، ولا أن يكون حادثاً. وهكذا يحسم القديس توما الخلاف الطويل العنيف بين انصار القدم، وأنصار الحدوث. ذلك أن البحث التالي في الارادة الالهية لا يكرر أو يتناول سوى الارادة الضرورية. أما الاختيار فليس يكشف عنه سوى الله وقد فعل بأن أوحى أن العالم حادث. وعوجب القوى العقلية لا يمكن ان تقيم البرهان القاطع على حدوث العالم وقدمه من جهة العالم، لأن مبدأ البرهان هو الحد بالماهية، وماهية العالم تحتمل البرهانين القديم والحديث. وعلى كل أن أدلة أرسطو على قدم العالم ليست برهانية، لانه صرّح في كتاب الجدل بأن مسألة قدم العالم من المسائل الجدلية [2]. إذن يكون حدوث العالم عقيدة إيمانية، وهكذا وفق ابن اكوينا بين الفلسفة والوحي في مشكلة الخلق.

---

(١) تهافت الفلاسفة ص ٢٩ (٢) الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط للاستاذ يوسف كرم ص ١٨٢

مفكري الاسلام كما نلمس أيضاً عند [illegible] كتاب الربوبية وهو من آراء أفلوطين وتفسير فرفوريوس واسكندر الافروديسي [illegible] عرف علماء الاسلام هذا الكتاب في مستهل حركتهم الفكرية

و — تأثر الفارابي المعلم الثاني بأفلاطون ونسبها الى أرسطو ، وقال في المدينة الفاضلة : « يفيض عن الأول وجود الثاني ، فهذا الثاني هو أيضاً جوهر غير متجسم أماثل ، ولا هو في مادة فهو يعقل ذاته ، ويعقل الأول . . فبما يعقل الأول يلزم عنه وجود ثالث ، وبما هو متميز بذاته التي تخصه يلزم عنه وجود السماء الأولى . . » وكل هذا المجهود بذله الفارابي ليوفق بين الدين وآراء أرسطو وأفلاطون فلسفاً منه أنها لواحد.

ه — ظهر ابن سينا يطرق حق مسألة انطلق بإقرار براهين ارسطو على قدم العالم ، وبالخروج من الوحدة بالثاني بنظرية الصدور الأفلاطونية التي تأثر بها أيضاً معلمه الفارابي .

لخص ابن سينا نظرية الصدور في رسالة « الحدود » فقال : « الأول واجب وعلم ذاته ، فبعلمه الأول وجب عنه عقل ، وذلك العقل علم الأول وعلم ذاته ، فبعلمه الأول وجب عنه عقل ، وبعلم ما دون الأول وجب عنه نفس الفلك الأطلسي ، المسمى الفلك الأقصى ، والفلك الأول الذي هو العرش . ثم ذلك العقل علم الأول وعلم ما دون الأول ، فبعلمه الأول وجب عنه عقل ، وبعلمه ما دون الأول وجب عنه نفس الفلك المكوكب ، الذي هو الكرسي » وهكذا تتدرج العقول بعلومها من نفس فلك زحل إلى المشتري الى المريخ الى الشمس الى الزهرة الى عطارد الى القمر . وعقله يسميه ابن سينا « العقل الفعال وواهب الصور والروح الأمين وجبرائيل والناموس الأكبر . وما يحدث في عالمنا انما يجب عنه بمساعدة الأفلاك ، فالأفلاك تحرك تحركاً شوقياً . وحركة الآثار العلوية تمتزج بالأرضية ، فتصدر عنها المخلوقات ، وأحسن امتزاج يحدث الانسان اشراف الموجودات السفلى .

فتكون النقطة الجوهرية في فلسفة الصدور علاوة على عناصر التنجيم والشعوذة ، هي أن العقل الأول واجب بالاله لكي تكون له قوة تمكنه من اصدار موجود روحاني وممكن بذاته ليقدر على ابراز جسم مادي ، الا أن هذا خلف ، لأن كل ما يشتق من ذات الله هو الله . وقد فهم ذلك الغزالي ، ووضع نظرية الصدور السينوية في مصاف التعاليم

الفصل التاسع

الخلق في نظر ابن سينا

---

١ — إن الدين الاسلامي مثل الدين المسيحي من قبله يعلم أن الله برأ العالم من العدم، وأبدع كل الموجودات إبداعاً فعلياً قبل أن يستطيع العناصر إقامة الدليل على ذلك بقوة النور الطبيعي؟ هذا ما حاوله الشيخ الرئيس، لكنه أخفق فيه إخفاقاً مكشوفاً.

ب — كان أرسطو يعتقد بقدم العالم وقدم الحركة، وبأن الأفلاك تتحرك تحت تأثير العقول، وله في ذلك حجة كلية وجيهة بعض الشيء، وحجج أخرى جزئية تكلفها تكلفاً. وحجته تلخص فيما يلي: العلة الأولى ثابتة هي هي دائماً لها نفس القدرة، وعدة نفس المعلول، فلو فرضنا وقتاً لم يكن فيه حركة لزم عن هذا الفرض الا تكون حركة أبداً. ولو فرضنا على العكس أن الحركة كانت قدماً لزم أنها تبقى [1] وقد كان لمشكلة قدم العالم وحدوثه شأن خطير في النصرانية والاسلام على السواء.

ح — ثم جاء أفلوطين أكبر مجددي الأفلاطونية، فعرضت له مشكلة الخلق، فحلها على الوجه الآتي: « الأول بسيط ليس فيه تنوع، وليس هو الوجود، إنما هو مبدأ الوجود ووالده والوجود بمثابة ابنه البكر. فهو الأشياء جميعاً، دون أن يكون واحداً منها. وهو كامل لا يفتقر الى شيء، ولما كان كاملاً فهو فيّاض، وفيضه يحدث شيئاً غيره، فيتوجه الشيء المحدث نحوه ليتأمله، فيصير عقلاً. ولما كان العقل سبيباً بالواحد، فانه يفيض قوته فيحدث صورة منه هي النفس الكلية، وتتوجه النفس نحو العقل الصادرة عنه، وتفيض فيوضاً كثيرة، فتلد نفوس الكواكب، ونفوس البشر، وصائر المحسوسات [2] ». وبعد وفاة أفلوطين جمع لورفوريوس بعض رسائل معلمه وقدمها بترجمة له، ووزعها على ستة أقسام في كل قسم تسع رسائل متابعة لاعتقاد الفيثاغوريين بمزايا الأعداد، فسميت بالتاسوعات. وقد نقل هذا الكتاب الى العربية في أوائل النهضة الاسلامية، لكنه نسب خطأ الى أرسطو، وكان له شأن عند

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية لكرم ص ١٨٦ (٢) المصدر نفسه ص ٢٢٧

٥ — أما الجمال والكمال والبهاء للإنسان في فتقوم في الماهية العقلية المطلقة والخيرية المحضة البريئة عن كل شر من أعراء النقص . والواجب الوجود له الجمال والبهاء المحض ، وهو مبدأ كل اعتدال . وبما أن كل خير ملائم ، وخير مدرك هو محبوب ومعشوق ، فظهر أن الله هو محبوب ومعشوق لأنه في غاية الكمال والجمال والبهاء . والذي يعقل ذاته بتلك الغاية في البهاء والجمال ، وبتمام التعقل ويتعقل العاقل والمعقول على أنهما واحد بالحقيقة يكون في ذاته لذاته أعظم عاشق ومعشوق وأعظم لاذ وملتذ[1] . وهذه المبادىء مأخوذة عن أرسطو الذي أثبت أن المحرك الأول يحرك دون أن يتحرك ، وهذا شأن المعشوق والمعقول[2]

ونظرية ابن سينا هذه في العقل والعاقل والمعقول ، وفي العشق والعاشق والمعشوق لا تختلف في شيء عن نظريات الفلاسفة المسيحيين لشرح عقيدة التثليث . وقد علق الغزالي صاحب العقل الجبار على ذلك بقوله : « لا مشاحة في الألفاظ إذا اتفقت المعاني » .

٦ — وشعر ابن سينا بأن نظريته هذه تبعده عن دائرة الدين الاسلامي كما تفهمه العامة على الأقل ، فحاول تبرير مسلكه في رسالة « العروس » وفي غيرها من كتاباته ليحمي نفسه من تأليب الجماهير عليه ، فأوضح أن أشرف الناس في هذا العالم من كانت نفسه النطقية عقلاً بالفعل ، وهذا الشريف هو النبي المؤيد بروح من عند الله . والنبي يكلم الناس على قدر عقولهم ، وليس عليه أن يشرح لهم النظريات الفلسفية ، لأنهم لا يفهمونها بل عليه أن « يوجب عليهم منبهات حركات وسكنات ، وهي الصلاة والصوم ، ويوجب الستر على النساء ، ويعلم أن الأطراف عبيد بالطبع »

ونحن نعتقد أن هذا الشرح كان تمهيداً لنظرية ابن رشد القائلة بحقيقتين : حقيقة قرآنية ، وحقيقة فلسفية ، إلا أن هذه الأخيرة أسمى من تلك . وبالفعل لم تنج هذه الشروح ابن سينا من لقمة المسلمين عليه مثل علماء الأزهر . وقد قال عنه أبو عمر تقي الدين الشهرزوري المعروف بابن الصلاح المتوفى ١٢٤٥ م ما معناه : لم يكن ابن سينا من العلماء بل كان شيطاً من شياطين الانس « ومن اشتغل بمؤلفات ابن سينا تعليماً وتعلماً فقد غدر بدينه وعرض للفتنة العظمى[3] » .

---

(١) النجاة ص ٢٠٠ وما بعده (٢) تاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم ص ٢٣٠

(٣) فتاوى ابن الصلاح ، طبعة ١٣٤٨ هـ ، ص ٣٤ .

لا يعرضه لبيان وجود الله بالتخصيص من لاثبات علة أولى تفعل بوسائل مترتبة فيما بينها . أما ابن سينا فيرى من وراء كلامه لاثبات علة مطلقة خالقة (النجاة ص ٣٨٦ وما بعدها) . وعن ابن سينا أخذ القديس توما الأكويني هذا الدليل ، وأثبته بالصدد الثاني من أدلته ، ولكنه لم يربط العلة بالممكن بل ربط الموجود المتحرك بالعلة الفاعلة . وهذا أوضح .

٢ — بعد العلم بوجود الله يحاول الشيخ الرئيس تعريف ماهيته ، ويثبت أن الماهية والوجود في الله هما شيء واحد ، لأننا اذا قسمنا ماهيته عن وجوده جعلناه متجزءاً وقابلاً للقبلية والبعدية ، وفيه شيء ما بالقوة الأمر الذي لا يلائم واجب الوجود لأنه هو الكمال بالذات ، والوجود المطلق ، والعلة الأولى ، والمبدأ الأول لجميع الموجودات ، والواجب التام الذي ليس له حالة منتظرة .

وبما أن واجب الوجود خال من القوة ، وكل شيء فيه هو بالفعل ، فيتبع ذلك أنه كمال بسيط . وهذا واضح لأن الله ليس بجسم ، ولا مادة جسم ، ولا صورة جسم ، ولا مادة معقولة لصورة معقولة ، ولا صورة معقولة في مادة معقولة ، ولا له قسمة لا في الكم ، ولا في المبادىء ، ولا في القول ، ولا يقع تحت حد أو برهان ، منزه عن الكم ، والكيف ، والماهية ، والأين ، والمتى ، والحركة . والقديس توما الأكويني قرر المبدأ الذي سار عليه ابن سينا في الوصول الى معرفة ماهية الله إذ أثبت في هذا الصدد أن أول ما يتعين فعل تمييز الله من سائر الموجودات ، وهذا ما يدل عليه بالصفات السلبية التي تقول ما ليس هو ، ثم بعد ذلك نضيف اليه الصفات الثبوتية التي تدل على كمالاته .

٣ — أقام الشيخ الرئيس الدليل على صفات الله الثبوتية فأخذ عن الدين الاسلامي فكرة الوحدانية ، وحقيقة الله ، وأنه تعالى لا اله ولا شريك ، وبرهن على ذلك فلسفياً ، وقد جاراه في ذلك القديس توما الأكويني ، ونوضح في النتائج التي توقف عندها ابن سينا .

٤ — ان بسيطة الوجود بما هي كذلك غير ممتنع عليها أن تعقل ، وانما يعرض لها أن لا تعقل اذا كانت في المادة أو مكتنفة بعوارض المادة . والحال أن الله مجرد عن المادة وعوارضها ، فاذن هو عقل . وبما أنه يعرف أن لذاته هوية مجردة فهو عاقل ذاته . وبما أنه بسيط جداً ، فهو معقول ، وكون الأول عاقلاً ومعقولاً لا يوجب فيه كثرة البتة ، لأن تحصيل الأمرين ليس إلا اعتبار أن له ماهية مجردة هي ذاته ، وأن ماهية مجردة هي ذاته . وهذا تقديم وتأخير في ترتيب المعاني ، والغرض واحد .

الفصل الثامن

الله تعالى

[illegible] على سبب معرفة الفاعل . فإذا شاهد تمثالاً أبدعته يد فنّان عبقري أو رأى رتاً [illegible] تناسب بين خطوطه وألوانه ، فأول عبارة يرسلها : « من صنع ذلك » [illegible] على الفلاسفة إذا تأملوا الموجودات مليًّا وتساءلوا عن مبدعها ، وخصوصاً [illegible] أكثر من كتاباتهم لمعرفة الخالق وتحديد العلاقة بينه وبين مخلوقاته .

[illegible] ابن سينا كأستاذه الفارابي أننا ننتقل من معرفة الموجود النسبي إلى معرفة الموجود المطلق . أو بعبارة أصرح : معرفتنا للوجود الممكن توصلنا الى معرفة واجب الوجود . وهذا حقيقي لأن الموجودات في الطبيعة معرضة للكون والفساد ، ومن ثم ممكن وجودها وعدمها بعد وجود . إلا أن سلسلة الممكنات لا تكون غير متناهية ، لأنها إذا كانت غير متناهية تبقى ممكنة الوجود بذاتها ، ولا تستطيع أن تعطي ذاتها الوجود . وبما أن الممكن الوجود لا يقدر أن يتناول وجوده من ذاته لكونه ممكناً ، فيجب إذن أن يأخذ وجوده من واجب الوجود الذي يعطي الممكنات الوجود ، وهو ما نسميه الله . هذا الدليل نجده عند أرسطو (فيما بعد الطبيعة م ١٢ ف ٦) بالصيغة التالية : « المبادئ أوائل الموجودات ، فإذا كانت كلها فاسدة كانت جميع الموجودات فاسدة [illegible] إذا كانت القوة متقدمة على الفعل ، فإن شيئاً مما هو موجود لم يكن يوجد » . إلا أن [illegible] يثبت الموجود الواجب بتقدم العالم والحركة ، أما ابن سينا فيخلص الدليل [illegible] ويرى أن نظرية القوة والفعل تحتم إثبات الفعل الواجب لتفسير ما هو [illegible] وعن ابن سينا أخذ القديس توما الأكويني هذا الدليل ، واثبته تحت البرهان [illegible] وجود الله .

والفارابي [illegible] برهان آخر لاثبات وجود الله هو دليل العلل . ونحن نرى أن كل موجود [illegible] أن يكون مع امكانه حادثاً أو غير حادث . فإن كان غير حادث ، فاما أن يتعلق [illegible] وجوده بعلة أو بذاته . فإن كان بذاته فهو واجب لا ممكن ، وإن كان بعلة ، فلا [illegible] إلى غير نهاية ، بل لا بدّ من الانتهاء الى فاعلية أولى . وهذا البرهان [illegible] بالصيغة الأرسطوية (م ٢ ف ٢) إلا أن العلم الأول

التحديد ليس هو التمييز كيف اتفق ، ولا أيضاً بشرط أن يكون من الذاتيات من غير زيادة اعتبار آخر بل أن يتصور به المعنى كما هو في الماهية[1] » . ومتى دل الحد على الماهية امتنع أن يكون اسمياً لأن الماهية لا تكون أبداً فقط ، ولو كانت منفصلة عن الوجود .

ولم يكتف ابن سينا بالتمييز المنطقي بين الوجود والماهية ، لكنه قال أيضاً بالتمييز المتافزيقي بينهما كما قال ذلك قبله الفارابي . وقد استعار القديس توما من ابن سينا تحليل فكرة الماهية الممكنة لا الواجبة في الموجودات ليبرهن على الفصل بين الوجود والماهية ، فالموجود الواجب الوجود تكون ماهيته عين وجوده . وصحح النظرية السينوية بالنسبة الى فكرة الممكن لأنه لاحظ أن المادة بذاتها لا تميل الى اللاوجود ، بل الى الوجود . وهذا مخالف لابن سينا الذي كان يوجه الماهيات أيضاً الى اللاوجود .

وبينما يحاول ابن سينا توثيق الترابط بين الماهية والوجود في جانب الخلق والتكوين ، اذا به يفصل بينهما من وجهة نظر عرضية حتى أنه يتجاهل ما تستمده الماهية من الوجود . أما القديس توما فيرفض القول بأن الوجود عرض بسيط ، لأن الموجود له صورة عقلية ملموسة . لكنه يقرر مثل ابن سينا الفصل الحقيقي بين الوجود والماهية[2] .

على كل حال إن نظرية ابن سينا الوجودية قد تركت أثراً جليلاً في الفلسفة الأوروبية ، وظلت مسرحاً لبحوث قيمة خلال قرنين كاملين ، وخلدت بعض تلامذتها على وجه الدهر ، فضلاً عن أن معجمية القديس توما الفلسفية قد أفادت من مترجمي ابن سينا لفظتين استعملهما في كتاباته طوال حياته وهما لفظا الوجود والماهية . انما من الصعب علينا أن نتحدث عن أثر ابن سينا في القديس توما ، لأن عبقرية هذا القديس قد استخدمت معطيات مختلفة جداً مع محافظتها دائماً على بصيرتها النفاذة ، التي هي المقياس والحكم لقيمة الفكريات التي تحملها بوزن كل شيء دون أن يكون مقبولاً به[3] .

---

(١) الاشارات والتنبيهات ، طبعة الاستاذ سليمان دنيا سنة ١٩٤٧ ، المنطق ص ٦٠ — ٦١ .

(٢) فلسفة ابن سينا وأثرها في أوربا خلال القرون الوسطى للأستاذ جوامون ، الترجمة العربية ص ٦٠ — ٦١ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٠ — وان شئت التوسع في هذا الموضوع فراجع مقالنا بمجلة الكلية عدد أبريل ١٩٥٢

رسالة الشهرة . فهو والحالة هذه لم يقرر نظرية في كتاب أو فصل مستقل . وإذا كان الباحثون الافرنج قد بالغوا أكثر من العرب في دراسة ابن سينا ونظريته الوجودية ، فلهم في ذلك عذر قد نسبوا إلى الشيخ الرئيس نتائج كثيرة لم تخطر له على بال . من ذلك أطروحة الآنسة جوانشول التي وضعتها لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة . فإن الدكتورة قد أدانت ابن سينا بما لم ينطقه ، ونسبت إليه ما لم يكتبه أو يفكر فيه بالصفة التي شرحتها .

إن نظرية ابن سينا الوجودية تلخص بنتيجتين : الأولى قرر فيها تمايز الوجود بالنصف الحقيقي بين الماهية والوجود . والثانية مال فيها إلى وحدة الوجود في تكوين العالم . وهذه النتيجة عملها في نظرية الصدور التي سوف نتدرسها فيما بعد .

أما الوجود نفسه فإن ابن سينا يفهمه كما فهمه أرسطو من قبله ويقرر أنه هو أول ما يرتسم في النفس عن طريق معرفتنا الحسية للأشياء الخارجية التي نراها ونلمسها . قال الشيخ الرئيس : « إن الموجود والشيء والضروري معانيها ترتسم في النفس ارتساماً أولياً [1] » ويعد ابن سينا في الاستدلال فيبرهن على أن الوجود ، ولو كنا نكتسبه بالتجربة الحسية ، إلا أنه موضوع ذاتي لتفكرنا ، وحدس أولي مطلق . قال :

« يجب أن يتوهم الواحد منا كأنه خلق دفعة وخلق كاملاً . لكنه حجب بصره عن مشاهدة الخارجات ، وخلق يهوي في هواء أو خلاء هوياً لا يصدمه فيه قرام الهواء صدماً ما يحوج الى ما يحس وفرّق بين أعضائه فلم تتلاق ولم تتماس . . . فلا شك في انباته لذاته موجوداً ، ولا يثبت مع ذلك طرفاً من أعضائه ولا باطناً من أحشائه ، ولا قلباً ولا دماغاً ولا شيئاً من الأشياء من خارج ، بل كان يثبت ذاته ولا يثبت لها طولاً ولا عرضاً ولا عمقاً . ولو انه أمكنه في تلك الحال أن يتخيّل يداً أو عضواً آخر لم يتخيله جزءاً من ذاته ولا شرطاً من ذاته [2] » . وهذه الفكرة تعد تمهيداً [لكوجيتو] ديكارت في منهجه أي [أنا أفكر اذن أنا موجود] . وقد تمسك ابن سينا بهذه الفكرة طوال حياته ، الأمر الذي يدلنا على أنها فيض تأملاته الرصينة .

وقد ظن بعض الدارسين أن ابن سينا يقول بالحد الاسمي في الوجود الذي لا يوافق إطلاقاً أية حقيقة خارجية . ولو كان لهذا القول بعض الأثر في كتاب النجاة وغيره من مؤلفات ابن سينا ، إلا أن البعد عن ذلك واضح في كتاب الاشارات والتنبيهات ، لأنه يقول صراحة : « إن الحد قول دال على ماهية الشيء . . . ويجب أن تعلم أن الغرض في

(١) راجع النجاة طبعة طهران ، ص ٢٩٠ (٢) الشفاء ص ٢٨١ وغيرها

قال الشيخ الرئيس : « والغاية بما هي شيء فإنها تتقدم سائر العلل في أنها علل ، وبما هي موجودة في الأذهان قد تتأخر » وإنما تكون الغاية هي بعينها العلة الغائية كان الفعل متأخراً في الشيئية عن الغاية ، وذلك لأن الغاية تصير علة بالفعل لأجل الغاية ، وليست هي لأجل شيء آخر ، وهي تستفيد من الوجود فتصير العلل علة بالفعل . ويشبه أن يكون الحاصل عند الفيلسوف الفاعل الأول والمحرك الأول في كل شيء هو الغاية . فإن الفيلسوف يقول لأجل ضرورة البرء هي الصناعة الطبية التي في النفس وهي المحركة لإرادته إلى الفعل . وإن الفاعل أول من الإرادة كان نفس ما هو فاعل هو محرك من غير توسط من الإرادة التي هي من تحريك الغاية . وأما سائر العلل فإن الفاعل والقابل قد يتقدمان بالزمان ، وأما الصورة فلا تتقدم بالزمان البتة . والقابل دائماً أحسن في المركب بالقوة ، لأن القابل مستفيد لا مفيد ، والفاعل مفيد لا مستفيد (١)

وبكلام وجيز : إن ابن سينا يثبت ستة أنواع من العلل . أولاً ـ العنصر أي مادة المركب . ثانياً ـ صورة المركب . ثالثاً ـ الموضوع . رابعاً ـ صورة الهيولي . خامساً ـ الفاعل سادساً ـ الغاية . إلا أن مادة المركب تذوب في الموضوع لأنهما مما له بالقوة للشيء المزمع أن يكتسب وجوداً ، وصورة المركب تمتزج بصورة الهيولي لأنهما مما له بالفعل .

ومعلوم أن الهيولي والصورة لا يمكنهما أن يكونا علة إلا للصادر عنهما الذي هو ممكن بذاته . والوجود الممكن يصبح ضرورياً بتدخل وجود آخر واجب له ، فيكون ابن سينا لا يسلم إلا بوجود علة واحدة مطلقة ، وهي واجب الوجود . فإن جميع الأشياء التي تصدر عن واجب الوجود لا تملك بذاتها إلا إمكاناً فتكون ممكنة معلولة (٢) وأما واجب الوجود فلا علة له ولا ابتداء ، لأنه لا يستمد الوجود من آخر ، بل ذاته هي عين وجوده كما سوف نبين فيما يلي :

٢ ـ ﴿ الوجود ﴾ إن ابن سينا لم يكتف على وجه التقدير والاستدلال المنطقي التأليفي في موضوع الوجود ، بل جل ما قاله هو نتف وشذرات في المنطق والإلهيات وزعها في منطق الإشارات والتنبيهات ، وما بعد الطبيعة التابع لهذه الإشارات والتنبيهات ، وفي منطق النجاة والشفاء ، وفي إلهيات النجاة والشفاء ، وفي غير ذلك من

(١) النجاة ص ٢٤٠ (٢) كتاب الدكتور جميل صليبا الفرنسي المذكور سابقاً ص ٢٠٠

الفصل السابع

العلل والوجود

علم أرسطو أن العلم الالهي يدرس الوجود بما هو وجود ومحمولاته الجوهرية ، بينما سائر العلوم يقتطع كل منها جزءاً من الوجود ، ويبحث في محمولات هذا الجزء فقط . ولما كنا نطلب المبادىء الأولى وأعلى العلل ، فهناك بالضرورة موجود ترجع اليه بالذات هذه العلل والمبادىء [1] ، وهـذا الموجود هو الله تعالى لأنه على ما اتفقت عليه الآراء كلها ليس مبدأ لموجود معلول دون موجود معلول آخر بل هو مبدأ للوجود المعلول على الاطلاق [2] ، وبما ان الله هو أشرف الموجودات وأسماها ، كان العلم الالهي أعلى العلوم وأسماها . وهذا الكلام أخذه ابن سينا عن المعلم الأول من غير ما تعديل .

١ — ﴿العلل﴾ كل علة مبدأ . وليس كل مبدأ علة ، فالوالد هو علة الابن ومبدأه ، والنقطة هي مبدأ السطر وليست علته . وهـذا التعليم مأخوذ عن أرسطو . إلاّ أن الشيخ الرئيس قد خلط بين العلة والمبدأ ، وهـذا خلاف . وقد انتقبه ناشر كتاب النجاة المصري الى هذه الغلطة وعلق عليها : « قوله ومبادىء لو تركه لكان أولى وأصوب ، فانه لا مبدأ للوجود المطلق أصلاً وإلاّ لكان مبدأ لنفسه » (ص ٣٢٢) .

عرفنا من الطبيعيات أن الشيء يتركب من الهيولي والصورة ، فهما اذن علتان ذاتيتان يتكوّن منهما الشيء نفسه . الأولى تسمى العلة المادية ، والثانية العلة الصورية . مثال ذلك الخشب السرير هو علة مادية له لأن السرير كامن بالقوة في الخشب ، والشكل أو التأليف للسرير هو العلة الصورية التي جعلت الخشب سريراً .

على أن العلة تقال أيضاً على نحوين آخرين الواحد ما منه يكون شيء أي الانتقال من وجود الى وجود آخر ، أو الانتقال من اللاوجود الى الوجود . والثاني الغاية التي تقصد إليها حركة الانتقال . النحو الأول مبدأ الحركة ويسمى علة فاعلية ، والنحو الثاني غاية الحركة ويسمى العلة الغائية . وهذا التعليم مأخوذ أيضاً حرفيًا عن المعلم الأول [3] .

---

(١) الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم ، الطبعة الاولى ، ص ٢٢١

(٢) النجاة ص ٣٢٢ (٣) كتاب كرم المذكور ص ١٧٧ .

بالكمالات لا تحزن لفراق الجسد .

وهذا يذكرنا بقول القديس بولس فيلسوف الأمم : « من ينقذني من جسد الموت هذا لأنحل وأصير مع الله » . ولابن سينا غير ذلك براهين متعددة [illegible] برهان علاقة النفس بالجسد وهو وارد في كتاب النجاة (ص ٣٠٢ — ٣٠٣) .

أما مسألة التناسخ فان ابن سينا يبطلها بالدليل الآتي . إذا فرضنا أن نفساً تناسخها أبدان ، وكل بدن يستحق بذاته نفساً تحدث له . وتتعلق به فيكون البدن الواحد فيه نفسان معاً . وكل حيوان يستشعر نفسه نفساً واحدة هي المعرفة والمدبرة . فان كان هناك نفس أخرى لا يشعر الحيوان بها ، ولا هي بنفسها ، ولا تشتغل بالبدن فليس لها علاقة بالبدن لأن العلاقة لم تكن إلا بهذا النحو ، فلا يكون تناسخ بوجه من الوجوه . إن المقام لا يسمح لنا بأكثر مما قلناه عن علم النفس السينوي ، اننا لا نريد نقض القلم من هذا الفصل قبل أن نورد موجزاً لتقسيم الوظائف النفسية في نظر الشيخ الرئيس .

النفوس ثلاثة : النفس النباتية ، والنفس الحيوانية ، والنفس الناطقة . لنفس النباتية ثلاث وظائف : التغذي ، والنمو والتوالد . وللنفس الحيوانية ، فوق ما للنفس النباتية ، وظيفتان ١ — « الادراك وهو إما بالحواس الظاهرة ، وهي البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، واما بالحواس الباطنة وهي الحس المشترك . والمصورة والمتخيلة ، والوهم والذاكرة ٢ — الحركة وهي إما بالنزوع الذي يكون بالشهوة والغضب وإما بالاجماع أي فعل الحركة . ثم للنفس الناطقة ، علاوة على ما ذكر ، العقل العملي والعقل النظري .

وهذا التقسيم الذي وضعه ابن سينا للوظائف النفسية يشبه في أساسه التقسيم الذي وضعه أرسطو من قبل . ولكنه يختلف عنه في عدد الحواس الباطنة . فيقول أرسطو بثلاث حواس باطنة فقط هي الحس المشترك ، والتخيل ، والذاكرة . اما المصورة والوهم فغير موجودين عند أرسطو . ويختلف تقسيم ابن سينا أيضا عن تقسيم أرسطو في درجات العقل . وتقسيم الشيخ الرئيس تمسك به أيضاً الغزالي ، ومن طريقه وصل الى الغرب ، وتمسك به فلاسفته في العصر الوسيط [1] .

وعليه اذا فهمنا بالابداع اخراج نظريات جديدة في عالم الفكر ، فان ابن سينا ابعد من أن ينسب إليه الابتكار في علم النفس . ولكن اذا فهمنا بالابداع ضم نظريات وآراء بعضها الى بعض ثم صبها صبا علميا ، فان ابن سينا من هذا القبيل يكون مبدعاً .

(١) كتاب الادراك الحسي عند ابن سينا لحمد عثمان نجاتي

متعددة أشهرها أربع : فئة تقول إن النفس ليست سوى مادة كباقي المواد ولا تعتقد إلاّ الحس والاختبار . واتباع هذا الرأي هم الماديون المتطرفون . وقوم لا يقولون بوجود المادة ولا يرون في مظاهر الكون إلاّ الروح والأفكار ، وهؤلاء هم المثاليون المغالون . وآخرون يقولون بانتقال النفوس بعد الموت من بدن الى بدن وهؤلاء هم أهل التناسخ ، والباقون وهم الأكثرية الساحقة يقولون إن النفس الانسانية لا تموت بموت الجسد ، ولن تقبل الفساد أصلاً ، وهؤلاء هم المعتدلون . والشيخ الرئيس ينتمي إليهم وقد أتى لاثبات ذلك ببراهين تختلف قوة وكمالاً ، الاّ أنها بجملتها تستحق التقدير ، ونحن الآن نقتصر على إيراد برهانين خوف الاسهاب المخل :

أولاً : في البدن قوة تحركه وتسمى نفساً . وهذه النفس تقبل المعقولات من العقل الفعّال ، ولذلك تكون له صلاً بنوع من الأنواع . والحال ان محل المعقولات لا يمكنه أن يكون جسماً . إذن النفس البشرية هي لامادية ، وبالتالي خالدة .

من المحال أن يكون محل المعقولات جسماً أو مقداراً من المقادير ، لأنه إن كان جسماً فإما يكون منقسماً ، وإما غير منقسم . فاذا كان غير منقسم أي نقطة ، فالنقطة هي نهاية ما لا تمييز لها في الوضع عن الخط والمقدار ، ولذا لا يمكننا أن نقبل شيئاً عرضيًّا ، بل كل ما نقبله يجب أن يكون ذاتاً أو مقداراً . والحال ان العقل الفعّال لا يستطيع أن يكون ذاتاً في جسم واحد لأنه يدبر جميع الأجسام على السواء ، كما انه لا يمكنه أن يكون مقداراً . إذن لا يسوغ لمحل المعقولات أن يكون جسماً غير منقسم .

وإذا فرضنا أن محل المعقولات هو جسم منقسم ، فعلينا من باب الوجوب أن نفرض ان الصورة المعقولة تنقسم ، وحينئذ لا يخلو إما أن يكون الجزآن المنقسمان متشابهين أو غير متشابهين ، فان كانا متشابهين فكيف يجتمع منهما ما ليس إياها ؟ وان كانا غير متشابهين فانه ليس يمكن أن تكون الأجزاء غير المتشابهة إلا أجزاء الحد التي هي الأجناس والفصول بالقوة غير متناهية . والمعلوم ان الأجناس والفصول الذاتية للشيء الواحد ليست في القوة غير متناهية . اذن ...[1]

ثانياً — إن النفس البشرية هي جوهر بسيط . والبسيط لا ينحل كما تنحل العناصر . لأن النفس تبقى ولو فارقها الجسد لأنها انما هي منه مادة ، وأغلى قيمة حلت فيه مكرهة . نحن لا ننكر أن النفس تتألم بتألم الجسد ، ولكن الجسد بالوقت نفسه هو الذي يعيقها عن بلوغ الكمال والاتحاد بالذات العليا ، اذا كانت مستكملة

(١) النجاة ص ٢٨٥ — ٢٨٦ وطبيعيات الشفاء ص ٢٤٨

الصورة عن لواحق المادة لأنه يأخذها جزئية .

وأما العقل فانه ينزع الصورة عن المادة من كل وجه ، وهي لواحق المادة منها في أخذها أخذاً مجرداً . لذا لا يمكن الحس والخيال والوهم أن تدرك الكليات ، بل إدراكها محصور في الجزئيات ، وبالتالي فانه لا شيء من المدرك للجزئي بمجرد ، ولا من المدرك للكلي بمادي (١) .

٥ — ﴿ وحدة النفس ﴾ مما تقدم ذكره يظهر أن النفس البشرية متعددة الأقسام ، كثيرة القوى ، لكنها على الرغم من ذلك كله لا تزال واحدة كما يثبت الشيخ . إن النفس الانسانية بل سائر النفوس هي في الجسم كالمحرك في السيارة ، فكما أن المحرك ولو حرك آلات كثيرة يبقى واحداً ، كذلك النفس وهي تبدأ الحركة في البدن يجب ان تكون واحدة . وكما أن المحرك لا يحرك السيارة ما لم تكن كاملة بسائر الآلات ، كذلك النفس لا تقوم بعملها في البدن ما لم يكن كاملاً مهيأ لاقتبال ذلك .

لو كانت قوى النفس لا تجتمع عند ذات واحدة لكان للحس مبدأ على حدة ، وللغضب مبدأ على حدة . غير أننا نعرف أن الغضب لا يصدر إلا عن الحس ، الأمر الذي يبرهن على أن قوتي الغضب والحس تجتمعان في ذات واحدة ، كما تجتمع آلات السيارة حول المحرك . فهناك اذن مبدأ واحد لقوة الغضب وقوة الحس .

أجل إن قوى النفس منفصلة متعددة ، ولكن انفصالها وتعادها ليس سبباً لتكثير النفوس ، لأن القوى المتعددة يمكنها أن تنضوي الى نفس واحدة . ولكي يقرب ابن سينا هذه الفكرة من عقل القارىء يورد المثال الآتي : —

إن الجوهر المفارق مثله بالشمس ، والبدن بجرم يتأثر عن الشمس ، ونشبه النفس الناطقة بمكان تسخينها إياه . والنفس الحيوانية بمكان انارتها له . والنفس الانسانية بمكان استعدادها فيه نوراً . فان كان ذاك البدن لا يقبل الانارة والاشتعال فيكتفي باقتبال التسخين فقط ، وإن كان أهلاً للانارة يرضى بهما فقط . ثم ان كان الاستعداد ، وهناك ما من شأنه أن يشتمل من المؤثر الذي يحرق بقرته فتحدث الفعلة جرماً لاقتبال الصور من العقل المفارق . وحينئذ تكون مع المفارق علة للانارة والتسخين ، ولو لم تكن لقبل التسخين والانارة كما كانا قبلاً . وهذا تشبيه دقيق مفهوم .

٦ — ﴿ بقاء النفس ﴾ ينقسم الفلاسفة في تقرير مصير النفس الانسانية الى ثلاث

(١) النجاة ص ٢٧٩ .

إلاّ أنه ليس يطالعها ويرجع إليها بالفعل فعقلها وعقل أنه عقلها ، ويسمى عقلاً بالفعل لأنه عقل يعقل متى شاء بلا تكلف أكتساب . أما اذا نسبت القوة النظرية الى الصورة المجردة نسبة ما بالفعل المطلق فيكون حينئذ عقلاً مستفاداً ، وهو عبارة عن عقل كامل تكون الصورة المعقولة حاضرة فيه دون يطالعها ويعقلها بالفعل ، ويعقل أنه يعقلها بالفعل . فهذه مراتب القوى التي تسمى عقولاً نظرية ، وهي تنتهي عند العقل المستفاد الذي به يتم النوع الانساني ولما كان لا يمكن الانتقال من القوة إلى الفعل إلاّ تحت تأثير علة موجودة بالفعل كان من الضروري أن نقول بوجود عقل مفارق للعقل الانساني ، هو العقل الفعّال الذي تشرق منه المعرفة على عقول الناس

وترتيب درجات العقول النظرية عند ابن سينا لا يختلف إلاّ اختلافاً جزئيًّا عن الترتيب الذي وضعه الفارابي أستاذه ودليله في الفلسفة .

والخلاصة إن العقل العملي يسيطر على سائر قوى البدن ، ويوجه سياسة الجسم وأخلاقه كيفما شاء . أما العقل النظري فهمته لا تتعدى الاتجاه الى المبادىء العالية ، وهو النفس البشرية المجردة .

٤ — ﴿الفرق بين الادراكات﴾ إن الادراك يكون إما بالحس أو بالتخيل أو بالوهم أو بالعقل . ويشبه أن يكون أخذ صورة المدرك ، حتى اذا كان ماديًّا فيأخذ صورته مجردة عن المادة تجريداً ما .

فالحس يأخذ الصورة من المادة دون أن ينزع اللواحق التي لها من جهة المادة ، واذا زالت النسبة بينها وبين المادة بطل ذلك الأخذ ، لأنه لا يمكنه أن يستثبت على تلك الصورة إن فاتت المادة .

والخيال يبقى الصورة المنزوعة عن المادة بعرفة أشد ، لذلك إذا غابت المادة تبقى الصورة في الخيال ، إلاّ أنها لا تكون مجردة عن اللواحق المادية ، لأن الصورة في الخيال هي على حسب ما كانت محسوسة وعلى نعت وجودها ، وتكييف ما ، ووضع ما [1]

والوهم يرتفع قليلاً عن هذه المرتبة في التجريد لأنه ينال المعاني التي ليست هي في ذواتها مادية ، وان عرض لها أن تكون في مادة كالخير والشر والموافق والمخالف . فهذا النزع أشد استقصاء وأقرب الى البساطة من النزعين الأولين ، إلاّ أنه مع ذلك لا يجرد هذه

(١) النجاة ص ٢٣٠

من الدماغ ، تدرك من المحسوس ما لا يحس . ثم القوة الحافظة الذاكرة ، وهي قوة مرتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني غير المحسوسة الموجودة في المحسوسات .

هذه قوى النفس الحيوانية كما أوضحها الرئيس ، وهي لا تختلف إلاّ قليلاً عن النظام الذي وضعه لها أستاذه الفارابي . إلا أن ليس جميع الحيوانات سواء ، فمنها ما يملك الحواس الخمس ، ومنها ما له بعض دون بعض . وبهذا لو وضع لنا ابن سينا درساً وافياً عن أنواع الحيوانات وما تملكه من قوى !

ح — النفس الناطقة : يحدها الشيخ بأنها كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأي ، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية . فاذن ابن سينا لم يميّز بين النفس الناطقة والعقل الانساني .

تنقسم قوى الناطقة الى عاملة وعالمة مع أن القوتين يطلق عليهما اسم عقل . فالقوة العاملة هي مبدأ محرك لبدن الانسان الى الأفاعيل الجزئية ، وتنسب إما إلى القوة الحيوانية النزوعية وإما إلى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة وإما الى نفسها . فاذا نسبت الى القوة الحيوانية النزوعية أحدثت للانسان هيئات تختص به مثل الضحك والخجل وما أشبههما . واذا نسبت الى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة سببت للانسان استنباط التدابير في الأمور الكائنة والفاسدة واختراع الصناعات . وإذا نسبت الى ذاتها ولّدت الآراء الفائمة المشتركة بين العقلين العملي والنظري . فتكون إذن القوة العاملة هي العقل العملي ، والقوة العالمة هي العقل النظري .

أما العقل النظري فهو قوة من شأنها أن تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة . وهذه القوة النظرية لها الى هذه الصور نسب . وذلك أن الشيء الذي من شأنه أن يقبل شيئاً قد يكون بالقوة قابلاً له ، وقد يكون بالفعل . والقوة تقال على الاستعداد المطلق للقوة ، وعلى الملكة ، وعلى كل القوة . فالقوة النظرية اذن تنسب الى الصورة المجردة نسبة ما بالقوة المطلقة حتى تكون هذه القوة للنفس التي لم تقبل بعد شيئاً من الكمال الذي يخصها ، وحينئذ تسمى عقلا هيولياً وهذا يملكه كل شخص . وتنسب أيضاً الى الصورة المجردة نسبة ما بالقوة الممكنة ، وهي أن تكون القوة الهيولية قد حصل فيها من المعقولات الأولى (كالكل أعظم من الجزء) التي يتوصل منها ومن الى معقولات الثانية وتسمى عندئذ عقلاً بالملكة . وأيضاً تنسب القوة النظرية الى الصورة المجردة نسبة ما بالقوة الكمالية وهذا أن يحوز حصل فيها أيضاً الصورة المستولة الأولية و

المنمية ، وهي قوة تزيد في الجسم المغتذية فيه . والقوة المولّدة ، وهي قوة تكثّر الأجسام الصادرة عنها . وهذه القوى مشتركة بين النبات والحيوان والانسان .

ب — ﴿النفس الحيوانية﴾ إن النفس الحيوانية هي كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالارادة ، ولها قوتان محركة ومدركة . فالمحركة تنقسم إلى قسمين : باعثة وفاعلة . الأولى هي القوة النزوعية والشوقية ، ولها شعبتان الشهوانية والغضبية . والثانية هي قوة تنبعث في الاعصاب والعضلات فتجذب الأوتار أو ترخيها أو تمددها بحسب احتياجاتها .

كذلك القوة المدركة تنشطر شطرين : خارجية وداخلية . المدركة الخارجية هي الحواس الخمس أو الثمان : البصر والسمع والشم والذوق واللمس . ويشبه أن تكون هذه القوة ، على حد تعبير ابن سينا ، لا نوعاً واحداً بل جنساً لاربع قوى مبثثة معاً في الجلد كله . الواحدة حاكمة في التضاد بين الحار والبارد . والثانية حاكمة في التضاد بين اليابس والرطب . والثالثة حاكمة في التضاد بين الخشن والاملس [1] .

والمدركة الداخلية لها قوى تدرك المحسوسات ، ولها قوى تدرك معاني المحسوسات . والفرق بين إدراك الصورة وإدراك المعنى أن الصورة هي الشيء الذي تدركه النفس الباطنة والحس الظاهر معاً ، وأن المعنى هو الشيء الذي تدركه النفس من المحسوس من غير أن يدركه الحس الظاهر أولاً . مثال الأول ادراك الشاة صورة الذئب أعني شكله وهيئته ولونه . فإن نفسها لم تدركها لو لم يدركها قبلاً حسها الظاهر . ومثال الثاني إدراك الشاة المعنى المضاد في الذئب وهو المعنى المرجب تخوفها إياه وهربها من غير أن يكون الحس يدرك ذلك البتة . فالذي يدرك من الذئب أولاً بالحس ثم بالقوى الباطنة هو الصورة ، والذي تدركه القوة الباطنة دون الحس هو المعنى [2] .

ثم بعد ذلك تأتي قوة «قنطاسيا» أي الحس المشترك ، وهي قوة مرتبة في أول التجويف المقدم في الدماغ تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة في الحواس الخمس مؤدية إليه .

ومن القوى الباطنة قوة الخيال أو المصورة وهي تحفظ صور المحسوسات بعد غيابها ، ومرتبة في التجويف المقدم من الدماغ ، لأن قوة قبول الصور غير قوة حفظها .

ثم المتخيلة ، وهي قوة مرتبة في التجويف الأوسط من الدماغ عند الدودة ، وتسمى مفكرة بالقياس الى النفس الانسانية . ثم الوهمية ، وهي قوة مرتبة في نهاية التجويف الأوسط

(١) النجاة ص ٢٦١ (٢) النجاة ص ٢٦٥

إن النفس الانسانية متفقة في النوع (الصور) فإن وجدت قبل البدن - فإما أن تكون متكثرة الذوات أو تكون ذاتاً واحدة . ومحال أن تكون ذوات متكثرة وان تكون ذاتاً واحدة على مايتبين، فمحال أن تكون قد وجدت قبل البدن ! (النجاة ص ٣٠٠)

إن النفس لا يمكنها أن تكون متكثرة الذوات : لأن تكثرها إما أن يكون من جهة الماهية والصورة ، وإما أن يكون من جهة النسبة الى العنصر والمادة . إلا أن الأول باطل لأن النفس ليست متغايرة بالماهية والصورة لأن صورتها واحدة وماهيتها واحدة ، وكذلك الثاني باطل لأن النفس لا يجوز أن تكون واحدة الذات بالعدد ، وتكون موجودة قبل البدن لأنه إذا حصل بدنان حصل في البدنين نفسان . فإما أن يكونا قسمي تلك النفس الواحدة فيكون الشيء الواحد البسيط منقسماً وهذا ظاهر البطلان ، وإما أن تكون النفس الواحدة بالعدد في بدنين ، وهذا لا يحتاج أيضاً الى كثير تكلف في ابطاله . فقد صح اذن أن النفس تحدث كلما يحدث البدن الصالح لاستعمالها إياه ، ويكون البدن الحادث مملكتها وآلتها ، لذا يجب عليها أن تستصلحه وتهتم بأحواله [1] .

إن العلوم لم توجد منطبعة في النفس منذ الأول كما يظن أفلاطون بل إن الآلة تصح بهبوط النفس الى أرض الشقاء لكي تكتسب المعرفة والعلم ، الأمر الذي لا يمكن أن يكون إلا باشتراك الحس ، لأن المعرفة تأتينا عن طريق الحس كما يقرر أرسطو [2] .

٣ — ﴿ قوى النفس ﴾ إن النفس بما أنها صورة الجسم وكماله فهي ، كما يقول أفلاطون ، مبدأ حركة البدن ، وبالفعل تحركه مثلما تحرك النفوس السماوية أجرام الفلك . فيظهر من ذلك أن النفس مشتركة بين النبات والحيوان والانسان والملائكة ، إلا انها في النبات والحيوان كمال الجسم الطبيعي . أما في الانسان والملائكة فهي الجوهر المحرك اللامتناهي . والنفس كجنس واحد ينقسم بضرب من القسمة الى ثلاثة أقسام : نباتية وحيوانية ، وانسانية . وهذا التقسيم يختلف عن تقسيم المعلم الأول الذي جعل قوى النفس أربعاً : الغاذية والحساسة والمحركة والناطقة . ولعل الشيخ فعل ذلك جمعاً بجمعها الحساسة والمحركة في القوة الحيوانية .

١ — ﴿ النفس النباتية ﴾ يعرّف ابن سينا النفس النباتية بأنها كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد وينمو ويغتذي ، ولها ثلاث قوى : القوة الغاذية ، وهي القوة التي تحيل جسماً آخر الى مماثلة الجسم الموجودة فيه لتلحقه به بدل ما يتحلل عنه . والقوة

(١) طالع النجاة ص ٣٠١ . (٢) تراجع ابن سينا عن هذا الرأي في آخر حياته.

وارجع الى نفسك ، وامعن الى داخلك تسمع بصوتٍ يناديك : « إنك مهما تحاول لن تستطيع أن تتجرد عن انيتك وفكرك ، لأن أول الادراكات وأوضحها عن الانطلاق هو إدراك الانسان نفسه ! »[1]

لكن باي آلة يدرك الانسان نفسه ؟ أبالبصر أم بالسمع أم بالمخيلة أم بالوهم ؟ يدرك الانسان نفسه بمعزل عن كل آلة لأن القوة العقلية لو كانت تعقل بآلة الجسدية يرجب أن تعقل ذاتها وأن لا تعقل الآلة ، ولا أن تعقل أنها عقلت ، فانه ليس بينها وبين ذاتها آلة ، وليس بينها وبين آلتها ، ولا بينها وبين أنها عقلت آلة ، إذ إن النفس تعقل ذاتها بذاتها وليس بالآلة[2] . قال ابن سينا في كتاب الاشارات ص ١٢٣ :

« بماذا تدرك حينئذ ذاتك ، وما المدرك من ذاتك ؟ أترى المدرك منك أحد مشاعرك أم عقلك ، وقوة غير مشاعرك وما يناسبها ؟ فان كان عقلك وقوة غير مشاعرك بها تدرك ، أفبوسط تدرك أم بغير وسط ؟ ما أظنك تفتقر في ذلك حينئذ إلى وسط ، فانه لا وسط . فبقي أن تدرك ذاتك من غير انتقار إلى قوة أخرى . »

وقصارى الكلام أن النفس تدرك في أول الأمر ، وقبل كل شيء ذاتها ووجودها مجردة عن المادة ولواحقها وبدون آلة ما ، لأنه لو كانت تدرك بآلة لكانت الادراكات الشاقة توهنها وتفسدها ، كما أن الانفعال الشاق المتكرر يضعف الحس ، والرعد الشديد يفسد السمع . وهذا القول يذكرنا بنتيجة لديكارت أوردها في كتاب التأملات وهي : « ان إدراك النفس أسهل وأوضح من إدراك الجسد »

٢ — في حدوث النفس ولكن من أعطى النفس وجودها ، وكيف حلّت في هذا الجسد البالي ، ولماذا ؟

إن الذي خلق النفس هو الله تعالى ، على أنه لم يعطها وجودها بنفسه مباشرة بل أسند ذلك الى واهب الصور الذي لا يعطي الوجود إلا الى مستحقيه .

كان أفلاطون يؤمن بأن النفوس أبدية أزلية وجدت قبل الجسد . أما الشيخ الرئيس فانه نقض هذا القول ، وأثبت أن النفس حادثة مع البدن وهاك دليله : « إن النفس الانسانية متفقة في النوع والمعنى فان وجدت قبل البدن ، فإما أن تكون متكثرة الذوات أو تكون ذاتاً واحدة . ومحال أن تكون ذوات متكثرة ، وأن تكون ذاتاً

(١) شرح الاشارات ص ١٢٢ (٢) النجاة ص ٢٩٢ .

الفصل السادس

النفس في نظر ابن سينا

كان ابن سينا أول فيلسوف مسلم درس علم النفس دراسة شاملة ، وتعمق فيه تعمقاً عميقاً ، وكتب فيه كثيراً . ومن لا ينكر أن الشيخ الرئيس قد اعتمد في دراسته علم النفس على آراء أرسطو ، لكنه قد أفاد أيضاً من مصادر أخرى لم يعرفها أرسطو ، ولا سيما من الدراسات الطبية والتشريحية لعلماء اليونان التالية لعصر المعلم الأول ، فجاءت كتابات أبو علي في هذا العلم أكمل من كتابات أرسطو . والحق يقال إن علم النفس عند ابن سينا هو المثال الوحيد الكامل لعلم النفس القديم على الإطلاق ، وكان له نفوذ عظيم في العصور التالية بين المسلمين . وأثر تأثيراً كبيراً في أفكار الفلاسفة اللاتينيين على العصر الوسيط كما يبدو ذلك في مؤلفات ألبرت الكبير ، والقديس توما الأكويني ، ودون سكوت وغيرهم من أساطين الفلسفة المدرسية [1] .

وعلم النفس في نظر ابن سينا جزء من علم الطبيعة ، وهو ينقسم الى قسمين رئيسيين : قسم يمكن أن نسميه علم النفس الميتافيزيقي ، وهو يشمل البحث في اثبات وجود النفس ، وماهيتها ، وهل هي مادية أو غير مادية ، وعلاقتها بالجسم ، وخلودها . وقسم يمكن أن نسميه علم النفس الطبيعي ، وهو يشمل دراسة القوى النفسية المختلفة [2] وسوف ندرس في هذه الصفحات رؤوس مسائل هذا العلم كما عرضها الشيخ الرئيس

١ — ﴿وجود النفس﴾ يعتقد ابن سينا ان العقل بقوته الذاتية يمكنه ان يبرهن على وجود النفس . وأقوى برهان يأتينا به برهان الحدس والهاكمة كما يسميه .

اننا نرى أجسامنا تتغذى وتنمو وتتحرك ، ونعرف من الاختبار أن هذه الصفات ليست من خاصات الأجسام ، فندرك بالحدس أن فينا مبدأ تصدر عنه هذه المعلولات ، وهو ما نطلق عليه اسم نفس [3] .

أدخل مخدعك ، واغمض عينيك عن الخارج ، واسدد أذنيك عن ضجيج الهاوية ،

(١) راجع كتاب « الادراك الحسي عند ابن سينا » للاستاذ محمد فتاح نجاتي ، ص ١٧ و ١٨ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٩ . (٣) الشفاء ص ٢٧٨

يطلق على الصورة أيضاً لأنها إما أن تكون نفس الاتصال ، أو تكون طبيعة يلزمها الاتصال حتى لا توجد هي إلا والاتصال لازم لها . فإن كانت نفس الاتصال فقد يكون الجسم متصلاً ثم ينفصل فيكون لا محالة شيء هو بالقوة كليهما ، فليس ذات الاتصال بما هو اتصال قابل للانفصال لأن قابل الاتصال لا يعدم عند الانفصال ، والاتصال يعدم عند الانفصال . فإذن شيء غير الاتصال هو قابل للانفصال ، وهو بعينه قابل الاتصال . فظاهر أن ههنا جوهراً غير الصورة الجسمية ، هو الذي يعرض له الانفصال والاتصال معاً ، وهو مقارن لصورة الجسمية ولا يمكن أن يوجد مفارقاً وهو ما نسميه مادة[1] فيتضح :

١ — إن المادة لا يمكنها أن توجد بمعزل عن الصورة ، ولكن الصورة الكاملة كالنفس البشرية مثلاً يمكنها أن توجد بدون المادة ، بل أن المادة هي سجن لها .

٢ — فساد شيء يكون تكويناً لشيء آخر ، وتكوين شيء يكون فساداً لشيء آخر فالموجودات بأجمعها تفسد وتتكون بموجب هذه السنة ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

وإذا سلمنا بهذه النظرية التي لا يزال ينهجها اتباع الفلسفة المدرسية ، فعلينا أن نسلم بتفسير الموجودات على هذه الطريقة :

أول الموجودات في استحقاق الوجود الجوهر المفارق غير الجسم الذي يعطي صورة الجسم ، وصورة كل موجود ، ثم الصورة ، ثم الجسم ثم الهيولي ، وهي وإن كانت سبباً للجسم ، فإنها ليست بسبب يعطي الوجود بأنه محل لنيل الوجود ، والجسم وجودها ، وزيادة وجود الصورة فيه التي هي أكمل منها . فإن أولى الأشياء بالوجود هو الجوهر ثم الأعراض ، وفي الأعراض ترتيب في الوجود أيضاً[2]

٣ — لم نجد باقي الطبيعيات بعد أن يفرغ الشيخ الرئيس من تقرير ما تقدم المقالة الثانية فيتكلم عن لواحق الأجسام وعن الحركة وعن الاستقساط أي العناصر النار والماء والهواء والتراب

ولقد تأثر في نظرياته تلك بأقوال الفلاسفة اليونانيين الذين اختلفوا أيما اختلاف في المبادىء الطبيعية . فجاء أرسطو وتقدم نقداً عسيراً ، وجعل المبادىء الطبيعية ثلاثة فقط لأجل تفسير الأجسام الطبيعية وتغيراتها . فالأول الهيولي أو المادة الأولى ، والثاني العدم ، والثالث الصورة . فابن سينا حذف العدم وجعل للطبيعة مبدأين هما الهيولي والصورة

(١) النجاة ص ٢٢٩ (٢) الشفاء الجزء الثاني ص ١٢٢ (٣) النجاة ص ١٦٩ و ١٧٠

لأن هؤلاء لا يعلمون إلاّ بالاختبار والواقع ، ولا يلجأون الى علم آخر يبحثون به ما يريدون تقريره .

٢ — ﴿ المادة والصورة ﴾ إن الكون بأجمعه هو في تغير مستمر ، وتحويل مستديم . قف تجاه سنديانة يابسة كطبع الدهر تلتهمها النار فلا يمضي عليها إلاّ القليل حتى تصير رماداً . فهل تلاشت السنديانة باحتراقها واضمحل كل ما فيها ؟

إن الأجسام الطبيعية جميعها مركبة من مادة هي محل ، ومن صورة هي حالة فيه . ونسبة المادة الى الصورة كنسبة النحاس الى التمثال [1] . فكما أن الفنان لا يمكنه أن يصنع تمثالاً نحاسيًّا ما لم يكن عنده مادة نحاسية ، هكذا لا يمكن أن تكون مادة بدون صورة . أما الصورة فتقوم بمعزل عن المادة لأنها أكمل وأرقى ، وبهذا القيام المستقل نقد خالف ابن سينا المعلم الأول ، وذلك لكي يستطيع اثبات خلود النفس التي هي صورة للجسم . الى كل ما نعرفه نطلع عليه بالفعل أو بالصورة ، فينتج ذلك أن المادة الأولى ليست معروفة بذاتها لأنها لا تتضمن فعلاً بل استعداداً لاقتبال الصورة . اذن كيف يمكننا أن نبرهن على هذه المادة التي لا نستطيع الى تعريفها سبيلاً ، لأنها ليست موجودة في نوع أو في جنس أو في تميز ؟

نحن نعرف بدءذي بدء بحواسنا الخارجية انه توجد أجسام تملك صوراً حسيّة ، وعندما تكون في الفعل ، تتضمن أقطاراً معينة . غير أن هذه الأجسام ليست هي كذلك لأنها تملك بالفعل أقطاراً مثلثة ، بل لأنها قابلة لأن تقتبل تلك الأقطار أو ترفضها لأن الأقطار لا تركب الأجسام بما انها أجسام ، بل تنسب الى الأجسام نسبة العرض الى الجوهر . إن السطح مثلاً لا يدخل في تحديد الجسم بما أنه جسم ، ولكنه يدخل في تحديد الجسم بما أنه متناه . اذن هو عارض جسمي متغير وهذا هو السبب الذي يجعلنا نتصور الجسم بما هو جسم دون أن نتذكر ضرورة بأنه متناه . وبما أن كل جسم يملك صورة هي موضوع للعلم الطبيعي ، كذلك يملك امتدادات وأقطاراً محدودة تدخل تحت قبضة الكليات ، وتكون موضوعاً لعلم آخر . إن هذا الكتاب الموجود بين يدي الآن له ثلاثة أقطار تقاس وتحد بالأرقام ، وله فوق ذلك صورة محسوسة بها يقوّم كتاب ، وتدرس وتوصف في علم آخر . اذن ان أقطار الأجسام لا تبقى دائماً غير متغيرة [2] . وهذا القول

(١) راجع النجاة ص ١٠٩

(٢) طالع كتاب جيل صليبا بفرنسا Etude sur la mat. d'Avicenne, Page 60

الفصل الخامس

طبيعيات ابن سينا

غني عن البيان أن العلوم الطبيعية لم تنهض هذه النهضة المباركة إلاّ في القرن التاسع عشر. وهذا لا يعني أن كل ما كتب في هذا الموضوع، قبل التاريخ الآنف، كان لغواً ومغالطة بل أن الحقائق الراهنة الواضحة كانت جد قليلة، بالنظر الى ما كان يكتنفها من الخرافات والسفسطات. وطبيعيات ابن سينا لم تشذ عن هذه القاعدة لأن معظم ما فيها خطأ ومحاولات خائبة. فاذا كنا نورد ملخصها في هذا الفصل، فلكي نطلع على تطور الفكر الانساني وبطء نموه.

١ — ﴿موضوع الطبيعيات﴾ يعتقد الرئيس أن العلم الطبيعي هو صناعة نظرية، وكل صناعة نظرية لها موضوع من الموجودات أو الموهومات [1]. اذن للعلم الطبيعي موضوع ينظر فيه، وفي لواحقه. وما موضوعه إلاّ الأجسام بما هي واقعة في التغير وبما هي موصوفة باتحناء الحركات والسكونات [2].

من هذا يظهر أن الطبيعي يدرس الموجود الحقيقي، ولكن ليس بما هو موجود ولا بما هو جسم، ولا بما هو جوهر، ولا بما هو مركب من مادة وصورة، ولكن بما هو قابل للحركة والسكون. وهذا التعليم لا يزال أتباع الفلسفة المدرسية يدافعون عنه ويؤيدونه.

يريد أرسطو الاسلام على ما تقدم: ان العلوم الجزئية لا يلتزم أصحابها باثبات مبادئها، وصحة المقدمات التي بها يبرهنون ذلك العلم، بل بيان مبادىء العلوم الجزئية يتعلق بعلم العلم الكلي الذي موضوعه الموجود المطلق. وبما أن الطبيعيات هي من العلوم الجزئية، فالبرهنة على صحة مبادئها لا تختص بالعالم الطبيعي، بل بعلماء ما وراء الطبيعة. وبعبارة أوضح: ان العالم الطبيعي بحكم أن يتخذ المبادىء المقررة في الالهيات، ويحارب بها خصومه، ويدافع أعداءه، ويثبت القضايا المعترض عليها. ومن هذا الكلام يتبين للقارىء الفرق الشاسع القائم بين الطبيعيين الأقدمين، والطبيعيين المحدثين،

(١) يشير بالموهومات الى مواضيع العلوم الرياضية (٢) النجاة ص ١٥٨.

المنطقة موزعة الى ثلاثة أقسام ، كتاب المقولات يدور على الأمور المتصورة تصوراً ساذجاً ، وكتاب العبارة في الأمور أو الأقوال المؤلفة ، وكتاب التحليلات الأولى في الاستدلال بالاجمال أي من حيث صورته . ولما كان الاستدلال من حيث المادة اما برهانياً صادراً عن مبادىء كلية يقينية ومؤدياً للعلم ، وإما جدلياً مركباً من مقدمات ظنية ، وإما سوفسطائياً مؤلفاً من مقدمات كاذبة خرجت لنا ثلاثة كتب : الواحد في البرهان والثاني في الجدل والثالث في الأغاليط [1] . ومنطق ابن سينا يقوم على هذه الأصول تماماً ، لكنه غير منسّق مثل منطق أرسطو ، بل هو فصول غير متماسكة .

٤ — يطول بنا مجال القول اذا تعقبنا ابن سينا في منطقه معارضين أقواله بأقوال المعلم الأول . إنما نود الآن أن نضع أمام الحاظ القارىء أقوال الرجلين في المقولات التي يسميها ابن سينا الأجناس العشرة أو المقولات العشر

إن مقولات أرسطو عشر وهي الجوهر مثل رجل ، والكم مثل ثلاثة أمتار ، والكيف مثل البياض والسواد ، والاضافة مثل الأبوة بالقياس الى البنوة ، والأين مثل البيت ، ومتى مثل غد ، والوضع مثل القيام والقعود ، والملك مثل التلبس والتسح ، والفعل مثل التسخين والتبريد ، والانفعال مثل مقطوع . وأجناس ابن سينا العشرة هي كما وضعها المعلم الأول من غير زيادة أو نقصان ، فراجعها مع شروحها في كتاب النجاة ص ١٢٦ — ١٢٩

٥ — وصفوة القول ان ابن سينا قد اتبع في منطقه كتب ارسطو التي علق عليها بوفير وشرحها باسهاب حتى صار بهذه الشروح مشهوراً بين العلماء الشرقيين في العصر الوسيط . والمهم في نظر الباحث أن الشيخ الرئيس قد تكلم عن إلمامة الآراء وتوجيهها بصبغة عملية فريدة متطرقاً من ذلك الى عناصر العقل الأولي والتوفيق بين مختلف المذاهب . وهذا يذكرنا بما قاله ليبنتز عن مذهبه الفلسفي : « لقد تأثرت بمذهب جديد ومنذ ذلك الحين أظنني أرى وجهاً جديداً لباطن الأشياء . هذا المذهب يدير جامعاً أفلاطون الى ديمقريطس ، وأرسطو الى ديكارت ، والمدرسين الى المحدثين ، واللاهوت والأخلاق الى العقل . ويلوح أنه يأخذ الأفضل من كل صوب ، ثم يمضي الى أبعد مما مضوا اللآن . وإذا التفتنا الى آثار الحقيقة هذه عند القدماء ، استخرجنا التبر من التراب والماس من المنجم ، والنور من الظلمات ، وألفنا فلسفة دائمة[2] »

هل وفق الشيخ أبو علي الى استخراج التبر من التراب ؟ هذا ما سوف نراه في الفصول القادمة .

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم ص ٢٥٢ (٢) تاريخ الفلسفة الحديثة للاستاذ كرم ص ١٢

الفصل الرابع

منطق ابن سينا

---

١ — كان فلاسفة العرب يجارون أرسطو ويلقبونه بالمعلم الأول ، والحكيم ، حتى أن أكثرهم قد سلكوا طريقته في جميع ما ذهب إليه ، وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأي أفلاطون والمتقدمين [1] . وكانوا يعتقدون على حق أن أرسطو هو واضع التعاليم المنطقية، ومخرجها من القوة الى الفعل وإنما لفظة « لوجيكا » لم ترد في كتب أرسطو كاسم لهذا العلم ، بل وردت في عصر شيشرون الفيلسوف الروماني بمعنى الجدل . وأول من استعملها بمعنى المنطق كان اسكندر الأفروديسي الذي عرف العرب كتاباته الفلسفية ، وتأثروا بها . فلا لوم اذن على ابن سينا اذا طبع على غرار مفكري المسلمين والعرب في هذا العلم .

٢ — لم يدخل أرسطو المنطق في أقسام العلم النظري لأن موضوعه ليس وجوديًّا ، ولكنه ذهني ، إذ هو علم قائم بنفسه يتعلم قبل الخوض في أي علم آخر ليعلم به أي القضايا يطلب البرهان عليها وأي برهان يطلب لكل قضية [2] . وقد فعل ابن سينا ما فعله المعلم الأول إذ قال إن نسبة صناعة المنطق « الى الروية نسبة النحو الى الكلام والعروض الى الشعر . لكن الفطرة السليمة والذوق السليم ربما أغنيا عن تعلم النحو والعروض ، وليس شيء من الفطرة الانسانية بمستغن في استعمال الروية عن التقدم باعداد هذه الآلة [3] » . ولفظة آلة العرب يقابله لفظ (أورغانون) اليوناني ورد في كلام الفيلسوفين اليوناني والمسلم . فيكون المنطق اذن في نظر هذين الرجلين الآلة العاصمة للذهن من الخطأ فيما تتصوره وتصدق به والموصلة الى الاعتقاد الحق باعطاء أصابه وتهج سبله فالمنطق من قبيل نسبته الى العلوم هو كالميزان يرجع إليه عند اشتباه الصواب بالخطأ والحق بالباطل .

٣ — نخلص من ذلك الى نتيجة حتمية وهي أن موضوع المنطق أفعال العقل من حيث الصحة والفساد . ولما كانت أفعال العقل ثلاثة : التصور الساذج ، والحكم أو تركيب التصورات وتفصيلها ، والاستدلال أو الحكم بوساطة،فقد جاءت كتب أرسطو

---

(١) راجع الملل والاهواء والنحل ، الجزء الثالث ، ص ٩٣ من طبعة مصر (٢) تاريخ الفلسفة اليونانية للعلامة يوسف كرم ص ١٥١ — الطبعة الاولى (٣) أنظر النجاة ص ٦

استفادة المنجم من الطبيعي ان الحركة الفلكية يجب أن تكون مستديرة. وإما ان يكون العلمان مشاركين في الجنس ، وأحدهما ينظر في نوع بسيط كالحساب. والآخر في نوع أكثر تركيباً كالهندسة ، فان النظر في الأبسط يفيد الآخر مبادىء كما يفيد العدد الهندسة [1]

وإذا رجعنا إلى رسالة « تقسيم العلوم » التي أوضح فيها ابن سينا نظريته في هذا الصدد توصلنا الى النتيجة الآتية : فلسفة عامة أو حكمة ، وفلسفة نظرية ، وعلوم رياضية ، وإلهيات ، وفلسفة عملية . فالحكمة تحتوي على اللغة والشعر والمنطق . والفلسفة النظرية تشتمل على الطبيعي ، وعلم النفس ، والطب ، والكيمياء . والعلوم الرياضية تشمل الرياضيات والموسيقى وعلم الفلك . والالهيات تحوي الماثيزيقا ، والتوحيد ، والتفسير ، والتصوف . والفلسفة العملية تشمل الأخلاق وتدبير المنزل والسياسة والنبوة . وفي هذا التقسيم ترتسم خطة المعلم الأول .

لم يكن أرسطو يعتقد كتلاميذه المعاصرين أن الفلسفة تدرس الأشياء بعللها العالية ، بل كان ينظر الى العلم في مجموعه ، ووضع مبادىء تصنيف تام للعلوم . فالعلم عنده ينقسم الى نظري وعملي . والنظري ينظر فيه من ثلاث جهات : من حيث هو متحرك ومحسوس ، وهذا هو العلم الطبيعي ، ومن حيث هو مقدار وعدد ، وهذا هو العلم التعليمي . ومن حيث هو مجرد بالاطلاق ، وهذا هو ما بعد الطبيعة . واما العلم العملي فالمعرفة فيه ترمي إلى غاية متمايزة منها ، وهذه الغاية هي تدبير الأفعال الانسانية ، وذلك إما في نفسها وهذا هو العلم العملي بمعناه المحدود . واما بالنسبة إلى موضوع يؤلف ويصنع وهذا هو الفن . والعلم العملي يدبر أفعال الانسان بما هو انسان من ثلاث نواحٍ : في شخصه وهو الأخلاق ، وفي الأسرة وهو تدبير المنزل ، وفي الدولة وهو السياسة . والعلم النظري أشرف لأنه كمال العقل ، والعقل أسمى قوى الانسان [2]

ومن يدقق النظر فيما قلناه يعلم أن الشيخ الرئيس في تقسيمه العلوم قد نسج على منوال المعلم الأول . والفرق بينهما في هذا هو أن أرسطو قد تعمق في دراسة الطبيعي وعالجه معالجة دقيقة ، واكتشف براهين جديدة نقض بها مزاعم الفلاسفة المتقدمين . أما الرئيس أبو علي فانه لم يضف شيئاً في هذا الصدد الى تقسيم أرسطو بل نهج نهجه فقط .

(١) راجع النجاة ص ١١٥ و ١١٦ . وقال الدكتور جميل صليبا في اطروحته الفرنسية ان المطران لبناته أبو كرم نقل النجاة الى اللاتينية والطبعة انه رسم نقط الحياة النجاة وطبعها في روما ١٩٢٦

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم ، ص ١٩٠ الطبعة الاولى .

إلاّ ان أغلب ما نشر منها طبع على عجلة أو على أيدي غير المختصين ، فنحن نفتقر الى طبعة علمية لمؤلفات الشيخ الرئيس الموزعة مخطوطاتها بين أركان العالم الأربعة . ولدينا كتاب قيم وضعه العلامة الأب جورج شحاته قنواتي من مؤلفات ابن سينا ونسخها الخطية وطبعته الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية بمطبعة دار المعارف في القاهرة ١٩٥٠ ، وهو من القطع الكبير ، وفي ٤٣٦ صفحة عدا مقدمة فرنسية في عشرين صفحة ، فيستطيع من يريد نشر أي مخطوط أن يرجع الى هذا الكتاب حيث يجد المعلومات الوافية عن كل مؤلف ومخطوطاته ومظانها .

(١) في بخارى ألف . الحكمة العروضية ، والحاصل والمحصول ، والبر والاثم .

(٢) وفي جرجان كتب المختصر الأوسط ، وكتاب المبدأ والمعاد ، وكتاب الأرصاد الكلية . يقول البيهقي : « وصنف في جرجان كتباً كثيرة كأول القانون والمختصر من المجسطي وكثيراً من الرسائل والكتب » . (٣) وفي الري وضع كتاب الماء .

(٤) وفي همذان ألف طبيعيات الشفاء ، والكتاب الأول من القانون . والهيات الشفاء ، وجزءاً من منطق الشفاء ثم حبس في قلعة فرهجان أربعة أشهر وألف فيها كتاب الهداية ، وحي بن يقظان ، والقولنج(٥) وفي أصفهان وضع الكتاب العلائي والقانون وتقسيم كتاب الشفاء (المجسطي — الارثماطيقي — الموسيقي) وأما كتاب الحيوان والنبات من الشفاء فقد أنهاه في السنة التي توجه فيها علاء الدولة لقتال سابور خواست كما يقول البيهقي . ومن يرد الاحاطة بهذا الموضوع فليراجع كتاب الأب قنواتي المشار إليه .

٢ — في تقسيمه العلوم : قاض الشيخ الرئيس جميع مواضيع المعرفة البشرية المنتشرة في أيامه ، وقسّم العلوم الى عليا ، وسفلى ، ووسطى . فالعلوم العليا هي ما بعد الطبيعة أو الفلسفة الأولى التي موضوعها الوجود المطلق بما هو مطلق مجرد عن المادة ولواحقها . والسفلى تدرس المادة ، وتختص بها وتلازمها وتدعى الطبيعيات . والوسطى هي مزيج من العلوم العليا والسفلى أي تتعلق بالمادة من جهة ، وتتجرد عنها من جهة أخرى ، وتعرف بالرياضيات .

والعلوم كلها بمعنى الفصاحة تشتق من الفلسفة الأولى ، وتتساوى بعضها بعضاً على ثلاثة وجوه : إما أن يكون أحد الطرفين تحت الآخر فيستفيد العلم السافل مبادئه من العالي مثل الموسيقي من العدد ، والطب من الطبيعي . وأما أن يكون العلمان متشاركين في الموضوع كالطبيعي والتجوري في جرم الكل . فأحدهما ينظر في جوهر الموضوع كالطبيعي ، والآخر ينظر في عوارضه كالتجوري ، فيكون الناظر في جوهر الموضوع يفيد الآخر المبادي مثل

الفصل الثالث

مصنّفاته ، وتقسيمه العلوم

لا بد للقارئ المنصف لدى اطلاعه على مؤلفات ابن سينا ، من أن يردد مع ابن خلكان أنه كان قادرة عصره في علمه وذكائه حتى قاربت تصانيفه المئة ما بين مطوّل ومختصر في فنون شتى . وأنا الآن أتساءل بانذهال : رجل كابن سينا اشتغل بالسياسة ، وتقلد الوزارة ، ومني بالاضطهاد والتشرد ، كيف وجد متسعاً من الوقت ليتصرف للتفكير والتأليف بالروية والحسب اللذين عرفت بهما سائر مؤلفاته؟ إنها وايم الحق تجعله رجل صاحب عقل متفرد ، وعلم غزير ، وقريحة كثيرة الانتاج، وجلد على الكتابة لا يبارى .

كل فضلة من الزمان خصصها للمطالعة والكتابة، والوقت الذي لم يحصل عليه في النهار، يبحث عنه في الليل حتى انه لم ينم ليلة بكاملها . كان يصرف أعمال الدولة في النهار ، ويجلس للتدريس والكتابة بالليل . قال : « فاذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم وهيىء مجلس الشراب بآلاته » . وكان في السفر يحمل أوراقه قبل زاده ، ومتى تعب يجلس مفكراً كاتباً . وكان في السجن يطلب الورق والحبر قبل الخبز والماء .

أما سرعته في التأليف فكانت غريبة . يروي عنه الجوزجاني تلميذه المخلص : « انه طلب منه اتمام كتاب الشفاء فاستحضر أبا غالب وطلب الكاغد والمحبرة فأحضرها وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الظن بخطه رؤوس المسائل ، وبقي فيه يومين حتى كتب رؤوس المسائل كلها بلا كتاب يحضره ولا أصل يرجع اليه ، بل من حفظه وعن ظاهر قلبه ، ثم ترك الشيخ تلك الأجزاء بين يديه ، وأخذ الكاغد فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها ، فكان يكتب كل يوم خمسين ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والالهيات ما خلا كتابي الحيوان والنبات » .

ولا يغرب عن البال أن ابن سينا الطبيب اشهر من ابن سينا الفيلسوف ، فان أوربا نفسها قد هوّلت على كتاباته الطبية أجيالاً متمددة ، ودرّست نظرياته في جامعاتها . فعسى أن تدفع ذكراه الألفية أحد أطباء العرب النابهين فيخرج لنا كتاباً عن ابن سينا الطبيب .

١ — ﴿ مؤلفاته ﴾ مؤلفات ابن سينا متعددة هي بها المصدوق ناشرين ومعلقين ،

ميالاً الى درس الكتب الغريبة ، وحل المشاكل العلمية ، وهذا يثبته ما حكاه عنه تلميذه الجوزجاني وهو قوله : « صحبت الشيخ ٢٥ سنة ، فما رأيته ينظر فيما يقع له من الكتب على الولاء ، وانما يقصد المواضع الصعبة ... ليتبين ما قاله صاحب الكتاب فيها »

وكان ذا عقل خصب ، شغوفاً بافادة غيره من أبناء جنسه ، ويروي عنه ان جماعة من العلماء وقفت لهم شبه على مسائل من كتابه المختصر الاصغر في المنطق ، وعرضت تلك الشبه عليه للاجابة عنها فكتب في جوابها نحو خمسين ورقة في نصف ليلة ، حتى دهش الناس من ذلك وصار تاريخاً بينهم . غير انه مع هذا كله قد كان محبًّا للظهور ، لا يريد أن يستفيد فيه من الموضع الذي استقى منه ، لذا لما شفي نوح بن نصر الساماني من مرض اعتراه ، دخل مكتبته التي لم يكن لها نظير فأخذ هناك يطالع مقتبساً منها أشياء لم يدركها سواه ، وقرأ أغلب نفائسها ، ثم لهم بحرقها ليتفرد بما وعته من الحكمة كذلك كان الشيخ يظهر غير ما يبطن كما اثبت عليه المؤرخون انه كان مطواع الاهواء والملاذ ، ومع هذا فانه في فلسفته يثبت أن السعادة الكاملة في هذه الحياة الدنيا تقوم بالتجرد التام عن الحسيات ، والابتعاد عن الشهوات والتبحر في الوجود الكامل ، حتى لقد قال في إحدى رسائله عن هذا العالم الفاني ما يأتي : « دار أليمها موجع ، ولذيذها مستشع ، وصحتها نصب الاضداد على وزن وأعداد ، وسلامتها استمرار فاقة الى استمرار مزاقة ، ودوام حاجة الى مج حاجة . . . » ثم يواصل القول : إن الانسان الذي يتبحر في قلبه بغض الدنيا ، وتصير « هذه الخمسة وتبعته ، الطبع في نفسه نقش الملكوت ، وتجلى لمرآته قدس اللاهوت ، فألف الانس الأعلى ، وذاق لذة القصوى ، وأخذ عن نفسه لمن هو به أولى وغلبت عليه السكينة ، ورحمت به الطمأنينة واطلع على العالم الأدنى اطلاع راحم لأهله مستوهن لحيله » (الشفاء مقدمة كتاب النجاة ص ٤) هذا قول ابن سينا في هذا الأمر ، إلا أن عمله يخالف ذلك ويناقضه .

ونحن نعتقد أن الشيخ الرئيس لو استدل في حياته ، لعمّر طويلاً ، ولأتانا بنظريات فلسفية موزونة ، لأن الصنعة النقدية لم يكن محتاجاً اليها بل كانت متجمدة فيه تجمداً ، فانا بينا رأى فلاسفة العرب يؤلهون ارسطو ، ويتلقون تعاليمه بدون ما روية ، نشاهد ابن سينا يفحصها ، ويتناول ما يلائمه وينبذ ما لا يقره عقله .

أما باقي مزايا ابن سينا الروحية ، فستظهر للقارىء في الفصول القادمة .

لشمس الدولة ثم ثار العسكر عليه ، وأغاروا على داره ، ونهبوها ، وقبضوا عليه ، وصادروا شمس الدولة فتنكر فاستتر ، ثم اطلق فتوارى ثم مرض شمس الدولة بالقولنج فأحضره لمعالجته ، واستوزره وأعاده وزيراً [1]

وبعد أن مات شمس الدولة ، وبويع ابنه طلب أن يستوزر الشيخ الرئيس فأبى ، وأقام في بعض الدور متخفياً . ثم اتهم بأنه يكاتب أمير أصفهان علاء الدولة سراً ، فقبضوا عليه ، وسيروه الى قلعة فردجان ، فسجن ، وأنشأ هناك قصيدة جاء فيها :

دخلت باليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج

واستمر في القلعة أربعة أشهر ، ثم أخرج وأعيد الى همذان حيث أقام مدة . ومن له اقترار تخرج متنكراً الى أصفهان ، فصادف في مجلس علاء الدولة الاكرام الذي يستحقه مثله ، ولما سار علاء الدولة قاصداً مازندران ، خرج الشيخ معه ، واشتغل بالرصد واتخاذ آلاته ، واستخدام مناخها قصداً لاصلاح الخلل الواقع في التقاويم القديمة .

والمذكور من الشيخ أنه كان ذوي البلية والمزاج مسرفاً في الملاذ البدنية والشهوات وعرض له قولنج خفق نفسه في يوم واحد ثماني مرات ، فتقرحت امعاؤه ، واتفق له سفر مع علاء الدولة ، فحدث له الصرع الذي يحدث عقيب القولنج ، فأمر باتخاذ دانقين من كرفس في كل ما يحقن به ، فجعل الطبيب الذي يعالجه به خمسة دراهم ، فازداد الصحيح به ، فطرح بعض خدمه في الادوية التي يعالج بها مقداراً كبيراً من الأفيون ، وكان سبب ذلك أن غلمانه خانوه لخافرا الطائفة عندوثه ، وكان يحتمل الألم ويجلس مرة بعد أخرى ولا يحتمي ، ويسرف في قوته الجيوية فكان يزهر أسبوعاً ويصلح أسبوعاً .

ثم قصد علاء الدولة همذان ومعه الرئيس ، فحمل له القولنج في الطريق ، ووصل الى همذان وقد بلغ منه الضعف ، وأشرف على الهلاك وأهمل التداوي وقال : قد انتشر الذي قد تعذر من تدبيره ، فلا تتعبني المعالجة ، ثم اغتسل وتاب ، وتصدق بما معه على الفقراء ، ورد المظالم ، واعتق مماليكه ، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة حتى توفي

كان ميلاد ابن سينا ٣٧٠ هـ ووفاته ٤٢٨ هـ بهمذان حيث دفن ، وقيل بأسبهان.

٢ — في حياته الخاصة : كان ابن سينا على جانب عظيم من الذكاء ، والمثابرة على العمل ، ويؤيد ذلك ، يظهر ذلك من حياته التي كتبها هو عن نفسه وأوردناها ، وكان

[1] تاريخ الحكماء للقفطي ، طبعة ليبزج ص ٤٠٣

إلى الجسطي وذرني النائي ، ثم رغبت في علم الطب ، وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه ، وتعهدت المرضى ، فانفتح عليّ من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف ، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة ، ثم تورفت على القراءة سنة ونصفاً ، وكلما كنت أتحير في مسألة ، ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس ، ترددت إلى الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى ينفتح لي المغلق منه والمتعسر ، وكنت أرجع بالليل الى داري ، وأضع السراج بين يدي ، واشتغل بالقراءة والكتابة ، فيما غلبني النوم ، أو عرضت بضعف ، عدلت إلى شرب قدح من الشراب ريثما تعود إليّ قوتي ، ثم أرجع إلى القراءة . ومتى أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها ، حتى ان كثيراً منها انفتح لي وجوهها في المنام . ولم أزل كذلك حتى أحكمت علم المنطق والطبيعي والرياضي . ثم عدلت الى العلم الالهي ، وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة ، فما كنت أفهم ما فيه ، وأستبهم عليّ غرض واسمه ، حتى أعدت قراءته أربعين مرة ، وصار لي محفوظاً وأنا مع ذلك لا أفهمه ، وأيست من نفسي وقلت : « هذا كتاب لا سبيل الى فهمه » وإذا أنا يوماً حضرت وقت العصر في الوراقين ، وبيد دلال مجلد ينادي عليه ، فعرضه عليّ ، فرددته رد متبرم معتقد أن لا فائدة في هذا العلم ، فقال لي : « اشتر مني هذا فانه رخيص ، أبيعكه بثلاثة دراهم لان صاحبه محتاج إلى ثمنه » فاشتريته ، فاذا هو كتاب لابي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة ، فرجعت الى بيتي وأسرعت في قراءته ، فانفتح عليّ أغراض ذلك الكتاب ، بسبب أنه صار لي على ظهر القلب ، وفرحت بذلك وتصدقت بشيء على الفقراء شكراً لله تعالى . فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري ، فرغت من هذه العلوم كلها وكنت إذ ذاك العلم أحفظ ، ولكنه اليوم مني أنضج ، وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء . ثم مات والدي وتصرفت بي الأحوال ، وتقلدت شيئاً من أعمال السلطان ، ودعتني الضرورة الى الانتحال من بخارا والانتقال منها الى جرجان ، وكان قصدي الامير قابوس ، فاتفق في اثناء هذا أخذ قابوس وحبسه ومونه ، ثم مضيت الى دهستان ، ومرضت مرضاً صعباً ، وعدت الى جرجان ، وانشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل :

لما علمت بأنني بزمانه ... لما خلا لي هدمت المشتري ، اهـ .

وفي جرجان اتصل به تلميذاه : أبو عبيد الجوزجاني ، وأبو محمد الفيرازي لرغبتهما في تلقي العلم منه ، فأفادهما كثيراً . ثم انتقل الى الري ، واتصل بخدمة عضد الدولة الى أن كان من الأسباب ما استوجب خروجه الى قزوين ، ومنها الى همذان ، وتقلد الوزارة

الفصل الثاني

سيرة ابن سينا

لكل إنسان في الوجود الباقي حياتان : حياة مادية ، وحياة روحية . الأولى هي نشأة الانسان ، وترعرعه ، والتقلبات التي تطرأ عليه ، والأحداث التي تدهمه من الخارج ، وما إليها . والثانية هي مصدر كل اتجاه عقلي ، وتطور اجتماعي . ولكل من هاتين الحياتين تأثيرها الخاص . فالمادة تؤثر على الروح تأثيراً عظيماً كما أن الروح تسيّر ذاك التأثير ، وتلبسه ثوباً يختلف قيمة ووزناً باختلاف الشخص ومواهبه العقلية . لذا نرى نظريات الفيلسوف المتفائل تباين نظريات المفكر المكتئف بالأحزان والأشجان ، وهذا لا يجرؤ على انكاره ذو فهم . وكما أنه على الانسان أن يقوت جسده ويهذب روحه ، ويشبع فيها الملكات الصالحة كذلك يجب على المؤرخين المبصرين أن يدرسوا فرعي الحياة الروحي والمادي ، لكي يرضوا الحقيقة ، وينجوا من الملامة ، ويعطوا كل ذي حق حقه .

١ — ﴿ حياة ابن سينا العامة ﴾ إن مجمل ما نعرفه عن سيرة الشيخ الرئيس العامة أو المادية هو مأخوذ من موجز كتبه بخط يده . هاك نصه بالحرف [1] : —

« إن أبي كان رجلاً من أهل بلخ [2] ، وانتقل منها إلى بخارا في أيام نوح بن منصور [3] ، واشتغل بالتصرف [4] في قرية خرميثن وتزوج أمي من قرية يقال لها افشنة ، وولدت منها ، وولد أخي . ثم انتقلنا إلى بخارا ، وأحضرت معلم القرآن والأدب ، وكملت العشر من العمر ، وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب ، حتى كان يقضي مني العجب . وأخذ والدي يوجهني إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه ثم جاء إلى بخارا أبو عبد الله الناتلي ، وكان يدعي الفلسفة ، وأنزله داره ، رجاء أن أتعلم منه . فقرأت ظواهر المنطق عليه ، وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي ، وأطالع الشروح ، وكذلك كتاب اقليدس ، فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ، ثم تولّيت حل الكتاب بأسره . ثم انتقلت

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٣٢٥

(٢) في شمال بلاد الافغان (٣) من الدولة السامانية (٤) الحاسبة الدولية .

فكرهم وعرضت لهم مشاكل فلسفية كبرى في الله وصفاته وكلامه ووحيه والقضاء والقدر. فتضاربت الآراء، وتولدت الشيع والبدع، وكان أهل كل شيعة يستدون مذهبهم بالبراهين المنطقية.

والدعوة العلوية لها شهرة عظيمة في التاريخ الاسلامي، وهي تستعين بالعلوم النظرية والعلوم المعروفة في تلك الأيام « لانكار الظاهر المكشوف وتعزيز الباطن المستور ». وكان العلويون في أيام بني العباس من أنصار التجديد لأنهم خصوم الخليفة وسياسته. ولأنهم يعولون على الفلسفة في دعوتهم التي نشأ في حضنها ابن سينا. ومن المعلوم ان كبار فلاسفة الاسلام الشرقيين قد كانوا من أنصار الشيعة. فالكندي الملقب بفيلسوف الاسلام كان جده الأشعث بن قيس من الذين قاتلوا مع علي. والفارابي الملقب بالمعلم الثاني لأن ارسطو هو المعلم الأول قد كان فيلسوفاً مشهوراً ومن أنصار الشيعة أيضاً وقد أوى الى دولة بني حمدان المنتسبة لآل البيت.

أما ابن سينا فانه نشأ في بيت كان مركزاً للدعوة العلوية. وكتب تلميذه الجوزجاني باسمه: « وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين وبعد من الاسماعيلية، وقد سمعت منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم ... »

✡

هذه هي البيئة العقلية التي أحاطت بالشيخ الرئيس: شغف بالحكمة وتعدد المترجمين والشراح والمشتغلين بالفلسفة، وتعصب في الآراء والنظريات، وامتزاج القديم بالجديد. وصفوة القول إن ابن سينا فتح عينيه على ملكة الفلسفة والعلم فوجد مواد مبعثرة، فيها الغث والسمين، فحاول تحليل عناصرها، ومعارضة البعض ببعضها الآخر، فنبذ منها ما أراه وأبقى ما رآه صالحاً لبناء صرح فلسفته.

أجل إن ابن سينا قد نهج نهج الفارابي في أكثر آرائه، كما سنرى فيما بعد، ولكنه مع ذلك قد ضرب عرض الحائط بالقسم الكبير من تعاليم استاذه كفلسفة الوفاق مثلاً وعدم قيام المدينة الفاضلة ... لأنه كان ناقداً بصيراً، ومنطقياً فذاً.

وفضلاً عن ذلك فإن البعض يذهبون إلى أن نيقولا من أصل تركي وذلك احتفلت جامعة استنبول في [illegible] سنة على وفاته أما كارا دي فقد صرّح أنه من أصل [illegible] وذلك إلى كلام المدرج الرئيس من نفسه.

والبيئة السياحية قد أثرت [illegible] في نظريات ابن سينا الفلسفية فمثال ما جاء في نظريته الصدورية. فالخليفة العباسي في بغداد الذي لا يعرف ما يفعله المال والأمراء يمثل الأول الذي لا يتحرك ولا يحرك غيره بالتعقل. والكواكب التي تتحرك في السماء تشبه حركة السلاطين والأمراء في مدينة نظيفة الساكن.

[illegible] البيئة العقلية [illegible] المعتزلة في الصدر الأول من الإسلام: «أن الإسلام يهدم ما كان قبله» رأيه «لا يفضي إلى شيء غير القرآن». إلا أن هذه الاعتقادات لا ترتكز على شيء من القرآن أو الحديث، لأن القرآن يفضل العلماء على الجهلاء بدليل قوله: «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟» كما يدعو الناس إلى الاستكثار في العلم: «الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً [illegible]». كذلك وردت أحاديث متعددة تحض على ما ذهبوا إليه. جاء: «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من حيثما وجدها، ولا يبالي في أي وعاء خرجت». و«خذوا الحكمة ولو من ألسنة المشركين». و«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». ثم «اطلبوا العلم ولو بالصين [1]» وعلى الجملة نقرر أن المسائل الدينية في صدر الإسلام هي المحور الذي كان يدور عليه البحث والجدل إن صح أن هناك جدلاً، كما كانت الأساس الذي قامت عليه الحياة الفكرية العربية. فقد رسم الخلفاء خطى الرسول، وأخذوا ينحون نحوه في كل شيء حتى فيما اشتمل عليه الدين من فروض، فوفقوا في ذلك توفيقاً كانت له آثاره البعيدة في نشأة علوم الدينية.

ثم اتسعت فتوحهم، وكان للدولة الإسلامية ملك واسع واضطراب في الأمن وتزلزل، عقولهم فانصرفوا بأمم عريقة في الثقافة مثل السامين والفرس واليونان... وأفادوا من علوم هذه الأمم، وازدهرت عندهم ألوان من الثقافات المختلفة واتسعت الإسلامية فهمها بعد أن أضافوا إليها النظريات الفلسفية المتعددة، وما عرفوه من دقائق المسيحية.

كان علماء الإسلام قبل اطلاعهم على الفلسفة وعلم العقائد المسيحية يكتفون بتفسير القرآن تفسيراً سطحياً، وبشرح الألفاظ الغامضة ثم لما امتزجوا بالعلوم الدخيلة تطور

(١) كنز العمال ج ١ ص ٢٩ و ٢٣

ونشأ في ظل العباسيين دويلات فارسية وأخرى تركية . إلاّ ان الامارات الفارسية لم تمكث طويلاً حتى قامت دولة آل بويه الفارسية الشيعية ، واستمر حكمها من سنة ٣٢٠ — ٤٤٧ هـ ، أي ان هذه الدولة قد انقرضت في أيام ابن سينا الذي رثاها في آخر الامارة السامانية بعد نيف ومئة سنة من نشأتها .

وعلى غرار الفرس طمع الاتراك أي انهم لما قربت شركتهم في الدولة ، وطامعهم الخلفاء طمع بعضهم في الولايات فاستقلوا بها فنبتت للدولة العباسية فروع تركية كما نبت لها فروع فارسية والدولة التركية التي عمرت أكثر من غيرها هي الدولة الغزنوية التي كان مقرها أفغانستان والهند وظلت من سنة ٣٥١ — ٥٨٢ هـ .

على أن هذه الامارات ابتدأت فروعاً للملكة العباسية أي كان امراؤها وعاملوها من عمال الدولة العباسية أو قوادها . وكانت السنّة قد تقوّت بظهور الامارات التركية . فلما قامت دولة آل بويه بالعراق وفارس ، وعاصرتها الدولة الفاطمية بمصر عظم أمر الشيعة في العالم الاسلامي ، وتضعضعت السنّة فتشتت شأن المملكة العباسية . ثم ظهرت الدولة التركية الكبرى في أواسط القرن الخامس ، وتعرف بالدولة السلجوقية نسبة إلى جدها سلجوق فجاءت في وقت الحاجة إليها ، لأنها لمّت شعث المملكة العباسية ، ونصرت مذهبها السنة ، بعد أن كادت تضمحل بين الشيعة . إلاّ ان هذه الدولة قد تفرعت ايضاً إلى دويلات لكنها عرفت باسم واحد .

تجاه هذه المنازعات السياسية ، نرى العرب يشيّدون الامارات العربية ، ويشدون أزر عنصرهم وقد ساعدهم على ذلك ما قام من الفتن والحروب بين الخلفاء العباسيين ووزرائهم الفرس وجنودهم الاتراك ، ورأوا الفرس والترك يستقلون بولاياتهم فاستقلوا ، فاستقل آل حمدان من بني تغلب بالموصل وحلب وغيرها من سنة ٣١٧ — ٣٩٤ هـ . وكانت دولتهم عربية أحيوا بها معالم الآداب ، ثم وجدت غير هذه دويلات عربية أخرى نضرب عن ذكرها خوف التطويل .

وبسبب هذا التقهقر السياسي تقهقرت الاخلاق والآداب ، ولعل التقهقر الخلقي كان ذا النقهقر السياسي ، وعمّت الفوضى ، وكثر التهتك حتى في دور الخلفاء ، وتعرض الشعراء للنيل من عرض الملوك .

في هذه البيئة المضطربة ، نشأ الشيخ الرئيس ، فأثر ذلك في أخلاقه وآدابه حتى لقد اتفق جمهور المؤرخين على أنه كان مع وفرة علمه وتوقد ذهنه كعامة أهل عصره .

فرأى أن يتقوى بالأتراك ، وهم لا يزالون الى ذلك العهد أهل بداوة وبادية فجعل يشتري منهم الاشداء بيناعهم بالمال من مواليهم بالعراق ، أو يبعث في طلبهم من تركستان وغيرها . فاجتمع لديه عدة آلاف وفيهم جلد وصحة ، فميزهم بالري عن سائر الجنود .

فلما أفضت الخلافة إليه كان الأتراك عوناً له ، وتكاثروا حتى ضاقت بغداد بهم ، وصاروا يؤذون الناس العوام في الأسواق وربما رأوا الواحد بعد الواحد قتيلاً على قارعة الطريق وكان المعتصم ينظم المماليك فرقاً ، عليهم القواد منهم مثل نظام الجند في ذلك الزمان . ولم يكتف بجمع المماليك الأتراك بالشراء أو الهداية ، ولكن رغّب امراء الأتراك وأولاد ملوكهم بالاقامة تحت ظله .

وكان المعتصم شديد الرغبة في استبقاء أتراكه على فطرتهم ، ويخاف تحضرهم فتذهب عصبيتهم فابتاع لهم الجواري التركيات وأزوجهم بهن ، ومنعهم أن يتزوجوا أو يصاهروا أحد المولدين وأجرى للجواري أرزاقاً قائمة ، وأثبت أسماءهن في الدواوين فلم يكن يقدر أحد منهم أن يطلق امرأته أو يفارقها فتقويت شوكة الأتراك بذلك وتغلبوا على أمور الدولة ولا سيما بعد أن انقذوا المملكة من بابك الخرمي ، وفتحوا عمورية ، ونصروا الاسلام ، فتحوّل النفوذ إليهم . وبعد أن كانت الدولة في قبضة الوزراء الفرس أصبحت في أيدي القواد الأتراك ، أو صار النفوذ فوضى بين الوزراء والقواد .

وكانت الدولة قد تجاوزت طور الشباب ، وأخذت في التقهقر . والفرس الخلفاء في الترف والفصف ، وعجزوا عن القيام بشؤون الحكومة ، فأصبحوا لا يبلغون منصب الخلافة إلاّ بالجند الأتراك وهؤلاء لا يعملون عملا إلاّ بالمال ، فمن استطاع استخدام الجند ملك ، ولا عصبية هناك ، ولا جامعة دينية . فضعي الأتراك عمود تلك الحركة وأمسى الفتك من أكبر عوامل السيادة . وقد قام الأتراك في الدولة بأعمال كثيرة مذمومة منها انهم قتلوا المعتز شر قتلة ، وعملوا عيني المستكفي ثم سجنوه حتى مات .

وكان أهل البلاد يرهبون بطش الأتراك لأنهم كانوا ينزلون في دور الناس ، ويتعرضون للنساء والغلمان ، فبدأت العامة تكرههم .

ولما وصلت الدولة العباسية إلى ما تقدم من فساد وفوضى في سلطتها وأحكامها بين الفرس والأتراك ، أو بين الوزراء والجند أو بين الخدم والنساء وذهبت هيبة الخلفاء بما أصابهم من التضييق والاحتقار ، هان على عمالهم في أطراف المملكة أن يستقلوا عنهم وكان أقصاهم استقلالاً أبعدهم عن مركز الخلافة ومن جراء ذلك تفككت المملكة العباسية ،

الفصل الاول

بيئة ابن سينا

المكان الذي يولد فيه الانسان وينشأ ويتربى ، والحال التي يسير عليها وتطبع في نفسه ميزات خاصة هما البيئة التي تترك أثراً بالغاً في حياة البشر حتى قيل « الانسان ابن بيئته » لهذا إذا شئنا ان نفهم حياة الشيخ الرئيس العامة والخاصة ، علينا أن نقول كلمة قبل في بيئته مقسمينها قسمين : البيئة السياسية والبيئة العقلية .

١ — ﴿ البيئة السياسية ﴾ كانت العناصر الاجنبية قد عصفت بالدولة العباسية يوم ظهر ابن سينا في الوجود . وأهم هذه العناصر هي الفارسي والتركي .

إن تدخل العنصر الفارسي في الدولة العباسية يرجع الى مقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ وانتصار المأمون ، وقد كان للفضل بن سهل اليد الطولى بذلك . وظل الفرس يستبدون بالدولة ، وهم من وزرائها المشاهير ، حتى تلاشى أمر الشيعة من بغداد . ثم بخلافة المتوكل ينقضي العصر الفارسي الأول .

ما كاد ينقضي على هذا العصر الثقيل من الدولة العربية حتى منيت بالعصر التركي الأول . ومظالم الاتراك في الدولة ، واستبدادهم بشؤون الخلفاء قد فاق الفرس بدرجات ، مع أنه ليس بين هذين العنصرين حد فاصل ينتهي إليه الواحد ، ويبتدىء منه الآخر .

إن أول من استخدم الاتراك في الجندية من الخلفاء كان المنصور العباسي ، إلا انهم في بادىء أمرهم كانوا قلة لا يعبأ بها ، وانما كانت السيطرة آنذاك للفرس والعرب . ولما اشتد التنافس بين العرب والفرس في أيام الرشيد ، وانسبت شقة الخلاف بينهما ، وذهبت سطوة العرب بذهاب دولة الأمين ، وتسلط الفرس أنصار المأمون وأخواله ضعفت العصبية العربية بسبب توغل العرب في الحضارة والترف . ففكر المعتصم أخو المأمون في ذلك قبل أن تفضي الخلافة اليه ، وكانت أمه تركية وفيه كثير من طباع الاتراك مع الميل إليهم لأنهم أخواله كما كان يميل المأمون الى الفرس . وشاهد المعتصم من جرأة الفرس ، وتطاولهم بعد قتل أخيه الأمين ، حتى أصبح يخافهم . ولم يكن له ثقة بالعرب وقد ذهبت عصبيتهم ، وأخلدوا الى الحضارة والترف ، وانكسرت شوكتهم ،

فقط ، بل قد أدى إلى جميع العلوم رسالته ، وحفظ تراث الأقدمين الثمين وزاده كمالاً وجمالاً . إلاّ انه في الفلسفة لم يستطع الابداع الكلي على رغم ما فيه من الشوق والمقدرة على اقتباس النظريات الدقيقة ، وهذا يرجع إلى طبيعة العربي المقلدة ، وقصر الدورة الفلسفية التي مرّ بها ، فضلاً عن ان العالم الاسلامي لم ينثن يوماً عن تكفير الفلاسفة واضطهادهم حتى صار اسم فيلسوف مرادفاً لاسم زنديق . ومن كثرة الضغط الذي لحق بالحكمة ونزل بمشائها قلّ عدد المقبلين على درسها وانكبّوا على أسرارها ، وغابت عن البلدان العربية شيئاً فشيئاً ، وخيّم ظلام الجهل ، وتقوضت أركان الدولة ، وتدثّرت الكتب العلمية ، وصار ينظر إليها كما ينظر إلى الطلاسم والملاغز ، وهكذا تكون الفلسفة قد انتقمت لنفسها انتقاماً هائلاً .

قال بارتلمي سانت هلير أستاذ الفلسفة الاغريقية في كوليج دي فرانس :

« إن العقل الانساني بطيء في سيره فيحسن به ، وهو سائر في طريقه غير المتناهي ، ان يلقي نظره ، بين الفينة والفينة ، إلى الوراء ليرى من أين ابتدأ سيره ، وليسدد خطاه في المستقبل غير المحدود الذي ينتظر قدومه » .

ولا شيء يرينا مبدأ سير العقل العربي غير درس تاريخ الفلسفة درساً علمياً ، ولا شيء يسدد الخطى في المستقبل غير التخرج في مدرسة التأريخ نفسه ، لانه أستاذ الحيناة على حد تعبير شيشرون الخطيب الروماني الشهير .

إن جميع البلدان ، وسائر الشعوب يقدمون دراسات فلسفية رصينة عن أساطين الفكر والعلم الأقدمين ، أما العالم العربي فلا يزال غير مكترث لدرس تراث فلاسفته إلا بمقدار يسير .

لقد حان لنا أن نهض إلى الدراسة الفلسفية المثمرة ، ونبعث الفلسفة العربية من لحدها كما بعثنا الأدب العربي ، وأن نسير في طريق البحث والتفكير الطلق غير عابئين بالرجعيين ودسائسهم المخطرة ، لأن من لم يركب الأخطار لا ينال الرغائب .

لنعمل على اعادة مجدنا الغابر وعزنا التالد . لنعمل على تكوين مفكرين ناصعين منا ولنا مستمدين مثلنا العليا من نفسيتنا ، موضحين للملأ ان في عقولنا كل علم ، وكل فلسفة ، وكل فن . وفي ارادتنا كل عزم ، وكل حزم ، وكل مثابرة . ولعلنا بهذا البحث الذي كلفنا جهوداً لا تحصى نكون قد أدينا بعض الخدمة ، وحسبنا الله خير مثيب .

الدكتور برلس سمعان

تقدمة

تحت السماء الصافية ، وعلى الجبال الشامخة ، وتحاه البساتين الزاهية ، وفي السهول الصامتة ، وبين الجدران القائمة ، وحيال المواد المتراكمة ، وقف الفيلسوف وسيقف يتأمل الوجود ويراقبه متفهماً حركاته واختلافات نفسه ، ومحدداً العلاقة بين الاثنين ، ثم يدوّن ما يتوصل إليه من القواعد والموازين ، بأسلوب منطقي ، ارشاداً للبشرية ، ودليلاً للمتعرفين بالوجود الشامل .

من جميع الأمم ، ومن سائر الملل والنحل خرج الفيلسوف وسيخرج لأن مادة الفلسفة تأبى الجزئية ، وتسمو على الاحاطة والحصر . والفلسفة منذ نشأتها تعمل بعزم لا يفتر خوار على ايصال الانسانية الى ذروة الكمال غير طائشة بما يعترضها من العقبات الكأداء .

هي كامنة في جميع العقول البشرية كجمر النار في الهشيم ، ومستعدة لأن تقود اتباعها إلى حظيرتها الآمنة ، ولكنها إذا وجدت مقاومة في شعب من الشعوب تنتقم لنفسها .

ومعلوم ان الفلسفة يمتنع ان تنمو وحدها بدون نمو سائر العلوم ، بل هي خلاصة لتأمل الأدبي واللغوي ، وهذا واضح في تأريخ الأمم . ومجرى الفكر في الشعب العربي لم يكن مختلفاً عنه في غيره ، والفلسفة العربية لم تكن نبتاً في صحراء ، ولا ثمرة غير منتظرة .

قبل الترجمات نرى العقل العربي كبيراً بروح الابداع والتعليق في سماء النظريات السامية ، إلاّ أن معارفه الضيقة لم تسعفه . فأرسل الحكم الشعبية دون ما اكتراث للتعاليل العلمية . ثم لما اطلع على الثقافات الأعجمية ، وتبحر في الفلسفة اليونانية ، اتسعت دائرة تفكيره ، واتخذ اتجاهاً آخر يختلف من الأول تمام الاختلاف ، وظهرت الشيع العلمية ، وثارت المساجلات القائمة على البرهان المنطقي ، وتمخضت العقول بالنظريات الجديدة ، فصح المبدأ المتناقل ان العلم لا يختص بشعب من الشعوب ، ولا بجيل من الأجيال ، بل هو مشاع للجميع . وربّ فكرة تظهر في مصر مثلاً ، يأخذها عالم فرنسي فيراد لقانون علمي أو فلسفي يغيّر وجه الأرض .

وعندما نطلع على المصنفات التي نقلت من اليونانية الى السريانية ثم إلى العربية ، ومدى التأثير الذي أحدثته في المفكرين الاعارب ، يجب علينا الاقرار بأن الثقافة العربية هي مدينة لليونان والسريان في السواء . وهذا ليس معناه ان الشعب العربي كان قاعلاً

تعتبر نهاية مرحلة من مراحلها الكبيرة في تاريخ الفكر البشري .

وابن سينا هو أول فيلسوف مسلم اهتم بعلم النفس اهتماماً عظيماً لا نجده عند أحد من السابقين ، ومع ان الفارابي قد سبقه الى كثير من نظرياته في علم النفس ، إلا اننا لا نجد عنده سوى دراسة مختصرة جداً لبعض مسائل هذا العلم التي أخذ ابن سينا فيما بعد على عاتقه حلها وتوضيحها ، كما أكثر من التأليف فيه الى درجة تدعو الى الاعجاب ، واستقصى مشكلات هذا العلم وتعمق في دراستها . وقد استعان ابن سينا بآراء أرسطو واستفاد من مصادر أخرى لم يستفد منها أرسطو ، وعلى الاخص الدراسات الطبية والتشريحية لعلماء القرون التالية لعصر أرسطو .

وكان ابن سينا نادرة عصره في علمه وذكائه وله من التصانيف عدد كبير بين مختصر ومطوّل في فنون شتى ، وله بعض الشعر النفيس ، منه أرجوزة طويلة في الطب وغيرها مثل قصيدته المشهورة في النفس :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وتنقل ابن سينا في البلاد فارتحل من بخارى الى جرجان وفي مدة اقامته بها صنّف أول القانون ومختصر المجسطي ، وأحسن اليه الملوك وتقلد الوزارة لشمس الدولة . وكانت وفاته بهمذان عام ٤٢٨ هـ . بعد أن ترك في الطب والفلسفة كتباً لها خطرها .

وكتاب الأب بولس مسعد عن « ابن سينا الفيلسوف » ينقسم بعد المقدمة الى ثلاثة عشر فصلاً وخاتمة ، تحدث فيها بلغة الاديب ، وطوراً بأسلوب الفيلسوف عن الشيخ الرئيس في بيئته السياسية والعقلية ، وعن حياته العامة والخاصة ، وعن مصنفاته وتقسيمه العلوم ، وعن المنطق ، والطبيعيات ، وعلم النفس ، والوجود والعلل وواجب الوجود ، وحدوث الكون ومعرفة الله للجزئيات والعناية الالهية ، والشر في العالم والشفاء والسعادة . ثم أصدر حكمه في قيمة ابن سينا الفلسفية بصيغة خاتمة .

ولا شك أن هذه الدراسة عن [أرسطو الاسلام] بعد مرور ألف عام على مولده تعطي القارىء فكرة واضحة عن هذا المفكر الذي شغل أوربا قروناً بنظرياته الفلسفية والطبية . لأن بحوث الأب مسعد هذه تجمع إلى التعمق في الموضوع ، الاحاطة التامة به . وقد أنصف حضرته وهو عالم دِيني مسيحي ابن سينا وهو فيلسوف مفكر اسلامي ، منشرباً في ذلك روح العلم والانصاف . فله منا خالص الشكر على بحثه القيم الممتع .

الدكتور وجيه
رئيس قسم الفلسفة

دار المصنفين في ١٥ مارس ١٩٥٢

تصدير

تحتفل جامعة الدول العربية في هذا الشهر بمرور ألف عام على مولد الشيخ الرئيس ابن سينا وقد رأينا سالفة في العناية بهذا الاحتفال الآلفي واختفاء بهذه الذكرى أن نستهل هذه السلسلة من الأعداد الممتازة فنهدي إلى حضرة الأب العالم الدكتور يوانس مسعد بوضع دراسة تشمل سيرة [ابن سينا الفيلسوف] وتقدم للقارىء خلاصة وافية عن مقامه وتأثيره في الفلاسفة المتأخرين من شرقيين وغربيين في العصر الوسيط، وقد تلبى حضرته بما عهدنا اليه خير قيام وأحفنا بدراسته الطيبة.

وثقافة الأب يوانس مسعد واسعة جداً، إذ هو خريج جامعات روما في ايطاليا فهو يجيد العربية، والسريانية، واللاتينية والايطالية، والفرنسية، وله إلمام بالعبرية، واليونانية، والانجليزية، والاسبانية فضلاً عن أنه يحمل شهادة الدكتوراه في الفلسفة والليسانس في الآداب وفي الحق القانوني الكنسي. وقد أصدر حتى اليوم أكثر من عشرين كتاباً بين مؤلف ومترجم في مختلف الموضوعات الفلسفية والتاريخية والتربوية والادبية. فهو من العلماء الشرقيين القلائل الذين نفاخر بهم، وهم يؤدون رسالتهم السامية من غير ضجيج أو عجيج

✡

أما ابو علي الحسين بن عبد الله المعروف بالشيخ الرئيس ابن سينا، فهو أحد اساطين الفلسفة الاسلامية الذين وضعوا اسسها وأقاموا بناءها ورسموا اتجاهاتها، وأشهر اطباء العرب. ولد في قرية خرميثن بالقرب من بخارى عام ٣٧٠ هـ حيث كان يعمل والده وتلقى العلوم العقلية والشرعية في دار والده، وظهر نبوغه العظيم في سن مبكرة. وقرأ الايساغوجي على الحكيم ابي عبد الله الناتلي واحكم عليه علم المنطق واقليدس والمجسطي.

واشتغل بعد ذلك بتحصيل العلوم الطبيعية والالهية، ومع انه استفاد من فلسفة الفارابي — الذي وقف حياته على محراب الفكر، وأوجد في الاسلام فلسفة متميزة بطابع خاص — إلاّ ان ابن سينا قد فاقه في الشهرة الى حد بعيد، فقد خطا الشيخ الرئيس خطوة بلغت حد الكمال، بل خطا بالبحوث الفلسفية الانسانية خطوة

المقتطف

رئيس التحرير : اسبيرو حبري

ابريل ١٩٥٢ (المجلد ٤ — العدد ٤٢٠) April 1952

مجلد المقتطف

يختلف هذا العدد من [المقتطف] عن كل عدد صدر فهو في موضوع واحد ، ولكاتب واحد :

أما الموضوع فابن سينا الفيلسوف .

وأما الكاتب فالدكتور الأب بولس مسعد

وذلك لانقضاء خمس وسبعين سنة على مجلتنا من عمرها المديد باذن الله .

ولقد رأى عمر [المقتطف] بهذه المناسبة أن يصدر في عيد المقتطف الماسي بضعة أعداد ممتازة احتفاء بهذا اليوبيل . وبالعيد الألفي لمولد الشيخ الرئيس [ابن سينا]

وكنا نود أن نحتفل بيوبيل [المقتطف] الماسي في حياة منشئه الكبير والدنا المغفور له الدكتور فارس نمر باشا . ولكن إرادة الله تفوق كل إرادة ، قد شاءت أن تختم جهاده بلقاء فسيح الجنات لقاء ما قدّمه من خدمات علمية وأدبية لابناء الضاد في مشارق الارض ومغاربها .

✲ ✲

ابن سينا الفيلسوف

(بريشة جبران خليل جبران)

الفهرست

للجزء الثالث من المجلد العشرين بعد المائة

١٢٩	حديث المنتطف	**
١٣١	تأبين فقيدنا الخالد المغفور له الدكتور فارس نمر باشا	**
١٣٢	الدكتور فارس نمر باشا ـ قصيدة ـ	للأستاذ محمد كامل شعيب
١٣٦	أبو ماضي	للأستاذ رضوان ابراهيم
١٤٠	الدوسفورس ـ ماهيته وخواصه في جسم الانسان	للأستاذ اسبيرو جبري
١٤٥	شعراء المهجر ـ الدكتور فؤاد عقل	للدكتور احمد زكي أبو شادي
١٤٨	خواطر سريعة ـ ٢ ـ	للأستاذ عوض جندي
١٥٣	الشعر العربي في القرن الثالث الهجري	للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
١٥٧	خرائط مساحية للكرة المجهول	للأستاذ أمين عبده
١٦١	زكي مبارك ـ حياته من أدبه	للأستاذ أنور الجندي
١٦٧	التراخيما	للاستاذ حبيب معلوفي
١٧٠	المراكز الاجتماعية الريفية في مصر	للأستاذ وديع فلسطين
١٧٥	العقلية البدائية ـ ٢ ـ	للأستاذ اميل توفيق
١٧٩	التقويم الزراعي لشهر مارس ١٩٥٢	**
١٨٠	[باب الأخبار العلمية] : كسوف الشمس الكلي بالسودان لمدة ٣ دقائق و٩ ثانية ـ مدة الكسوف ـ البعثات العلمية . تصوير الشمس اثناء الكسوف تصوير الشمس قبل الكسوف وبعده . دراسة المناطق المحيطة بالشمس . تصوير طيف اكليل الشمس . حالة الرؤية وظروف الجو أول من رصد كسوف الشمس صورة للاكليل الشمسي . تعرف اضاءة الطبقة الشمسية . محور دراسة البعثة رصد الشمس بالابيض . نتائج أعمال البعثة . حالة السكان في قرية سودانية . دقائق الطبول أثناء الكسوف . تأثير الكسوف في الحيوان . الكسوفات القديمة . عناصر الشمس .	**
١٨٥	[مكتبة المنتطف] : الفن القصصي في القرآن الكريم : الدكتور احمد زكي أبو شادي . سجون : الدكتور رشيد كرم . تعقيب : للأب بولس مسعد . في الطريق الى مجتمع جديد أو تصحيح الشخصية الشعبية	**

* تعقيب * أقدم للدكتور الأديب عظيم الشكر على تلقه كتاب « سحوني » وأسأل الله أن يسبغ عليه حلل الصحة والعافية وأن يمتع به إلى أبعد الآجال وقد رأينا أن نجيب حضرة السائل الكريم على الاستيضاحين بما يأتي : إننا لم نترجم إلى العربية إلا الأسماء المشهورة عندنا ، أما الأسماء الغربية فقد تركناها بلفظها الأجنبي ولكل شيخ طريقة كما يقال ، فضلاً عن أن مقررات مجمع فؤاد الأول للغة العربية لم تجز قرار الشورى المقضي به على حد تعبير أئمة القانون ، ولم يتقيد بها جميع أدباء العرب لأسباب يطول بنا شرحها وليس هنا محل ذكرها .

وعلى الثاني : أن حرف da الفرنسي يقابله حرف di في الإيطالية ، وهو يستعمل عندهم للدلالة على الزمان مثل يصل ليلاً ، أو على المادة مثل خاتم من ذهب ، أو على الأصل والنسبة مثل أنا من روما ، أو على العلة مثل يموت برداً ، أو على الموضوع مثل يتحدث عن الحرب ، أو على الانتقال من المكان مثل يخرج من البيت ، أو على الكيفية مثل يصل جارياً أو أجيك من كل قلبي .

وهذا الحرف نفسه يستعمل عندهم للإضافة أيضاً مثل كتاب زيد أو للحر مثل كتاب للعلم ، وغير ذلك من الصور الكلامية التي تعرف من سياق المعنى . والله الهادي إلى الصواب .

الطبيب برلس سمعان

في الطريق إلى مجتمع جديد
أو تصحيح الشخصية النسبية

تأليف الأستاذ مصطفى السحرتي — صفحاته ٦٤ من الحجم الكبير — طبع بالمطبعة الفاروقية الحديثة بالناصرية بالقاهرة

ظهر هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه الفاضل بعام ، وهو أول كتاب في الدراسات الاجتماعية والتوجيه الاجتماعي ، كما أنه ثروة علمية كبيرة في باب البحوث الاجتماعية .

ولا شك أن الكتاب جدير بالذيوع والانتشار لمكانة صاحبه ولبحوثه الجديدة وأفكاره المبتكرة في الإصلاح الاجتماعي .

وقد قامت أسرة المؤلف بنشره ، ويطلب منها بعنوانها شارع الخليج المصري رقم ١٥٤ بالقاهرة ومن المكتبات العلمية .

ذلك تصنع القهوة الجيدة التي لا مثيل لها ولا ضرب السجن وبيت السجان وبيت أبيها. والصغيرات واعيات الحقدة! وهل كان بليكو سلفيو حطبة بعد كل ذلك: نعم ظل حطباً لكن أخضر يانعاً لا حزلاً تلتهبه النار. وعلى كل حال كانت هذه الحادثة لسلفيو برداً وسلاماً على قلبه في نوبة الوحدة ووحشة المنفى..

مارونشلي: هو الصديق الأخير الذي لازمه الى أن بلغ ساحة الحرية ويا لمارونشلي! من جبار أمام الماضي كان آخرها بترساقه في تلك العصور المظلمة والظروف القاسية حيث لاتقيم ولا مخدر ولا جراحون بارعون ولا وسائل تضميد وتمريض، عجباً كيف تحمل آلام هذه العملية القاسية ذاك الجبار الآدمي رغماً من ضعفه وهزاله وطول مدة عفن القرحة في ركبه: انما هو ايمان العظماء بالله وصبر القديسين. لقد حمل السكاز إلى أهله ورفس بساقه المبتورة رؤوس الحاويين!

يطول بي القول، وربما أجرح من تواضع عزيزي المترجم المحترم اذا عددت ما لهذه الترجمة من مزايا لغوية وتراكيب بليغة تطابق معنى الموضوع مع ما في ذلك من الصعوبة، عند الصياغة العربية التي عالجها في كتاب لورنس: فوق ما في الكتاب النفيس من الالفاظ التي كنت أجهلها مثل كلمة مدوف أي ممزوج بالمسك والعنبر وكان عليّ أن أشم ذلك قبل أن ألجأ الى القاموس لان الكتاب كان مدوفاً بالمسك حقاً وقد استلّ مني الزكام! ولذلك لم أشمه بأدنى ذي بدء.

استيضاح — ١ — ترجم المترجم حضرة الأب الاسم قسمين قسماً باللغة العربية وقسماً باللفظ الأجنبي. مثل منصور ومتى فهل يمكنه متابعة هذه الطريقة في كل الأسماء، مع إني أذكر أن مجمع (فؤاد الأول للغة العربية) قرر حفظ الأسماء علمية كانت أو جغرافية مترجمة بالحرف العربي حسب نطق أهلها. مثلاً. نقول لندن لا لندرا وفلورنسا لا فلورانس الخ...

٢ — حرف th يترجم « من » فهل كل حرف th يكون للنسبة وإذا قلنا الكونت دي مونتي كريستو هل نقول على رأي المترجم الكونت من مونتي كريستو. أو الكونت دارتوا: هل نقول الكونت من دارتوا... هذه نقط أرى أن تجلى وأنا بدوري أستشير أهل المعرفة وسبحان من بعي كل علم.

الدكتور سشير كرم

[المقتطف] عرضنا هذا الاستيضاح على حضرة الأب العالم الجليل الدكتور بولس مسعد فأرسل إلينا التعقيب التالي.

إن هذا الكتاب مملوء بالشجون ومن عجب أن شعوره «سلوانة» لن يطالعه بامعان «وعوذة» تزيد وساوس الشيطان ولا أدري حقاً أي فصل من فصوله هو الأحق بالتنويه، إلا انه اجمالاً يشاء تسير وتنتهي الاستسلام والايمان بالرحمة الالهية. وأحياناً يضيق به الصبر برهة إلا انه يخرج من محنته ويختفف من ثورته الصارخة بباقة تميد إليه نحمله واتزانه. وليس كل من يصبر ينتهي به الصبر الى مثل ما انتهى به سلفيو بليكو: وأنى له هذه الشرفة على تحمل هذه الأهوال. لا شك ان هناك عقيدة ثابتة لا تحل مهما بلغ بصاحبها من الويلات حتى الموت بسببها. وهذه العقيدة في نفس سلفيو هي الايمان بالثواب وبالرحمة وبالتمسك بالمذهب الكاثوليكي. فبأي فصل من فصول هذا الكتاب لم يجاهر بهذا الايمان، وفي أي واقعة لم يمثل العزة الكاثوليكية التي مارسها منذ طفولته وشربها بلبن والدته المؤمنة:

داعب الصبي الأبكم الأصم وأحبه ورق له إلى أن نُزع منه. ميّز بفطنته الشعرية من وراء جدار صوت المجدلية الشجي وتمنى لو نظر إليها وود لو يخلصها من زمرة الشريرات. وقد «أوحي إليه بالغريزة النفسية بانها امرأة تائبة لأنها كانت تردد بصوت ملائكي يدل على التوبة «يا من يرد للسكينة سعادتها» ولم ينس هذا الكاتب الماهر ذو الشعور الحساس ذلك الجلاد الشيخ المقوس الظهر شيلمر فقد عرف بثاقب فكره أن هذا الرجل الخشن ذا الصوت الاجش لا يخلو من أخلاق طيبة ضاعت في مهاوي العادات والظروف والوظيفة التي لا يصلح فيها غير ألوان الظلم والجفاء والخشونة، وقد تصادقا على قدر وكثيراً ما كان يرفض منه هدية من اللحم والخبز الأبيض. إلا أن الطبيعة لها حدود لا يقوى الانسان على تجاوزها، ولذلك لم يرفض له هدية كرز وكمثرى. وبالها من هدية ممتازة في ذلك السجن الموحش المقفر. تلك حقاً لباقة في الكتاب المتفنن فلا يدع القارئ يمل، وفيه من الملح ما يزجيه إلى متابعة القراءة وسط فترات مظلمة من الشجون وليالي مدلهمة في تلك السجون...

زاره القسيس، ثم زاره الرقيق، ثم زاره المجربة، ثم زاره العاشقة: وهي الطفلة اليهودية في وسط قاحل من قفارة الحب، جاف من مسك الغرام وطيب الهيام. وسلفيو لما بلغ الثلاثين، درجات سعد بها سلفيو السجين المحروم من كل عطف، من القبح إلى الحسن، الى الاستلطاف الى العبث. ترى زاره تتطارح بكبتها بين ذراعيه وتدغدغ صدره بهديها ثم تضمه من عنقه وترشفه من رضابها الشهي، ثم تقعد قليلاً وتجلس الى النافذة وتضع يدها على خدها وتنظر اليه حيناً بانعطاف وحيناً بازدراء، ومع كل

إياها ، وضروب الكفران والفسوق التي ذاقوها بها ، وما كان في أثر كل ذلك من تأديبهم بالعقوبات وتذكيرهم بالحسنات والسيئات ، وكيف كانوا يحدثون في أثر كل عقوبة توبة ، ويحدث لهم في أثر كل توبة نعمة ، ثم يعودون الى بطرهم وينقلبون إلى كفرهم » .

قال المؤلف : « وواضح من غرض السياق أن الأستاذ الامام يرى أن ترتيب الأحداث في القصص القرآني يرجع الى اعتبار بلاغي خاص من أجله يقوم العرض على أساس عاطفي ، وأنه في ذلك يخالف الأساس الذي يقوم عليه ترتيب الأحداث عند المؤرخين قطعاً ، وهذا هو جوهر ما نقصد إليه حين نقول بأن عرض القرآن لأحداثه القصصية ليس إلا العرض الأدبي العاطفي ، ليس إلا العرض الفني ، وأن القصص القرآني فني . وهكذا نستطيع أن ننتهي من هذه الفقرة الى القول بأن أحداث التاريخ التي وردت في القصص القرآني قد رتبت ترتيباً عاطفياً وبنيت بناء يقصد به تحريك الهمم والنفوس ، ومعنى ذلك أنها لون من ألوان القصص التاريخي الفني ، وأن العمل فيها فني يقدر بموازين النقد الفني لا بموازين المؤرخين » .

إن محمد أحمد خلف الله يعد بجهده هذا مثالاً للبعثة الرائد ، ومثالاً لكل جامعي غيور واعٍ كان بسلة القيم قد أسدى ضمناً خدمة دينية شريفة تستحق شكر المسلمين جميعاً ، فانه أسدى قد قصد موفقاً الى الدرس الأدبي أو البلاغي الفني للقصة القرآنية ، وهو — على حدّ تعبيره — درس يكشف عن بعض أسرار الاعجاز ، لأنه يبين لنا مذهب القرآن الكريم في بناء القصة . وانه بأسئلته العديدة وبالكشف عن جمالها الفني قد أسدى إلى أدب القرآن الكريم وإلى المكتبة العربية خدمة شريفة يفهمها ويقدرها كل أديب تقدمي وكل بيئة منفتحة متمدنة تحترم حرية البحث وحرية التفكير وتؤمن بركاتهما للعقل البشري وخير الانسانية .

(نيويورك) احمد زكي أبو شادي

سجوني

تأليف سلفيو بليكو — ترجمة الاب الدكتور يوسف مسعد — صفحاتها ٢٣٠ صفحة من القطع الكبير — طبع بمطبعة لابتري في القاهرة

تلقيت كتاب « سجوني » وأنا في سجن مرضي فنفضت عني جلباب النقه وقلت لا نقه إلا في هذا الكتاب الذي دبجه صديقي الأديب . فحزمت أمري وشددت وسطي وافرغت نفسي لمطالعته شوطاً واحداً

سلماً ، وهو الذي نثق به ونطمئن إليه ، ومن هنا نستطيع أن نعتبره الصورة الأولى للقصة العربية » .

وتطبيقاً لهذا المبدأ القويم وضع المؤلف هذا البحث أو المونوغراف الذي جاء نتيجة لاستيعاب وفهم عميقين ، وضرب به المثل لما يجب أن يكون عليه البحث الجامعي المستقيم ، كما سدّد فراغاً محسوساً في دراسة الموضوع الذي تناوله ، وانه لموضوع جدّ شائق . وكما لا بدّ أن يتذوق هذا البحث الشاب العربي لا ريب أن المخضرمين أمثالنا الذين ترعرعوا منذ أربعين عاماً لخواطر الكونت هنري دي كاستري عن الاسلام [1] سيستمرؤون هذا البحث الضافي الدقيق الممتع الذي تهنأ به جامعة فؤاد الأول ، وهي التي ينتسب إليها المؤلف كما يهنأ هو به .

ولم يفت المؤلف التنويه بفضل الأستاذ الامام محمد عبده (ص ١٤٦ وما بعدها) فقال : — إن المقاصد التي يرمي إليها القرآن هي التي تملي الاسلوب والطريقة ، وهي التي من أجلها يسلسل القرآن الأحداث ويربط بينها برباط من العاطفة والوجدان . ولقد كان الأستاذ الامام رحمه الله سبّاقاً الى تقرير هذه القاعدة الفصيحة في ترتيب الأحداث . وهذه بعض النصوص التي توضح ذلك . جاء في المنار [2] ما يلي : (قال الأستاذ الامام : إن كثيرين من أعداء القرآن يأخذون عليه عدم الترتيب في القصص ، ويقولون عنا ان الاستسقاء وضرب الحجر كان قبل التيه وقبل الأمر بدخول تلك القرية فذكرها هنا بعد تلك الوقائع . والجواب عن هذه الشبهة يفهم مما قلناه مراراً في قصص الأنبياء والأمم الواردة في القرآن ، وهو أنه لم يقصد بها التاريخ وسرد الوقائع مرتبة بحسب أزمنة وقوعها ، وانما المراد بها الاعتبار والعظة ببيان النعم متصلة بأسبابها لتطلب بها وبيان النقم بعللها لتتقى من وجهتها . ومتى كان هذا هو الغرض من السياق فالواجب أن يكون ترتيب الوقائع في الذكر على الوجه الذي يكون أبلغ في التذكير وأدعى الى التأثير) . وجاء فيه أيضاً : [3] (قال الأستاذ الامام : جاءت هذه الآيات على أسلوب القرآن الخاص الذي لم يسبق إليه ولم يلحق فيه ، فهو في هذه القصص لم يلتزم ترتيب المؤرخين ولا طريقة الكتّاب في تنسيق الكلام وترتيبه على حسب الوقائع حتى في القصة الواحدة . وإنما ينسق الكلام فيه بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب ويحرك الفكر الى النظر تحريكاً ويهز النفس للاعتبار هزاً . وقد رأى في قصص بني اسرائيل أنواع المنن التي منحهم الله تعالى

(١) « الاسلام — خواطر وسوانح » تأليف الكونت هنري دي كاستري. ترجمه من الفصة الفرنساوية احمد فتحي زغلول باشا سنة ١٩١١) . (٢) مجلة المنار ج ١ ص ٣٣٧ . (٣) مجلة المنار م ١ ص ٣٤٦ .

وأديبنا المؤلف نشأ في بيئة دينية ثم تثقف بالثقافة العصرية أيضاً ، واستوعب من المعارف الدينية والأدبية والعصرانية ما جعله أهلاً لمثل التأليف ، وما سيجعله أهلاً — إذا أراد — لتفسير القرآن الكريم تفسيراً عصرياً ممتعاً في مذهب الأصوليين العلميين في المستقبل Scientific Fundamentalists [1] .

وقد درس المؤلف الفاضل القصص القرآني على منهج الأصوليين والمفسرين والأدباء ، ملاحظاً أن الوحدة القصصية في القرآن الكريم لا تدور بحال من الأحوال حول شخصيات الرسل والأنبياء عليهم السلام ، وانما تقوم قبل كل شيء وبعد كل شيء على الموضوعات الدينية والأغراض القصصية من اجتماعية وخلقية . كذلك لاحظ أن القرآن لم يقصد الى التاريخ من حيث هو تاريخ إلا في النادر ، وانما كانت العناية فيه منصبة على تصوير الأحداث والأشخاص تصويراً معجزاً رائعاً . ولاحظ أخيراً « أن المستشرقين قد عجزوا عجزاً يكاد يكون تاماً من فهم أسلوب القرآن الكريم وطريقته في بناء القصة وتركيبها ، ومن الوحدة التي يقوم عليها فن البناء والتركيب ، ومن هنا ذهبوا إلى ذلك الرأي الخاطىء القائل بتطور القصصية في القرآن الكريم ، كما عجزوا عن فهم طبيعة المواد القصصية في القرآن وعن أسرار اختيارها » ، وإذ لاحظ كل هذا عمل على تصحيح الأخطاء وعلى وضع الأمور في نصابها ، متبعاً النهج العلمي الجامعي الصحيح المضبوط في أوربا وأمريكا الذي يطبقه رجال هذه الجامعات في الدراسات الاسلامية وغير الاسلامية على السواء ، مهتمين بالجزئيات بحثاً وتحليلاً وتسلسلاً ، بدل الاكتفاء بالنقاط العامة والأحكام العامة التي لا تساعد على تقدم المعرفة . وفي هذا يقول المؤلف : « إننا في حاجة الى أن نبدأ مع الأدب وهو وليد ونسايره في النور حتى تكون الأحكام صادقة ويكون الدرس العلمي منتجاً .... هذا هو الجديد الذي قوّى في نفسي اختيار الفن القصصي في القرآن الكريم . فقد رأيت هذا الموضوع يحقق هذا المنهج من حيث أن القصص القرآني نقطة البدء في دراسة القصة العربية عامة والدينية بصفة خاصة . ولا اظنك في حاجة الى أن أدلك على أن ما سبق القصص القرآني من قصص عربي لا يصلح أن يكون مادة للدراسة الأدبية للقصة بحال من الأحوال ، وليس ذلك إلا لأنه لم يصلنا سليماً ، وكل ما حوفظ عليه فيه هو قيمته التكريبة ، وأنه من هنا يصلح لدراسة التيارات العقلية ولا يصلح لدراسة التيارات الفنية . إن القصص القرآني هو القصص الذي وصلنا

(١) — « هذا ما تنبأ » — جريدة (نهضة الشرق) بشيكاغو ، بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٥١

مكتبة المقتطف

الفن القصصي في القرآن الكريم

Narrative Art in the Holly Quoran

الفيلسوف الشهير برتراند رسل الذي فاز بجائزة نوبل للآداب سنة ١٩٥٠ مقال قيم نشر له في جريدة (النيويورك تايمس) بتاريخ الأحد ١٩ من ديسمبر ١٩٥٠ برهن به على أن خير وسيلة لمحاربة التطرف والمغالاة هي في اطلاق الحرية الفكرية، وعلى أن البحث عن الحقيقة بالرغم من مخاطره في مدة مناطق هو وحده رجاء الانسانية. ومقاله هذا جدير بأن يترجم الى جميع اللغات، وعلى الأخص وصاياه العشر، وبأن يستلهمه نقاد الأدب كنقاد السياسة على السواء.

نسوق هذه المقدمة مغتبطين في حديثنا الأدبي العام عن « الفن القصصي في القرآن الكريم » إذ أتيح لنا أخيراً أن نطالع سفراً جديداً في موضوعه من قلم الجامعي محمد أحمد خلف الله، وانه لحلقة في سلسلة المؤلفات الجامعية التي تملأ الأفق المصري الحديث أن تعتز بها ويستبشر. ولو كان كل جامعي نابه يزكي عن علمه ذكاء واستقلاله الذهني كما ذكى محمد أحمد خلف الله لأصبحت المكتبة العربية الحديثة حقاً غنية بمنوع التصنيف الأصيل في كل علم وفن، بدل اكتفائها بالنقل، لو أنها تحسنه.

لقد ألفت كتب متعددة في قصص الأنبياء وفي القصص القرآني، وهي جميعاً مؤلفات مشوقة ومصادر أدبية خصبة للتأليف الروائي وسواه. أما أستاذنا الجامعي محمد أحمد خلف الله فيضيف الى المألوف والى حسن اطلاعه حسن استنباطه وفقه تفسيره الفني الذي خلق منها مادة معقولة مشوقة يرضى عنها الدين والعلم والأدب معاً. وهذا غاية ما يتمناه أديب ناجح مبدع يريد أن يمرض الدين بريشة الأديب في ضوء العلم القويم، منهجاً النهج الجامعي الصحيح الذي هو وحده عوننا في البحث الأدبي القوي المجدد للذرات.

﴿ تأثير الكسوف في الحيوان ﴾ راقب أحد العلماء الذين ذهبوا لرصد كسوف الشمس في السودان تأثيره في الحيوانات والطيور فرأوا أن الطيور التي كانت تغرد قبله صمتت بغتة حالما أظلم الجو واضطربت اضطراباً شديداً وان بعض الطيور اخذته سنة من النوم بغتة وبعضها اضطرب اضطراباً شديداً والبقاء تأوه شديداً فصمت حالما حدث الكسوف ولم يتكلم إلا بعد زواله كما أن الدجاج ذهب لينام في فترة الظلام.

﴿ الكسوفات القديمة ﴾ حقق الأستاذ « شوش » ان كسوف هوميروس الكلي كان في ١٦ ابريل ١١٧٨ ق.م. وكسوف فورسيلوس الملقى في ١٣ مارس ١١٣٥ ق.م. وكسوف مسترويس في ١٨ مايو ٥٨٣ ق.م. وهو الكسوف الذي ذكره طاليس. أما الكسوف الذي ذكره « ستيخوس » و « كيدياس » فحدث في ١٩ مايو ٥٥٢ ق.م والكسوف الذي ذكره « اغاتكليس » حدث في ١٥ اغسطس ٣١٠ ق.م.

﴿ عناصر الشمس ﴾ قال الأستاذ هنري نورس رسل في خطبة له في المعهد المشهور في علماء الفلك الطبيعي مدينون كثيراً لآلة الحل الطيفي (السكترسكوب) في منتصف القرن الماضي اذ ي الفيلسوف أوجست كونت رغبته الشديدة في امكان الكشف عن العناصر التي تتألف منها الشمس ولكن البحث السكترسكوبي الحديث أثبت ان ستة من العناصر الأرضية وهي الصوديوم والمغنيزيوم والسليكون والبوتاسيوم والكالسيوم والحديد — تكون ٩٥ ٪ من الأبخرة الغازية في الشمس. وان ستة عناصر اخرى تكون تسعة أعشار الباقي، والظاهر أن نسبة الغازات في الشمس الى كتلتها هو كنسبة الغازات في الأرض الى كتلتها. ومما قاله إن في « الفوتوسفير » وهو طبقة الشمس الخارجية أو جوها المتأجج نحو ٥٠٠ مليون طن من الهلاتوز * *

مقتطف ابريل ١٩٥٢

احتفاء بمرور ألف عام على مولد الشيخ الرئيس ابن سينا رأى محرر هذه المجلة أن يسهم باصدار عدد المقتطف القادم في موضوع:

ابن سينا الفيلسوف

بقلم العالم الجليل الدكتور الأب بولس مسعد

فنوجه إليه أنظار القراء من الآن.

والدكتور (انكلسول) الذي أقام أجهزته في مدينة (الهود) على بعد مائة كيلو متر من الخط الأوسط للكسوف، فدحصل كل منهما على نتائج خاصة يمكن بوساطتها الاستدلال على الخطأ في مراكز القمر المستنتجة من الديناميكا السماوية.

وكل هذه الأعمال ستكون في المستقبل مجالاً لبحوث تستغرق وقتاً طويلاً قبل نشرها في المجلات العلمية، ويدر أفراد البعثة المصرية انهم قد حصلوا على نتائج طيبة تبشر بتحقيق أمانيهم في مسايرة النهضة العلمية الحديثة.

﴿ نتائج أعمال البعثة ﴾ أهم نتائج البعثة المصرية انها فتحت لأعضائها آفاقاً وأبواباً جديدة لبعض الدراسات الشمسية التي يمكن القيام بها في المرصد الملكي بحلوان وفي غيره.

﴿ الخرطوم متعطلة أثناء الكسوف ﴾ كان اهتمام الأهالي في الخرطوم بذلك الكسوف واضحاً، فقد وقف الجميع في الأماكن المكشوفة لمشاهدة الشمس، وتخلى الموظفون والتجار عن أعمالهم مدة ساعتين لهذا الغرض، فبدت الخرطوم ساكنة الحركة هادئة السعي.

ولم يظهر على الناس ذلك الذعر الذي كان يتولاهم من قبل، وما كانوا يذهبون اليه مع علاقة ظاهرة الكسوف بنهاية الكون وغضب الله على البشر!.

﴿ حالة السكان في قرية سودانية ﴾ ووصف البروفيسور ابتي، رئيس البعثة الايطالية، حالة سكان قرية «دير فلاته» التي اتخذتها البعثة مقراً لأعمالها فقال: كان السكان منذ الصباح المشمس في حالة قلق وضيق فريدين، لا يفتأون يلقون بأبصارهم الى السماء بين الفينة والفينة، ثم لا يلبثون أن يغطوا أعينهم بأيديهم فزعاً ورعبة.

واحتجز الرجال نساءهم وأولادهم داخل الأكواخ، بينما أخذوا — فيما بينهم — يتدارسون نتائج هذا الأمر الجلل على محاصيلهم وماشيتهم.

﴿ دقات الطبول أثناء الكسوف ﴾ وما أن أخذ الضوء في الخفوت حتى غطى الرجال أعينهم بملابسهم وتجاوبت أصداء القرية الصغيرة بأصداء دقات الطبول الخافتة والنغمات الحزينة التي كانت النساء ترسلنها من خلف الجدران، والصيحات التي كانت الطيور تطلقها وهي تحوم عائدة الى أعشاشها، وكلما زاد خفوت الضوء اشتد دوي الطبول وتلاحقت ضرباتها وارتفع صوت الانشاد خوفاً من الجان والحسد.

ثم صرخت النساء والتفت من الأكواخ الى وسط القرية فتجمعن في دائرة يرقصن ويتمايلن ولما انتهى الظلام أدى الأهالي صلاة حمد وشكر لله على خلاصهم — وأشعلوا النار وبدأوا يرقصون رقصة الفرح.

تصوير طيف اكليل الشمس بوساطة جهازين طيفيين ، يختص احدهما بالضوء المنظور والثاني بالضوء فوق البنفسجي غير المنظور والغرض من هذه التجربة فحص درجة الحرارة في اكليل الشمس الداخلي ومدى تغيرها في مختلف المناطق حول قرص الشمس. وقد اختلف العلماء في لياس تلك الحرارة اذ ظهر انها قد تزيد كثيراً على سطح الشمس حتى قد تصل الى ما يقرب من مليون درجة مئوية

﴿ حالة الرؤية وظروف الجو ﴾ أما حالة الرؤية وظروف الجو فقد كانت على خير ما يرام ، الا من بعض رياح شمالية معتدلة كانت تحمل بعض ذرات رملية دقيقة لم تتداخل مع غالبية الارصاد . ولكن بعثة الجمعية الجغرافية الاهلية أعربت عن خوفها من أن تكون الرياح قد أحدثت حركة طفيفة في التصوير التلسكوبي للنجوم المتناثرة حول الشمس ، والتي يرجى منها تحقيق نظرية اينشتين من انحناء مسار النجوم عند مرورها قرب الشمس

﴿ أول من رصد كسوف الشمس ﴾ وكان الدكتور اتكنسون من مرصد جرينتش اول من رصد الكسوف ، لأن معسكره في النهود ، تلاه الدكتور عبد الحميد ساحة والذي اختار مركزه في « تندلتي »

وقد تراوحت حالة السماء بعد عملية الرصد بين الغيطة الزائدة والرضى

﴿ صورة للاكليل الشمسي ﴾ وقال الدكتور مدوربك إن البعثة قد نفذت برنامجها جملة وتفصيلاً ، ومن أهم اعمالها انها التقطت صورة فوتغرافية للاكليل الشمسي مدة عرضها حوالي ٧٥ ثانية ، كما التقطت صورة أخرى لطيف الاكليل الشمسي في الضوء المرئي ، وفي الضوء فوق البنفسجي ، وستكون الالواح الفوتغرافية لهذه الصورة فيما بعد موضع دراسات مهمة خاصة بدرجة حرارة الطيف والمواد التي يتألف منها ، وقد تبين من الفحص الأولي للصورة انها تحوي معلومات دقيقة جداً لم يسبق الحصول عليها

﴿ تعرف اضاءة الهالة الشمسية ﴾

حصلت البعثة على بيانات بدائية ستؤدي نتيجة دراستها حتماً الى فتح جديد في التعرف على شدة اضاءة الهالة الشمسية من مسافات بعيدة من قرص الشمس.

﴿ الهالة الشمسية محور دراسة البعثة ﴾

إن موضوع دراسة البعثة المصرية في الخرطوم هو الهالة الشمسية ولا غرابة في ذلك لأن اللحظات الثمينة التي تظهر فيها هذه الهالة لا تعدو أكثر من دقائق أو ثوان قليلة وهذه الفترات القليلة بلغت في مجموعها حوالي ساعة في مدى مائة عام .

﴿ رصد الشمس بالأبيض ﴾ أما في منطقة الأبيض فان الأستاذ عبد الحميد سماحة الذي أقام أجهزته في بلدة (تندلتي)

والانجليزية واليونانية والايرلندية الخ ..

والكسوف الكلي للشمس ظاهرة علمية مهمة، نظراً لأن ضوء الشمس الساطع يخفت فجأة فينقلب النهار ليلاً دقائق معدودة يظهر في خلالها اكليل الشمس الذي يحيط بها، كذلك الغازات الملتهبة المنبعثة من سطح الشمس. وعندئذ يوجه العلماء منظاراتهم وأدواتهم الدقيقة نحو الشمس لتصوير جوها ورصد طيفها وقياس مدى امتدادها، وتعيين حركاتها ودوراتها وملاحظة ما يطرأ على جو الأرض، وبخاصة الطبقات العليا من تغيير كهربائي وضوئي يؤثر عادة في الاتصال اللاسلكي وفي مغناطيسية الأرض.

﴿ تصوير الشمس أثناء الكسوف ﴾

اختص الدكتور محمد رضا مدور بك رئيس البعثة المصرية بتصوير الشمس أثناء الكسوف بمدسة فوتغرافية ضخمة يبلغ طولها أكثر من ١٥ متراً، وتظهر الصورة على لوحة فوتغرافية مقاسها ٣٠×٤٠ سم والغرض من هذه الصورة قياس ضوء الشمس وتفاصيل جوها في المنطقة القريبة من سطحها.

﴿ تصوير الشمس قبل الكسوف وبعده ﴾ واختص الأستاذ عبد الحميد محمود مجاجه، وكيل المرصد الملكي بحلوان، بتصوير الشمس قبيل الكسوف وبعده مباشرة، حتى يمكن تعيين لحظة ابتداء الكسوف وانتهائه بدقة فائقة، لا يتجاوز الاختلاف فيها جزءاً من الف من الثانية، ويلزم لهذا تصوير الشمس من منطقتين متباعدتين على جانبي الخط المركزي للكسوف. وقد اختيرت « تندلتي » و « التهود »

﴿ دراسة المناطق المحيطة بالشمس ﴾

ودرس الدكتور ابراهيم حلمي عبد الرحمن، الأستاذ المساعد لعلم الطبيعة الفلكية بالمعهد الملكي للارصاد، المناطق المحيطة بالشمس على أبعاد خاصة تمتد الى عشرين مليون كيلو متراً أو اكثر واستعمل لهذا الغرض ثلاثة منظارات فلكية مركبة معاً تركيباً استوائياً تتصل بها اجهزة كهربائية لقياس الضوء وتسجيله بوساطة آلات فوتغرافية حساسة وخلايا كهربائية ضوئية. والغرض من هذا الرصد هو معرفة الى أي حد يمتد جو الشمس واكليلها المحيط بها، كما تقتضي دراسة الصلة المنتظرة بين اكليل الشمس وضوء البروج الذي يرى ليلاً منتشراً في السماء. ويختلف العلماء في تفسيره فيعزوه البعض الى جو الأرض بينما يعزوه البعض الآخر الى جو الشمس. ويقيس هذا الجهاز ايضاً استقطاب ضوء الاكليل بدقة لم تكن ميسرة في الأجهزة التي استعملت من قبل في مرات الكسوف السابقة.

﴿ تصوير طيف اكليل الشمس ﴾

واشترك الدكتور محمود خيري علي، مع الأستاذ برنار ليو من مرصد باريس الفرنسي، في

باب الأخبار العلمية

كسوف الشمس الكلي بالسودان

لمدة ٣ دقائق و ٩ ثانية

في الساعة التاسعة والدقيقة ٤٩ تماماً بتوقيت الخرطوم من صباح ٢٥ فبراير الماضي، بدأ القمر، يزحف في مساره بين كرتنا الأرضي والشمس، وبدأ يحجب عنا قرصها جزءاً جزءاً من الشرق الى الغرب، وما ان حلت هذه اللحظة الحاسمة حتى دب النشاط في معسكرات الرصد السبعة عشرة المنتدبة من عشر دول مختلفة تضم حوالي ٧٠ عالماً من مشاهير العلماء، وقد تفرقوا بين غرب كردوفان والخرطوم، وأخذت أجهزة متنوعة تبلغ قيمتها مئات الألوف من الدولارات في العمل — عدسات تفتح وأجهزة تسجل وأخرى ترصد وتسجل.

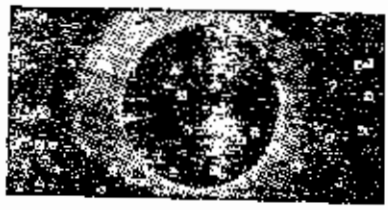

صورة التقطت للكسوف الكلي للشمس كما ظهر في الخرطوم. ويرى قرص الشمس كله وقد اختفى بكامله وحوله الاشعاعات المحيطة

﴿ مدة الكسوف ﴾ واستمر القمر في زحفه سبع دقائق ومعه أخذ ضوء الشمس يخفت حتى حلت اللحظة الحاسمة، فحجب القمر قرص الشمس تماماً لمدة ثلاث دقائق وتسع ثوان ونصف ثانية، سادها ظلام ليل حالك، ثم عاد القمر ينزلق هيناً في الفضاء حتى انجاب عن وجه الشمس في خمس دقائق فعاد الضوء

﴿ البعثات العلمية ﴾ قدمت الى الخرطوم بعثات علمية فلكية كثيرة من أكبر مراصد العالم الفلكية لرصد هذا الكسوف ودراسة المسائل العلمية المتصلة بجو الشمس والأرض. واشتركت جامعة فؤاد الأول في هذا العمل العلمي بنصيب ملحوظ، فأوفدت ثلاث بعثات علمية استقرت احداها وهي الرئيسية في الخرطوم والثانية في « تندلتي » والثالثة في « النهود »

أما البعثات الأجنبية فقد اتخذت أماكن رصد مختلفة حول الخرطوم وخارجها فمنهم الايطاليون وقد استقروا على بعد ٢ كيلو مترات جنوبي شرق الخرطوم على النيل الأزرق، ثم بعثة سلاح الطيران الأمريكي والبعثات السويسرية والفرنسية والهولندية

التقويم الزراعي

لشهر مارس ١٩٥٢

---

(١) — ﴿ الحاصلات ﴾

البرسيم — يستمر في حشه ورعيه
القمح — يسمد للمرة الثانية
باقي الحاصلات الشتوية — تروى عقب المدة الشتوية وتعزق الحشائش
القطن — يبدأ بزراعته في الوجه القبلي وجنوب الدلتا
القصب — يستمر الكسر والزراعة وري الخلفة

(٢) — ﴿ البساتين ﴾

(أ) — الفاكهة : تستمر زراعة الأشجار، ويسرع في الانتهاء من زراعة الأشجار التي تبكر في الازهار كالخوخ والمشمش . اتمام عمليتي التسميد والتقليم قبل تحرك العصارة في الفروع والأغصان لمعدة الشتاء زراعة عقل العنب والتين والرمان، وبذور الناردج والليمون البلدي والقشدة الطرابلسي شتائل الوجه القبلي (في نهاية الشهر)

(ب) الازهار : يستمر في تقليم الورد وتنقل الأنواع المقدمة الى الأرض المستديمة، تجهيز عقل الجازونيا . يستمر في زراعة الأراولة في مكان ظليل . جمع الأزرار الزهرية للقرنفل وتجهيز العقل للزراعة . زراعة بذور الداليا والكليوس في أواخر الشهر . تسميد الأشجار والشجيرات

(جـ) — الخضر : زراعة عروات مبكرة من الملوخية والخيار والفاصوليا والقرع والبطيخ والبطاطس الصيفي زراعة عروات من الفجل والكنت والجرجير والرجلة والبقدونس زراعة عروات متأخرة من الجزر الافرنجي شتل الباذنجان والفلفل (زراعة شهري اكتوبر ونوفمبر) غرس شتلات الخس البلدي والخاطم السيفية . زراعة بذور الكرفس والكرات أبو شوشة والباذنجان .

☆ ☆

يكون عنده ما يبرر أداءها . ومن هذه أن مصاباً يسير في الشارع ، فاذا به يحس أنه ينبغي عليه أن يلمس أعمدة المصابيح المقامة كلما صادفها ، ويشعر بنوع من القلق إذا هو تجاوز عن لمسها ، فهنا الجبر النفسي بغير وجود حافز شعوري لهذا الفعل .

فما الطوطم إلا بديل الأب . لقد كان الأب يستأثر بزوجاته الكثيرات من نساء القبيلة . فلما بلغ الأبناء سن المراهقة أنكروا على أبيهم هذه الأثرة فكرهوه (كرهاً لا شعورياً مكبوتاً) فثاروا عليه وقتلوه . ولكنهم لاحترامهم (الشعوري) اياه رجموا وأحسوا بعملتهم الشنعاء ، وشعروا بالذنب العظيم الذي اقترفوه (sense of guilt) ، فاستغفروا وحرموا على أنفسهم الاقتراب من نساء القبيلة . وصار الأب المقتول طوطماً ، وبقي الخوف من الزنا قوياً عند الأبناء ، ولا سيما المراهقين . واتسعت دائرة التحريم فشملت نساء القبيلة كلها لانهن يعتبرن إما امهات أو أخوات للرجل .

هذا هو تفسير فرويد للمشكلة ، فهو يسمي العصاب القهري مرض التابو (Taboo disease) لأن التحريمات القهرية كالتابو تماماً ليس لها دافع شعوري ، إذ أنها ليست إلا رد فعل لرغبات لا شعورية ، وبعبارة أخرى يرى فرويد أن هذه التحريمات (والحصار النفسي) ترجع الى عقدة أوديبوس (Odipus) أو موقف الاتصال الثنائي إزاء أبويه . فالولد يحب أمه ويكره (لاشعورياً) أباه لأنه يستأثر بها دونه ، وإنما تكبت الكراهية في اللاشعور ، يقابلها الاحترام والحب الشعوريان . . ومن هنا يأتي الشعور بالذنب الذي هو أساس التحريمات والنواهي .

المراجع : —

(١) "The Making of Man" by, V. F. Calverton

(٢) Work Wealth & Happiness of Mankind by, H. G. Wells

(٣) مقالة (التحليل النفسي للعقل البدائي) بقلم الاستاذ أحمد أبو زيد في مجلة علم النفس مجلد ١ وعدد ٣

(٤) علم الاجتماع الديني — دوركيم بالتقييد ترجمة الدكتور محمود قاسم

درس علماء الانسان النظم الاجتماعية والدينية لكثير من القبائل الأسترالية وخاصة (الطوطمية) Totemism . فالطوطم بالنسبة للعشيرة عبارة عن الجد الأكبر الذي ينتسب إليه أفراد القبيلة كلها . وهو في الأغلب حيوان كالكنغر أو الثعلب أو الدب أو غير ذلك . وقد يكون نباتاً وفي النادر أن يكون جماداً . وانتساب أفراد القبيلة لهذا الطوطم يجعل ارتباطهم أقوى مما يرتبط أفراد الأسرة الواحدة برشيجة الدم . فهم يقدسونه وهم يحرمون أكله ولا يصطادونه وهم ينقشون صورته على أجسادهم ، ويحتفظون بصورته فيما يسمى (Al-Cheringa) وهي عبارة عن لوح أو حجر ينقشون عليه صورته ويخطونه ويدفنونه في مكان نائه عن محل اقامتهم . ويزورونه في حفلاتهم المقدسة . وهم يعتقدون أن الطوطم يحميهم من الأخطار ويقيهم النكبات والشرور . أما التناقض في أفعالهم فوضعه أنهم رغم تحريمهم لغير ما سبب يقتلونه ، يبيحون أكله وصيده في أعيادهم الخاصة أو في احتفالاتهم الجماعية .

وتتضمن الطوطمية عدة تحريمات تسمى (Taboos أو (لامساسات) جمع (لا مساس) ومن هذه التحريمات الزواج من داخل القبيلة ، إذ على أفرادها أن يختاروا أزواجهم من قبائل أخرى ، لا تنتسب الى طوطمهم ، وهو الزواج المسمى (Exogamy) أي الزواج الخارجي . وحيث يوجد النظام الطوطمي فهناك قوانين تحرم على أعضاء الطوطم أن تنشأ بينهم علاقات جنسية . فبعض القبائل تحرم أن يتلفظ الفتى باسم أخته ، أو يعطي المرء وجهه متى كان في الطريق نساء ، أو أن يرجع عن الطريق إذا صادف آثار أقدام امرأة ، كما أن بعض القبائل لا تسمح للمراهق أن يجلس على فراش مع أمه . وفي حفلات الالحاق Initiation لا يسمح للمراهق الذي سيدخل بمقتضى هذه الحفلات سنّ الرجال ، أن يرى النساء مطلقاً لمدة قد تصل إلى ستة شهور أو أكثر وما إلى ذلك من تحريمات .

وقد حاول كثير من علماء النفس أن يفسروا هذه التحريمات التي لا يعرف لها سبب ظاهر سوى أن الجماعة قد قضت بها ، فعلى الفرد تقديسها ، وخشية انتهاك حرمتها . وقد كان فرويد ضمن هؤلاء المحللين النفسيين الذين بحثوا هذه المشكلة ، ويكاد يتفق كثير منهم الى أن العقلية البدائية — بهذا الصدد — تماثل تماماً عقلية الانسان المصاب بمرض عصابي (Neurotic) ومن المعلوم أن المصاب قد يظهر على شكل قلق نفسيّ شديد (Anxiety) أو حصار نفسي (Obsession) أو نوع من المخاوف اللاشعورية (Phobias) وفي كل هذه تظهر صفة الجبر أو القهر النفسي في الأعمال التي يؤديها المصاب دون أن

لضمان خيرها وإسعادها وتماسكها ، تدعمه معتقدات معينة ، مشتركة ، وطقوس واحتفالات طقسية تؤديها الجماعة أو أفراد العشيرة أو الأسرة في مواسم الحصاد والأعياد وما إليها . والسحر التقوى يبنى نفسيًّا على فكرة المصالحة بين القوى البشرية والآلهة أو الاله أو القوات العظيمة — يؤديها استسلام وخضوع واسترضاء .

أمَّا السلوك السحري ، فهو سلوك فرديّ (وان كان المجتمع يقره) يهدف إلى الشر أو إيقاع الأذى بالآخرين ، وقوامه اخضاع القوات الغيبية لأغراض الساحر وتستخدم في سبيل ذلك طقوس معينة تؤدى في الخفاء ولا شك أن السلوكين كانا يختلطان في عقلية البدائي فكان دبه لا يخلو من نحنات سحرية ، وتقواه لا تخلو من الأثرة وقصد ايقاع الأذى بالقبيلة المعادية .

والدارس لأساليب السحر يمكنه أن يفرق بين أنواع معينة منه . فهناك السحر بالمحاكاة ويبنى على مبدأ أن الشبيه يدعو الشبيه (كأن يربط الساحر حجراً على بطنه ثم يدحرجه ، وهو يذكر تعويذات معينة ، لتساعد هذه المحاكاة المرأة في الولادة — أو كأن يغرز إبرة في رأس دمية بقصد أن يقع الأذى برأس العدو) .

وهناك السحر بالعدوى ومبدؤه أنه اذا اتصلت أشياء ببعض الأشياء الأخرى استمرت تؤثر فيها حتى بعد زوال هذا الاتصال (فاذا ابتلع الرجل أسنان كلب بعد ما يسقط على الأرض ، كان ذلك سبباً في أن تصبح بقية أسنانه صلبة كأسنان الكلب) .

ويستعير العالم الاجتماعي الكبير روجيه باستيد نظرية هنري برجسون في تفسير ذلك بقوله إن الذكاء لا يعمل شيئاً هنا سوى التعبير ببعض التصورات عما توحي به الغريزة ، أو بعبارة أخرى أن هناك منطقاً جسميًّا أي امتداداً للغريزة يستخدمه البدائي قبل أن يعبر عنه الذكاء بصورة معنوية .

على أن هناك نوعاً ثالثاً للسحر يظهر في أشكال الترنم والفن والمباركة فهمس الساحر للسهم إذهب واقتل ، يظن على أنه يساعد في أداء مهمة القتل . وعند قبائل هنود أمريكا أن يطرح المرء أفكاره وارادته إلى مكان بعيد جداً بقصد التأثير فيمن يصوب نحوه هذه الارادة . ورأيه هذا كله ، في رأي روجيه باستيد ، أن السحر إنما يرجع الى تدخل الرغبات والصور العاطفية .

*

﴿ التحريمات والتناقض في السلوك ﴾ يقوم الانسان البدائي بأفعال متناقضة . فقد

العقلية البدائية

— ٢ —

للأستاذ أميل توفيق

تحدثنا عن سلوك القبائل التي تعيش في أستراليا وأفريقية وأمريكا، منعزلة عن العالم المتحضر، وممثلة لسلوك الانسان البدائي. واستطعنا أن نأتي بهذا السلوك ضرباً تحليليًّا للعقلية البدائية، فتلناها بعقلية الطفل لاقترانها بالتفكير الرمزي، ووصفنا أدراكها للأشياء والأشخاص والأحلام والظلال، بتلك الصفة الغامضة الصوفية. على أن هاتين الصفتين تقترنان بمظاهر أخرى للسلوك نوضحها فيما يلي: —

ان أول مرحلة لتطور العقلية البدائية هي المرحلة الغريزية التي يعزى إليها سلوك الأفعال العكسية (Reflex Actions) وتفكير الطفل في مراحله الأولى يماثل هذا النوع من التفكير. ونحن نستطيع أن نرجع سلوك الطفل من الناحية الجسمية من حيث التوازن واتجاهه نحو الضوء ولمسه بعصا أو بحبل وما إلى ذلك من التفكير الجسمي إلى الغريزة وردود الأفعال العكسية، ولعلنا نجد هذا الطراز موجوداً حتى يومنا هذا — فهؤلاء الذين يحترفون الألعاب البهلوانية وخفة اليد والحواة يرجع تفكيرهم الى الناحية الغريزية وإن كانت المهارة في تأدية هذه الأفعال قد تستند إلى قدرة عضلية أو توازنية أو غيرها.

ومن دراستنا للنظم التي تعيش عليها القبائل المتأخرة، يمكننا أن نستخلص الكثير من الصفات للعقل البدائي. ذلك أن علماء تاريخ الانسان، وعلماء الاجتماع استطاعوا أن يفرقوا بين نوعين من السلوك ازاء الأشياء التي تتعلق بما وراء الطبيعة أو الأشياء الميتافيزيقية. وهما السلوك التقوى (السلوك الديني) والسلوك السحري. وبغض النظر عن البحث في ماهية الدين البدائي فمن الثابت أن الأول سلوك اجتماعي تقوم به الجماعة

ثلاثين مركزاً أو أربعين في كل عام . ولكن مما يؤسف له ان الافتقار الى الاعتمادات والى الرجال المدربين حال دون التوسع بهذه النسبة ، وان كان التقدم ، على الرغم من هذا ، مستمراً

ما هو برنامج المراكز الاجتماعية الريفية ؟ وكيف تنوي هذه البرامج القيام بالمهمة الجبارة وهي رفع مستوى معيشة السكان الريفيين في مصر ؟

ان البرنامج كما رتبه الدكتور أحمد حسين باشا الوزير السابق لوزارة الشؤون الاجتماعية واعوانه في ادارة الفلاح ، برنامج جريء متعدد الجوانب للهجوم على جميع العوامل المسؤولة مسؤولية مباشرة عن أحوال الفاقة التي يعيش فيها معظم الفلاحين أيام عمرهم . فرئي مثلاً انه اذا وضع برنامج لتحسين الصحة والاحوال الصحية في منطقة معينة فان البرنامج يعد قاصراً عن بلوغ غايته اذا ظل مستوى الدخل منخفضاً الى الحد الذي يقع الناس فيه دائماً فريسة لسوء التغذية . ومن ناحية أخرى لا يمكن القيام بمشروعات لزيادة الدخل إلا عن طريق برنامج للتربية وهذا البرنامج بدوره لا يعد ناجحاً إلا اذا تحسنت الحالة الصحية . ولا سيما لان نسبة عالية من الفلاحين تصاب بهزال مستديم نتيجة لأمراض البلهارسيا والانكلستوما والسل والملاريا ودع عنك أمراض العيون .

ولكي يكون البرنامج ناجحاً ناجعاً يجب معالجة جميع المشكلات الرئيسية في وقت واحد أعني مشكلات الصحة والتربية والدخل . ولكن أبرز مظهر من مظاهر هذا البرنامج هو ان هذه المزايا لا تهبط على الفلاح كأنها منة من السماء . أو كأنها نتيجة لعمل الحكومة وحدها . بل ان المبادأة بالقيام بهذه البرامج في منطقة ما يجب أن تكون من جانب السكان عليهم أن يقدموا المال والأرض والعمال لبدء البرنامج وسرعان ما يزداد المركز استقراراً وسرعان ما تتدرج ادارة المركز فتكون خاضعة لهم وحدهم وهم يحملون مسؤوليتها

وإلى أولئك الذين يعتقدون أن الفلاح المصري عاجز عن أن يظهر الاجتهاد عاجز عن أن يقبل المسؤولية نقول ان مثل هذا البرنامج يكذب هذا الاعتقاد غير ان ادارة الفلاح لم تتحول قط عن عقيدتها الجازمة وهي أن خير سبيل لمساعدة الشعب هو أن يساعدوا هم أنفسهم بأنفسهم . ومعنى هذا عملياً أنه قبل انشاء المراكز التدريبية الأولى في عام ١٩٤١ . كان على كل أخصائي زراعي اجتماعي ان يذهب الى المنطقة التي يراد انشاء مركز فيها ويشرح للقرويين كيف يساعدهم هذا المركز وماذا يعملون ليكون لهم مركز كهذا . وكان من نتيجة ذلك أن أقتنع الفلاحون بأنهم هم الذين ينتفعون بهذه المراكز وصاروا من أكبر دعاتها ولم تعد هناك حاجة الى ايفاد الاخصائيين الزراعيين الاجتماعيين

في ضيعة كبيرة أو يستأجر أرضاً يدفع بجانبها نقداً وإما بمناصفة المحصول .

وكان من نتيجة الزيادة السريعة في عدد السكان أن الأراضي القابلة للزراعة ، إن ارتفعت الإيجارات ارتفاعاً كبيراً عن [illegible] على الإيراد الصافي للحقل . وفي مثل هذه الحالة ، لا يزال الفلاح المستأجر شيئاً من التعويض عن عمله أو عن عمل أفراد عائلته أو يموته ، ومعدل الأجر الحالي للفدان نحو ٣٠ جنيهاً مصرياً ، بينما معدل دخله نحو ٥٥ جنيهاً للفدان قبل التضخم الذي أن الفلاح سيحتمل كثيراً من العناء في سبيل أن يجتنب الاقتراض والاستدانة . ولا سيما لأن دخل الفرد لا يقل عن ٩٥ في المئة من العائلات الزراعية يقل عن عشرة جنيهات مصرية في العام .

فخطورة الموقف أظهر من أن تحتاج إلى بيان . ومع أن هناك اعتقاداً عاماً بأن الفلاح سلبي لا يميل الى العصيان ، فإن هناك دائماً خطراً في أن لا يركن الفلاح الى الدعة إذا ازدادت حالة الكفاف التي يعيش فيها سوءاً . وقد تبدى في سني الكساد في أوائل العقد الرابع من القرن الحالي ان هناك احتمالاً خطيراً بأن تسوء حالة الفلاح ، إذ حدث في عام ١٩٣٠ وما يليه انخفاض في دخل الفلاح المالي تجاوز الانخفاض في أسعار الأشياء التي كان عليه أن يشتريها

وقد فطن اتحاد الدراسات الاجتماعية الى هذه المشكلة من جميع نواحيها فقرر الأعضاء في عام ١٩٣٦ أن يبدأوا برامج للتدريب في ثلاث قرى مختلفة رغبة في تحسين حال الفلاحين في جملتهم . ولم يكن هدفهم الاقتصار على معالجة ناحية واحدة من نواحي حياة الفلاح ، بل كان مرماهم التقليل من الفقر والمرض والجهل في وقت واحد . ودلت هذه التجارب المبكرة التي قامت بها هيئة خاصة [illegible] على نجاح كبير كان حافزاً لوزارة الشؤون الاجتماعية التي أنشئت حديثاً في عام ١٩٣٩ على أن تشمل من أهدافها المهمة وضع برنامج تشرف عليه الحكومة لرفع مستوى معيشة الفلاحين . وقد نفذ هذا البرنامج فعلاً في مايو ١٩٤٠ عندما أوفد خمسة من الخبراء الزراعيين الى خمس قرى مختلفة . وأنشئت في عام ١٩٤٣ ستة مراكز اجتماعية ريفية أخرى . فكان نجاح المراكز الاحد عشر الأولى بالغاً حد الاقناع حتى تقرر في عام ١٩٤٦ وضع برنامج يشمل البلاد بأسرها هدفه الاسمى انشاء مركز اجتماعي ريفي في كل قرية أو مجموعة من القرى تضم عشرة آلاف نسمة .

وفي عام ١٩٥٠ كان عدد المراكز الاجتماعية الريفية ١٢٦ تتولى خدمة ما يقرب من مليون ونصف مليون فلاح . والآن معتزم على انشاء مراكز اجتماعية أخرى بمعدل

البلهارسيا وهو من أخطر الأمراض الوبائية التي تمتص حيوية الفلاحين . وأدى ذلك أيضاً إلى زيادة سريعة في عدد السكان لا تتناسب مع زيادة مساحة الأراضي الزراعية .

وفي عقود السنوات الخمسين الماضية زاد سكان مصر بنسبة ٩٠ في المئة أما الأراضي الزراعية فلم تزد إلا بنسبة ١٢ في المئة ومنذ عام ١٩١٧ ونسبة الزيادة في مساحة الأراضي الزراعية بطيئة جداً بينما السكان يزيدون بهذه الخطى الواسعة في خلال هذه المدة كلها . ولكن الارتفاع الكبير في انتاج المحصولات جعل البلاد عبأى عن أن تصبح مهددة بخطر مجاعة مروعة وإن كان لم يحرم خطراً كبيراً من السكان من سوء التغذية . كما ان هذه الزيادة في غلة الأرض لم تنجح في الحيلولة دون هبوط دخل الفرد من السكان الريفيين هبوطاً كبيراً .

وقد يعرض لنا سؤال : لماذا لم تتحسن الحال عندما أقبل عمال الزراعة على أعمال الصناعة ؟

إن هذا صحيح إلى حد محدود غير ان الحقيقة المروعة هي أن الفرص المتاحة للعمال غير الزارعين في مصر قليلة بالنسبة لعدد الأيدي الراغبة في العمل . اضف الى ذلك أن العامل الصناعي الذي يعيش في المدينة أو في القرية . وان كان دخله في العام أعلى منه في الريف . إلا أنه يعيش على العموم في أحوال أشد خطراً على صحته وابعد فقراً من حالة الذين يعيشون في المناطق الريفية . وكان من نتيجة ذلك أن أصبح نحو ٧٠ في المئة من سكان مصر معتمدين حتى الآن على الزراعة

﴿ أحوال المعيشة بين الفلاحين ﴾ إن قدرة الفلاح المصري على العيش وعلى التكاثر مرجعها الى حد كبير إلى قدرته على أن يعيش في مستوى من الحياة شديد الانخفاض فالفلاح في المعدل واحد من خمسة اخوة هم الذين يبقون على قيد الحياة من ثمانية اخوة أو عشرة . أما عمر الفلاح فمعدله ٣٨ عاماً . هو يقطن حجرة أو اثنين مسقوفتين من الآجر تتسعان لجميع أبناء عائلته وقد يكون معهم بعض الاقرباء فضلاً عن الماشية والدواجن التي يقتنيها . وقد يملك الفلاح قطعة من الأرض ، لان أكثر من ٥٠ في المئة من الذين يشتغلون بالزراعة فعلاً هم كذلك من أصحاب الأراضي . غير ان ما يمتلكه الفلاح من الأرض قليل جداً لان ١ و ٧٢ في المئة من الذين كانوا يملكون أراضي زراعية في عام ٩٤٨ كان نصيب كل منهم أقل من فدان واحد ، كما ان ٢ و ٩٤ في المئة يملكون أقل من خمسة فدادين . فلا معدى للفلاح اذن عن أن يلتمس دخلاً آخر يعينه . فيعمل يوماً

السكان يعيشون معتمدين اعتماداً مباشراً على الأرض في معاشهم . وهذا يمثل كثافة للسكان في كل ميل مربع من الأرض تزيد على كثافة السكان في بلدان أوربا الصناعية الكبرى - هذا على الرغم من أن معظم السكان في مصر ريفيون . وان مصر على خلاف الهند والصين - التي ترزح الجماعة دائماً فتقضي المجاعة على نسبة كبيرة من السكان فيها - لا تعرف الموت سغباً بين الملايين إلا نادراً .

فما هي المجموعة العجيبة من الظروف التي تجعل هذا ممكناً ؟

إن الجواب الأول هو أن خصوبة وادي النيل من الغنى بحيث لا يكاد العقل يتصورها. فالنيل يجري من فوق حاملاً معه في كل عام مقادير كبيرة من الطمي الغني عادة الغرين يختزنها في مصر حاملاً اياها من أواسط افريقيا ولهذا فانه وان كانت المساحة التي يرويها ماء النيل محدودة فان خصوبتها تتجدد في كل عام وهذه مزية عرف قدرها الفلاح المصري في زمان مبكر . ولهذا ظل آلافاً من السنين يشجع النيل ويحمله حملاً على أن يوسع من رقعته بقدر الامكان على كل من ضفتيه في أثناء موسم الفيضان العالي في شهري يوليو وأغسطس . ولم تستخدم مخصبات أخرى فان في وسع الأرض المزروعة أن تدر محصولات بنسبة مدهشة عالية جداً الكل فدان غير انه منذ الشطر الأخير من القرن التاسع عشر أمكن الى حد كبير استبدال نظام ري الحياض بنظام الري الدائم وقد تيسر ذلك بعد انشاء السدود والقناطر الكبيرة .

وهذا التغيير في أسلوب الري . لم يعن مجرد استخدام مياه النيل استخداماً كلياً ، بل زاد من انتاج المساحة التي تستخدم في الزراعة . فقد جرى العرف قبلاً على انتاج محصول واحد في العام في منطقة بعينها لأن الأرض تتعرض في بقية العام إما للجفاف وإما لغمرها بالماء . اما الآن ، فان نظام الري الدائم يستخدم في أربعة اخماس الأراضي المزروعة . فيستطاع اذن انتاج محصول ونصف محصول أو محصولين في كل عام يدر كل محصول منها نسبة كبيرة من الانتاج لكل فدان .

وان الاحتفاظ بمستوى الانتاج حالياً يجهد التربة فاقتضى الأمر التوسع في استخدام المخصبات الصناعية - ومعظمها مستورد - وهذه حالة ظهرت مخاطرها في خلال الحرب العالمية الثانية عندما انخفض استيراد المخصبات انخفاضاً كبيراً

اضف إلى ذلك ان وفرة استخدام الماء لري التربة أدت إلى ارتفاع خطير في جدول الماء في الأراضي التي تروى بنظام الري الدائم . كما أدت الى زيادة سريعة في انتشار داء

المراكز الاجتماعية

الريفية في مصر

— ١ —

للأستاذ وديع فلسطين

قرأنا في « مجلة الشرق الأوسط » التي تصدر باللغة الانجليزية في وشنطن بحثاً ممتعاً عن المراكز الاجتماعية الريفية في مصر كتبته السيدة بياتريس ما كوان ماتيسن التي تقيم الآن في مصر والتي كانت في أثناء الحرب الأخيرة تقوم بتدريس علم السياسة في كلية برين مور الأميركية ، كما عملت في قسم شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأميركية .

وقد حرصنا على أن نترجم هذا البحث كاملاً لما فيه من معلومات طيبة تهم المشتغلين بالشؤون الاجتماعية وبالاصلاح الاجتماعي في مصر : —

المشكلة الحيوية التي تجابه مصر ، خلافاً لحال أي دولة أخرى في العالم هي مشكلة واضحة تبدو سريعاً . فالرجل الذي يدخل مصر من البر في وضح النهار لا يفوته أن يعجب لضيق الشريط الأخضر المزروع الذي يقع على ضفتي النيل ولا يفوته أن يدهش كذلك من الأمد الشاسع الصحاري على الناحيتين .

وكل زائر يسير في شارع من شوارع المدن أو في قرية من قرى الريف أو يقود سيارته في درب ريفي لا يسعه إلا أن يدهش لجموع بني البشر التي تحتشد في كل مكان . وليست بنا حاجة الى احصاءات لنبرهن على أن ٣ ٪ من أراضي مصر غير الصحراوية انما هي من أكثر بقاع العالم اكتظاظاً بالسكان .

وعلى كل حال فان هذا الدليل الواضح يزداد جلاء وبروزاً من الاحصاءات إذ أن ٨٣٩ و ٠٨٨ و ١٩ نسمة تعيش على مساحة من الأرض مداها ٠٥٩ و٩٦٣ و فداناً طبقاً لاحصاء عام ١٩٤٧ ، كان ما يتفاوت عددهم بين ١٥ مليوناً و ١٦ مليوناً من هؤلاء

وكان ارتفاع مستوى المعيشة في المناطق الريفية عاملاً مهمًّا في استئصال التراخوما فيها

ويمكن تجرع السلفانيلاميد التي أدت إلى نتائج مفيدة جداً في تركيا ، عن طريق الفم أو بصورة قطرة في العين أو بحقنها تحت الملتحمة . ويدعي طبيب تركي انه حصل على نتائج ممتازة خلال ثلاثة أيام فقط بينما كانت المعالجة السابقة تستغرق أسابيع متعددة وغالباً أشهراً . كما ان ذلك الطبيب التركي يجد جدًّا استعمال المواد التي تقتل الجراثيم جوعاً (أي المواد الانتيبيوطية) وهو يعتبرها أقل كلفة من بقية الادوية بكثير .

وهذه نقطة مهمة جدًّا نظراً لملايين المعالجات التي يجب أن تستعمل في حملة من هذا النوع ضد المرض . ويفضل هذا الطبيب استعمال البنيسيلين للمعالجة في المستشفيات ، والسلفانيلاميد للمعالجة في العيادات والمنازل .

واستعمل في السنة الماضية طبيب يوناني اختصاصي في أمراض العيون ، مركبين جديدين من مستحضرات السلفا لمعالجة التراخوما وهما Lutazol و Ophtazol ويمكن الحصول عليهما بصورة أقراص وقطرة وحقن ، فلاحظ تحسناً مدهشاً في أغلبية ساحقة من الاصابات . وقد نشر بعض الأطباء الأميركيين تقريراً في مجلة « الطب في المناطق الحارة » لشهر سبتمبر ١٩٥٠ فقالوا انهم صادفوا نجاحاً ظاهراً من طريق استعمال دواء آخر معروف من المواد الانتيبيوطية وهو الكلوروما يسين ، وقالوا إنهم لم يجدوا أدلة على عادة انتكاس خلال ثلاثة أشهر .

وتوجه الى ايران في شهر يوليه من السنة الماضية الدكتور باتون Paton الاختصاصي في أمراض العيون ، ليساعد الأطباء الايرانيين في مشروع واسع النطاق يقوم على استعمال المواد الانتيبيوطية وعقاقير السلفا لوقف أمراض العيون والعمى ومعالجتها . وفي ديسمبر سنة ١٩٥٠ بدأت منظمة الصحة العالمية حملتها الأولى ضدّ التراخوما في عدد من البلاد الواقعة على الساحل الشرقي من البحر المتوسط وذلك باستعمال المواد الانتيبيوطية مثل الكلوروما يسين ، والتيراما يسين ، والأوريوما يسين . وقد تبرع صانعو الأدوية في الولايات المتحدة وايطاليا بكميات عظيمة من هذه العقاقير وتبرع صندوق إسعاف الأطفال الدولي ، التابع للأمم المتحدة ، بكميات اضافية أيضاً . ومن المنتظر أن تعالج ألوف الاصابات بوساطة مشروع الأمم المتحدة هذا بغية التحقق من فائدة كل من المواد الانتيبيوطية المستعملة في معالجة التراخوما ، وما هو أحسن أسلوب لتطبيقها ، وما هي أكبر جرعة يمكن إعطاؤها للمصابين ، وستكون هذه المعلومات ذات فائدة أيضاً كأساس لمعرفة تكاليف حملات أوسع ضد التراخوما في المستقبل .

المصابين وأصدقائهم ، ومعالجة جميع هذه الاصابات حتى تشفى ، إن تدابير كهذه تؤدي إلى القضاء على مرض التراخوما في أي مكان واستعمال المطهرات كسلفات (أو كبريتات الزنك وسلفات النحاس في المناطق التي تكثر فيها العدوى قد يقي الأولاد من الاصابة بالمرض.

والتراخوما مرض لا تأثير لعوامل المناخ أو لخصائص أخرى في انتشاره في بلد دون آخر . فانه يحدث في بعض المناطق الجبلية في الولايات المتحدة كما أنه يحدث في سهول مصر حيث قدر عدد المصابين به ١٩٣٠ بـ ٩٠ ٪ من السكان . وفي ذلك الوقت عانى ربع سكان الصين من مرض التراخوما ، كما ان سوريا والاتحاد السوفيتي والبرازيل وأرلندا لم تنج من وطأته . وهو يحدث في البلاد الجافة المناخ ، والكثيرة الغبار كالبلاد العربية ، كما أنه يصيب البلاد الرطبة المناخ كفنلندا . وعلى ما يظهر أن الهنود والصينيين واليابانيين معرّضون بنوع خاص لهذا المرض . فاذا لم يعالج المرض بسرعة وبطريقة فعّالة فانه يسبب آلاما كثيرة وخسائر اقتصادية منها التعطيل عن الأشغال وتكبد نفقات العناية بالعميان .

وقد كان يعدّ مرض التراخوما منذ عهد ليس ببعيد من الأمراض التي لا يمكن شفاؤها . لكن عدد الاصابات بالتراخوما قد خفّ الى درجة عظيمة في بعض المناطق في الولايات المتحدة وذلك بفضل تحسين الوسائل الصحية ورفع مستوى المعيشة واتباع طرق المعالجة الحديثة وتتبع طريقة جراحية في أوائل عهد التراخوما تكحت بها الأماكن الممتلة والمتورّمة تحت الأجفان . فهذه العملية توقف سير المرض غير أن مدة اندمال الجراح والشفاء تستغرق مدة أسابيع وقد تترك هذه العملية آثار جراح ظاهرة أما في السنوات الأخيرة ، فقد تحسنت المعالجة ، وذلك باضافة استعمال أحد مقاقير السلفا الى الجراحة وهو دواء السلفانيلاميد . وطريقة المعالجة المزدوجة هذه توفر نصف مدة البقاء في المستشفى ، وتكون الأعين بنتيجتها في حالة أحسن . ويقول الدكتور Robert Sory الخبير البارز في التراخوما إن دواء السلفا وحده قلما يوقف المرض . حتى انه ولو استعمل بالاضافة إلى طرق معالجة أخرى ، فقد يعود المرض أحياناً .

وفي تركيا — حيث يتراوح عدد المصابين بالتراخوما في بعض الأقضية ما بين ٩٠ و٩٥ بالمائة — باشرت وزارة الصحة التركية حملة ضد التراخوما حول سنة ١٩٣٩ . وقد قلّ عدد الاصابات في بعض المدن نتيجة لتلك الحملة ، وقلّ عدد العميان فيها كثيراً ويعزو الأطباء نجاحهم إلى استعمال دواء السلفانيلاميد والمواد الأنيبيوطية (أي التي يجوّع الجراثيم فتميتها سماً) ، إذ أنها تقصّر وقت المعالجة وتخفف الألم وتمنع العمى .

التراخوما

الدكتور حبيب مصابني

مرض التراخوما من الأمراض التي تصيب البشرية جمعاء ولا تختص ببلد دون آخر. والتراخوما عبارة عن التهاب مزمن في الملتحمة بسبب عن فيروس أكال. والملتحمة هي الغشاء المخاطي الذي يغطي المقلة ويبطن الأجفان. ويؤدي هذا الالتهاب في الملتحمة الى تكوين حبيبات ونسج كآثار الجرح، وتدويه أجفان العيون، وضرر في القرنية (أي حدقة العين) وفي غشاء المقلة الخارجي. وينتج عنه في حالات كثيرة عمى جزئي أو كامل. لا بل إن التراخوما من أكثر أسباب العمى شيوعاً.

وتنتقل عدوى مرض العين المؤلم هذا عن طريق الاتصال المباشر بأشخاص مصابين بالمرض، أو بأشياء ملوثة بإفراز من أعين أولئك الأشخاص. والأولاد هم بوجه الاجمال أكثر عرضة للعدوى من البالغين سنّ الرشد. ومن العوامل التي تؤدي الى زيادة التعرض لمرض التراخوما سوء التغذية، وهيّج مزمن مسبب عن الغبار والرياح، والتعرض لنور الشمس، وعلى الأخص عدم النظافة الشخصية والازدحام، وعدم توفر الشروط الصحية في المساكن. وعلى حدّ علمنا ليس في الجسم مناعة طبيعية ضدّ هذا المرض، ولا يمكنه اكتساب تلك المناعة.

ويمكن ايقاف انتشار هذا المرض بمنع الأولاد المصابين من حضور الصفوف المدرسية وبتزويد سكان بعض المناطق التي يكثر فيها المرض بالتعليمات الصحية اللازمة. ومن هذه النصائح أخذ الاحتياطات لمنع انتقال جراثيم التراخوما المفرزة من العيون — إلى الآخرين — عن طريق استعمال المناشف (الفوطات) والمناديل وأغطية المخدّات وأوعية غسل الاوجه وسواها من الأمتعة التي قد تكون سبباً لنقل العدوى. ومن الواجب تطهير هذه الأشياء بعد أن يستعملها المصاب بالتراخوما. ثم إن فحص عيون تلامذة المدارس من وقت الى آخر، والبحث الدقيق عن احتمال وجود العدوى بين عائلات

﴿سر تخلفه﴾ إن صراحة زكي مبارك هي الدعامة الأولى في أدبه ومن أسباب خلوده ، وإن كانت هذه الصراحة تنسبها من أسباب تخلفه في الحياة . .

لم يؤمن زكي بالمجاملة ولم يصطنعها ، وغلب على فنه صفة الصدق . .

وجعل قوام أدبه تحرير الأدب من براثن الرياء والصنعة وقيود النفاق والهوى . رغم ما جره عليه ذلك من العداوات البعيدة التي حالت بينه وبين الوصول إلى المناصب العليا التي كان جديراً بأن يصل إليها . . وسمت من تقدير أعماله الأدبية تقديراً خالصاً .

وهو يمضي في تصوير العواصف على أساس أسلوبه الصريح ، مستهدفاً في ذلك — على حد قوله — تنقية الأدب من شيوع التدليس في تصوير العواطف والغرائز والطباع . . وهو على هذا الأساس يرى أن النقد الأدبي محنة عاتية ، على من تصدى لها أن يحتمل مكارهها صابراً .

وهو يمزج الصراحة بالقوة . ، ويتخذها مذهبا أدبيًّا وفي هذا يقول : إن الرجل العنيف هو الذي تقهره الظروف على أن يكون وديعة في يد المخطوب ، أما الرجل القوي فتصطدم به المصاعب ثم ترتد عنه كما تصطدم المرجة العالية بالصخرة العاتية . .

﴿حظوظ النفاق﴾ . . . وهو يبغض النفاق أشد البغض ، ويحتقر الحظوظ التي يحصل عليها الناس من ورائه ، ويقول : فليظفر من شاء من طيبات الحياة تحت ستار التقى والدين ، فتلك حظوظ سافلة لا يفرح بها إلا الضعفاء الذين يعرفون أن مصارحة الجمهور عبء ثقيل لا ينهض به غير الأقوياء . .

وتذهب به صراحته الى أن يقول ما أعتقد انه الحق ، ولو اختلف مع التقاليد أو تعارض معها . دون أن يداور أو يجامل إنه يرى أن الاثم الجارح اسلم عاقبة من التقي المصنوع . .

ومن آرائه : « ان الرحمة شيء جميل ، ولكن دنيانا لم يقم فيها بناء واحد على أساس الرحمة ، والطبيعة نفسها لم يقم فيها وضع واحد على أساس الاشفاق . وانما قام كل شيء في الوجود على أساس القهر والغلبة وسيطرة القوي على الضعيف . وله رأي في الحزبية والاستعمار يستوقف النظر : إنه يؤمن بأن الاختلاف بين بني الوطن دليل الحيوية . . ويقول . لا تحتقروا الاستعمار لأن هناك رذيلة أحقر ، هي رذيلة الضعف فعلينا أن نتسلح للشارك المستعمرين رذائلهم ، فان رذائل القوة أطهر وأشرف من فضائل الضعف .

[للبحث بقية]

الدرس في يوم من أيام المواسم والأعياد حتى أيامه في البواخر قرأ فيها وكتب . .

﴿زاهد من نوع جديد﴾ وهو يتمثل بالأخلاق الصوفية . . حتى يبدو زاهداً غاية الزهد في المنافع المادية ، ومع ذلك لا يرى مانعاً من أن يجمع الناس المال ، ويعتقد أن المال هو سناد الرجولة والعتاد الذي يتقوى به المرء على ماديات الزمن الجائر . ويمضي في هذه النظرية حين يحث عن المباعدة بين المعدة والروح . . فيقول إنها نظرية هندية الأصل ، وهي التي قضت بأن يعيش الهندوك فقراء . . . .

وكان حريصاً على أن يبدو في صورة الرجل المجرّد . الذي لم يكن له في الحياة نصير أو معين ، يقول « قضيت دهري بلا نصير ولا معين ، وسأظل كذلك طوال حياتي لأفهم الدليل على من يستنصر بالله لا يخفق ولا يضيع وهو يقول « الزهد في جمع الثروة الآية الحقة على التخاذل والانحلال » .

وفي بعض الأحيان ، يضيق بالناس ويكفر بوفائهم ، فيؤمن بالعزلة ، ويتصوّف في صورة رائعة حين يقول « لقد أقمت داري على حدود الصحراء لأنسى بظلمات الليل ، ولأنسى انني موصول إلا واحد بهذا الخلق ، ولأناجي موات البادية حين أشاء . . »

ثم يقع في الأزمات ، وتسود الدنيا من حوله ، وتبين له غدر من يثق بهم فيكتب «لقد علمتني التجارب أن الانسان أضعف من أن يقطع رزق أخيه الانسان ، فهناك قوة وراثية تؤيد الجهاد في سبيل الرزق الحلال » .

﴿البلاغة والطلاوة﴾ . . وقد عرف أسلوب زكي مبارك بالطلاوة والبلاغة . . فهو ينفذ الى القلوب في سهولة ويسر ، مما لا يبلغه غيره من الكتاب .

وكان لدراسته الأزهرية أثرها المهم في الفصول الأدبية التي عرف بها . . فقد أمدته بالقدرة التي قضايا أتى لغيره من الباحثين في مصابرة المراجع والأسانيد ، كما أمدته دراساته العلمية الغربية بحساسة ودقة في فحص الوثائق والأسانيد الأدبية . ومن مزاياه أنه يأن ذاته تتطلع فيه بوضوح . . فأنت تستطيع في يسر أن تعرف الأوقات التي كتب فيها : أهي صفو أو ثورة أو سخط . . وهو في أغلب انتاجه يشعرك بأنه مظلوم وبأنه مهضوم الحق

وأنت تحسّ ذلك تماماً ، عندما ترى بابه الطويل ، وبراعته الفائقة انه يردد دائماً « انه جاهد في ميدان الأدب جهاداً عنيفاً ، ومع ذلك فقد ظل يقاسي الوحدة ويلقى العقوق ، ذلك لأنه آثر ان يكون صريحاً ، وحرص على أن يظل بعيداً عن نفاق الكتابة (السياسة) أو (الأدب) الذي يشلق الغرائز الغازلة .

عن الأدب الجاهلي بعد أن انصرف عنه كل أصدقائه [1]. ومع آيات نبله انه لا يضمر العداء بل يجهر به، فهو إذا غضب هاجم وأظهر العداء المر واذا أحب كشف عن دخيلته ولم يجمل.

﴿مواجهة الاخطاء﴾ ولم أعرف كاتباً على الأدب المعاصر، أوتي القدرة على مواجهة اخطائه ومراجعة آرائه وتصحيح ما يكون قد تقرر فيها مما يرى نقصه أو تغييره مثل زكي مبارك، وهذا من أبرز معالم شجاعته الأدبية.

عارض «الغزالي» في أول شبابه وحمل عليه، وألّف فيه رسالة ضخمة مزق فيها آراءه تمزيقاً..، وكان مدفوعاً الى ذلك بالرغبة في الشهرة والظهور، ثم عاد بعد أكثر من عشرين عاماً ففسّر رأيه، وكتب يقول «إليك أعتذر أيها الغزالي» [2]..

وهو مع هذا كان كثير الاعتداد بملكاته وقدرته وعبقريته. يقول عندما وقف طه حسين يضعر لمدرسي الأدب بالمدارس الثانوية فقال إنهم لم ينتقصوا ديوانين اثنين من دواوين الأدب العربي فكيف يجوز لهم تدريس الأدب، فقام يقول: أرجو استثنائي من هؤلاء فانا احفظ ثلاثين ألف بيت من الشعر العربي وأستطيع انشادها جميعاً في أي وقت».

﴿اعتداد بحق﴾.. ولا شك أن لزكي مبارك الحق في هذا الاعتداد فقد قضى حياته الأدبية الطويلة عاكفاً على القرطاس.. وقد ألّف مئات الألوف من الصفحات... في عشرات من المجلدات والكتب.. وتقدم للجامعة ثلاث مرات برسائل للدكتوراه... وكان يتأهب للدكتوراه الرابعة.. قبل أن يوافيه الأجل.

وقد فضل نفسه بالدرس، أيامه وليالاه، حتى حالت بينه وبين اقتناص الفرص الشوارد.. «وقد يمضي الصيام ولا أعرف طعم السهر في مقاهي القاهرة..» وسجل غير مرة انه لم يعرف الاجازات في صيف ولا شتاء.. ولا يذكر انه انقطع عن

---

(١) يقول زكي مبارك «وأدق ما يصل بيننا من الذكريات ما وقع بيني وبين طه حسين يوم ظهر كتاب الشعر الجاهلي وثارت الأمة والحكومة والبرلمان، وكان أصدقاؤه وزملاؤه من خائف يترقب وحاسد يدرس، وكنت وحدي صديقه الذي لا يهاب رميله الذي يحرن».

(٢) كتب في الرسالة ١٩٤٣ تحت هذا العنوان قال «كنت ألذي أكثر الوقت في تحرير كتاب الاخلاق عند الغزالي ثم ذكر انه حمل على الغزالي لانه اعتزل المجتمع السياسي وابتعد عن الضجيج.. ثم مرت الأيام وامعن فيها الدهر بعد الخروج فعرفت أن الغزالي لم يكن من الجبناء ولم يكن من المكذبين».

﴿قبس من ضياء﴾ كنت في مطلع حياتي الأدبية ، وأنا في الريف ، أتلمس السبل ، وأحاول أن أصل نفسي بأحد الأدباء في القاهرة كانت الصحف — واخشى أن أقول لا تزال — تعرف الوجوه قبل أن تعرف الانتاج . .

وقد أرسلت الى الكثيرين من الكتّاب والأدباء والصحفيين ، فلما لم يجبني أحد ، وقعت نظري هذا الكاتب المصارع في « البلاغ » وهو يهاجم الكتّاب في عنف . أعجبني أسلوبه الربني في الأدب . . ، فقد كنت شبيهاً به . . ومعه .

فأرسلت إليه . . وأردت أن أثيره فقلت له إنني سأقدم على الانتحار اذا لم ينتصف لي . . فكتب اليّ كتاباً فتح أمامي أبواب الحياة الأدبية على مصراعيها . . ودفعني الرجل الى مداومة الدرس والمطالعة والمراجعة . . ووجهني توجيهاً كان بعيد الأثر في حياتي الأدبية كلها . .

والحق إنني قد أُعجبت بانتاج الرجل وآثاره الأدبية كل الاعجاب ، فقد وجدته قريباً إلى نفسي ، وأحسست بامدائه تزدّ في اعماقي ، فلما لقيت الرجل عجبت من مدى الفارق بين قلمه الثائر وشخصيته الهادئة وصدقت ظه حسين حين يصفه بأنه الكاتب الذي يكتب وعلى رأسه « عفريت » . . فاذا جلست إليه ألفيته متواضعاً لا تبدهك منه عبقرية ولا لباقة ، فاذا خلا الى قلمه لبسته روح جديدة . . ، روح الوجداني الرقيق المشبوب الحس . .

﴿الوفاء ورعاية العهد﴾ وأبرز صفات « زكي مبارك » الوفاء النبيل ورعاية العهد . . وله في هذا قصص مشهورة :

عندما أخذ يصحح كتاب « الكامل للمبرد » ، وكان قد صححه قبل ذلك استاذه سيد علي المرصفي . . قال في مقدمة الكتاب « تلقينا شرح الكامل من أستاذنا وصاحب الفضل علينا سيد بن علي المرصفي ، وهو أفضل رجل عرفناه في الأزهر الشريف . فان رأى القارىء تصحيح بعض أغلاط الشيخ ، فليذكر أننا لم نصل الى مؤاخذته إلا بفضل ما أُخذ عنه من أصول اللغة والبيان .

وظل طوال حياته يذكر فضل الاستاذ الكبير عبد القادر حمزة باشا عليه . . لأنه أعانه على أن يواصل دراسته في باريس . وكتب في مقدمة كتابه ذكريات باريس يقول : « إلى الرجل الذي وصل جناحي وراش سهمي . . »

ومن آيات وفائه انه وقف وجده الى جانب الدكتور طه حسين يوم عزّ الدنيا رسالته

تنسى آثاراً قوية لا سبيل الى محوها أو تجاوزها ، أو الاغضاء عنها ، وأنا أكتب عن الرجل ، فقد لفت نظري إليه بصورة قوية ، وانا بعد في أول الشوط . . . فأقبلت على آثاره منذ ١٩٣٣ ، وظللت أتتبعه في يقظة وأراقب نفاذه الأدبي ، وكان مصارعاً أديباً يبعث على الاعجاب ، قد أوتي قدرة بالغة على التوسل واختراع المعاني وتشقيق الحديث.

كما ترك الكاتب آثاراً قوية ، لا سبيل الى محوها أو الاغضاء عنها في الأدب العربي المعاصر ، إنه كان يؤمن بأن الشجرة لا تحفظ الأيدي التي تتعهدها بالري والعناية واصلاح التربة . . ولكنها تحفظ اليد القوية التي تأخذ خنجراً وتحفر اسم صاحبها على ساقيها بالنحت والتكسير في غلافها .

وكذلك كان زكي مبارك كما يقول الأستاذ الزيات من المجاهدين القلائل الذين شقوا طريقهم من الحياة بالقوة ، وأخذوا نصيبهم من المعرفة بالجد ، وأحلوا أنفسهم محلهم اللائق بالصراع .

وهو أحد الأدباء الذين لم يقم مجدهم الأدبي على الحظ ، وان كان الحظ قد وقع في حساب فهو الحظ المنكود ، لأنه تعلم بكدح قلمه وتقدم بفضل جهاده ثم كانت الظروف التي تساعد غيره تلح عليه بالنكران والحرمان من غير هوادة ، ولو استطاع زكي مبارك أن يتملق الظروف ويصانع السلطان ويحذق شيئاً من فن الحياة لانتى كثيراً مما جرّته عليه الفحولة وحضارة الصراحة »

« رفض السياسة » والحق أن مبارك حرص على ألاّ يعمل في الحقل السياسي كما فعل طه والعقاد والمازني وهيكل . . ووهب نفسه للأدب وحده . . وكان ذلك سبباً في أن يتخلف زكي عن غيره . . وان تظل وسائله في التفكير والتعبير ، تلك الوسائل الصريحة التي يعدها رعاة المتأنقون بعيدة من الكياسة والحصافة وهو يقول « إنه بفضل التحزب المستور لمعت في عالم الأدب أسماء كانت أهلاً للخمول لو واجهت الحياة الأدبية بلا سناد من الأصدقاء والحلفاء . كان زكي مبارك يؤمن بأدب القوة ، ويؤمن بالصراحة ، وكان وفيّاً غاية الوفاء . فيه طبع الفلاح . . الذي لم تصقله المدنية والحضارة . . . ولم تصرفه عن سجيته بالرغم من انه عاش في باريس واتصل بكبار المفكرين والأدباء وقادة الرأي . بل إن الدكتور مبارك كان يفاخر دائماً بأنه فلاح لا يؤذيه النوم فوق الأرض الجرداء ، وكان يعتد بأن يعود الى صحبه النفاس والعرات . . . إذا لم ينصفه النقاد والباحثون .

زكي مبارك

حياته من أدبه

للاستاذ انور الجندي

يقول « زكي مبارك » ... « يجب أن نتمثل من نترجم لهم كأنهم أحياء ، نفترض أنهم يملكون حق العتب والملام ، فان كان المترجم له رجل عرف في حياته بقوة الراس والاستهانة بالقيل والقال ، صح لنا ان نكتب عنه في طلاقة وحرية ، وان كان رجلاً عرف في حياته بالتحرز من المعارك الأدبية ، وجب أن نكتب عنه في رقة ولطف كأنه حي يؤذيه الهجوم »

. . فأي الرجلين زكي مبارك ؟ . إنه لا شك من الصنف الأول ، إن الأدب المصري المعاصر لم يشهد أديباً في قوة براسه أو جرأته في النقد ، ولهذا حق لنا أن نكتب عنه في صراحة . .

قضى زكي مبارك وانقضى الى ما قدم ، وأصبح « فكرة » في عالم الأدب ، وذكرى في عالم الادباء . . . ، وحق لنا الآن أن نكتب عنه متجردين من كل شيء ، من الحب والاعجاب أو الخصومة والحقد . . ، فقد انتهت هذه جميعاً بعد أن ذهب الكاتب الكبير ، وانتهى عمله

وإني قبل أن أبدأ البحث ، أهيئ القارىء من أن يدخل في حسابه تلك الفصول التي كان يكتبها في أيامه الأخيرة في جريدة البلاغ خلال الخمس السنوات الأخيرة .

. . ذلك اني أعتقد أن حياة الرجل الأدبية قد انتهت سنة ١٩٤٦ على أكثر تقدير بعد أن دخل في مرحلة « التمايم » للعقدة النفسية الضخمة التي ساقته الى أن يقاس تلك الوحشة الغيبية القاسية التي أغرق فيها أخيراً ، بعد أن انصرف من التأليف والانتاج . .

« لغة القوة » ولست أشك في لغة القوة ان الكاتب « الوجداني » قد ترك في

اذنابها . وظهر مذنبان جديدان أحدهما يسير قريباً من الشمس ثم يبتعد عنها في مدار يتم في سنتين وثلث من السنة . والآخر يتجه الآن في سيره نحو الشمس

ولو أن المجرات التي تؤخذ صورها بمنظار «شميت» تبدو صغيرة جداً إلاّ أنه عندما يعاد تصويرها بالمنظار الكبير ثم يشرع في تكبيرها ترى تامة الوضوح بكل دقائقها .

ويعتبر تصوير المجرات الجديدة بالمنظار الكبير خطوة موفقة نحو حلّ أحد رموز الكون الخطيرة. أما المجرات المعروفة من قبل والضارب لونها الى الحمرة فهي منطلقة بعيداً عنا بسرعة كالطلاق شظايا القنبلة المتفجرة . ويتساءل بعضهم ، هذا هو شأن سائر المجرات في الكون وهل جميعها منطلق بشدة الى الخارج . أو أن بعضها ثابت في مكانه . أو أن بعضها متجه نحونا . كل هذا وغيره من المسائل يؤمل الفلكيون أن يجدوا لها أجوبة إذا التصوير يمكنهم مراقبة طائفة منها وتتبع سيرها وحركاتها وذلك باعادة تصويرها مرات متوالية .

ويتملك الواحد منا شعور عميق بالروعة والاعجاب لدى مشاهدته لكل من منظاري «شميت» والمنظار الكبير ذي العدسة البالغ قطرها ٢٠٠ بوصة . كل يقوم بحركته بضبط واحكام في كشف أغوار السماء . [للبحث بقية]

هذي الحيـاة

هذي الحياة خيال من مظاهرنا ... أيامنا فيه من بيض ومن سود

رمزٌ إلى قدر ما زال يسحبنا ... فوق النجود ومن بين الأخاديد

هذي الحياة ضروب من مشاعرنا ... بثها الأفق في شجو وتغريد

حيناً يردده باكٍ على أملٍ ... أو تارةً باسمٌ في شدو غرّيد

ألحانه من صميم القلب مصدرها ... طوراً وآونةً من نفس معمود

هذي الحياة فنون من مصايرنا ... تجري مقدرةً كالماء في العود

(عاد) شكري محمد عياد

كروي أو اهليلجي وما عجرتنا إلا احدى تلك المجموعات وهي مستديرة ومفرطحة وذات أطراف لولبية . ويظن أنها تشتمل على ما يقرب من خمسة ملايين نجم مع كل ما نشاهده في الجو من غيوم متكاثرة وغبار وغازات . وتقع شمسنا منها في نحو ثلثي المسافة من مركزها الى الحافة . وتدور أرضنا حول الشمس . وتتحرك الشمس ضمن هذه المجموعة العظيمة التي تدور حول نفسها كالعجلة ببطء . وان ما نشاهده كالطريق الأبيض المستطيل في السماء ان هو الا الضوء المتكاثف للكواكب التي بين الأرض وحافة هذه العجلة الكبيرة .

ولا يعتمد الفلكيون الآن على رصد الكواكب بالمناظير بل على رؤية صورها الفوتغرافية المأخوذة لها . لأنها تسجل أقل الأجسام الكوكبية ضوءاً مما قد لا تدركه العين بمعاونة المنظار . وبذا أمكن اكتشاف عدد كثير من الأجسام السماوية من مختلف الأنواع . حتى ان صورة واحدة من هذه الصور الفوتغرافية ظهر فيها ما يقرب من خمس عشرة ألف الى عشرين ألف مجرة كبيرة خارج نطاق مجرتنا في الفضاء البعيد المدى . وكأن كلا منها جزيرة قائمة بذاتها وبها مئات الملايين من الكواكب . كما ظهر في هذه الصور الكثير من المجرات الصغرى وكل منها يتألف من بضعة ملايين قليلة — لا مئات الملايين — من الكواكب التي لا عهد لنا بها من قبل .

ولقد اكتشفت لمجرتنا جارتان . هما مجرتان صغيرتان كل منهما ذات شكل اهليلجي ظهرتا في الصور المأخوذة بمنظار « شميت » . إحداهما هي أصغر مجرة أكتشفت لأن قطرها لا يتجاوز ألف وخمسمائة سنة نورية . وهما يبعدان عن أرضنا بنحو ٦٥٠٠٠ سنة نورية . وهو بعد غير سحيق كثيراً ، حتى انه أمكن تمييز أكثر من مئتي نجم من أشدها لمعاناً .

والأمل معقود بحل الكثير مما أشكل فيه بعدد النجوم المتغيرة في مجرتنا . وهي التي يسطع نورها فجأة بضياء شديد يبلغ مئات الملايين من المرات من قوة ضوئها الأصلي . وقد تبقى على هذه الحال بضع ساعات بل أياماً .

والتقطت الآلة الفوتغرافية من الكواكب الثانوية التي تدور حول الشمس ما يعد بالعشرات وهي التي كان يعتبرها الفلكيون الأوائل بأنها بقايا لكوكب قديم كان مداره بين كوكبي المشتري والمريخ قد تهشم فتناثرت أجزاؤه لأن معظمها كان يدور فيما بين الكوكبين المذكورين . أما وقد ثبت وجود الكواكب الثانوية بأطراد في نطاق النظام الشمسي ، فقد عدل عن هذا الرأي وحل محله الرأي القائل بأنها قد تكون أجساماً صغيرة هي حطام نوراني سديمي قديم مما تتكون فيه الكواكب . أو انها قد تكون مذنبات قديمة فقدت

عليهم حله الى الآن . مع العلم بأن كل ما استطاع الفلكيون تصويره الى الآن لا يعدو بضع مجموعات صغيرة من الكائنات البعيدة المنثورة في الفضاء ، وجملة ذلك لا تزيد على واحد في المائة مما يحيط بنا .

أقيم المنظار الشهير ذو العدسة البالغ قطرها ٢٠٠ بوصة على قمة جبل «بالومار» وهو في مركز الرصد المذكور الذي به يمكننا رؤية كائنات سماوية بعيدة عنا بعداً صحيحاً مما قد استغرق ضوءها مليار سنة حتى وصل إلينا .

ومنه أيضاً منظار آخر عجيب الا وهو « بيجر شميت » ليست له شهرة صنوه السابق لكنه قوي ومن نوع جديد له ما للمنظار الأول من الأهمية أو يزيد . وهو المستخدم الآن في رسم السماء . وقد أطلق عليه اسم مخترعه « برنار شميت » Bernard Schmidt . وهو عبقري من أهل المانيا . واضع لمناهج حديث في علم البصريات عظيم الأثر لا للفلك فحسب ، بل أيضاً للرؤية من بعد « تليفزيون » ولمبارات الأشعة السينية X rays

فمنظار « شميت » السالف الذكر ما هو في الحقيقة إلاّ آلة تصوير ذات زاوية واسعة يؤدي عملاً لم يكن مستطاعاً قبل اختراعه ، إذ تؤخذ الصور لمساحات كبيرة جداً غاية في الوضوح والجلاء إلاّ أنه لم يبالغ في الكشف البعيد المدى إلاّ بحوالي ما بلغه المنظار الكبير .

وسيتم تصوير ثلاثة أرباع السماء المنظورة من فوق قمة جبل « بالومار » بمنظار « شميت » في مدى أربع سنوات . بينما أن عملاً كهذا يستغرق خمسة آلاف سنة لو استخدم في ذلك المنظار الكبير الذي ميزته الكشف عن اجرام بعيدة منها ما يصل الينا نورها في نحو مليارَي سنة ضوئية (مع العلم بأن سرعة الضوء هي ١٨٦٠٠٠ ميلاً في الثانية) .

وكما ونحن مغمورين في هذا الظلام الشامل والسكون الرهيب والنجوم مائة فوق رؤوسنا بلا لأي فيها البهي في قبة السماء السوداء كقطع الماس يخيّل الينا أننا نكاد نلمسها بأيدينا . وأن فيها أرواحاً تناجينا . ولكنه الخيال . يقرّب ما كان بعيداً . منظر ملك علينا مشاعرنا حتى خلنا أن الأرض انما هي رسم ولا جسم ، ووهم ولا حقيقة .

ويقيس الفلكيون المسافات بالسنين الضوئية . فالمسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة تساوي على وجه التقريب ستة ملايين مليون من الأميال

ويقدرون عدد المجموعات الكوكبية الهائلة المنتشرة في السماء وكأنها جزر في محيط لا نهائي بنحو مائة مليون مجموعة مؤلفة من نجوم وغبار وغازات تعرف بالسدم او المجرات . ويأخذ بعضها أشكالاً مفرطحة مستديرة ذات تنوءات لولبية وبعضها الآخر ذو شكل

خرائط مساحية[1]

للكون المجهول

للأستاذ أمين عبده

روى صاحب المقال الحديث التالي فقال :

في ليلة وقد أرخى الليل سدوله على جبل « بالومار » بكاليفورنيا . ومحت آية الليل آية النهار . وتوارى منظر الجبل عن الأبصار ولم يبق إلا بصيص من الشفق عالقاً بالأفق الغربي . على قمة هذا الجبل المنعزل البالغ من الارتفاع ستة آلاف قدم ، أقيم أعظم مركز للرصد ولكشف مجاهل الكون المترامي الأطراف الفسيح الارجاء وكان واقفاً الى جانبي في سكون هذا الليل المستر « البرت ويلسون » الفلكي يتطلع الى السماء ذات البروج بعين الفاحص الخبير وقد سكنت الريح سكوناً تاماً وصفا الجو فلم يكدره أي سحاب أو ضباب.

فسألت رفيقي ما هدفك في هذه الليلة . فأشار الى ما فوق رأسينا وقال . هدفي هو تلك البقعة من السماء ، ثم اردف قائلاً وسنبدأ العمل على أثر انقشاع هذا الشفق . وآمل أن تحظى « بصيد وفير في هذه الليلة » . وسنجوس خلال الكون المجهول للقيام بعمل جليل وفتح جديد لم يتح لفلكي من قبل أن يقوم بمثله . ذلك هو عمل خريطة عظيمة للكون لا نظير لها على الاطلاق . ولئن كانت لن تشمل الكون كله - إذ لا يستطاع بلوغ تلك الأمنية ، فهي على كل حال ستفوق سابقاتها اضعافاً مضاعفة وذلك بالتصوير التلسكوبي إذ يمكن تصوير ثلاثة ارباع الاجرام السماوية التي على بعد ألفي مليار مليار ميل منا في المتوسط . وسيكون في إمكاننا بهذا المنظار ادراك بعض الاجرام الضئيلة الضوء التي سلخ نورها من الزمن نحو ثلاثة ملايين من السنين أو يزيد حتى وصل إلينا . وستفتح هذه الخريطة للفلكيين آفاقاً جديدة لارتياد مجاهل أبعد مدى في مناطق نائية في رحاب الفضاء . وتتيح لهم فرصاً كثيرة لمحاولة حلّ الكثير من الغاز الكون ومعمياته مما استعصى

(١) مترجمة عن الانجليزية بتصرف — بقلم المستر باروز ف كولتون Barrows F Colton

واعتذر الباقلاني عنهم بأنهم انما كانوا يميلون الى الذي يجمع الغريب والمعاني [١] ، واعتذر ابن رشيق بحاجتهم الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون [٢] .

ب – وطائفة أخرى من النقاد حكموا الذوق الأدبي وحده في الشعر وحكموا بالتفضل لمن يستحقه جاهليًا كان أو إسلاميًا أو محدثاً كالجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن رشيق [٣] ، ونقد ابن المعتز تعصب العلماء على المحدثين لغير سبب [٤] ، وفضل خلف لامية مروان على لامية الأعشى [٥] ، ويشرح الجرجاني والباقلاني مذهبهم في النقد [٦] .

حـ – وطائفة أخرى حكمت الثقافات الحديثة في النقد كما فعل قدامة في نقد الشعر ، ومن هؤلاء جماعة من الكتاب تصفحوا في نقد الشعر ومناهجه ولا سيما بعد اطلاعهم على ترجمة كتاب أرسطو في نقد الشعر الذي نقله أبو بشر من السريانية إلى العربية [٧] .

ولاختلاف مناهج النقاد في نقد الشعر كان الشعراء يتشددون في طلب العدالة الأدبية من النقاد حين يعرضون ما نظموه من شعر عليهم كما فعل ابن مناذر م ١٩٨ هـ ، فقد أنشد أبا عبيدة قصيدته في رثاء عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي [٨] :

كل حي لاقى الحمام فودى ما لحي مؤمل من خلود

وهي التي عارض بها قصيدة أبي [٩] زبيد الطائي :

إن طول الحياة غير سعود وضلال تأميل طول الخلود

فقال له : احكم بين القصيدتين واتق الله ولا تقل ذاك متقادم الزمان وهذا محدث متأخر ، ولكن أنظر إلى الشعرين واحكم لأفصحهما وأجودهما [١٠] .

وفي العصر الثاني كفّ الخلفاء عن شد أزر الشعراء بالصلات ، لغلبة الترك على أمور الدولة وضعف الخلفاء واضطراب الحياة السياسية ، ولأن الدعاية السياسية خرجت كلها أو جلها من أيدي الشعراء إلى أيدي الكتاب والدعاة .. ولتوزع العناية بين الشعر والعلوم الحديثة ، ولكثرة الشعر والشعراء ، ولغلبة المنافسة على الشعر مما رجّح صفة النديم على صفة الشاعر ، ولغلبة المطالبة بالمدح والذم حين استشعر العمران وشاعت الاباحة والمجون .. فلم يعد الشعر طريقاً إلى الحياة ، ووسيلة للعيش ، كما كان في العصر الأول ، الذي أغدق فيه الخلفاء والوزراء والأمراء على الشعراء بأنفس الجوائز والصلات [١١]

---

(١) إعجاز القرآن ١٠٠ و ٢ العمدة ٢٣ ج ١ (٣) الحيوان ٤٠ ج ٣ ، الشعر والشعراء ٧ و ٨ ، الكامل ١٨ ج ١ ، العمدة ٧٤ ج ١ (٤) أخبار أبي تمام ١٧٥ وما بعدها ، رسائل ابن المعتز ١٤ (٥) الدقائق ٢٠٢ ج ٣ (٦) الوساطة ٣٧ وما بعدها ، إعجاز القرآن ١٠٠ ، ١٧ زيدان ١٥٧ ج ٣

(٨) راجعهما في الكامل للمبرد ٢٨٨ و ٢٩٠ ج ٢ ، وللمبرد شديد الاعجاب بـ (٢٨٨ ج ٢ الكامل) (٩) راجعها في ٢٨٦ وما بعدها جمهرة أشعار العرب) (١٠) ١١ طبقات الشعراء لابن المعتز (١١) راجع اعتماد الخلفاء على المدح في ١٥٨ — ١٦١ — ١ النقد التحريبي

شعراً له وهو لا يعرفه قائله فأعجب به إعجاباً شديداً وكتبه فلما علم أنه لابي نواس أنكره [١] ، وكان يستشهد في كتابه النوادر بكثير من أشعار المحدثين ولعله لو علم بذلك ما فعله [٢] ، وكان يقول : ختم الشعر بابن هرمة [٣] ؛ وكان الاصمعي يقول : ختم الشعر بالرماح [٤] ، وقال : بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم [٥] ؛ وكان أبو حاتم يعيب شعر أبي تمام [٦] .

ومنهم اسحاق الموصلي الذي كان في كل أحواله ينصر الأوائل ، وكان شديد العصبية لهم [٧] ، فتعصب على أبي نواس [٨] ، وطعن على أبي العتاهية [٩] ، وكان لا يعتد ببشار ويقدم مروانا عليه [١٠] ، وسمع أبي تمام ينشد شعراً له فقال يا هذا لقد شددت على نفسك [١١] ، ومع ذلك فقد كان إنتاجه الأدبي لا يرضى طبقة النقاد التي احتذى حذوها وذلك لأنهم يرونه محدثاً كما فعل الاصمعي معه حين استحسن بيتين أنشدهما اسحاق له فلما علم أن اسحاق صاحبهما طعنهما [١٢] ، ولم يكن تعصب اسحاق للقدماء في الأدب وحده بل كان كذلك في الغناء أيضاً فكان زعيم طائفة تنكر تغيير الغناء القديم وتعظم الاقدام عليه [١٣] .

وكان المأمون — رغم ثقافته الواسعة — يتعصب للأوائل من الشعراء ويقول : انقضى الشعر مع ملك بني أمية [١٤] ، ودخل عليه أبو تمام في زي اعرابي فأنشده فجعل المأمون يتعجب من غريب ما يأتي به فلما انتهى إلى قوله :

هن الحمام فان كنت عيافة من حائهن فانهن حمام

فقال المأمون : الله أكبر كنت بالامس قد خلطت عليّ الأمر منذ اليوم وكنت حسبتك بدوياً ثم تأملت معاني شعرك فاذا هي معاني الحضر يين وإذا أنت منهم فقضى له ذلك عنده [١٥]

ومثل ذلك التعصب القديم موجود في الآداب الاخرى فقد كان هوراس الشاعر الروماني يرى أن شعراء اليونان هم النماذج التي يجب أن تدرس ليلاً ونهاراً ، قال الشعر ينبغي أن ينظم كما كانوا ينظمونه [١٦] .

(١) راجع ٢٨١ ج ١ زهر (٢) أخبار أبي تمام للصولي ١٧٧ (٣) العمدة ٧٣ ج ١
(٤) البيان ١٩٧ ج ٣ (٥ الاغاني ٢٠ ج ٣ (٦) المرشح ٣٠٤ (٧) أخبار أبي تمام ٢٢١
(٨) راجع ٢٦٣ و ٢٦٤ من المرشح ؛ الاغاني ٢٨ — ٣ (٩) مرشح ٢٥٨
(١٠) الاغاني ٢٨ ج ٣ (١١) ٨ الموازنة ، وترى برواية أخرى (٣٢٧ المرشح)
(١٢) الوساطة ٥٠ ، الموازنة ١٠٠ (١٣) الاغاني ٣٥ ج ١٤٢٩) ديوان المعاني ٣٦٢ ج ١
(١٤) ديوان المعاني ١٢ ج ٢ (١٥) قواعد النقد الادبي ص ١٠١ وما بعدها

الشاعرين [١] ، وفيها يقول البحتري :

كانتمرنا حدود منطقكم في الشعر يغني عن سفله كذبه
ولم يكن ذو التسرّوح يلهج بالمنطق ما نوه وما سببه
والشعر لم تكفي إشارته وليس بالهذر طوّلت خطبه

وقبل ذلك قال أبو تمام في الحسن بن وهب :

لم يتبع شنع الكلام ولا مشى مشي المقيد في حدود المنطق
في هذه خبث الكلام وهذه كالسور مضروباً له والخندق

٥

وكذلك انقسم نقاد الأدب وعلماؤه طبقات :

١ — فطائفة من النقّاد تقف إعجابها وتقديرها على الشعر القديم ، وتزري بشعر المحدثين وتهجم لما فيه من إسفاف وإغراق وإحالة ونقص طبع وتفاوت نفس وتباين ملكات ؛ — وهم علماء الأدب واللغة الذين تثقفوا ثقافة أدبية وعربية خالصة ولم يتزودوا بزاد آخر من الثقافات الحديثة .

ومن هؤلاء : أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ هـ وكان أعلم الناس بالعربية وجلس إليه الأصمعي عشر سنين فما سمعه يحتج ببيت إسلامي [٢] وكان يقيم الموازنة بين الشعراء على أساس عصورهم، لا على أساس شعرهم حتى قال: «لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً [٣] » ، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا إليه وما كان من قبيح فهو من عندهم [٤] ، وكان كما يقول ابن سلام في طبقات الشعراء : أشد الناس تسليماً للعرب .

ومنهم ابن الاعرابي م ٢٣١ هـ ، وكان يزري بأشعار المحدثين ويشيد بشعر القدماء [٥] فكان يقول في شعر أبي تمام : « إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطل [٦] » وأنشده ابن الطوسي أرجوزة لأبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل فاستحسنها وكتبها فلما علم أنها لحبيب قال خرقوها [٧] ، وكان ابن الاعرابي يعيب شعر أبي نواس فأنشده رجل

(١) راجع هذه المعارضات في ديوان البحتري ٣٢ — ٣٨ / ١ (٢) الشعر والشعراء ص ٤٧ ، البيان والتبيين ٢٠٩ / ١ ، العمدة ٢٣ / ١ (٣) تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ١٠٥
(٤) العمدة ٢٣ / ١ (٥) الموازنة ٨ ، الموشح ٣٠٤ ، أخبار أبي تمام ٢٤٤
(٦) التصحيف والتحريف ٨٥ ، المثل السائر ٣١٥ ، أخبار أبي تمام ١٧٥ ، ص ٤٥ وما بعدها من المقدمتين ، رسائل ابن المعتز ١٣ ، الموازنة ١٠ ، وراجع ٥٠ وما بعدها من الوساطة

الشعر العربي
في القرن الثالث الهجري
— ٢ —

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

المذاهب الأدبية العامة في فن الشعر في القرن الثالث الهجري يمكن إرجاعها الى مذهبين :

فطائفة من الشعراء قد احتذت حذو القدماء ، فهي لا تسير في سبيل التجديد الذي في الشعر إلا بمقدار ما يتلاءم مع الروح العربية ، فظلت على النهج والصياغة القديمة ، ومنهم : أشجع ، ومروان بن أبي حفصة م ١٨٢ هـ ، ودعبل م ٢٤٦ هـ ، وعلي بن الجهم م ٢٤٩ هـ ، والبحتري م ٢٨٤ هـ ، وسواهم

وطائفة مالت الى التجديد : كبشار م ٦٧ هـ ، وأبي نواس ١٤٥ — ١٩٩ هـ ، والعتابي م ٢٠٠ هـ ، ومسلم م ٢٠٨ هـ ، وأبي تمام م ٢٣١ هـ ، وابن المعتز .

ويرجع ذلك إلى التفاوت بين الشعراء في الثقافة والتفكير والعقلية :

فالطائفة الأولى تثقفت بالثقافة العربية وحدها فسارت في مذاهب الشعر وفنه وأخيلته ومعانيه على المنهج القديم .

والطائفة الثانية تثقفت بالثقافة العربية وبالثقافات الحديثة ودعت إلى أن يكون الشعر فناً يصور عن هذه الثقافات جميعاً ويوزن أسلوبه بميزان العقل والمنطق الدقيق.

وكان بين الطبقتين نضال أدبي واسع تمثله المعركة الأدبية التي نشبت بين البحتري وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر م ٣٠٠ هـ والتي نجد أخبارها في المعارضات التي قامت بين

عما تذيعه الصحف الأمريكية .

وبرهانهم على هذا الاعتقاد أن صنّاع الطائرات هناك قد صنعوا من الطائرات النفاثة قاذفات للقنابل ، ومقاتلات نفاثة ، أكثر مما صنعته أية دولة كانت من دول العالم ، سوى روسيا . وهي الدولة الغريمة التي لا يعرف الناس إلاّ القليل من تصرفاتها .

ويسود بعض الدوائر الأمريكية الفنية المختصة بالطيران اعتقاد بأنه ستصنع طائرة أمريكية نفاثة جديدة لنقل الركاب والبضائع ، وذلك في خلال خمسة وجيزة نسبيًّا تتراوح بين ١٨ شهراً وعامين منذ الآن . وذلك متى تيسر المال اللازم لصنعها .

والمعروف أن شركتي لوكهيد Lokheed وبوينج الأمريكيتين ، وهما اللتان اشتهرتا بواسع خبرتهما في صناعة الطائرات التجارية والحربية ، قد اخترعتا مقالات نفاثة جوية مدنية . وذلك قبل نشوب الحرب الكورية الحالية . وهي من طرز تشبه النماذج الحربية التي تقوم حالياً بصنعها . وستعبر هاته الطائرات النفاثة المريحة المحيط الاطلنطي في خمس ساعات أو ست ساعات حاملة أوساقاً مريحة .

فلا مناص إذن من الاعتراف بالواقع . وهو إن البريطانيين قد سبقوا الأمريكيين في هذا المجال بانشائهم طائرة نفاثة تجارية لنقل الركاب والبضائع . وهي التي ستقوم قريباً برحلات نظامية لأداء هذه الخدمة . ولكن هذا الحادث لا يزعج صناع الطائرات الأمريكية ولا يفتّ في عضدهم أبداً .

والبرهان على هذا أن شركات الولايات المتحدة الأمريكية في وسعها صنع الطائرات اللاروحية لنقل الركاب والبضائع . وذلك بما لديها من التسهيلات الجوية الواسعة النطاق ، عندما تزول العوائق الاقتصادية وغيرها من الأسباب الحائلة دون التنفيذ وحينئذ ستظفر البلاد الأمريكية بالفوز على الآخرين في الخطوط الجوية الدولية التجارية .

(مترجمة من مجلة خلاصة العلم الانجليزية)

وذلك بوسيلتين . هما محرك التربوبروب ومحرك التوجت . أو بطريقة واحدة مباشرة هي التوجت أي التربين الغازي ولم يلبثوا أن اختاروا هذا الطراز الأخير ، غير أنهم في الوقت ذاته إستقر رأيهم على موصلة استعمال محركات التربوبروب ، في نطاق محدود . ولا يزال البريطانيون يفرقون الأمريكيين في ذينك الميدانين .

فاذا ما اعترض معترض أمريكي على أبناء جلدته قائلاً « وما دام المخترعون الصناع الأمريكيون يعتقدون بنجاح النقل بالطائرات ذوات المحركات التربينية في المستقبل ، فلم لا يبذلون قصارى جهدهم في اللحاق بالبريطانيين ؟ » والحقيقة أن لدى الأمريكيين أسباب تحملهم على الاستهانة بنجاح البريطانيين في هذا المجال . أما الخبراء الأمريكيون الذين يثقون بأن بلادهم ستتقلد المنزلة الأولى في نقل الركاب جويًا — فهم قلائل . وعدا ذلك فان لشركات الخطوط الجوية الأمريكية ثلاثة بواعث على الأقل ، تحول دون اقدامهم عاجلاً على اقتناء عدد كبير من الطائرات النفاثة التي تصنعها مصانع بلادهم .

أولها — تشير أموالهم حالياً تشميراً عظيماً في الطائرات التي تسير بالمحركات المكبسية . وقد أقتنت حديثاً أو ستقتني قريباً معظم شركات الخطوط الجوية أساطيل ضخمة من الطائرات الحديثة ذوات الطرز المألوفة . وهي طائرات جيدة . وهؤلاء يقولون « ليس من الحكمة التسرع في احتقار الطائرات التي تساوي كل منها مليون دولار أو أكثر ، ما دام تفضيلها يعود بربح يذكر .

وثاني الأسباب . هو فداحة النفقات التي يقتضيها اختراع طائرة نفاثة جديدة لنقل الركاب والبضائع . لأن انتاج طائرة واحدة منها ، أصلية الطراز — يكلف صانعها أو صاحب الخط الجوي الذي يود شراءها ، ثمناً باهظاً . ولهذين السببين يطلب معظم المخترعين ، الى الحكومة الأمريكية الفيدرالية ، على الأقل ، تحمل بعض النفقات التي لا يقوون على انفاقها تشبهاً بما تفعله الحكومتان البريطانية والكندية .

أما ثالث الأسباب فهو : — استغراق برنامج الدفاع الأمريكي الوطني لمعظم أوقات الفنيين ، واستهلاكه لأدوات صناعة الطائرات ، وشغله لمهرة الصناع واستنفاده لمجهوداتهم القيمة ، استنفاداً حرم المصانع المدنية للطائرات ، من نتائج أعمالهم الفنية . ومع ذلك يرى المطلعون على الحقائق ، أن النقات الأمريكيين في فن الطيران ، مصرون على رأيهم . وهو إن شركات الولايات المتحدة الأمريكية ، لن تتقاعس أبداً تقاعساً طويلاً ، خلف الشركات البريطانية في اختراع الطائرات النفاثة الخاصة بنقل الركاب والبضائع . وذلك كما يستدل

عن هذا السؤال هو : — يرجع تفوق الولايات المتحدة الأمريكية في هذا المجال ، إلى الأسباب الآتي بيانها ـ : اتضح في نهاية الحرب العالمية الثانية الماضية ، أن النقل الجوي في نطاق واسع حول الكرة الأرضية بأجمعها ، لا بدَّ أن يرتقي الى الأوج وينجح نجاحاً عاجلاً في أي زمن كان من أزمان السلم وكان النقل الجوي للأدوات الضرورية والذخائر الحربية ، والموظفين والمستخدمين ، حول العالم في بضعة أيام ، في خلال الحرب العالمية السابقة ، خير معلم تلقنت عنه الدول التجارية والبلاد المختصة بالسياحات ، دروساً قيِّمة في هذا الصدد .

وكان بديهيًّا أيضاً أن دولة الولايات المتحدة الأمريكية ، كابدت حينئذ ضغطاً قويًّا وقع على أعمال النقل الجوي التجاري فيها . وبما أن تلك البلاد ذات أرجاء نائية ، فقد تخصصت في اختراع الطائرات الكبيرة البعيدة المدى

ويعترف المطلعون أن خبرة أهاليها ، وسندهم من التدريب والثقافة في ذلك الميدان ، كانا أعظم منهما في بلاد بريطانيا ، على ما للمملكة الأخيرة من الطرق التجارية العالمية .

زد على ما تقدم ايضاحه أن الأمريكيين قاموا باختراع معظم أقوى المحركات ذوات الكباسات التي تبرَّد بالهواء . وهي التي يعول عليها في أنحاء العالم .

وقد عمَّهم الحرب سالفة الذكر ، الوسائل التي تتيح لهم انتاج أكثر ما يعوزهم منها. وكانت الحكومة البريطانية حتى سنة ١٩٤٩ ، وهي السنة التي طارت فيها الطائرة « كوميت » المرة الأولى ، وتسلم الصحافة البريطانية آنفة ، بأن كل طريق من الطرق الجوية الكبرى التابعة للشركة البريطانية صاحبة الخطوط الجوية العالمية عبر البحار ، تطير فيه طائرات أمريكية ، ما عدا خطاً واحداً ، فكيف إذن تسنى للبريطانيين وهذه ظروفهم ، إيجاد الأسواق لتصدير طائراتهم التجارية إليها ؟

والجواب عن هذا السؤال : — إن بريطانيا جازفت في ذلك السبيل مجازفة كبيرة النيل غرضها إذ أقدمت على اختراع المحركات الخاصة بالطائرات النفاثة ، فنجحت فيها ، نجاحاً باهراً . ويعزى هذا التقدم من الجهة الأولى ، الى جمع مراكز تصميم الطائرات المقاتلة السريعة ، في دائرة واحدة . وذلك في غضون الحرب نفسها ، بغية وقاية جزيرتهم وحماية وطنهم من غارات قاذفات القنابل الألمانية التي كانت تنهال عليهم — وعلى هذا المنوال وجَّه البريطانيون همهم الى اختراع الرين الغازي .

فجعلوا يقيسون المزايا التي يحصلون عليها من تغيير المحركات ذوات الكباسات ، بغيرها.

الذكر بلا توقف في طريقها ، بحيث أصبحت هاته الرحلات لا تدر ربحاً يوازي نفقاتها .

وما يرح هذا العجز المالي ، حائلاً يحول دون منافسة الطائرات اللامروحية ، لغيرها من الانواع الاخرى التي تنقل الركاب والبضائع الى الاماكن البعيدة . ولا سيما عندما تحلق الطائرات النفاثة في الطبقات العليا من الجو حيث تقطع مسافات طويلة .

ويضاف الى ما تقدم ايراده ، أن سرعة الطائرات النفاثة ، ليست من المزايا المفيدة ، عند دنوها من المطارات ، حيث تهتز حول المطار ، وعند هبوطها فيه .

ومع أن بعض ربابنة هاتيك النفاثات ، يزعم أن كلاً منها تستطيع خفض سرعتها حتى تعادلها في الطائرات المروحية الحديثة ، نرى غيرهم يشكون في هذا الزعم .

والحقيقة أن الطائرة النفاثة العصيمة تهبط في مطارها بحماسة تقل عنها في الطائرة العادية . ويصرح فريق آخر من الربابنة الجويين القدين قادوا النفاثات فعند اعتبارها بنقد آخر . هو أن تلقي الاذاعات اللاسلكية على ارتفاع ستة أميال أو سبعة أميال فوق سطح الارض ، حيث تحلق معظم الطائرات المشار إليها بأقصى سرعتها ، لا يكون متقناً مثله في الطبقات الجوية التي تقل انخفاضاً عن ذلك الارتفاع ، حيث تصعد الطائرات العادية .

وأخيراً يقول المهندسون إن الطائرات النفاثة التي من طراز turbo-prop توربو بروب — وتربو جيت turbo-jet ذات محركات سهلة الادارة بالنسبة للمحركات ذوات الكباسات . إلا أنها لا تخلو من عقبات عويصة التذليل تتعلق بدرجات الحرارة العالية ، والضغوط العظيمة التي تحتاج إليها ولذلك يرى الخبراء أن أجود المحركات المستعملة في نوعي النفاثات سالفة الذكر ، لما تبلغ درجة المحركات المكبسية ، من وجهتي الوثوق بها ومتانتها .

وما أنفك العلماء والفنيون يبذلون قصارى جهودهم في التخلص من المساوىء المتقدم ذكرها أو تقليلها ما أمكن ، في الزمن المضروب . وكذلك عكف صانعو الطائرات النفاثة على حل مشكلة غزارة الوقود الذي تستنفده هاتيك الطائرات في رحلاتها الطويلة . ثم أعلنوا أنها وشيكة التنفيذ .

ولما كانت الولايات المتحدة الامريكية تعد حقيقة زعيمة الدول بأسرها ، في صناعة طائرات الركاب وتطييرها ، لذلك يتساءل المعترضون قائلين « لماذا إذن سبقتها البريطانيون والكنديون الى انشاء النفاثات الاولى التي تنقل الركاب والبضائع نقلاً منتظماً ؟ » والجواب

طائرات سريعة

تقطع المحيط الاطلنطي في خمس ساعات

— ٢ —

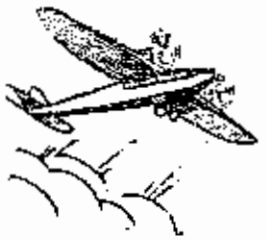

للأستاذ فوض جبيتدي

...ثم إن طريقة المحرك المكبسي تختلف اختلافاً بيناً عنها في التربين الغازي . ولكن في طراز التربين الغازي (وهو المستعمل حالياً في أكثر الطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل لدى القوات الجوية للدول العصرية) تستعمل الطاقة المحركة بطريقة تمثل القانون الثالث من قوانين نيوتن وخواه. « إن كل فعل يولّد ردّ فعل مخالفاً ومساوياً له » ولا شك أن كلاً منا قد شاهد البالونات المنفوخة الصغيرة التي يلعب بها الصغار ، ثم تنفجر وتنساب فتطير طيراناً مستديراً حالما يفلت منها الهواء . وهذه تكاد تكون القاعدة التي يدور عليها التربين الغازي ، إذ تحدث فيه الحركة الأمامية من الدفع الذي ينشأ عندما تفلت الغازات الساخنة المتمددة (وذلك من مشعلة الانفجار ، بتأثير الضغط) بوساطة أنبوبة خلفية ضيقة في مؤخرة الجهاز .

وقد أوضحنا من قبل أعظم المزايا للطائرات النفاثة المعدة لنقل الركاب والبضائع . ونعني بها سرعتها الفائقة ، وتجردها النسبي من الضوضاء والارتجاج وأول منافعها للناس تقريب البلاد النائية جداً . فأصبحت آفاق الكرة الأرضية التي تستغرق الرحلة الجوية إليها ، بالطائرات نفسها أكثر من يوم واحد ، قليلة العدد وثانية منافعها : تقليل وعثاء السفر الجوي الى أدنى حدّ . غير أنه يقابل هاته المزايا ، عدة مساوىء عالية .

وأوضح الأسباب الجليّة لفشل الطائرات النفاثة في أداء خدمتها ، هو فداحة الوقود الذي تستهلكه في طيرانها وهو الذي يضطرها إلى تقصير مدى طيرانها وتحديده . وبلغ من خطر كمية الوقود الذي تستهلكه الآن ، أن عجزت الموارد البريطانية والكندية ، عن احتمال نفقاته الجسيمة ، التي تتطلبها الرحلات البعيدة التي تقوم بها الطائرات سالفة

(٩)

كنتُ في حانة فسألتُ شيخاً عاقلاً عن مال من كان منهم
قال : « دعهم واشرب فما عاد منهم واحدٌ بيننا لينبيء عنهم ! »

(١٠)

فقتُ في عالم التفاق المآسي ، ولدى الحان كان كل عزائي
أرقبُ اليوم يوم قافلة السفر فأمضي بلا أسى أو رضاء !

(١١)

قيل إني عرّضتُ نفسي للسخر لأني أسيرُ نشوة خمري
ما دروا أنني تحاشيت عقلي — في لقاء أو في خداع — بكري !

(١٢)

لم أخيّر في مولدي ، ورحيلي لست أستطيع لحظة تأخيره
ولو انني لاخترتُ حالاً وساقيها وخلّفتُ للطليك سريره !

(١٣)

ليس هذي الدُّنيا سوى مرمياء حولها الناس كالكلاب الضواري
في عراك ، وغنمهم أيّ غنم تركها دون لفتة وانتظار !

(١٤)

فكرةُ الموت تجلبُ الراحة الكبرى لنفسي ، إذ فيه يذهب شكي
كلّ خوفي من أن تقضّي حياتي دون جدوى أحسّها يوم تركي !

(٣)

هيّىء الراح واصطحب ثمّ كأسين وتاج الحبيب في ظل جنّه [١]
واترك الهم والتقيد بالخلف ، فلا شيء غير هذي الجنة ! [٢]

(٤)

ما أزدهي مزهراً بنوم جمال يا حبيبي ! فكيف نبقى نؤوماً ؟!
قم إلى البدر فهو يدعوك والروض ، ويوماً ستغتدي محروماً !

(٥)

الربيع القصير أقصرُ منهُ عمرٌ للشباب وهو يفرّ
فتيقّظ مع الهوى يا حبيبي ! راح (جمشيد) مثلما راح (خسرو) !

(٦)

كل حيّ لا بدّ يمتنع الموت إذا حان يومه الموقوتُ
فاشرب الرّاح قبل يومك يا صاح وبادر ، فالراح للعمر قوت !

(٧)

كيف تمشي بالصّوم أو بصلاة حينما العمر لن يرى مرتين ؟!
كل ما تستطيع لمسة ثرد ونقاط تبدو على الحجرين !

(٨)

دع حديثاً عن السماوات والنار وعما ترى عقاباً وبرّا
مثل هذا يحل زوراً لقوم جهلوا ، لا الألى بمثلك أدري !

(١) جنة : حديقة ذات شجر . (٢) الجنة : الفردوس .

شعراء المهجر

الدكتور فؤاد العقل

للدكتور أحمد زكي أبو شادي

(اشتهر الدكتور فؤاد العقل كجراح وأديب أيضاً ، وقد ذاع كتابه بالانجليزية « إلى أن يأتي الصيف » Until Summer Comes ، ولكنه أيضاً أحد شعراء العرب الأمريكيين اللامعين الذين ينظمون بالانجليزية ، وديوانه الأول الموسوم « من السجل الباهت لماضي — From The Faded Album of yesteryear » مشهور . والدكتور العقل هو أحد أعضاء أكاديمية الشعراء الأمريكيين).

ويقوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي بنقل ديوانه هذا إلى العربية ، كما يتولى ترجمة كتابه الأدبي التاريخي السالف الذكر . ومن طرائف ما في هذا الديوان الشائق وباهيات مستوحاة من صفوة روح الخيام عددها أربعة عشر ، وقد نقلها الدكتور أبو شادي في النظم الآتي : —

(١)

ستريق الدنيا بيوم دمائنا ، ولن تترك التغني علينا
فلنرق قانين في دمها الورد ، ولنشرب بنشوة ثأرينا !

(٢)

قيل إني إلى الجحيم سأمضي ، وإلى الصوم والصلاة دعوكا
فلقد هم واخلق لنفسك بالراح نعيماً ، فربما لا تزكى !

المأكولات	فوسفور بالمليجرامات
أبو ركبة	٦١
الأرانب	١٠٢
الأرز	٢٠٨
الأرز المبيض	٩٦
الاسباغ	٦٨
الباذنجان	٣٤
البامية	١٦
البرتقال	٢١
البرقوق	٢١
البسكويت	٨١
البسلة	١٢٧
البصل	٤٥
البط	٢٠٨
البطاطا	٤٥
البطاطس	٥٨
البطيخ	٣
البلح	٥٦
البنجر	٤٢
البيض (البياض)	١٤
البيض (الصفار)	٥٢٤
التفاح	٢١
التين المجفف	١١٦
الثوم	٣٩٠
الجزر	٤٦
الجوز	٣٥٨
جوز الهند	٧٤

المأكولات	فوسفور بالمليجرامات
الحمام	١٥٥
الخبز الاسمر	١٥٨
خبز القمح البلدي	١٧٥
الخس	٤٢
الخوخ	٣٠
الخيار	٣٣
الدجاج	٢٠٠
دقيق الأذرة الشامي	٦١١
دقيق الشعير	٥٩
دقيق الشوفان	٣٩٢
دقيق القمح	٤٠٠
الذرة	١٠٣
الزبدة	١٧
الزبيب	١٣٢
الزيتون الأخضر	١٤
السردين	٢٦٤
السمك غير المدهن	١٧٨
« المدهن	٢٥٨
السنطاوي	١٥
الشعير	١٨١
الشيكولاته	٤٠٠
الطرطوفة	١٨٠
الطماطم	٢٦
العدس المنشور	٤٣٨
العسل الأبيض	١٩
« الأسود	١٢٣

المأكولات	فوسفور بالمليجرامات
الفاصوليا	٤٧٥
الفجل	٢٩
فلفل أخضر	١٠٥
فول أخضر	١٣٦
فول السوداني	٣٩٩
قرع الكوسا	١٢٧
قرنبيط	٦١
قشدة اللبن	١٣
القلب	١٧٣
الكاكاو	٢٢٠
الكبد	٢٢٠
الكرات	٦
الكرفس	٣٧
الكرنب	٢٩
الكلاوي	٢٥٢
لبن بقري	٩٣
« جاموسي	١٤٦
لحم أحمر	٢٢٢
لسان	١٩٩
لفت	٤٢
لوبيا	٤٧٥
لوز	٤٦٥
ليمون	٢٠
مشمش مجفف	١١٧
موز	٣١
هليون	٣٩

المعدة . وكانت حوادث التسمم المزمن بالفوسفور تكثر في الماضي في مصانع الثقاب (عيدان الكبريت) باستخدام الفوسفور الأصفر في هذه الصناعة . وكانت اعراضه مرض النيكروزيس Necrosis وهو تخر العظام وتفتتها ، وبخاصة عظام الفك السفلي وذلك بالتعرض لبخار هذا العنصر . وقد انعقد مؤتمر دولي في مدينة برن سنة ١٩٠٦ حرّم فيه استخدام الفوسفور الأصفر في هذه الصناعة .

﴿ فوائده الصناعية ﴾ يجهز كل سنة حوالي ٥٠ ألف طن من الفوسفور ويستعمل الجزء الأكبر منه في صناعة الثقاب (الكبريت) [1] . فرؤوس عيدان الكبريت تصنع من مزيج كلورات البوتاسيوم وأوكسيد الحديديك وثاني أوكسيد المنجنيز وبيكربونات البوتاسيوم – أو مزيج من بعض المؤكسدات مع صمغ وغراء ومسحوق الزجاج وقليل من مادة الكبريت . وأما المادة التي تكون مادة على علب الثقاب والتي عليها تحك رؤوس الثقاب فمصنوعة من مزيج الفوسفور الأحمر وكبريتيك الانتيمون مع الصمغ . فعند عملية الحك تتولد حرارة تكون كافية لاشعال الفوسفور مع المواد المؤكسدة التي في رأس العود.

ومن فوائد الفوسفور أيضاً أنه يدخل في صناعة نوع من البرونز يعرف بالبرونز الفوسفوري،وهو معدن قاسي شديد الصلابة يستعمل في شتى الأغراض الصناعية .

﴿ مركباته ﴾ للفوسفور مركبات متعددة اذكر منها الهيدروجين المسفر (الفوسفين) وحامض الفوسفوريك وخامس أوكسيد الفوسفور وخامس كلوريده . والمركبان الأخيران يمتازان بشدة انفتهما للماء والاتحاد به ، ولذا يستعملان في تجفيف المواد عند تحضيرها ولا سيما الغازات .

﴿ مكتشف عيدان الكبريت ﴾ ثبت أن مكتشف عيدان الكبريت أو الفوسفور أي مستنبطها والصانع الأول لها هو جون ولكر الانكليزي وقد اكتشفها ١٨٢٧ وباع صندوقاً صغيراً منها تلك السنة بما يساوي ستة قروش مصرية .

والمواد الغذائية الآتية تعد أهم مورد للفوسفور وتحتوي كل ١٠٠ جرام منها على ملليجرامات بحسب الرقم الموضوع أمامها : —

(١) لمة الناصر للاستاذ امين أحمد

﴿ الفوسفور في الطعام ﴾ وأهم المواد الغذائية التي يستمد منها الانسان الفوسفور اللازم له هي اللبن والجبن والبيض واللحوم والعظام والسمك والطيور وأغلب الحبوب الغذائية ، وفي النباتات والحيوانات بنسب متفاوتة.

﴿ الفوسفور في النبات ﴾ الفوسفور عنصر ضروري لنمو النبات وتكوين جسمه ، وتمتصه النباتات من التربة على شكل فوسفات ، ولذا كان من الضروري اضافته الى التربة من حين إلى آخر على هيئة مركب سهل الذوبان . وأهم الأسمدة الفوسفورية فوق فوسفات الجير وفوسفات الغاذر والعظام والفضلات القاعدية . وكل هذه الأسمدة كفيل بتزويد التربة التي امكنها الزراعات المتوالية بحاجتها الى هذا العنصر .

وتتراوح نسبة الفوسفور في النباتات بين ١ و ٠ ٪ و ٨ و ٠ ٪ من وزن النسيج الجاف . أما في الحيوان فتختلف نسبة وجوده كثيراً تبعاً لنوع الحيوان ، وتزداد هذه النسبة كلما صعدنا في سلم النشوء والارتقاء .

ويوجد الفوسفور في النبات والحيوان[1] في صورة ازتو فوسفات معدنية في النسج الرخوة وفي الهياكل العظمية . كما يوجد في صورة أملاح حامض البيروفوسفوريك في العضلات . ومعظم هذه الفوسفانات متحد بمركبات عضوية بحيث يصعب تحديدها كأملاح عضوية وغير عضوية .

ويحتوي لبن البقرة على ٨ و ٠ ٪ كحامض فوسفوريك، بينما يحتوي لبن الثديين[2] عند الأم على ٥٠ و ٠ ٪ .

﴿ الفوسفور في الأدوية ﴾ يدخل عنصر الفوسفور في بعض الأدوية[3] التي تستعمل في المنازل لإبادة الفيران والصراصير . وقد حدثت بعض حوادث تسمم بهذه الأدوية . واعراضها ألم في المعدة والأمعاء وقيء واسهال ومغص وتوتر في البطن . ويعالج هذا القسم بإعطاء المصاب مقيئاً (— ماعدا الزيوت — لأنها تذيب الفوسفور وتسهل امتصاصه في الدم —) وجرعات كبيرة من المغنيزيا وبعض السوائل الغرائية لتهدئة

(١) الاغذية للأستاذ حسن عبد السلام

(٢) يتكون لبن الام كسائر الالبان من الماء والدسم والمواد البروتينية والمواد السكرية والاملاح وأهمها أملاح الكالسيوم والفوسفور والبوتاسيوم والديناميات . ويتميز لبن الام عن لبن المواشي باحتوائه على سكر كيماوي تسمى الفيسينوز وهي ذات أهمية خاصة في نمو الجهاز العصبي للطفل

(٣) الكيمياء ومسائل الحياة اليومية الاستاذ حسن عبد السلام

(١) ﴿الفوسفور الأصفر﴾ وهو في لون الشمع وشكله ، وكثافته ٨ ر ١ وينصهر في درجة ٤٤١ ويغلي في درجة ٢٨٠ ، ولا يذوب في الماء ، ولكنه يذوب في ثاني كبريتيد الكربون وزيت الزيتون والبنزين .

(٢) ﴿الفوسفور الأحمر﴾ وهو في الأصل فوسفور أصفر عمل فيه الضوء أو عملت فيه الحرارة . وهذا يختلف عن الأول بأنه غير متماسك وكثافته ٢ر٢ ، لا يتوهج في الظلام وينصهر في ـ درجة ٥٩٠ ـ ويغلي في درجة ٧٤٠ ، وبخاره عند تكثيفه يتحول الى بلورات من الفوسفور الأصفر .

(٣) ﴿الفوسفور الأسود﴾ يحضر من الفوسفور الأصفر بعد ضغطه ضغطاً عظيماً تحت درجة ٢٠٠ مئوي ، وكثافته ٧ر٢ .

﴿الفوسفور في الجسم﴾ من العناصر الضرورية لمادة البروتوبلازم ، وهي المادة الحية في الحيوان والنبات . كما انه عنصر أساسي لتكوين العظام والأسنان والغضاريف ويدخل في تركيب خلايا الجسم وأنسجه وسوائله بأكثر مما يدخل الكالسيوم ، ووجود مركبات الفوسفور بالجسم يساعد العضلات على الانقباض ، ويمكن الكائن الحي من تسجيل علامات الوراثة والمحافظة عليها واختزانها . كما انه ضروري للأعمال العقلية وحساسية الجسم وخصوصاً حاستي الذوق والشم . ونقص كميته من الهيكل العظمي يسبب لين العظام في الكبار والكساح في الأطفال .

ويحتاج الشخص البالغ من الرجال الى ٢٠ ملليجراماً في اليوم من الفوسفور لكل كيلوجرام من وزن جسمه . وتحتاج النساء في أثناء الحمل والرضاعة الى مقدار أكثر بالنسبة لوزن جسم كل منهن ، قد يصل الى ٧٠ ر ١ أو جرامين في اليوم . ويحتاج الأطفال أيضاً الى نسبة أكبر بالنسبة لوزن أجسامهم . ويصل احتياج الطفل الى ٣٠ ملليجراماً من الفوسفور لكل كيلوجرام من وزن جسمه .

ويحتوي جسم الانسان على واحد في المائة بالوزن أو ما يقرب من ٧٠٠ جرام من الفوسفور ، منها ٦٠٠ جرام توجد في الهيكل العظمي و ٥٧ جراماً في العضلات و ٥ جرامات في نسج الأعصاب و ٢ جرام في الدم .

ويتراوح مقدار ما يفرزه جسم الانسان من الفوسفور بين ٣ و ٠ جرام ، و ٢ جرام في كل ٢٤ ساعة ، يفرز الجزء الأكبر منها في صورة فوسفات حامضية عن طريق الكليتين والباقي بالبراز والعرق .

مما يهمك أن تعرفه عن :-

الفوسفور

ماهيته وخواصه في جسم الانسان

للأستاذ اسبيرو حبيقي

﴿ اكتشاف الفوسفور ﴾ بينما كان العالم السويدي براندت يجري بحوثه في سنة ١٦٧٤ بغية الحصول في حجر الفلاسفة ، تلك المادة التي طالما داعبت أحلام الفلاسفة القدماء ، توصّل أثناء بحثه في البول ، الى استخلاص مادة ظهر عند امتحانها انها تنير في الظلام فسماها الفوسفور ومعناها Light bester أي حامل النور . وحاول جوهان كانكل (١٦٣٠ — ١٧٠٣) ان يشتري منه سر اكتشافه وطريقة اعداده ، ولكن براندت كان قد باع هذا السر الى كرافت ، غير ان جوهان وفق الى سر تحضيره في سنة ١٦٧٨ وفي سنة ١٦٨٠ تمكن روبرت بويل من تحضير عينة منه : وحتى ذلك الحين لم يكن الفوسفور معدوداً من العناصر حتى جاء لافوازييه في سنة ١٧٧٢ وأثبت ان الفوسفور من العناصر . ومصادر الفوسفور الطبيعية[1] هي الفوسفات ـ مركبات المنصر مع الكالسيوم والالومنيوم والحديد . وتحتوي العظام على $\frac{2}{3}$ وزنها فوسفاتاً (فوسفات كالسيوم) .

ويحضّر الفوسفور الآن من الفوسفات تسخن هذه وتخلط بالرمل والفحم في أفران كهربائية درجة حرارتها ١٤٠٠ — ١٥٠٠ فيتصاعد بخار المنصر فيكثف .

والفوسفور سريع الاشتعال فقد يشتعل في درجة الحرارة العادية ، لذلك يحفظ دائماً مغموراً تحت الماء .

والفوسفور صور كثيرة أهمها الاثنان وهي . —

(١) اقرأ المقالة للاستاذ امباي أحد

فالليل ساج ، والنجوم الصغيرة المرتعشة تجهد ولا تقوى على هتك أستاره السود . .

ودقات قلبي ، ووقع أقدامي ، وحفيف ثوبي تملأ إليّ المخاوف الرهيبة أنني هنا . . صيد أعزل . .

فلا تلبث أن تتداعى على قلبي نهشاً وتمزيقاً !!

والصراط الذي أتأرجح عليه دقيق مضطرب ، لا يلبث أن يطوّح بي في وادي الردة والشياطين والغيلان .

قدني لي — يأمي — ساعدك المهد أتكىء عليه في رحلتي المرتجفة .

وطوّقيني بذراعيك اللدنتين أتقي بهما مخاوف الطريق

وآوبي إلى صدرك الدافيء الحنون تذهب عن قلبي رعشته المذعورة ، وترتد إلى نفسي طمأنينتها وسكونها وسلامها

كنت — أيتها الحياة — ضنينة بي على الفناء ، لأنني قطرة من نبعك الأزلي ، انطلقت تتمارج في هذا الخضم المضطرب ، وفيها سلك السر والقوة والانبعاث ، فهل من البر أن يفنى قلبي ، وينطار شعاعاً ، وتعود هذه القطرة الصافية النزيزة وهي طافية على الزبد ، فارغة من القلب ، تنطلق بلا نواة تمد لها في أسباب البقاء ؟؟؟ !!

حدثيني — أيتها الأم — من جديد . . قولي : من أنت ومن أنا ؟ فإنني لا أكاد أعي ما تقول الرياح ، ولا أكاد أذكر ما سمعت منها في الماضي البعيد ، يوم أسرّت إليّ في لهجة : انني أنا ، وانك أنت !!

هنالك — في المكان النقي ، وفي الزمن السحيق ، وأنا أحبو في أول الطريق — تبسمت لي ، فاذا أنا سعيد ملء ما في السعادة من أفراح ، وإذا أنا أنطلق في طريقي على ضفتيك اللتين يلمع فيهما بريق السرور والزهو والاعجاب بطفلك الحبيب ، ثم برجاك المرجو من بعد . .

وهنا — في مكان ما ، وزمان ما — تلفّت حولي ، فاذا المخاوف تتخطفني من كل صوب ، وإذا السماء تتدجى ، وإذا الطريق يوحش !! لأنك وجهك قد تجهم ، وبسمتك قد تلاشت ، وبريق عينيك قد فاض . .

وإذا الدنيا كلها قاسية عليّ ، وإذا أنا أتضاءل وأتزوي . لأنك أنت غضبى !!

وصبراً لقلبي ومزاه . .

فلو صبرت قليلاً . لو صبرت حتى تحلي . . إذن لسمحت لي كبريائي ، وأبقيت على قلبي ، واعتززت بدموعي ، فلم أذلها ، ولم أعثرها على أقدامك .

ولكن كيف لي الصبر على مراسك ، وأنا ابنك أيتها الحياة !

لقد تحطّم صبري على أعتابك . فانهارت معه كل مقاومتي ، وهزمت عند الجولة الأولى ، وعدت أسيراً أرسف فأطيع .

وسخرت مني أيتها الحياة سخريتك الصامتة العارمة المستهزئة ، فتجاوبت أصداؤها في مسامعي رعوداً قاصفة زلزلت قلبي ، وزعزعت كياني ! !

وحاولت أن أعود إلى كبريائي لأستعيدها إليّ . .

. . حاولت أن أتماسك وأرفع رأسي في الميدان . .

. حاولت أن أستر بالصمت ضعف حيلتي ، وأن أضمّد جراح كبريائي فلا تنفرح . .

. . حاولت أن أتجاهل من أنا . . ومن أنت . .

ولكن الأيام التي مشت بيني وبينك توقفت حيناً ، واعترضت طريقي ، وحرمتني المحاولة . .

فالكبرياء تخلّت عني إلى غير معاد ، وخانني جلدي خيانة الأعداء ، وحتى الصمت أبى إلا أن ينقلب صراخاً ضارعاً خائفاً مذعوراً . .

فارتميت في حضنها أبكي وأنتحب . . وأواصل زفراتي وأنا لا أدري علام أبكي ، وأين يقع بكائي من مسامع أمي ومن قلبها . . وإلى متى سأظل أبكي وأبكي ، دون أن تشعر الأم إلى خفقات قلب وليدها الهاتف بها ، ودون أن تعي ما يقول ؟ ! !

هاتي يدك يا أماه وهدهدي طفولة قلبي . .

فالظلام الكثيف المخيف يرهب قلبي الصغير . .

والأشباح المتقعدة المتربصة المتراقصة على حواشيه . . سود الوجوه ، دقاق القرون ، حمر العيون ، مشتعلة الأفواه . .

وصفير الكون المخيّم يمرّ في مسامعي كهزيم الرعد المجلجل . .

ولن أستطيع أن أقتحم هذه المجاهل الرهيبة المخيفة وحدي .

وأي سم قاتل تطبق عليه يمناك التي رجا أن يعب من راحتها كؤوس المنى حتى يروى!

ما أتعس قلبي بحبك — إذن — أيتها الحياة!!

ما أتعس من تخدعه الحياة عن نفسه وتقسيها!!

إنه يشقى مرتين: شقوة السعادة التي لم يظفر بها، وشقوة السعادة التي بات يحلم بأطيافها!!

ما أتعس من تبكيه الحياة بلا دموع!!

إنه يحترق بنارين: نار الحزن التي تؤذي روحه فلا تدع منها بقية، ونار الدموع التي يتقدها والحسرة تتلظى بين جوانحه، فلا تسعفه!!

ما أشقى من يحيا بلا أمل يتعلق به، أو رجاء يعيش عليه!!

إن الحياة تحرمه كل مقوماتها ومسراتها ومباهجها، وهو لا يدري ماذا حرمته، ويتألم لأنه لا يدري.

ما أضيع من يهب الحياة — أول ما يهب — قلبه.. وهو أغلى ما يملك!!

إنه يعود بالحسرة القاتلة، لأنه يعود بلا قلب ولا حياة!!

أيتها الحياة.. أيتها الأم!!

معذرة.. وصبراً..

لقيتك — أول ما لقيتك — وأنا لا أدري من أنت، ولا من أنا.. فاختلت وذهلت، ولاقيتك بكبريائي، واعتززت عليك أن تنالني مني، وتعاليت أن تتطاول إليّ!!

ومشت بيننا الأيام، فإذا أنا.. وإذا أنت!!

وإذا كبريائي ما هي إلا ضراعة تتهافت وتتقضى..

وإذا اعتزازي ما هو إلا تواضع متطامن يتوسل ويستعتب..

وإذا أنا ملقى بين يديك، أبكي عز قلبي حار البكاء، ولا أدري ماذا أسألك، وأنت لا تدرين ماذا تعطين!!

وإذا أنا الطفل.. ابن الحياة ووليدها الباكي دائماً.. وإن لم يعرف: لم البكاء؟ لأنه لا يعرف علام يبكي!! وإن لم يعرف: ما جدوى البكاء؟ لأنه لا يعرف أين تقع دموعه من قلب أمه، ولا أين تقع شهقاته من مسامعها!!

أيتها الحياة !!

— ٢ —

للأستاذ رضوان ابراهيم حلمي

أنت أمي أيتها الحياة .. فلماذا أشقيتني ؟!!
لقد أحببتك حب لهفي .. وعشقتك ملء قلبي ..
ولمحت عيناك ببريق الرضا .. فحسبتك أحببتني .. وحسبت حبك لي سيبقى ..
وحينما تكشفت سحائب الدخان المعطّرة ..
وسكنت ضجة الأنغام الراقصة ..
وانقضّ الستار المتداعي ..
تلفّتُّ أنشد حبك وأسعد به
فاذا به لا شيء .. وإذا أنا وحيد !!
وعلى رغم ذلك فأنت أيتها الحياة .. أنت أيتها الأم .. أنت لي صديق !!
فاستمعي أيتها الأم لشكاية قلبي .. وأنصفيه !!
أمي .. أمي !
إن الجمرة التي تقبض عليها يداي جمرة قاسية قد ألهبت راحتي !!
وإن الأشواك التي أخطو على أسنتها قد أدمت قدمي !!
وإن الألم الذي يعتصر قلبي قد تركه حطاماً يئنّ !!

ولا أدري ماذا تدخرين — بعد — من صنوف الشقاء لقلب راح يبني عندك كل أكوان السعادة !!

في موقف اتلفت أيدي النزاع به ما في البسيطة من ماء ومن عشب
وكيف ينجو من الأهوال في رهج من لم يجد سبلاً للأمن والهرب
تبلشف الشرق حتى لا أمان به وأمست العرب من جمّالة الحطب
لولا الشيوعية السكراء ما عصفت نوازل الدهر بالاعماد والطنب
أصارت الناس مثل إبلهم لا أمل لها بغير كفاف العيش — والرغب[1]
وأصلت الغل بين الخلق فاضطرمت وصار حيزومه مسترخي اللبب[2]
أخنت على الوحي والآيات منزلة من بعد ذك تراث المجد والحسب
شعواء زعزعت الدنيا وقد ذهبت بها الشعوب ضحايا النبر والذهب
فضائل شرعة الاسلام راضة عنها وادبرة الرهبان والعلب
هرج بكل نخوم الأرض غص به حلق المهالك والساحات والرحب
أكلما يقطع الانسان مرحلة يجد في زخرف الأقوال والشغب
وكلما ذهبت اسماعه صعدا تصام السمع عن حقن الدم السرب[3]
لا الشرق في معزل عنه ولا رفيت عنه المقارب يوم المخنق الصخب
ولا قضى السلم في حال لبانته من بلغة العين أو من نشوة الطرب
حتى كأن الردى أمسى لذائقه أحلى من الشهد أو أشهى من العنب[4]
لا يصلح الحال حتى تبتني أسس للسلم تحت ظلال الرفق والحدب
كفى العوالم ما عانته في إحن من القنابل والهندية القضب[5]
هل لابن مريم أن يأتي بمعجزة تريحنا من عناء البؤس والوصب[6]
فالسلم في حاجة قصوى لذي سدد حامي الحقيقة طلاع على النقب[7]
السلم للخير لا الشر مدخر والحق للشرع لا للغارة السلب

[المقتطف] يشكر للشاعر المجيد تعزيته الرقيقة في صديقه الراحل.

(١) الرغب : بمعنى الطمع (٢) اللبب : الحبل الذي يشد به (٣) السرب : السائل (٤) الشهد : العسل
(٥) الهندية القضب : السيوف الهندية (٦) الوصب : المرض (٧) النقب : الطريق في الجبل

وما تخيرت أقداماً على وجل ... في كبح مضطهد أو رد مستلب
ولا تطيب فعال للفتى أبداً ... إذ كان عنصره الداني لم يطب
أكرت حلماً رزيناً فيك يشفعه ... في بردتيك حجى أوسى من الهضب
تفاوت العقل سر ليس له تدركه ... كذا التفاوت بين الحلم والغضب
كلا الامرين أعيا في خشوته ... كلالة العقل مثل الجسم بالتعب
كم في العوالم أسرار يحار بها ... ذو اللب لو رام منها الكنه لم يصب
هي المقادير ما تنفك زاحفة ... بكلكل الردى أو جحفل لجب
ما حيلة المرء غير الصبر ثمَّ اذا ... حمَّ القضاء وجدَّ البين في الطلب
ما لي أرى العزم مني قد وهى جلداً ... من لوعة البين والأحداث تمكر بي
كمارم وصروف الدهر دائرة ... تقلدته رحى الهيجاء في النصب
يا فارساً قد كبت فيه المنون ضحى ... والشرق يرزح بالأعباء والكرب
رعت الخليل ورعت النيل أجمه ... والعبقريين من عجم ومن عرب
قضيت نحبك والأقدار مسرجة ... في عالم قلق الارجاء مضطرب
أجل حملت على الأعواد من خشب ... لولا المنية لم تحمل على خشب
خلفت بعدك آلاء مخلدة ... لا كالسراب على الطاوي على سغب (١)
تلك الأكاليل توجت الجهاد بها ... كما يتوج وجه الماء بالحبب
كنت المجلي على الأكفاء فيه وما ... كل المطارف بالديباج والاهب (٢)
وما أعرت صماخيك الرعاع بما ... راموه من نصرة للغي أو جلب (٣)
ولا أصختَ لسياسات الصغار لها ... لنيل شيء من الغايات والرغب
كذا العظائم تسمو في أعاظمها ... وينجلي البرق بين الجد واللعب
صدت بالامس في روض السماء حجى ... تسعين عاماً تسوس النيل عن كثب (٤)
حتى اذا لملا فيه الأسى ضربوا ... على السماكين بالأطناب والعبب
وأوثقوا بيديهم في النيل جامحة ... قد أشرفت بعد ابلال على العطب (٥)
أمينة ليتها كانت طلائعها ... وفق الرغاب حيال المأزق السحب
ماذا حبَّأت لهذا اليوم من همم ... تدعو الى الرفق بالمعمور أو خطب

(١) السغب : الجوع (٢) الاهب : جمع إهاب (٣) الصماخ : الاذن
(٤) كثب : دانٍ بمعنى البعد والقرب (٥) الابلال : الشفاء

كأن بينك في الابداع في نسق ... وابن العميد صلات القرب والنسب
وما المقطم الا درة خبئت ... في منجم الدهر أو في سدفة الحلب
قلدتها غرر الأوضاع فانشحت ... برد الشباب على أثوابها القشب
سقت الصحافة للاقدام مكرمة ... بلبدة الليث في اجم من الرهب
ومسلك وعر عزّ الحطام به ... فكنت معوانها في رأيك القرب
وثبت فانتصت الاقلام اثرك في ... يوم الرهان ولولا ذاك لم تثب
وطالما ضلّ نهج الرشد قادتها ... فأصبحت منهلاً للمورد العذب
تلك المخيلة ما زالت لنا سفنا ... وان طوتك يد الاقدار والحجب
وفيت قسطك للآمال ترقبها ... والعمد مصروفة للجاه والنشب
وكم فضلت أجل الرهط مرتبة ... في اشرف النسبين الخلق والادب
لم ترق من سلم للعز في زمن ... غير الثبات على الاقدام أو سبب
وجزت كل سماء رحت تصعدها ... في مرتقى الأفق أو في هامة السحب
رمت البناء ورام الهدم جهرة ... لا يستوي الهدم والبنيان في النصب
فكنت للنيل ردءا في معاشله ... وكوكباً في دياجي الشك والريب
صافي السرائر تحكي الصبح ناصعة ... عف الخلائق عن زور وعن كذب
وهمة تطأ الافلاك نوّرتها ... شابت نواحي الليالي وهي لم تشب
تلق الصعاب فتلوي من شكائمها ... بمرقم كغرار السيف ذي شطب
تخطفنك صروف البين من صمد ... حتى هويت على رغم الى صيب
وزرته تجاوبت الاقطار فيه أسى ... في الشرق من قطب ناء الى قطب
طاف الجزيرة من قدس الى عدن ... وطبّق الشرق من مصر الى حلب
وربما راقب الاحداث مرتقب ... فداهمته بهول غير مرتقب
صاح النعي فحكت جبهتي قدمي ... ورحت من جزع أجثو على الركب
وليس بينك بينا من أخي ثقة ... بل حط صرح العلا من شاهق الرتب
وما حسبتك تنأى والكنانة في ... هرج تعج به الدنيا وفي صخب
وكم صدعت جناح الخطب في همم ... وما تفزعت من حيائه الرقب
لم يأت لبنان خيراً منك طود حجى ... وبدرها في مجالي النسك والنقب
كنت الملاذ لعصب صح صاربه ... عند الشدائد دون البيض والقلب
جهرت بالحق في سر وفي علن ... ولم تحاذر دعاة السوء أو تهب

الدكتور فارس نمر باشا

للأستاذ محمد كامل شعيب

يا فارس الدولتين العلم والأدب ... من للبراع ومن للمقول التدرب؟
حققت في القلم المغوار ما عجزت ... عنه المعاهد بعد الكد والدأب
رأد الظهيرة في العليا هوين بها ... تحت الصفيح عوادي الدهر والنوب
فأمست الأرض صبحاً في غياهبها ... وأصبح الطلق دون اللحد في الترب
ذخائر ضاقت الدنيا بسيرتها ... فكيف مثوى الرفات الدارس الخرب
أليس من عجب قبر نزلت به ... وأن تضم الدنا في صدرك الرحب؟
أزال عن ظلمات القفر وحشتها ... صبح من العلم لا صبح من اللهب
وطالما كنت للأفلاك هالتها ... وللحقيقة ليث المقل الأشب
كم صيحة لك في الأقطار داوية ... ودعوة لك للاصلاح لم تخب
في كل مأثرة جرثومة ويد ... حذوت حذو الألى من صحبك النجب
وما نبا بك خطب في كلاكله ... في ليل غاشية أو سوء منقلب
أعيا الفطاحل والأقلام شاهدة ... أنف أشم وراي واضح الشنب
وغالبتك الليالي فاصطلمت بها ... وأبت حتى على الأيام بالظفب
وما مللت جهاداً في الحياة به ... في المعرقين أضاءت أوجه الحقب
شيخ الصحافة باني ركن نهضتها ... لم ترض إلاك من أم طما واب
هدت المقطم والأقطار مقفرة ... والنيل من صحف تتلى ومن كتب
طلعت فيها على الدنيا منار هدى ... كأنها الشمس بين الأنجم الشهب
فكنت فوق العظامين في عظم ... وكنت أحرى العصاميين بالنقب
وقمت نفسك للاصلاح داعية ... ولم تكن داعياً للويل والحرب
وجئت من خالدات الذكر في عبق ... المندثات من التبيان بالعجب

فقيدنا الخالد

المغفور له الدكتور فارس نمر باشا

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية في الساعة الرابعة والنصف من مساء يوم السبت ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ ، بدار الجمعية الجغرافية الملكية ، حفلة تأبين كبرى لفقيدنا الخالد المغفور له الدكتور فارس نمر باشا ، منشئ المقتطف والمقطم ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، بمناسبة ذكرى الأربعين لوفاته .

وقد دعا إلى هذه الحفلة التأبينية حضرة صاحب المعالي أحمد لطفي السيد باشا رئيس المجمع .. ولبى دعوته كبار رجال الفكر والسياسة واللغة والآداب والصحافة ، وفي مقدمتهم حضرات أعضاء المجمع .

وقد ألقى كلمة المجمع في تأبين الفقيد العاطر الذكر حضرة صاحب العزة الدكتور أحمد أمين بك عضو المجمع ، وأشاد فيها بعبقرية الفقيد وجهاده الصحفي والعلمي والقومي وآثاره في الحركة الفكرية والعلمية في العصر الحديث ، طول حياته المديدة الخصبة (١٨٥٥ — ١٩٥١) .

وأسرة المقطم والمقتطف تتوجه إلى معالي رئيس المجمع وأعضائه ، وكل من لبّى دعوته ، وإلى خطيب الحفلة الدكتور أحمد أمين بك ، بأصدق الشكر وعرفان الجميل على هذا العطف السابغ ، والفضل الكريم .

جزاهم الله خير الجزاء ، وألهمنا جميعاً الصبر والسلوان ، وجعل حياة الفقيد الكريم أسوة طيبة وقدوة صالحة لأبنائه وتلاميذه ومريديه .

✡ ✡

والمسيحيون على السواء ، وكل من يهدم هذا السلام فقد كتب الله عليه اللعنة ، ووجب على الحكومة أن تحول بينه وبين الفساد ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله والوطن للجميع ... ونحن ننشد أن يتمتع كل مصري بحقه الكامل في الحياة ، في الغذاء والكساء والتعليم والعلاج والتأمين الاجتماعي والخدمات العامة ، وغيرها من الحقوق التي يكفلها الدستور وقوانين البلاد .

ولقد تعاهدنا — وأيم الله — بهذه الوثبة الكبرى ، التي وثبتها مصر في سبيل حريتها المقدسة ، واستبشرنا خيراً حين استنكر أبناء هذه الأمة الأمجاد كل محاولة للتفريق بين صفوفنا ووحدتنا ، أو لهدم السلام الاجتماعي في محيط بلادنا ، التي يحقدها المصريون والأجانب على السواء ، وملأ التفاؤل قلوبنا حين أعلنت مصر رغبتها الملحة في محاربة الغلاء والتخفيف عن كاهل الطبقات الفقيرة المحرومة ، والسير بكل وسيلة في طريق الاصلاح الاجتماعي ، لخير أبناء هذا الوادي العزيز .

إن العالم يسير إلى الدمار والفناء ، أما مصر فتسير إلى المجد والنهضة والمدنية . ويوم يكتب تاريخها الحديث ، فستكتب فيه أروع الصفحات ، وأمجد الآيات ، لهذا الشعب الكريم .

وإن « المقتطف » للسجل وترقب ، وتبدي إعجابها ببطولة هذه الأمة المجيدة ، وبعظمة ما تبذله راضية ، من تضحية ، ومثابرة ، وغيرة محمودة ، وحب حقيقي للاصلاح .

◆

ويسرنا أن نعلن لقرائنا الكرام أننا بسبيل إخراج أعداد ممتازة من مجلتنا « المقتطف » بمناسبة انقضاء خمس وسبعين سنة على إنشائها ، حيث أن الظروف لم تساعدنا على الاحتفال بيوبيلها الماسي ، بسبب وفاة منشئها وعميدها الخالد الذكر المغفور له الدكتور فارس نمر باشا ، وللظروف الحاضرة التي نجتازها بلادنا العزيزة .

وستصدر هذه الأعداد الممتازة مدبجة بأقلام كبار الأدباء والكتاب ، وسيكون كل عدد منها في موضوع خاص ، كما فعلنا حين أصدرنا عدد « المئوي » في يناير ١٩٣٦ .

ونأمل أن يوفقنا الله لانجاز ما اعتزمنا حتى نواصل كفاحنا في سبيل أداء رسالتنا العلمية ، وخدمة الثقافة العربية ، والفوز برضا قرائنا الأعزاء .

✲ ✲

المقتطف

رئيس التحرير : اسبيرو حبري

مارس سنة ١٩٥٢ (الجزء ٣ — المجلد ١٢٠) March 1952

حديث المقتطف

الحرية والسلام ورعاية حقوق الانسان ، ثلاثتها هي عماد النهضة ، ووسيلة التقدم ، وصمام الأمان في الجماعات والشعوب .

فالحرية هي الغذاء الروحي ، والتراث الانساني ، للانسان في الأرض . وبدونها تصبح الحياة جحيماً لا يطاق ، وشراً لا يحتمل ، وبلاء لا تتحمله مقدرات الأمم .

والسلام هو وليد المحبة والتعاون والأخاء والعدالة والحق والايثار والخير . وهو خلاصة فلسفة الأديان وقادة الفكر البشري ، ودعاة الاصلاح . وبدونه يهدم الانسان بيده ما يبنيه أخره الانسان ، ولا تتقدم الحياة خطوة واحدة الى الأمام ، ويعود ابن حضارة القرن العشرين إلى حياة الغابات ، ووحشية الجاهلية الأولى .

ورعاية حقوق الانسان هي الوسيلة الفعّالة لاحترام الكرامة الانسانية ، وعمارة المبادىء الهدّامة . ولقد أقرت الأمم المتحدة حقوق الانسان منذ أعوام ، بعد أن حدّدها وعرّفها كبار الفلاسفة والمشترعين ، ووضعت في ميثاق دولي اعتمدته الدول الكبيرة والصغيرة على السواء .

نحن هنا في مصر ، نطالب بالحرية ، حرية بلادنا المقدسة ، ووادينا العزيز ، ووطننا الخالد... ونعيش داخل حدودنا في سلام شامل ، يتعاون فيه المصريون والأجانب والمسلمون

الفهرست

للجزء الثاني من المجلد العشرين بعد المائة

٦٥	الأمير أحمد فؤاد أمير الصعيد وولي عهد مصر والسودان	٥٥
٧٠	أيتها الحياة !!	للأستاذ رضوان ابراهيم مصطفى
٧٣	الحديد — ماهيته وخواصه في جسم الانسان	للأستاذ اسبيرو جسري
٧٧	رواسب الدولة الرومانية في أقطار الشرق العربي	للأستاذ سلامه موسى
٧٩	صور من الحياة الاميركية — عطلة الأسبوع	للأستاذ منير كردية
٨١	الشعر العربي — في القرن الثالث الهجري	للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
٨٦	توقيع قرنية العين	للأستاذ حبيب معلبني
٨٩	شعراء العرب المعاصرون — احمد شوقي	للدكتور أحمد زكي أبو شادي
٩٤	في الشرق الأقصى — اندونيسيا الخضراء —	للأستاذ أحمد طه السنوسي
٩٦	موطن السائح	٥٥
٩٧	الورقاء (قصيدة)	للأستاذ عدنان مردم بك
٩٩	طائرات سريعة تقطع المحيط الاطلنطي في خمس ساعات :	للأستاذ عوض جندي
١٠٣	مرض البلاجرا	للدكتور علي حسن بك
١٠٥	الجهد الفردي في العمل التعاوني	للأستاذ وديع فلسطين
١٠٨	مشروع جامعة الجزائر	للأستاذ زاهر رياض
١١٣	العقلية البدائية	للأستاذ اميل توفيق
١١٦	[باب المراسلة والمناظرة] العرب في المؤلفات الأميركية	للأستاذ فرحات زيادة
١١٩	التقويم الزراعي لشهر فبراير ١٩٥٢	٥٥
١٢٠	[مكتبة المقتطف] خزائن الكتب العربية في الخافقين	٥٥
	محاضرات الثلاثاء تأليف الأستاذ أحمد الشرباصي ونقد محمد عبد المنعم خفاجي	
٢٢١	للذكرى والتاريخ عرش بريطانيا بمناسبة وفاة الملك جورج السادس — المجلس الخاص يعلن تولي الأميرة اليزابث عرش بريطانيا	٥٥

البرنس أوف ويلز العرش وبتنازله عنه في ١٠ دسمبر ١٩٣٦ ونظراً لانه لم يكن متزوجاً انتقلت اليها ولاية العرش رسمياً عند ما أصبح والدها ملكاً على انجلترا وانضمت في خلال الحرب الى فرق المجندات البريطانيات، وتتولى جلائتها بنفسها الرد على رسائلها .

وفي ٢٠ نوفمبر ١٩٤٧ تزوجت من الأمير اليوناني فيليب مونتباتن ومنحه والدها الملك لقب دوق اوف أدنبره وألحقه بخدمة الاسطول البريطاني وأنجبت طفلها الأول الأمير شارل الذي أصبح اليوم وليًّا لعهد بريطانيا ، في ١٤ نوفمبر ١٩٤٨ ، ثم أنجبت الأميرة آن في ١٥ اغسطس ١٩٥٠

وتتمتع الملكة اليزابث بشخصية قوية مستقلة لوحظت عليها منذ نعومة اظفارها، وهي تميل الى البساطة في أثوابها وتشتهر بالأناقة كما انها لا تدخن ولا تشرب الخمر إلا نادراً وفي المناسبات القليلة وهي تتكلم الفرنسية والألمانية بطلاقة وتعزف على البيانو وتجيد التكلم في المجتمعات .

وتعد الملكة اليزابث الثانية أول ملكة تجلس على عرش بريطانيا منذ ٥٠ عاماً أي منذ وفاة الملكة فكتوريا في عام ١٩٠١ ، وخامس ملكة في تاريخ بريطانيا منذ الملكة ماري ابنة هنري الثامن من زوجته الأولى كاترين أوف اراجون التي حكمت بريطانيا فيما بين عام ١٥٥٣ و ١٥٥٨ .

ومما هو جدير بالذكر ان بريطانيا وصلت الى أوج عظمتها في عهد حكم الملكات فكان عهد اليزابث الأولى (ابنة هنري الثامن من زوجته الثانية آن بولين وقد حكمت بريطانيا ٤٥ عاماً فيما بين (١٥٥٨ و ١٦٠٣) ـ فاتحة للأدب الانجليزي الذي خلده التاريخ ،فأنتج هذا العصر شكسبير وسير فرنسيس دريك . والملكة آن ١٧٠٢ ١٧١٤) والملكة فيكتوريا (١٨٣٧ — ١٩٠١) التي امتدت الامبراطورية البريطانية واردهرت في عهدها .

﴿ الحداد حتى ٣١ مايو ﴾ وأمرت الملكة اليزابث بأن يدوم الحداد في البلاط البريطاني حتى يوم ٣١ مايو المقبل .

*

﴿ زوج الملكة ﴾ أما دوق ادنبره زوج الملكة اليزابث فهو من أحفاد الملكة فكتوريا . وكان يلقب بالأمير فيليب عندما كان لا يزال يتمتع بالجنسية اليونانية ولكنه أصبح شخصاً عادياً عندما حاز الجنسية البريطانية في سنة ١٩٤٧ وقد ولد في جزيرة كورفو في ١٠ يوليو ١٩٢١ ولكنه تربى تربية انجليزية فالتحق بمدرسة في سري بانجلترا ثم في مدرسة بإسكتلندا ، وكان يقضي معظم أجازاته مع خاله وعمته ارل وكونتس مونتباتن .

* *

الوزارات السابقة والموردات المندوبون السامون في دول الكومنولث ودوق جلوستر شقيق الملك الراحل، وأعلن بصفة رسمية تولي الأميرة اليزابث عرش بريطانيا وكان ذلك في الوقت الذي كانت الملكة تركب الطائرة من نيروبي عائدة الى لندن

ووضع المجلس مشروع الاعلان الذي اذيع في بريطانيا وجميع دول الكومنولث وقد اطلق على الملكة الجديدة اسم اليزابث الثانية.

كما قرر المجلس اعلان الأمير شارل البالغ من العمر ثلاث سنوات ولي عهد بريطانيا.

وقد حلفت الملكة اليزابث الثانية اليمين أمام أعضاء المجلس الخاص في قصر سانت جيمس بوصفها رئيسة كنيسة اسكتلندا، وألقت كلمة قالت فيها: —

«إن الحزن الذي يحتل قلبي يجعلني أكتفي بأن أقول لكم انني سأعمل دائماً ناسجة في ذلك على منوال أبي، على احترام الحكم الدستوري وترقير وسائل السعادة والرفاهية لشعوبي في سائر أنحاء العالم».

كما وجهت رسائل الى القوات المسلحة في بريطانيا وفي الخارج تطالبها فيها باعلان ولائها للملكة الجديدة.

الملكة الجديدة

وأخيراً آل صولجان الملك الى الأميرة اليزابث الكسندرا ماري وندسور وليسة عهد بريطانيا بعد أن توفي والدها

ويستبشر البريطانيون بالعهود التي تحكمهم فيها ملكات، فقد كان عهد الملكتين اليصابات وفكتوريا من أسعد العهود في تاريخ بريطانيا

ولدت جلالة الملكة اليزابث في ٢١ ابريل سنة ١٩٢٦ وكان ترتيبها في وراثة العرش في المرتبة الثالثة بعد عمها البرنس اوف ويلز ووالدها، وقد اشتهرت منذ طفولتها بنظراتها الجدية، وبعجرد بلوغها السادسة من عمرها تولت

الملكة اليزابث الثانية

سيدة اسكتلندية تدعى ماريون كراوفورد أمر تعليمها، وقد رفض مجلس الوزراء البريطاني رغبة والدتها في ارسالها الى احدى مدارس البنات العامة لتختلط ببنات الشعب. وتميل جلالتها الى دراسة التاريخ واللغات وتكره الرياضيات. وعهد بها الى جدتها الملكة ماري لتلقنها أصول التقاليد الملكية وأصبحت فجأة ولية لعهد بريطانيا بعد وفاة جدها الملك جورج الخامس وتولي عمها

وعندما أعلنت الحرب العالمية الثانية في الثالث من سبتمبر سنة ١٩٣٩ أذاع الملك نداء على شعبه بصوت هادئ، وطالبه بأن يقف هادئاً ثابت الجنان، قوياً متحداً في هذه التجربة المرة، ثم أخذ يتجول بعد ذلك، فأمضى الأسابيع الطوال بين جنوده في جميع الوحدات

وفي الرابع من ديسمبر ١٩٣٩ اجتاز الملك بحر المانش الى فرنسا لزيارة جنوده هناك، ورفض أن يغادر أحد الجسور عندما أقبلت إحدى الطائرات الالمانية المغيرة، ثم زار خط ماجينو ووجد متسعاً من الوقت يكتب فيه رسالة الى زوجته

وكان الملك في ذلك الوقت الدبابات كما أخذ يتمرن على اطلاق التوبي جن والبنادق في الحدائق المحيطة بقصر بكنجهام الذي هدمته قنابل الالمان بينما كانت الملكة تقود سيارات الجنود من طبلات مدافع برن وتتمرن على اطلاق النار من مسدس كانت تحتفظ به في حرفتها.

وكان في أثناء الحرب ينزل الى الشارع ليواسي منكوبي الغارات ويساعد في ازالة آثار التخريب الذي تحدثه الطائرات الالمانية ولم يشأ أن تختص اسرته بميزة عن بقية الأسر البريطانية، فكانت للاسرة البريطانية المالكة بطاقة التموين شأنها شأن غيرها مشاركة لشعبه في حياة التقشف.

لم تكتف الملك الراحل بذلك، فانضم بأحد المصانع حيث عمل به كأي عامل عادي ليلتين كل أسبوع، يشتغل فيهما أجزاء مدافع مخصوصة كان يستخدمها سلاح الطيران

وفي ٢٥ اغسطس ١٩٤٢ فقد الملك شقيقه الأصغر في الحرب وهو دوق كنت الذي قتل عندما هوت به الطائرة وهي في طريقها الى ايسلندا.

وفي اكتوبر من ١٩٤٤ طار الى ايدنبورغ، وبات ليلته في خيمة من خيام مركز قيادة الماريشال مونتجومري وكانت لا تبعد كثيراً من ٥ أميال عن خطوط الأعداء.

وعقب زواج كريمته الأميرة اليزابث بدوق ادنبره عام ١٩٤٧، ورزقت بمولودها الأول، بدأ التعب يلوح على الملك، وتوصل الأطباء بعد الكشف عليه الى وجود جلطة في ساقه اليمنى كانت تمنع الدم من الوصول الى ساقه، ثم أجريت له عملية في الساق كانت نتيجتها طيبة.

ولم يلبث الأطباء في العام الماضي أن اكتشفوا وجود التهاب في إحدى رئتيه اتسع نطاقه بعد ذلك، حتى أجريت له العملية الأخيرة في سبتمبر ١٩٥١.

في المجلس الخاص يعلن اليزبث ملكة

واجتمع عقب الوفاة في قصر سانت جيمس، المجلس الخاص وهو يتألف من نحو ٢٠٠ عضو من بينهم أعضاء الوزارة ورؤساء

محمد علي نائباً عن جلالة مولانا الملك، كما حضرها رفعة رئيس الوزراء والوزراء ورجال السلك السياسي.

﴿ ترجمة حياته ﴾ ولد الملك جورج السادس في الرابع عشر من ديسمبر سنة ١٨٩٥، وكان اصراً بطبيعته ولكنه بذل مجهوداً جباراً حتى استطاع أن يعتاد الكتابة بيده اليمنى، ومارس أنواعاً كثيرة من الالعاب الرياضية بناء على نصيحة أبيه الملك جورج الخامس، فبرع في لعب التنس والجولف واطلاق النار والصيد. والتحق في صباه بالمدرسة البحرية في أوسبورن ثم انتقل منها الى دارتموث بوظيفة بحار في إحدى سفن الأسطول البريطاني واشترك في الحرب العظمى الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) كضابط بحري في معركة جوتلاند ثم التحق بعد ذلك بالسلاح الجوي الملكي. وعندما وضعت الحرب أوزارها التحق بجامعة كمبردج حيث تلقى بعض الدراسات في الاقتصاد والتاريخ، كما استطاع أن يتغلب على تلعثم في الحديث اشتهر به في شبابه بوساطة الخبير الاسترالي لوليل لوج.

وتزوج في عام ١٩٢٣ بالملكة الحالي «البرنسس اليزابث أوف يورك»، وكان والده الملك جورج الخامس قد كلفه زيارة المصانع وتفقد عمالها فكان يطلق عليه لقب «رئيس عمال» الى جانب لقبه الرسمي اذ ذاك وهو «دوق أوف يورك» وكان يحاول أن يجعل زياراته أبعد ما تكون عن الزيارات الرسمية وقد أنشده عمال أحد المناجم مرة أغنية وضعوها له عنوانها «انه زميل طيب للغاية»

وفي ٢١ ابريل ١٩٢٦ رزق الملك والملكة بالأميرة اليزابث كبرى كريماتهما وبعد سنتين رزقا بالأميرة مارجريت.

وفي ١٢ مايو سنة ١٩٣٧ تربع على العرش خلفاً لأخيه الأكبر الملك ادوارد الثامن الذي تنازل عن العرش في ١٠ ديسمبر ١٩٣٦

ومنذ ذاك الحين والملك رمز حي للتواضع والوطنية والتفاني في حب بلاده حتى أطلق عليه الناس بحق «ملك الشعب».

ومما يذكر أن الملك الراحل كان حاكماً خجولا يصف نفسه بأنه رجل عادي ورب أسرة، وكان رمزاً للشخصية الوطنية احبه الشعب لأنه كان يعد نفسه ملك الشعب وقد ضحى بالهدوء العائلي الذي كان يشتهيه منذ تولى مقاليد الحكم، وألقيت على عاتقه النبعات الجسام التي تحملتها بلاده في الحرب العالمية الثانية.

وأحب الناس الملك الصديق المتواضع، والبسمة الطيبة التي كانت لا تفارق شفتي الملكة زوجته وابنتيه الصغيرتين، وعلم الجميع انه لا يود من ابنة الملك سوى الهدوء والسعادة اللتين يسبغهما الله على كل عائلة تسعى للخير والراحة

أكثر من أن نسجل حزننا العميق لوفاة الملك

ولا يستتبع وفاة الملك اجراء انتخابات جديدة ، غير ان الأعضاء الحاليين في مجلس العموم حلفوا يمين الولاء للملكة الجديدة .

﴿ عرض الجثمان قبل الاحتفال بدفنه ﴾

ونقل جثمان الملك الراحل من قصر ساندرينجهام (بمقاطعة نورفوك) حيث كان يقضي أيامه الأخيرة مع زوجته والأميرة مرجريت كريمتهما الصغرى ، الى منصة في الهول الكبير في دير وستمنستر بلندن ، وسار وراءه الملكة اليزابث الثانية والملكة الوالدة وأعضاء الأسرة المالكة حيث عرض على شعب قبل الاحتفال بدفنه رسمياً .

﴿ تشييع الجنازة ﴾ واشترك في تشييع الجنازة ظهر الجمعة ١٥ فبراير أعضاء الأسرة المالكة و٦ ملوك هم ملك النرويج وملك السويد وملك الدانمرك وملك اليونان وملك العراق وملكة هولندا . ومثل البابا رئيس الاساقفة بول جيوبي المندوب البابوي في لاهاي

واشتركت كذلك في تشييع الجنازة بعثة شرف ملكية برياسة سمو الأمير محمد عبد المنعم موفداً من قبل جلالة مولانا الملك فاروق . والأمير فيليكس زوج دوقة لوكسمبورج والأميرة أولاف ولي عهد نرويج والأمير البرت نائباً عن الملك بودوان . والأمير علي رضا پهلوي نائباً عن شاه ايران ، والأمير اصفا وسن ولي عهد اثيوبيا نائباً عن الامبراطور هيلاسلاسي والأمير حسين نائباً عن الملك طلال .

أما رؤساء الحكومات الذين شيعوا الملك الراحل الى مقره الأخير نذكر منهم مسيو فنسان أوريول رئيس الجمهورية الفرنسية ومسيو ادجار فور رئيس الوزارة ومسيو روبير شومان وزير الخارجية والسنيور ايناردي رئيس الجمهورية الايطالية والسيد جلال بايار رئيس الجمهورية التركيا والجنرال وايت ايزنهاور القائد الأعلى لجيش الأطلنطي ومسيو تريجفي لي السكرتير العام للامم المتحدة والهر بلوخر نائب رئيس جمهورية المانيا الغربية وزراء الخارجية والسفراء من جميع دول العالم ورؤساء وزارات بلدان الكومنولث ، ووفود من البلدان العربية وبعثاتها .

وتألف الوفد الاسباني من وزير الخارجية وقواد الأسلحة البرية والجوية والبحرية . وأوفد المارشال بيتو الدكتور ايفان ريبار رئيس الجمعية التأسيسية .

سار جميع من ذكرنا وغيرهم من أقطاب الدول وساستها خلف النعش في موكب رسمي ملتزماً التقاليد البريطانية . حيث صلي عليه ودفن في كنيسة سانت جورج في وندسور حيث دفن والده الملك جورج الخامس .

وأقيمت بمصر حفلة جنائز على روحه في الكاتدرائية الانجيلية حضرها سمو الأمير

عرش بريطانيا

بمناسبة وفاة الملك جورج السادس

المجلس الخاص يعلن تولي الأميرة اليزابث عرش بريطانيا

توفي الملك جورج السادس ملك بريطانيا صباح يوم الاربعاء ٦ فبراير ١٩٥٢ بالغاً من العمر ٥٦ عاماً بعد مرض طويل ظن الجميع أنه قد أبلّ منه بعد العملية الجراحية الخطيرة التي أجريت لجلالته في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٥١ ، واستأصل الأطباء بها احدى رئتيه

حدثت الوفاة في أثناء نوم الملك وكان خادمه الخاص أول من اكتشف الأمر حوالي الساعة السابعة والنصف من صباح ذلك اليوم ، غير أن نبأ الوفاة لم يعلن خارج محيط الأسرة المالكة والدوائر الحكومية العليا إلا في الساعة الواحدة إلاّ ربعاً ، بعد أن أبلغ النبأ الى الأميرة اليزابث كبرى كريمات الملك الراحل التي كانت تقضي اجازة مع زوجها دوق أدنبره في افريقية .

الملك جورج السادس

وحين وصل النبأ في لندن الى أسماع الناس توقفوا عن أعمالهم ، واحتشدت الجماهير الغفيرة حول قصر بكنجهام وخيم عليها صمت ووجوم لم يقطعهما إلا تنهدات بعض السيدات ، بينما أخذ الرسل يتوافدون على القصر حاملين التعازي من مختلف الهيئات .

﴿اجتماع مجلس الوزراء﴾

وعلى أثر سماع ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية بالنبأ دعا الى عقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء ، لبحث المسائل الدستورية المتعددة التي أصبحت تواجه الوزارة فجأة .

﴿مجلس العموم يسجل حزنه العميق﴾

وقد أوقفت المناقشات في مجلس العموم عندما أعلن تشرشل النبأ على الأعضاء قائلاً « إننا لا نستطيع الآن أن نفعل شيئاً

ثم بنيت لها دار نشأة في قلب المدينة في ساحة النجمة ، واحتفل بافتتاحها رسميًّا ١٩٣٧ .

وقد جمع الكونت دي طرازي في العشر السنوات الأولى من إنشائها نحو ثمانية وعشرين ألف مجلد دون أن يكلف الحكومة اللبنانية شيئاً .

وأما الجزء الثاني من هذا المجلد فهو وصف للحفلة الكبرى التي أقيمت عام ١٩٤٠ بدار الكتب اللبنانية ورأسها المفوض السامي ورجالات الدولة لتكريم المؤلف ، وللكلمات التي قيلت فيها ، وأقوال الصحف والمجلات في وصفها .

و«المقتطف» لا يسعها إلا أن تثني على المؤلف ، وتشيد بخدماته الجليلة وأياديه البيضاء على لبنان والثقافة العربية . . حيَّاه الله وكتب له التوفيق في خدمة العروبة ولغة الضاد .

* *

محاضرات الثلاثاء

تأليف الاستاذ أحمد الشرباصي المدرس بالازهر الشريف — صفحاته ١٦٠ صفحة
نشر مكتبة الخانجي بمصر — طبع بمطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٤٢

الأستاذ الشرباصي من شباب العلماء الفلائل ، الذين يؤدون رسالتهم الدينية في الأزهر وخارجه على أكمل الوجوه ، تنطق بذلك محاضراته ومؤلفاته وبحوثه الكثيرة في الصحف والمجلات .

وكتاب اليوم : « محاضرات الثلاثاء » تسجيل للمحاضرات التي ألقاها في العام الماضي في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة مساء يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، والتي كانت تلقى العناية والاقبال من كل جانب .

وموضوعات هذه المحاضرات متعددة ، فالى جانب بحوثه الممتعة فيها عن « الثقافة العامة في كتاب الله » ، « والاسلام والشيوعية » ، و « الاسلام وتحديد النسل » ، و « الأخلاق في المسيحية والاسلام » . تقرأ للمؤلف في هذا الكتاب ، « مذهب الشيخ محمد عبده في الاصلاح » ، « لمحة عن جمال الدين الأفغاني » ، وتقرأ : « في صحبة من المكفوفين » ، و « الربيع في القرآن الكريم » ، « ذكرياتي عن التدخين » ، وغيرها من شتى الآراء والدراسات .

والكتاب نموذج حال في بلاغة الأسلوب ، وحسن العرض ، وجمال الأداء .

وإنا لنهنىء المؤلف بهذه الثمرة العلمية الناضجة . محمد عبد المنعم خفاجي

مكتبة المقتطف

خزائن الكتب العربية في الخافقين

تأليف الفيكونت دي طرازي — المجلد الرابع — صفحاته ٣١٠ صفحة من حجم المقتطف
طبعته لجنة تكريم المؤلف بلبنان —

الفيكونت دي طرازي علم من أعلام لبنان المعاصرين، ومؤسس دار الكتب اللبنانية، وعضو في عدة مجامع علمية في الشرق والغرب، وله أكثر من عشرين كتاباً مطبوعاً، وعشرات الكتب المعدة للطبع.

وكتابه «خزائن الكتب العربية في الخافقين» مجموعة فريدة في نوعها لا يستغني عنها عالم أو أديب.

وقد أهدى إلينا المؤلف الجزء الرابع من هذا الكتاب الحافل الذي يقع في أكثر من ثلثمائة صفحة، فوجدناه ممتعاً حافلاً بالبحوث والدراسات.

وفي صدر هذا الجزء تصدير دبجته لجنة تكريم المؤلف، ويليه مقدمة بقلم المؤلف. ثم يلي ذلك الكتاب. وهو مقسم إلى جزءين:

فالأول عرض تاريخي لنشأة دار الكتب التي أنشأها المؤلف في بيروت، منذ ظهرت إلى الوجود عام ١٩١٩، حتى السنة التي اعتزل فيها خدمة الحكومة وهي عام ١٩٣٩.

ومن الطريف أن الفيكونت قد أسس المكتبة عام ١٩١٦ في منزله، وكان ينفق عليها من ماله، وجمع كتبها من مكتبته ومما أهدى إليها من الأفراد والجماعات والحكومات.. ولما ضاقت بها داره اختار لها الطبقة العليا من بناية المدرسة «البروسيوبة» المعروفة بمدرسة «الدياكونيس» ونقل إليها المكتبة عام ١٩٢١، وأطلق عليها اسم «دار الكتب الكبرى». واعترفت بها الحكومة بفضل جهوده، وسجّلت باسم الحكومة اللبنانية ١٩٢١، وأصبحت تحت إشراف مديرية المعارف العامة ثم وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة... وقام المؤلف برحلات الى مصر وأوربا لاستهداء الكتب وافتنائها للدار..

التقويم الزراعي

لشهر فبراير ١٩٥٢

(١) — ﴿ الحاصلات ﴾

البرسيم — يستمر في حشه ورعيه
القمح — يمتد لفترة الثانية
باقي الحاصلات الشتوية — تروى عند المدة
الشتوية وتنقى الحشائش
القطن — يبدأ بزراعته في الوجه البحري وجنوب الدلتا
القصب — يستمر الكسر والزراعة وري الخلفة

(٢) — ﴿ البساتين ﴾

(أ) — الفاكهة : تستمر زراعة الأشجار ، ويسرع في الانتهاء من زراعة الأشجار التي تبكر في الازهار كالخوخ والمشمش . اتمام عمليتي التسميد والتقليم قبل تحرك العصارة في الفروع والأغصان بعد فترة الشتاء . زراعة عقل العنب والتين والرمان ، وبذور التارنج والليمون البلدي والقشدة الطرابلسي بشمال الوجه القبلي (في نهاية الشهر)

(ب) — الخضر : زراعة عروات مبكرة من الملوخية والخيار والقاصوليا والقرع والبطيخ والبطاطس الصيفي . زراعة عروات من الفجل واللفت والجرجير والرجلة والبقدونس . زراعة عروات متأخرة من الجزر الافرنجي . مثل الباذنجان والفلفل (زراعة شهريا اكتوبر ونوفمبر) غرس شتلات الخس البلدي والطماطم الصيفية . زراعة بذور الكرفس والكرات أبو شوشة والباذنجان .

(ج) — الأزهار : يستمر في تقليم الورد وتنقل الأنواع المطعمة الى الأرض المستديمة ، تجهيز حقل الجازونيا . يستمر في زراعة الأرولة في مكان ظليل . خف الازهار الزهرية للقرنفل وتجهيز الحقل للزراعة . زراعة بذور الداليا والكليوس . تسميد الأشجار والشجيرات .

✲ ✲

ومن ثمّ تتوالى الفصول الأخرى شارحة بإسهاب ما عرضه الفصل الأول فيتناول فصل الجو الديني في ذلك العصر ويعالج آخر المترجمين من لغة إلى أخرى كالمترجمين من العربية الى اللاتينية مثلاً ، ويختص ثالث بالجو الفلسفي ، ورابع بالرياضيات والفلك ، وخامس بالطبيعيات والموسيقى ، وسادس بالكيمياء ، وسابع بالجغرافيا ، وثامن بالتاريخ الطبيعي ، وتاسع بالطب ، وعاشر بعلم التاريخ ، والحادي عشر بالقانون والاجتماع ، والثاني عشر بفقه اللغة والتربية .

وقد وضع الأستاذ سارطون لنفسه أربع قواعد توخاها في البحث والتنقيب وهي :

أولاً — فكرة الوحدة ووحدة المعرفة والطبيعة والانسانية — وهو يقول إن صرح العلم بني في السابق كما يبنى اليوم على كاهل رجال ينتسبون الى مختلف القوميات والجنسيات ويدينون بأديان مختلفة ويتكلمون لغات متباينة . وهذا يعني أن بني البشر يتدفعون بحوافز وآمال واحدة ويفكرون بالطريقة نفسها ويشكلون وحدة ما داموا يتعاونون نحو الوصول الى الغايات الانسانية الأساسية .

وثانياً — انسانية العلم . وهو يقول ان العلم من إنشاء البشر فالدين وجد لأن البشر متعطشون للخير والعدل والرحمة ، والفنون وجدت لأنهم متعطشون للجمال ، والعلوم وجدت لأنهم متعطشون للحقيقة .

وثالثاً — قيمة الفكر الشرقي العظمى — وهنا ينتقد المؤلف الكتاب الذين يحصرون اهتمامهم في الفكر الغربي متناسين ما للفكر الشرقي من فضل عليه . وهو يقول إننا نعلم الآن أن أصل العلوم الغربية (لا الدين والفنون وحدهما) هو شرقي فالحضارة الاسلامية لم تنقل التراث اليوناني فحسب ، بل زادت عليه وغذته من نبوغها .

ورابعاً — الحاجة الى التسامح وهنا يقول ان عدم التسامح والتعصب هما معولان هادمان . ولعل أعظم مناقب هذا الكتاب عدا قيمته العلمية البحتة هي وضعه العلوم العربية في مجرى العلوم العالمية وربطها سوية ربطاً محكماً في أعين الغرب فلم تعد العلوم العربية شيئاً غريباً مستهجناً لا يعرفها إلا ذووها وبعض المستشرقين المغرمين في أبراجهم العاجية ، فهي اليوم في متناول الطالب الشرقي والغربي على السواء ، ويا حبذا لو قام أحد علماء العربية أو فريق منهم بنقل هذا الكتاب الى لغة الضاد .

فرحات زيادة

أما جورج سارطون فهو بلجيكي المولد أميركي الجنسية ، درس العلوم والرياضيات في جامعة Osiris في فلاندرز من أعمال بلجيكا وشغف ولما يزل صغيراً بتاريخ العلوم . فأنشأ سنة ١٩١٢ مجلة تعنى بهذا الموضوع أسمها « Isis » . وقد التحق لمدة طويلة بمعهد كارنيجي بواشنطون ، وهو المعهد الذي نشر كتابه المذكور . وهو الآن أستاذ في جامعة هارفرد الشهيرة .

وحيما كان الأستاذ سارطون ينعم النظر في تاريخ العلوم وخصوصاً في المدة المسماة بالقرون الوسطى أخذ يتنبه تدريجاً الى أهمية العلوم العربية في ذلك الوقت فسارع الى تعلم اللغة العربية حتى يستطيع أن يقرأ المصادر العربية ويتفهمها ، ثم سافر الى الشرق سنة ١٩٣١ ومكث فيه نحو سنة قضى معظمها في بيروت . ولكنه زار مصر وتونس والجزائر ومراكش فاحصاً منقباً عن العلوم العربية وعن المخطوطات التي تحويها .

أما الكتاب نفسه فيتألف من ثلاثة أجزاء ضخمة عالج الجزء الأول منها العلوم من هوميروس الى عمر الخيام . وقد صدر هذا الجزء سنة ١٩٢٧ واستغرق تأليفه تسع سنوات . وتناول الجزء الثاني الذي صدر سنة ١٩٣١ المدة الواقعة فيما بين ابن عزرا وابن رشد ، واستغرق وضعه ثلاث عشرة سنة . وشمل الجزء الثالث الذي صدر سنة ١٩٤٧ العلوم في القرن الرابع عشر الميلادي ، وقد قضى المؤلف في وضعه سبعاً وعشرين سنة .

فأنت ترى أن هذه الاجزاء الثلاثة قد استغرقت عمراً كاملاً من المؤلف ليجمع مادتها وتحقيقها وضبطها ثم تنسيقها وابرازها في شكل منتظم، ولا غرو فقد اشتملت هذه الاجزاء على العلوم في أنحاء المعمورة كافة من عصور اليونان الى أواخر القرن الرابع عشر ، من يونانية ولاتينية وعربية وهندية وصينية ومصرية قديمة الخ . وقد جاء الجزء الأول مختصراً نوعاً ما ، في حين ان الجزءين الآخرين اللذين يعالجان الحقبة التي سادت فيها العلوم العربية جاءا مطولين . فاستطاعتك أن ترجع إليهما لمعرفة اسم أي عالم عربي عاش في تلك المدة وأسماء مؤلفاته وفي أي فرع من العلوم فبغ . وبهذه المناسبة نود أن نذكر أن الأستاذ سارطون لم يحصر اهتمامه في العلوم الطبيعية بل تجاوزها الى غيرها من العلوم اذ أنه يحدد العلم بالمعرفة ، وهذه تشمل بالطبع السياسة والتاريخ والاجتماع على سبيل المثال ، عدا العلوم الطبيعية والطبية .

أما فصول الكتاب فهي غاية في الترتيب والتنسيق ، فيبتدىء كل جزء بفصل يعرض عرضاً موجزاً وافياً للعلوم والتقدم الذهني في المدة التي يحصر ذلك الجزء اهتمامه بها ،

باب المراسلة والمناظرة

العرب في المؤلفات الاميركية

مقدمة لتاريخ العلوم

كنا ذات يوم ندرس « تاريخ العلوم العربية » على استاذنا الدكتور قسطنطين زريق في جامعة بيروت الاميركية وكنا في صدد العلوم الطبيعية فأرشدنا الى مصدر أجنبي قال إن اسمه « مقدمة في تاريخ العلوم » (An Introduction to the History of Science) للدكتور جورج سارطون . وبالطبع حسبناه مقدمة كسائر المقدمات محتوية صفحات قليلة في صدر كتاب آخر . فتنفسنا الصعداء وقلنا في نفسنا إن الدرس المبيّن لذلك اليوم لم يكن سهباً أو طويلاً ، فقصدنا المكتبة وكلنا أمل في أن نأتي عليه في دقائق معدودة ومن ثم نتفرغ للعب واللهو . وما أشد ما كانت دهشتنا عندما وجدناه كتاباً ضخماً صدر منه مجلدان بقعان فيما يزيد على الألفي صفحة . ففطنا عندئذ أن جميع المقدمات ليست على طول أو قصر واحد ، ودونها مقدمة ابن خلدون لكتابه « العبر في تاريخ العرب والبربر » فهي تشكل كتاباً قائماً بنفسه ..

واليوم حينما كنت أقلب موضوع هذا الكتاب في ذهني لأنقل صورة صادقة منه شدهت لوجه الشبه فيما بين جورج سارطون وابن خلدون ، فكلاهما كتب تاريخاً ، أحدهما سياسي اجتماعي ، والآخر علمي ، ولكنهما لم يكتفيا بذلك بل حاولا أن يضما فلسفة يضيفان اليها ما كتباه في التاريخ ، فوضع ابن خلدون فلسفة للتاريخ ضمنها مقدمته ، ووضع جورج سارطون فلسفة للعلم أسماها « إنسانية العلم » أشار إليها في فاتحة كتابه ومن ثم ضمنها كتاباً آخر دعاه بذلك الاسم نفسه . فكلاهما موسوعي في الالمام بالحقائق وفيلسوف في تفسير تلك الحقائق وفي ارجاعها الى نظرية عامة شاملة .

وبالطبع لا نستطيع أن نقرظ كتاب « مقدمة في تاريخ العلوم » تقريظاً كاملاً خصوصاً والى جزء ثالث قد صدر منه فأصبحت صفحاته تزيد على الأربعة الآف ، وكل ما نقصد إليه هو أن نعرفه وان لم بشيء من حياة مؤلفه ، علّنا بذلك نثير الرغبة في قراءته أو الرجوع إليه كمصدر مهم في التعرف الى العلوم العربية وفي نشر تقنينها

فأصبحوا يمثلون أسلافهم وما كانت عليه أحوالهم منذ فجر التاريخ ، فقد وصف هؤلاء العلماء العقلية البدائية بصفة مميزة هي الصفة التي يقترن بها ادراكها للأشياء والموضوعات . وهذه الصفة هي اقتران الادراك بالغموض Occultism ، وبتأثير القوى الصوفية الغامضة Mystic Powers . فالأفكار والتصورات البدائية للموضوعات ليست منفصلة عما تثيرها من رغبات وانفعالات . أي أنها عقلية لا تخضع للناحية الموضوعية في التفكير ، ولا يجري منطقها إلا مع الهوى ووفق العواطف والأشواق ، بحيث تختلط الصور الذهنية — البصرية منها أو السمعية — بما يستثار من خوف أو خشية أو تحريم أو رغبة أو ما إليها . فليس هناك تجريد عقلي أو مدرك عقلي conception موضوعي للشيء . فاذا رأى البدائي جسماً معيناً فقد يرى فيه قوة تخضعه لعمل معيّن كأن يحرّم الاقتراب منه ، أو أن يقوم ببعض الطقوس المعينة لارضاء هذه القوة التي تكمن في الشيء أو حوله . وتبدو خصائص هذه القوى الصوفية الغامضة في ادراك البدائيين لمعاني الأسماء والأحلام والظلال عدا ادراكهم للأشكال الحقيقية .

فالرجل البدائي المندي يعتبر أن لاسمه حقيقة موضوعية كما لو كان عضواً من أعضاء الجسم كالعين أو الأذن وما إليها . وأن أية اهانة أو أي أذى يلحق الاسم ، يتمها حتماً إهانة أو أذى يلحق صاحبه ولذلك نرى أفراد بعض القبائل يخفون أسماءهم الخاصة (وليست ألقابهم المعروفة) خشية أن يسخرها السحرة في التأثير عليهم بالشر إذا عرفوها . وتوجد هذه الظاهرة كذلك في القبائل التي تعيش في الساحل الشرقي الافريقي . وفي جزائر الفيجاي Fiji وفي غيرها يعتبر السير على الظل تعدياً يوجب الانتقام . وحدثنا الدكتور جروت بأن بعض القبائل الصينية تحذر الناس الوقوف بقرب تابوت الميت ، لأنهم يخشون أن يقع ظل الواقف منهم على التابوت فيكون ذلك نذيراً له ومهدداً لحظه ومسبباً له النحس والشؤم . فالظل shadow يدرك كما لو كان إحدى النفوس التي تتقرن بالشخص . أما ادراك الاحلام فيتصف كذلك بهذه الصفة نفسها . فليس الحلم عندهم ، كما نعلم ، مظهراً من مظاهر النشاط العقلي الذي يحدث أثناء النوم ، بل هو مظهر من مظاهر الاتصال بالأرواح والنفوس والمردة وغيرها من الأشياء الخفية فيما وراء الطبيعة ، أو مظهر لاتصال صاحب الحلم بالملاك الحارس له (guardian angel) . وفي استراليا إذا رأى أحدهم حلماً شخصاً يمسك بشعر رأسه مثلاً ، فانه يقص حلمه على خلانه على أنه حدث حقيقي .

[البحث بقية]

خاص . والواقع أن هذا الطراز من الفكر لا يؤدي الى منطق أو يوصل الى نتائج عامة أو أفكار مجرّدة . كما أنه يفتقر الى ذلك العنصر النّاقد الذي يستجوب هذا الاستجواب التأملي وهو : أيبدو هذا الأمر معقولاً ؟ أحق ؟ فكل شيء ينبع من التتابع التخيلي — ولا يكون شيئاً ماديًّا — إنما يدرك كصورة رمزية Symbolic أو يتخذ قالباً شخصياً فتلاً الأفكار عن الرياح وعن الفصول وعن وجوب التزام الحق وعمل الصواب ، كانت تبدو جميعها بمظاهر الأشخاص ، وكانت ترتبط بالعقل البدائي بعلاقات شخصية . وكل شيء كان يفترض أنه يؤدي عملاً كالأشخاص تماماً . فالرياح تهب . . إذن فمن جعلها تهب ؟ والنهر يجري . . إذن فمن صبّه ومن أجراه ؟ والشمس تشرق وتغرب ، إذن فمن الذي دفعها في الجو ومن الذي حرّكها إلى الشرق ومن الذي حرّكها إلى الغرب ؟ وعلى هذا القياس تخيلوا تلك الآلهة المتعددة مثل بوريأس Boreas وأوستر Auster وأبولو وحركة الشمس . كما اعتقدوا أن لكل شجرة روحاً مثل روح الانسان وأن الرعد يحدثه إله يدوّي صوته العظيم في أعماق الفضاء .

والعقل البدائي من أجل ذلك يعتبر الأب والأم اعتبار الآلهة الخيالية — كما أننا نرى في الطبيعة أمنا الكبرى كأنما نحن لضمها في مصاف هذه الآلهة .

ويظل الانسان المتوحش الذي لا يتفلسف طفلاً من الناحية الفكرية طوال حياته .

وقد كانت البشرية قديماً تفكر بهذا الأسلوب التتابعي التخيلات والرموز الذهنية — ولم يكن هناك طريق آخر يمكن أن ينهجه العقل غير هذا الطريق . وهذه المرحلة هي ما أسماها كومت Comte بالمرحلة الاسطورية Mythological Phase في التقدم البشري ، وقد تم تسجيل هذه المرحلة في اللغة التخيلية التي رسمت وصوّرت ونحتت منذ فجر التاريخ . فالآلهة في الهند ، والآلهة أوزوريس وهورس وأنوبيس وإيزيس ، هذه كلها تصوّر عن أفكار الأمر والنهي والخير والشر ، وهي الأفكار التي لم يستطع الانسان البدائي أن يأتي بأبسط منها . ولعل العيون التي كان يرسمها البدائيون لتصوّر أجمل تعبير عن التشخيص أو التجسيد للأشياء أو الظواهر الطبيعية .

﴿ الغموض ﴾ على أن تمثيل الفكر البدائي بفكر الطفولة ليس صحيحاً في تمامه فهما لا يتقابلان تمام المقابلة إذ سلوك العقلية البدائية يتضح فيما يدرسه علماء الانثروبولوجيا (علم تاريخ الانسان) من سلوك القبائل المتأخرة التي تعيش في أستراليا وأفريقية وأمريكا . أي القبائل التي جمدت على أوضاع المجتمع القديم وانقطعت عنهم لعزلتهم أسباب الحضارة ،

العقلية البدائية

للأستاذ أميل توفيق

﴿التفكير الرمزي﴾ يفكر الانسان البدائي — كما يفكر الطفل فتفكيره تفكير تخيلي imaginative — والتخيل هو النهج الطبيعي الذي ينهجه العقل غير المدرّب. فالتفكير التخيلي ما هو إلاّ تتابع للصور التي تتصل حتماً بالدوافع التي تدفع للعمل. والصور الذهنية والتخيلات والمشاهد إنما يوحي بها إيحاء عند ذوي العقول الناشئة — وهذه الصور والمشاهد، تكوّن بتتابعها صوراً جديدة ومشاهد أخرى. والتتابع كله مقترن بحاسة من النشاط الإرادي المنفرد وهو نشاط سريع متلاحق وليس محكماً. وهناك أناس كثيرون يمكنهم أن يذكروا الأوقات التي مرّت عليهم في حياتهم حين كانت أحلامهم كلها تعمل بوحي هذا التفكير التخيلي — وكثير من الفتيان البالغين لا يحسنون التفكير بغير هذه الطريقة.

وفي هذا التتابع العقلي لهذه الصور عند الطفل أو الانسان البدائي لا تكون الأشياء مميزة تماماً من الأشخاص. فالأشياء لديه ما هي إلا أشياء أشخاص. وهذا فرق ثانٍ بين العقل المدرّب والعقل غير المدرّب. فالأشياء — للعقل البدائي — تحب وتكره كالأشخاص تماماً بحسب نفعها أو ضررها. فعالم الفكر البدائي ليس إلاّ مسرحية درامية يكون الفكر فيها مدركاً لدور يلعبه لنفسه. فإن تتابع التخيلات الذهنية، وتقدم هذا التتابع — يمنحان قيمة طيبة أو سيئة للأشياء أو الأعمال المتخيلة. وتبعاً لهذه القيمة يكون السلوك بالقبول أو بالرفض لهذه الأعمال أو الأشياء.

وفكر الطفل الصغير، أو الفكر البدائي — إنما هو طراز لذلك النشاط العقلي الذي تختلف عن الأحلام فقط في اتصاله المباشر بالحقائق، وفي صدوره متصلاً بالحواس المدركة. أما دون ذلك، فهو يشبه الأحلام لأنه غير منتظم، ولأنه ليس لتتابعه اتجاه

هـذا بينما الوزير الفرنسي في استنبول يفاتح الوزير التركي الريس أفندي في شأن القراصنة ويصوّر له الفوائد التي تعود على تركيا من هـذه الحملة برفع اسمها بين الدول الأوروبية لفضائها على القرصنة، ولكن بعد استشارة وزير انجلترا المفوض أجاب الوزير بأن السلطان لا يسمح مطلقاً بحملة على بلاد الجزائر ولكنه يعد بأن يسعى لانهاء حالة الخصام بين الداي وفرنسا، وفعلاً أرسل الى هناك مندوباً اقترح اعطاء بعض الامتيازات لفرنسا نظير الترضيات اللازمة، كحق احتكار صيد المرجان في المواني الجزائرية، ولكن الحكومة الفرنسية رفضت ذلك.

وان بمعارضة انجلترا لمشروع الحملة شيء طبيعي فوراءه تكمن المسألة الشرقية كلها إذ ان اشتراك محمد علي مع فرنسا معناه وضعه تحت الجناح الفرنسي مما يجعله في المستقبل أكثر جرأة على السلطان ويجعل استقلاله بمصر أمراً مؤكداً مما يضعف الدولة العثمانية ويجعلها عاجزة عن الوقوف في وجه الاطماع الروسية.

ورغم سرية هذه المحادثات فان مجلس الوزراء البريطاني لم يكن جاهلاً بها فقد أعلمه اياها الوزير البريطاني حينما استشاره الريس أفندي كما ان (محمد علي) في مصر لم يتردد أيضاً في استشارة القنصل البريطاني في مصر ولم يلبث الخبر ان ذاع عندما نشرت المشروع احدى جرائد ازمير فلم يسع بوليناك إلاّ الاعتراف به وتعليله برغبة فرنسا في القضاء على القرصنة في البحر الأبيض المتوسط وعلى الحكم الفاسد في الجزائر فلم يسع محمد علي كذلك إلاّ أن يكتب الى فرنسا معتذراً عن عدم القيام بالحملة لأنه لا يستطيع أن يجرد سلاحاً ضد بلاد خاضعة للسلطان فعاد بوليناك واقترح أن تقوم فرنسا بغزو الجزائر تاركة لمحمد علي غزو تونس وطرابلس نظير عشرة ملايين من الفرنكات علاوة على الثمانية ملايين التي بنيت بها الأربع سفن ولكن محمد علي رفض أن يتحرك دون أن يحصل على جميع الضمانات الكافية وأهمها الفرمان الشاهاني، بينما كان القنصل البريطاني يسعى لمقابلته ليقنعه بضرورة الوقوف في صف انجلترا في محافظتها على أملاك الباب العالي، وكان محمد علي يقدر كثيراً صداقة بريطانيا فأرسل الى فرنسا خطاباً يؤكد فيه اعتذاره كما كرره أمام القنصل الفرنسي بالقاهرة قائلاً له: «أنتم مسيحيون أما أنا وبلاد الجزائر فمسلمون فلم يكن لي أن أتحد معكم، فلا السياسة ولا الدين يوحيان بهذا الاتحاد». وبذلك انتهى الدور الذي لعبه محمد علي وترك فرنسا وحدها تسعى لمصلحتها وصرفت فرنسا نظرها فعلاً عن مساعدة محمد علي وقامت بالحملة وحدها.

ليسعى لدى الباب العالي في الحصول على فرمان شاهاني يمنح محمد علي باشا حكم الأجزاء الغربية نظير جزية سنوية .

وكان محمد علي يرى أن فتح هذه البلاد لن يحتاج الى أقل من أربعين ألفاً من الجند نصفهم من البدو الذين يخترقون الصحراء، بينما تحمل السفن الجند النظامي . ومن المستحسن أن تصبغ الحملة بصبغة اسلامية وان تقتصر المساعدة الفرنسية على بعض ضباط المدفعية، فطلب في خطاب أرسله ابرهيم باشا الى قنصل فرنسا في مصر في نوفمبر سنة ١٨٢٩ جعل المساعدة المالية الفرنسية عشرين مليون فرنك وان تتنازل له الحكومة الفرنسية عن اربعة مراكب حربية ، وفي حالة موافقة فرنسا ستسير الحملة في الربيع القادم لتستفيد من هذا الفصل ومن الصيف الذي يليه ، فرضيت فرنسا دفع هذا المبلغ ولكنها رفضت الأربعة مراكب وذكرت انها تستطيع أن تبني له أربعة مراكب أخرى لا يزيد ثمنها عن ثمانية ملايين من الفرنكات تتعهد الحكومة الفرنسية بدفعها .

وفي الحال أخذ بولينياك موافقة الملك على اعتماد قدره ثمانية وعشرون مليوناً من الفرنكات ولكن محمد علي باشا لم يرض بذلك بل صمم على أن تكون المراكب الفرنسية من سفن الاسطول الفرنسي العامل فعرض الوزير الأمر على زملائه فرفضوه وكان أشدهم اعتراضاً في الرفض وزير البحرية الذي هدد بالاستقالة في حالة قبول هذا العرض لأنه كان يرى فيه اضعافاً للاسطول الفرنسي ليس له ما يبرره . بينما رأى وزير الحربية أن تستغني فرنسا كلية عن المساعدة المصرية وتقوم وحدها بالحملة ، فلم يستطع بولينياك أن يأخذ موافقة زملائه الا على الثمانية والعشرين مليوناً من الفرنكات ورفع الأمر الى الملك في تقرير رجاء اعتماد المبلغ وبيّن في آخر التقرير الفوائد التي تعود على فرنسا من هذه الحملة من نحو القرصنة في البحر الأبيض المتوسط وفك اعتقال الأسرى المسيحيين في الجزائر وادخال الحضارة الأوروبية الى تلك الأقطار مما يؤدي الى زيادة النفوذ الفرنسي بها وحكمها حكماً يقرب من المدنية كما يفعل محمد علي باشا في مصر، فوافق الملك وأرسل الى قنصله في الاسكندرية ان يعرض عقد الاتفاق على الباشا لتوقيعه وكان يقضي بأن تدفع فرنسا عشرة ملايين من الفرنكات في الاسكندرية وخمسة عند ظهور المراكب المصرية امام طرابلس ومثلها عند البدء في مهاجمة الجزائر على أن يقيم الباشا بهذه البلاد حكومة ثابتة قوية وان يعمل على زوال القرصنة من البحر الأبيض المتوسط، وان يدفع الى الباب العالي جزية سنوية، كما يتعهد بحماية مصالح الأجانب ، كما كلف القنصل أن يؤكد للباشا أن سير هذه الحملة هو بعلم السلطان ورضائه .

على سفنها بأن أرسلت حملة بحرية مشتركة إلى البحر الأبيض المتوسط خصوصاً وقد استولى القراصنة على ما يقرب من تسع عشرة سفينة تجارية خلال السنين الأولى من القرن التاسع عشر، وفي العشر السنين التالية استولوا على ما يقرب من ست وعشرين سفينة أخرى قدّموا بعضها الى السلطان في حروبه في بلاد اليونان. فعوّلت فرنسا على أن تقوم بتأديب هذه البلاد بنفسها. وقد سنحت الفرصة الموائية حينما ضرب الداي قنصل فرنسا بمذبة في يده في ابريل سنة ١٨٢٧ فاعتبرها القنصل اهانة لدولته، فبادرت فرنسا بسحب القنصل وطلب الترضيات اللازمة.

إلاّ أن حالة فرنسا في ذلك الوقت لم تكن تسمح لها بالقيام بهذه الحملة منفردة فقد بدأت الأحوال تتعقد في البلقان بسبب ارسال الدول الاوروبية لجيش مشترك إلى بلاد اليونان انتصر على الجيوش السلطانية وكاد تقسيم أملاك الرجل المريض ان يصبح حقيقة واقعية حتى لقد تقدمت فرنسا بمشروع في هذا الشأن مؤداه أن تحصل فرنسا على الأراضي البلجيكية الى الراين، وانجلترا على هولنده ويعوّض ملك هذه الأخيرة بأن يحكم من استنبول أراضي الدولة التركية التي تبقى بعد تقسيم البلقان بين روسيا وبروسيا والنمسا.

وفي أثناء ذلك رفع دروفتي Drovetti قنصل فرنسا في مصر إلى حكومته مشروعاً يتضمن قيام محمد علي باشا والي مصر بحملة على بلاد الجزائر فيمتد نفوذه على طول ساحل افريقية الشمالي مما لا يثير مخاوف أية دولة أوربية، على أن تقوم فرنسا بتموين الحملة ماليًّا وحربيًّا. والحق ان الباشا لم يكن يميل كثيراً الى هذا المشروع اذ كان يتأهب لحرب سوريا ولكنه كان يرى أن العرض الفرنسي قد يعطيه فرصة لتجديد أسطوله الذي تحطم في نافارين، كما ان الحملة تتيح له تحسين علاقته بانجلترا الأمر الذي يتوق له منذ تسنم سلطته. وكان أساس هذه الفكرة ان الجيش الفرنسي اذا قام بالمهمة وحده يتعرّض لانقطاع المؤونة بحراً كما حدث في الحملة الفرنسية على مصر، كما انها قد تؤدي الى بث روح الحسد في دولة منافسة لفرنسا كبريطانيا، كما ان عصابات البلاد غير المنظمة قادرة على أن تجعل مهمة الجيش الفرنسي صعبة. ولكن محمد علي باشا هو الذي يستطيع أن يضمن ولاء الاعراب القاطنين في الصحراء كما ان الجيش المصري أقدر على تحمل مشاق هذه الصحراء الطويلة الشاقة.

فتحمس بولينياك Polignac وزير الخارجية الفرنسية لهذا المشروع الذي (سوف يؤدي الى رد اهانة الداي وإلى اعطاء فرنسا مركزاً ممتازاً في البحر الأبيض المتوسط) فعرض المشروع على الملك شارل العاشر وكتب في أكتوبر سنة ١٨٢٩ إلى سفيره في القسطنطينية

مشروع حملة الجزائر

للأستاذ زاهر رياض

إذا نظرنا الى اقليم الجزائر لا نجد له حدوداً طبيعية تفصله عن تونس أو مراكش وكل هذه الحدود التي عملت بين هذه الأقاليم وبعضها انما هي حدود صناعية خلقتها يد السياسة

وقد تنافس على السيادة على هذا الجزء من العالم دولتا الترك والاسبان خلال القرن السادس عشر حتى تمّ للاخيرة الاستيلاء على معظمه .

ولكن ظهر خلال هذا الوقت اخوان تركيان يشتغلان بالقرصنة في هذا الجزء ففكرا في الاستيلاء على جانب من ساحل افريقية الشمالي يتخذانه ملجأ لهما . ولم يلبث أحدهما وهو خير الدين بربروسا أن قهر مزمه واستولى على ما يعرف الآن ببلاد الجزائر وطرد حاكمها مولاي حسن وفتح الباب العالي في أن يضع نفسه تحت حمايته . فرضي السلطان بذلك ونصبه حاكماً عليها ولقبه بلقب بجلربك وأرسل إليه الجنود لحمايته وقسّم شمال افريقية تحت الحكم التركي الى ثلاث أيالات يحكم كلاً منها ذاي والجميع تحت سلطة الباشا .

وكانت السلطة مقسمة بين الداي ورؤساء القراصنة والانكشارية على نحو ما كانت مقسمة في مصر بين الباشا والديوان والمماليك . وهاتان الفرقتان وان كانتا اسماً خاضعتين للباشا إلاّ انهما في الحقيقة اقتسمتا القوة كلها حتى كانتا تملكان حق طرد الوالي اذا لم يوافق هواهما .

ومن الطبيعي أن يكون البحر المتوسط تحت رحمة هؤلاء القراصنة مما أزعج الدول الأوروبية التي كثيراً ما حاولت فتح باب المفاوضات مع السلطان أحياناً ومع الجزائريين أحياناً أخرى في سبيل تأمين تجارتهم .

وفي سنة ١٨١٥ حاولت الدول في مؤتمر فينا أن تضع حداً لاعتداءات القراصنة

اذا نحن حاولنا أن نسجل كل شيء .

أما السير ، فان الضاد لشكو نقصاً فيها وهو نقص عجيب . والقلة التي كتبت من السير ، سواء كانت عن الذات أو عن الآخرين ، تبرز بدورها جهد الفرد واضحاً جليًّا فقد سجل عبد الرحمن الرافعي بك سيرة حياة كل من « مصطفى كامل باشا » و « محمد فريد بك » فأوفى على الغرض وصار كتاباه مرجعاً يكاد يكون كاملاً لتاريخ هذين الزعيمين المجاهدين . وسجل عباس محمود العقاد سيرة « سعد زغلول » وهي بدورها سجل لم يكن منهاجه مألوفاً في العربية وهو يعد خير ما كتب عن زعيم مصر . وأصدر ميخائيل نعيمه كتاباً عن سيرة صديقه « جبران خليل جبران » وأخرجه في طبعتين إحداهما انجليزية والأخرى عربية ، وقد حرص على أن يدوّن كل ما عرفه وخبره عن جبران فأنزله من مرتبة الأنبياء الى مرتبة البشر . وقد أثارت هذه الترجمة سؤالاً هامًّا هو : هل للمترجم أن يجامل صاحب السيرة فيغفل ما من شأنه أن يعود عليه بمنقصة ، أو أن عليه أن يسجّل كل شيء حتى ولو كان متعرضاً لنواح شخصية ذاتية خاصة ؟

وترجم فؤاد صروف سيرة « روزفلت » ترجمة كيّفها بأسلوبه العلمي الأدبي الرصين تكييفاً جعل منها درساً في السياسة وفي النفس وفي وسائل النجح وفي التاريخ المعاصر .

وترجم سلامه موسى لنفسه ترجمة ذاتية حديثة المنهاج في كتابه « تربية سلامه موسى » إذ أنه لم يفصل بينه وبين مجتمعه بل جعل نفسه جزءاً منه ومن أحداثه ، وتوخى أن يصوّر انعكاسات الأحداث السياسية على حياته ورأيه في كل منها ساعة حدوثه .

وهذه السير جميعاً هي من صنع الفرد ، لا من صنع الجماعة والهيئات الثقافية .

وما دمنا بصدد الحديث عن السير ، فلا يسع المرء إلاّ أن يعرب عن دهشته لأن كثيرين من روّاد الشرق لم تكتب حتى الآن سيرهم ، مثل الشيخ محمد عبده والشيخ جمال الدين الأفغاني وابراهيم اليازجي ويعقوب صروف وفارس نمر وجرجي زيدان وشبلي شميل وخليل مطران وأحمد تيمور وأحمد زكي ومصطفى عبد الرازق وأحمد شوقي وحافظ ابراهيم ومي وإسماعيل صبري وغيرهم .

وبعد ، هذا عرض عاجل سريع لبعض ما يستطيع الفرد أن يقوم به بجهده الخاص في الحركة الثقافية . ولعلّ في هذا العرض ما يجيب عن السؤال الذي استهللنا به هذا المقال .

وهناك كتاب « تاريخ العالم العام » للسر جون هامرتين وقد شرعت في ترجمته ونشره تباعاً الادارة الثقافية في وزارة المعارف . وهناك « تاريخ الفلسفة» لبرتراند رسل وهو موسوعة لا كفاء لها في الفلسفات والفلاسفة . وهناك كتب «في ربوع أميركا» و «في ربوع اميركا اللاتينية » و « في ربوع آسيا » و « وراء الستار الحديدي » لجون جنتر وهي تؤلف مجتمعة ، موسوعة في التاريخ المعاصر والجغرافيا الحية لبلدان العالم عسير أن نجد مثلها . وفي ما نعلم ، لم يقدم حتى الآن أحد من أدباء العرب على ترجمة كتاب من كتب جون جنتر مع انها جميعاً جديرة بالترجمة الى اللغة العربية .

ومن هذه القائمة ، يتضح جهد الفرد في العكوف على البحث والاستقصاء والتدوين وهو جهد لا يسع المرء إلا أن يبدي كل تقدير وثناء له حتى وإن شاب بعضه قصور تتكشف عنه دورات الأيام ، وتحيط التمام عنه آفاق العلوم الحديثة التي تنزاح عنها الحجب.

أما في ما يتعلق بالترجمة ، ونعني ترجمة أمهات الكتب ومصادر البحث الأصلية فان جهد الفرد يبرز فيها بروزاً واضحاً يصل في الحين بعد الحين الى مرتبة الاعجاز . فعادل زعيتر بك أغنى المكتبة العربية أخيراً بسلسلة من المؤلفات الغربية النفيسة « كحضارة العرب » لغوستاف لوبون و « وحضارات الهند » للمؤلف نفسه و « تاريخ العرب العام » لسيديو و « حياة محمد » لاميل درمنغم و « نابليون » لاميل لودفيج و « ابن الانسان » لاميل لودفيج و « النيل » لاميل لودفيج وغيرها من الترجمات النفيسة الخالدة .

وترجم عبد العزيز فهمي باشا « مدونة جوستينيان » القانونية ترجمة تسمو الى غاية ما تطيب له نفس الأديب ، كما ترجم أحمد لطفي السيد باشا كتاب «السياسة» لأرسطاليس وهو كذلك عمل ترضى عنه الفلسفة والأدب . وترجم الدكتور أمير بقطر كتاب «القربية في الشرق الأوسط العربي » الذي وضعه بالانجليزية كاتبان هما الدكتور منى عقراوي والمستر رودريك ماتيوز . وبدأ خليل مطران بك يترجم مسرحيات شكسبير ، ولكنه لم يتوفر عليها جميعاً . وقد صدرت أخيراً ترجماته « لعطيل » و « مكبث » و « هملت» كذلك عكف محمد عوض ابراهيم بك على ترجمة روائع شكسبير ولكنه لم يترجمها كلها .

كذلك ترجم نقولا الحداد نظرية النشئين وشرحها وعلق عليها ، وترجم اسماعيل مظهر وسلامه موسى ، كل على حدة ، نظرية داروين وشرحاها . وعكف الدكتور اسحق رمزي على ترجمة نظرية سيجموند فرويد وصدر له كتاب «التحليل النفسي» أخيراً

وباب الترجمة بدوره باب يتقدر فيه الجهد الفردي قفزات واسعة ، ولن يسعنا إحصاء

إلياس هو من عمل فرد و«معجم بيلو الفرنسي — العربي من عمل فرد و « معجم ضبط الأعلام » لأحمد تيمور باشا هو من عمل فرد و « معجم الأعلام » لخير الدين الزركلي هو من عمل فرد ، و « معجم الأدباء » لأحمد فريد رفاعي بك هو من عمل فرد و « المعجم القانوني » لخليل شيبوب هو من صنع فرد ، ويعكف اسماعيل مظهر الآن على اصدار « معجم فاروق الأول » وهو كذلك جهد فرد وللأستاذ مظهر معجم للحيتان ، هو كذلك مجهود فرد ، كما أن للأمير مصطفى الشهابي معجماً للنباتات الزراعية قام بإعداده مستقلاً ، وللدكتور شرف معجم طبي هو من صنعه . وقس على ذلك

أما الموسوعات أو دوائر المعارف ، فان الباحثين يترددون في الاقدام على اصدارها لأنه يكاد يكون في حكم المتعذر أن يلم امرؤ أيًّا كان ، بجميع المعارف إلماماً يمكنه من أن يكون عالماً حجة ثبتاً قادراً على أن يكتب كتابة تتأبى على النقد من ذوي التخصص والتعمق . ولذلك خلت الضاد من الموسوعات الحديثة الشاملة لجميع العلوم والآداب والفلسفات كالموسوعة البريطانية أو الموسوعة الأميركية أو الموسوعة الايطالية مثلاً ، ولكن ذلك لم يحل دون صدور موسوعات عربية لا يزال عددها قليلاً . فهناك موسوعة البستاني وثانية لمحمد فريد وجدي بك وثالثة يصدرها الآن أحمد عطية الله تباعاً . وهذه الموسوعات العربية ، هي بدورها من عمل الأفراد لا الجامعات ولا الهيئات الرسمية.

وهناك كتب أخرى تحمل طابع الموسوعات ، ولكنها تقتصر على باب واحد من أبواب المعرفة ، بعضها غنمته اللغة العربية ، وبعضها تعرفه اللغات الأجنبية . فهناك كتاب لسركيس حوى اسماء جميع المؤلفات التي طبعت في الشرق العربي حتى العقد الثاني من القرن العشرين . وهناك تاريخ للصحافة العربية سجله فيليب دي طرازي فنشر بعضه ولم ينشر البعض الآخر . وهناك فهرس مبوّب لمجلة « المقتطف » أعده الدكتور أحمد موسى منذ نشأة « المقتطف » حتى اليوم ولكنه لم يطبعه . وهناك سجل لمكتبات الشرق العربي أصدره أخيراً فيليب دي طرازي . وهناك سجل للمستشرقين أعده الأستاذ نجيب العقيقي . وهناك تاريخ لمصر منذ عهد نابليون الى اليوم سجله عبد الرحمن الرافعي بك . أما اللغات الأجنبية، فما أغناها بهذه الكتب الشاملة الضامة . فهناك «قصة الحضارة» لويل ديورانت وهو فيلسوف أميركي معاصر اجتمعنا به عندما زار مصر من بضعة أعوام وتحدثنا معه حديثاً نشره « المقتطف » في حينه . وهو يعكف على اصدار جزء أو اثنين من « قصة الحضارة » يختتم بهما هذه القصة الرائعة . وقد شرعت جامعة الدول العربية تترجم أجزاء من هذا الكتاب وكان آخر جزء صدر منه من ترجمة الأستاذ محمد بدران

الجهد الفردي

في العمل الثقافي

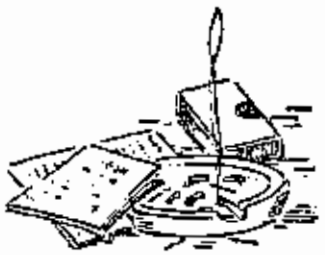

للأستاذ وديع فلسطين

هل يقوى الفرد ، إذا دان له الوقت وهان عليه العناء وساعفته الصحة وحالفه المال ويسر عليه أمر الطبع ، أن يقوم بعمل ثقافي ضخم معتمداً على جده ومثابرته وعزمه بغير أن يتلقى عوناً من الخارج أيّاً كان نوعه ؟ أعني هل يستطيع الفرد أن يصدر وحده دائرة للمعارف تغدو مرجعاً معتمداً لا مطعن فيه ، أو معجماً في لغة واحدة أو في لغتين فيسلم من زلل التحريف والتصحيف ، أو يسجل تاريخ العالم مثلاً تسجيلاً ينأى عن الظنّ ويبرأ من الخطأ ، أو يترجم كتاباً ضخماً فذّاً في موضوعه ترجمة تدنيه من الكمال وتجتمع لها خصائص التجويز والاجادة وصدق التعبير بحيث تحاكي النسخة الاعجمية . ؟

هل يقوى الفرد على ذلك ، أو أن مثل هذه الجهود الضخام تحتاج الى حشد قوى المجامع والهيئات الثقافية والباحثين والمنقبين والناشرين ؟

قد يستطيع المرء الاجابة عن هذا السؤال إجابة تقديرية ينبسط فيها رأيه بتغليب هذا على ذاك ، سارداً الحجج التي تعزز وجهة نظره ، مورداً ما من شأنه إهدار كل قيمة للرأي المضاد ولكننا آثرنا في هذا البحث أن نسرد أمثلة لعلّ فيها ما يرشد إلى الجواب الصحيح .

فالمعاجم المعروفة ، معظمها من صنع الأفراد لا الجماعات ، وسأقصر الحديث على المعاجم الحديثة لا القديمة . فمعجم « الفرائد الدرية » للأب هافا ، هو من عمل فرد . و « القاموس العصري » لالياس أنطون الياس هو من عمل فرد . و « قاموس سعادة » لخليل سعادة هو من عمل فرد . و « قاموس سقراط سيرو بك » هو من عمل فرد . و « معجم الأمثال العامية » لأحمد تيمور باشا هو من عمل فرد و « معجم الحيوان » لأمين المعلوف باشا هو من صنع فرد ، و « المعجم العصري — عربي — فرنسي » لمتري

آكلها أعراضاً معينة معروفة . والذرة الشامية هي أحسن مثال لها وهي في مصر الطعام الرئيسي في غذاء الفلاح وفقرها في العنصر المانع للبلاجرا معروف ، ولذا نرى أن هذا المرض الخطير ينتشر بين الأمم التي يأكل أهلها الذرة بكثرة ويكثر المرض وتزداد شدته في الطبقة الفقيرة منها على الخصوص . ومرض البلاجرا منتشر بين الفلاحين واضراره صحيةً واقتصاديةً كبيرة وكلما يساعد على زواله يجب أن يلاقي منا كل تعضيد .

﴿ فكرة تعزيز الأذرة ﴾ في سنة ١٩٣٩ أي بعد اكتشاف العامل للبلاجرا بوقت قصير ، وبعد النجاح في تحضيره بكميات كبيرة اقترح البعض اضافته لدقيق الذرة في المطاحن بالريف كعلاج لهذا المرض ولكن لأسباب كثيرة لم ينفذ هذا الاقتراح .

إلا أن نجاح الفيليبين ضد مرض البري بري هناك باستبدال الأرز العادي بالارز المعزز ونجاح تجربة تعزيز الاذرة الشامية في كارولينا الجنوبية والدكتور وليامز كيميائي أميركي عظيم كان له الفضل الأول في تحضير فيتامين (ب١) في معمله ، وقد منحته بهذه المناسبة سبع جامعات عشر مداليات وجوائز تقديراً لخدماته العامة . أما الفائدة المالية التي عادت عليه وعلى زملائه من تسجيل هذا الاكتشاف واستغلاله ، فقد خصصت كلها تقريباً لهيئة البحوث . وقد صرف من هذه الأموال ما يزيد على مليون دولار في بحوث التغذية وفي ترقية طرق تحسين الصحة العامة .

والدكتور وليامز رئيس لجنة الحبوب بمجلس الاطعمة والتغذية ، وكرئيس لهذه اللجنة كانت له اليد الطولى في تنفيذ فكرة تعزيز الخبز في الولايات المتحدة ، وفي تعزيز دقيق الذرة في الحبوب وهو يخصص وقته بعد تقاعده لمحاربة الأمراض الغذائية لأنه يرأس اللجنة التي تشرف على صرف « اعتماد وليامز وترومان المالي » لمحاربة الأمراض الغذائية وقد صرف من هذا الاعتماد كما قدمنا ما يزيد على مليون دولار خصص جزء منه لتجربة الفيليبين ، وقد أبدى جانبه الرغبة في دراسة الظروف المحلية مع المختصين لمعرفة ما يمكن عمله لمحاربة البلاجرا عن طريق تعزيز الأذرة الشامية التي يأكلها المعرضون للاصابة بهذا المرض .

ولا جدال في أن أحسن وسيلة لعلاج الأمراض الغذائية هي تزويد الأهالي بكفايتهم من العناصر الغذائية التي لا توجد في غذائهم العادي ، إما بالاستعانة بأطعمة اضافية ممتازة أو باضافة هذه العناصر ذاتها إلى الغذاء بطريقة ما ، وكلا الأمرين يحتاج لجهود كبيرة ومال كثير ووقت طويل ، ولكن هذا لا يمنع من اجراء تجربة في نطاق ضيق باحدى الأمكنة المرجوة لامتحان الفكرة من حيث صلاحيتها ومن حيث تكاليفها .

مرض البلاجرا

وهل ننجح في محاربته

للدكتور علي حسن بك

لم يعد هناك شك في أن نقص بعض العناصر الغذائية أو قلتها في الغذاء تسبب لآكله أمراضاً مختلفة وان عدم تعويض هذا النقص قد يودي بحياة المريض. وفي بلادنا أمراض كثيرة من هذا النوع أخطرها بلا جدال مرض البلاجرا. والعوامل التي تسبب نقص العناصر الغذائية كثيرة منها أن بعض الطرق المستعملة في خلط الأطعمة وحمايتها من التلف أو في تحضيرها لتنال رضاء المستهلك قد يفسد بعض العناصر الغذائية الموجودة في الطعام أو ينزعها جزئياً، فيصبح أكله لطعام اساسي مجلبة للمرض، خصوصاً في حالة الاشخاص الذين يعجزهم الفقر أو أسباب أخرى عن تعزيز طعامهم الاساسي هذا بأطعمة أخرى بها هذه العناصر الناقصة. ومن الأمثلة على الأطعمة المنزوع بعض عناصرها الغذائية الأرز المبيض تبييضاً كاملاً ودقيق القمح الصافي. وقد سببت هذه المأكولات اضراراً صحية خطيرة عند بعض الأمم. ولذا اتخذت وسائل كثيرة لمنع هذا الضرر كان أهمها من الوجهة العملية استنباط طرق جديدة لحفظ الأطعمة أقل إفساداً لعناصرها المهمة وتعزيز بعض هذه الأطعمة وخصوصاً الدقيق الصافي والأرز ببعض أو كل العناصر المفقودة لحماية الآكل ضد الأمراض التي يسببها فقدها للعناصر، ولما ثبتت فائدة هذا التعزيز أقرته بعض المناطق وجعلته اجبارياً وصار خبز الجمهور لا يصنع إلا من دقيق معزز بالعناصر الغذائية الكثيرة التي أهمها الفيتامينات والأملاح. أما الأرز المبيض فقد جرب حديثاً تعزيزه بأهم العناصر التي تنقصه وأجريت تجربة غذائية في نطاق ضيق في جزر الفيليبين أخيراً استعمل فيها الأرز المعزز فثبت صلاحه في تخفيض نسبة الاصابة بمرض البري بري ونسبة الوفيات بهذا المرض بشكل شجّع على تعميم التجربة لتشمل حوالي مليون شخص.

ولكن يوجد بجانب هذه الحبوب التي أضافت الصناعة بعض عناصرها، حبوب أخرى ينقصها من الأصل أو تقل فيها بعض العناصر المهمة، وهي لهذه الأسباب تحدث عن

ويميل مصممو الطائرات الأميركية وصانعوها وعمالها الفنيون، الذين سايروا تحسين تينك الطائرتين، باهتمام عظيم ميلاً شديداً الى تأييد هذا النضال. ويعتقدون أن الطائرات النفاثة التي تنقل الركاب والبضائع نقلاً منتظماً على الخطوط الجوية لا بد لها من الوصول ذات يوم الى سرعة الصوت. وحينئذ تستطيع قطع اقصى المسافات التي تعجز الآن عن بلوغها. وانما يختلفون في نقطة واحدة، هي تحديد الزمن الذي يمكن بلوغها هذه الأمنية المنشودة.

ويزعم بعض الفنيين أنها ستتحقق في زمن لا يزيد على عشرة أعوام. على حين يظن البعض الآخر أنه سيبلغ قصده هذا في خمسة أعوام فحسب. كما إنهم يختلفون أيضاً في تعيين الطراز الذي سيستخدم للغاية نفسها من طرز الطائرات النفاثة.

وهذا مما يوجب على المختصين من الفنيين الأميركيين، القيام بفحص الأنواع المختلفة للطائرات النفاثة. لأن أكثرية الشعب الأميركي يخيّل إليهم عند التفكير في هذا الصنف من الطائرات، أو في التربينات الغازية التي تحركه، انها ذوات شكل واحد يطير بسرعة تفوق الصوت وتسبب الصبى. أجل إذ هذا الظن منطقي فحسب. وذلك فيما يتعلق بالسرعة. بينما الواقع غير ذلك، لاختلاف أنواع الطائرات النفاثة. إذ يوجد الآن على الأقل أربعة أنواع أساسية من محركات التربينات الغازية. وجميعها في سبيل مراحل مختلفة من التحسين. ومنها نوعان فقط تبيّن أنهما سيستعملان قريباً لتحريك الطائرات النفاثة التي تحمل الركاب. وأحد ذينك النوعين هو الذي يسمى Turbo propeller توربو بروبلر وثانيهما يسمى تربوجت turbo-jet، وهو أخر الصنفين ويسمى المحرك النفاث الحر.

وسبب حركة كل منهما هو التربين الغازي. وهو محرك رحوي الشكل، يدور بضغط الغازات تجاه ريش التربين. وهي الأدوات التي تحركه. وفي هذين النوعين من الطائرات النفاثة يستعمل جزء من الطاقة التي تتولد بهذه الطريقة، وذلك لضغط الهواء في مضخة الانضغاط. أما الجزء الأكبر فيستعمل لدفع الطائرة، ومع ان ذينك النوعين متشابهان اساساً ولكنهما يختلفان اختلافاً جوهرياً في طريقة استخدام طاقتيهما الدافعتين

ففي محركات التربوبروب التي تم صنعها في بريطانيا والولايات المتحدة كلتيهما، تقصد استخدامها في الشؤون الحربية والأبحاث العلمية، تستعمل الطاقة الزائدة التي تتولد من انفجار ارقود المحترق، والهواء المضغوط، في ادارة المحور الذي يدير المحرك.

(مترجمة عن مجلة خلاصة العلم الانجليزية)

[للبحث بقية]

ونيويورك . ومع كون تلك الرحلة الجوية تستغرق زمناً لا يزيد على ست ساعات ، فالتاجر المشار إليه ، يكاد يتبع في سفره دورة الأرض حول محورها إذ يبرح لندن ظهراً بالتوقيت المحلي هناك فيبلغ نيويورك بعد ٤٠ دقيقة فقط ! « بالتوقيت المحلي الأمريكي » .

وبهذا يمكنه قضاء عصر اليوم نفسه في مباشرة أعماله في مكتبه إذا شاء . وكذلك المراسلات التي تنقلها الطائرة من مكاتب بريد لندن في الصباح عينه ، تصل الى مدينة لوس انجيليز عصر اليوم ذاته أيضاً .

وحاشا لعاقل أن يظن هذه المنافع جميعها ، وهماً من أوهام المستقبل البعيد .

وعرف الخبراء أيضاً أن أكثر الطائرات التي تقطع مسافة تربي على ٤٥٠ ميلاً في الساعة تتعرض للتحطيم من ليونة المعادن التي تصنع منها ، كما أيقن العقلاء من الفنيين في الملاحة الجوية أن تبرعة طيران الطائرات النفاثة الحاملة للركاب بسرعة فائقة جداً ، سوف تتحقق أخيراً . غير أنها ستتم في خلال عشرة أعوام . ولا يخفى على كل من يقرأ الجرائد الأمريكية التي تصدر في هذه الأيام ، قولها إن النبوءة الافتراضية التي حدثت منذ عشرة الأعوام الغابرة قد تحققت . إذ أزمعت الشركة البريطانية للطرق الجوية عبر البحار ، تسيير طائرتها المسماة « ذي هافيلند كوميت » وقد حذت حذوها شركة آفرو الكندية فأنشأت طائرة نفاثة لنقل الركاب . ومما يجدر ذكره في هذا الموضوع أن شركة ذي هافيلند والشركة البريطانية للطرق الجوية عبر البحار ، كانتا تطيران طيارتهما كومبت ، على سبيل التجربة مدة تزيد على عامين . وكذلك طيّرت شركة آفرو الكندية طيارتها النفاثة الخاصة بنقل الركاب والبضائع ، على معظم مدن كندا وكثير من أقاليم الولايات المتحدة الأمريكية ، زمناً يعادل تلك الحقبة ، وقد اشتهرت تانك الطائرتان بسرعتيهما الفائقتين ، إذا قيستا بما تقطعه غيرهما من طائرات الركاب التي تدفعها المراوح ذات المحركات المكبسية . وهذا فضلاً عما تميزت به هاتان الطائرتان من الطمأنينة والنظافة اللتين يتمتع بهما ركابهما . وقد صرح قائداهما بأنهما سهلتا الادارة . غير أنه ليس من الميسور في الظروف الحالية ، استخدام تينك الطائرتين النفاثتين لنقل الركاب والبضائع نقلاً منظماً على الخطوط الطويلة عبر المحيطات . وذلك لأسباب فنية سنبسطها بعد .

وافتتحت الشركة البريطانية العالمية ، طريقاً لطيران طائرتها « كومبت » من لندن الى روميه والقاهرة . ولكن صانعو الطائرات النفاثة ، ما زالوا مصرين على أن التحسين التدريجي الذي أدخلوه على صنع الطائرات النفاثة ، سيعبد الطريق لطيران المنظم طيراناً منظماً عبر المحيط الاطلنطي .

يقصد السفر من نيويورك الى لندن في سنة ١٩٦٠ مثلاً . فنقول إن ذلك السائح لا مندوحة له حينئذ عن الاجابة بتلك الرحلة الأولى العاجلة ، عبر المحيط الاطلنطي في طائرة نفاثة ، في أقل وقت . وإن يكن ممن ألفوا السياحة الجوية قبلئذ فيتاح له أن يتناول فطوره مبكراً مما اعتاده يومياً ، ليتمكن من إدراك طائرة الركاب التي تقوم من مطار أيدلويلد في الساعة التاسعة صباحاً . وعندما يصل الى مهبطها في المطار المشار إليه ، ويريد الصعود الى مدخلها ، فانه لا يتجشم ارتقاء عدة سلالم حتى يبلغ بابها . بل حسبه أن يطلع قليلاً منها . وذلك لأن الطائرة النفاثة خالية من المراوح ، التي تحتم على الطائرة المروحية ، الارتفاع عن الأرض . وتقتضي نصب السلالم وصعودها قصد دخول إلى الطائرة ، والحيلولة دون احتكاكها بسطح الأرض ، عند قيامها منها . على حين تحيم الطائرة النفاثة كالبطة قريبة من سطح مدرجها .

وحالما ترتفع هذه الطائرة ، يشعر راكبها أول وهلة ، بخلوها من الضوضاء والاهتزاز خلواً يدعوه الى الخوف . إذ يظن ان محركاتها قد كفت عن عملها . ولكنه لا يلبث أن يعتاد مطمئناً ، مسايرة جاره الذي يجلس في الجانب الآخر من ممشى الطائرة نفسها . ثم يفطن الى حقيقة كونه يستطيع حينئذ أن يشرب فنجاناً من القهوة ، تقدمه له مضيفة الطائرة . وذلك دون أن يهتز في يده فتنسكب القهوة منه في طبقها . كما يحدث لركاب الطائرات القديمة الطرز . التي تستهدف للاهتزاز الذي يحدث من المراوح التي تحركها .

وبعد ما يقرأ ذلك التاجر جريدة الصباح متئداً ، يمكنه الاطلاع على الدليل المحتوي على عناوين الناس الذين يرغب في زيارتهم في مدينة لندن . كما يتصفح المذكرة المشتملة على المواعيد التي ضربها لأصدقائه وعملائه هناك . ثم يتناول غداءه الشهي بهدوء كأنه جالس في مطعمه المحبوب . وبعد مضي ساعة أو نحوها ، توافيه مضيفة الطائرة ، طالبة إليه أن يربط حزام مقعده ويخرج علبة سجائره ليتمكن من تدخين واحدة منها . وعند ذلك يلقي نظرة على الساعة المعلقة بمعصمه ، فيتحقق أنه قضى خمس ساعات فقط منذ قيامه من الميناء الجوي في مدينة نيويورك . فيصعب عليه وقتئذ أن يصدق أنه كان يجول في الطبقات العليا من الجو ، جولات سريعة تبلغ نحو ٦٠٠ ميل في الساعة . أما العودة فتكون مدعاة لاعجاب أشد منه في الرحلة الأولى . وحينذاك لا مفر من تعرض الطائرة نفسها للرياح الشمالية العنيفة التي تهب مباشرة بعكس اتجاه الطائرة أي من الغرب الى الشرق . فتعوق مسير الطائرة في جو الأطلنطي نحو أمريكا . ولكنها تتحرك عندئذ مسايرة للشمس ، حيث ينتفع الراكب بالساعات الخمس التي هي فرق الزمن بين لندن

طائرات سريعة

تقطع المحيط الاطلنطي في خمس ساعات

للأستاذ عوض حبيشي

سينشأ عما قريب في خلال فصل الشتاء الحالي ، خط جوي للطيران التجاري ، هو الأول من نوعه في العالم وستسير فيه طائرة لامروحية « نفاثة » جميلة ، رباعية المحركات ذات سرعة تفوق أعظم الطائرات الحربية التي تيسّر استخدامها في فضوض الحرب العالمية الثانية الغابرة وسيفتتح برنامج طيرانها برحلات منظمة لنقل الركاب والبضائع بين مدن لندن وروما والقاهرة .

واسم هذه الطائرة الجديدة « كوميت » Comet أي الكوكب المذنب . وهي من المخترعات والمصنوعات البريطانية . ويشرف على إدارتها البريطانيون أيضاً . وهي تقطع في الساعة زهاء ٤٩٠ ميلاً . وفي وسعها أن تزيد سرعة طيرانها الى أقصاها أي ٦٠٠ ميل في الساعة . « وذلك على ارتفاع سبعة أميال فوق سطح الأرض .

وعلى هذا الخط سيصير في مقدورها قطع رحلتها من الكلترا الى المملكة المصرية ، في نصف الزمن الذي تستغرقه أسرع الطائرات الحالية . وهكذا سيفتتح فصل جديد في سفر الطيران التجاري ، ووسائل تحسينه . وسوف يتحقق هذا الفصل المنشود ، في غضون الأعوام العشرة القادمة ، وربما قبل انقضائها فيصير باعثاً على إحداث انقلابات كثيرة في وسائل التفكير والمعيشة في أرجاء العالم .

ولا غرو فان الطائرات اللامروحية التي تمخر أجواء الكرة الارضية وتطوف بها ، حيث تسابق الشمس في سرعتها ، لا بدّ أن تغدو عاملاً قويًّا في تغيير طرق المعاملات التجارية المألوفة . كما إنها ستبدّل العادات المتبعة في السياحة والتنزه . وستؤثر تأثيراً عميقاً في المعاملات الاجتماعية التي تجري بين كل دولة وأخرى .

وتأييداً لهذا الرأي حسبنا التأمل في مصير أي تاجر كان من الأمريكيين ، سوف

نار من اللذات تورث صدرها غصصاً وتورى في الضلوع الداء
والورد من شغف الى قبل الضحى مدّ الرؤوس تلهفاً ورجاء
ولرب أمنية تساور غصنه تركته يطرق في العشى حياء

*

غنّي فقد طاب الغناء ورجّعي لحناً يكون لذي الفروح عزاء
كم سجعة لك كالأماني حلوة رجعتها قرب الغدير عشاء
قد أرتت في الصد نيران الأسى وهنأ وأبكت مقلة مهراء
شدّ الغريب على الحشا من شجره بيد وأجهش حرقة وعناء
ويح الغريب إذ تملك قلبه يأس وملّ من البعاد ثراء

*

لم تترك الايام نفراً باسماً منا ولا عيناً لنا كحلاء
حمل الانام جراحهم ومشوا بها يتنفسون من الاسى الصعداء
والناس اما واجم من دهره أو ساخر ألفى الحياة هراء
فمضى يقابل بالسكون مصابه شمماً ويسخر بالمنى استهزاء

*

ورقاء ما كان الشباب براجع فعلام تخدع نفسنا البلهاء
ضلّ الذي اتخذ الأماني كنزه ومضى يشيد في الهباء بناء
ما كانت الاوهام تروي ظامئاً من غلة أو تكشف الغماء
لله أيام الربيع وسحرها دنيا تموج بخلة بيضاء
وهمسة الاوراق في غلس الدجى نغم يثير الوجد والأهواء
ورقاء ما أبهى الحياة لمبصر فهم الجمال وقدر الاشياء

(دمشق)

الورقاء

للأستاذ خليل مطران بك

أرسلت شدوك في الصباح بكاء فأثرت داء في الفؤاد عياء
فلو ترحلك ما أمضّ رنينه وأرقّ لحنك إذ شدوت مساء
ذكر الغريب وبرحه بجرى الأسى من مقلتيه مدامعاً ودماء
وذكرت إلفك في الضحى فبكيته أسفاً وكان النوح منك غناء
وأمضّ أنواع المصائب في الورى ما يستثير الضحكة الصفراء
كم بسمة زهراء تخبىء دونها جرحاً وتخفي عبرة خرساء

•

ورقاء كاد الليل يرفع ثوبه الضافي ويطوي الراية السوداء
والصبح في آفاقه ما يأتلي من ضبه في حيرة عمياء
يرنو الى الدنيا بمقلة عاشق شاقته ذكرى فاضطنى اعياء
عيناه وقف للبكاء وقلبه من وجده في رعشة خرقاء
تنتابه الذكرى اذا بعث الهوى في أضلعيه جهنم الحمراء

•

مدّ الصباح الى الرياض ذراعه شوقاً وعفّر جبهة شماء
كم قبلة للصبح في كنف الربى شحنت لها بنت الربى خيلاء
قبل كما شاء الهوى محرمة بعثت سحائر الرؤى اغراء
مدّت لها العذراء من حرق الهوى شفة مضرجة لمى لمياء

ميلاً ، أما مضيق مكسر Macassar فهو الذي يفصل بين سيليبس وبورنيو . ويوجد مضيق تورز Torres ، بين نيوغينيا وقارة استراليا أما ممر ملقا فهو بين سيليبس وملكس Moluccas

٥

ولو ان البصر ترك هذا وامتد شمال جزيرة نيوغينيا لشاهد امتداد الباسفيك Pacific Ocean بمياهه المتزجة الزرقاء فما يدري : أهي السماء في الباسفيك ، أم هو الباسفيك في السماء ؟ . . على أن بحار اندونيسيا كثيرة نذكر منها بحر (جنوب الصين South China Sea) الذي يقع بين بورنيو والصين ، وبحر (سولا Sula Sea) الذي ينحصر بين (منداناو Mindanao) وبين (بالاوان Palawan) وفي جنوب بحر سولا يقع بحر (سيليبس) بين سيليبس وسولول Sulu . أما بحر صندا ، فهو ذلك الذي يتماوج بين جاوه وبورنس Bornes ، وتستطيع ان تتمعن قليلا وأنت تحلق بطائرة الفكر لترى بحر (باندا Banda) يبدو بكهوف أمواجه بين جزيرتي تيمور وتيمورلوت وبين جزيرتي (بورو وسرام) .

... على أن أكثر البحار التي تقع بين اندونيسيا وقارة آسيا قليلة الغور ، يتراوح عمقها ما بين المائتين من الاقدام ، على حين أن البحار في أقصى الشمال يبلغ غورها نحو العشرين الف من الاقدام .

موطن السبانخ

السبانخ « الاسفاناخ » أخذه العرب باسمه عن الفرس ، والراجح أن زراعته بدأت بفارس من العهد الآغريقي الروماني ، ومنها انتشر غرباً وشرقاً فدخل الصين قبل ميلاد السيد المسيح بمائة سنة ، ويقول ابن البيطار إنه كان يزرع في نينوى وبابل . وقد أدخلت زراعته في أوربا في القرن الخامس عشر ، وموطنه جنوب القوقاز وفارس وأفغانستان وتركستان حيث يوجد السبانخ البري المسمى علميًّا « سبناخيا تتراندرا »

وطورها المحبوب، فجعلت تسجن فيها زعماء الاندونيسيين . وقد نفت فيها هؤلاء الذين اشتركوا في ثورة ١٩٢٦ وعام ١٩٢٧ ، كما نفت المتمردين بعد خمود الثورة..

ونستطيع أن نقدر مساحة نيوغينيا بسبع مساحة قارة استراليا ، ويفصلها مضيق كوريز الذي يبلغ عرضه مائة ميل تقريباً، وعمقه قليل لا يربي على سبع باردات . .

وإذا امتد البصر في شرق هذه الجزيرة يرى الباسفيك بأمواجه المتموجة ، ولونه الزرقاوي ، وجزائره الصغيرة العديدة ، التي لا يكاد يحصيها عد ولا يصل آخرها شعاع بصر

وكلمة پاپوا هي الاسم الذي يطلق على النصف الجنوبي من نيوغينيا ، كما يطلق على الجزء الشمالي الشرقي منها نيوغينيا الاسترالية ...

وفي شرق جاوه تقع جزيرة بالي Bali وهي الجزيرة الصغيرة التي اشتهرت بمناظرها البديعة وآثارها الخالدة التي يفد اليها سائحو العالم وزائروه ليتمتعوا النظر بالتمعن في روائعها ، وليدنفوا السمع بتقاريد طيورها ...

ولقد أدّى جمال المناظر في بالي الى قيام الصناعات اليدوية فيها ، كما ادّى الى تغذية الفكر بمعاني الجمال وسمح الخيال الاجواء الحالمة والارواح الهائمة الشعرية . . . فأينع فيها الفن الجميل ...

•

وتمتد في شمال بالي جزائر أخرى ، فعلى يمينها لمبوك Lombok وعلى يمين لمبوك سمباوه Sumbawa وعلى يمين سمباوه فلوريس Flores ، وفي جنوب ما بين فلوريس وسمباوه تقع سمبا Sumba ، وفي جنوب شرق فلوريس توجد تيمور Timor ، وهي مائلة كما يميل القلب قرق الحجاب الحاجز ، ومن المستحسن أن نذكر بعض ما جاء في (دائرة المعارف للبستاني) عن جزيرة تيمور هذه ، فقد جاء أنه يقطعها (طولاً سلسلة جبال ارتفاعها في الشمال نحو ٦ آلاف قدم ، وليس بها براكين عاملة ، وأنهرها جبلية قصيرة يجف كثير منها في الصيف) و (هي على الغالب جرداء صخرية ولا يوجد في الجزيرة ما يستحق أن يسمى غابة ، وبها كثير من المعادن والحيوانات والطيور والسمك بأنواعه) وبعد جزيرة تيمور من الشمال الشرقي عدة جزائر منها تيمور لوت Timor Lout .

وإذا نظرنا الى جزيرتي جاوه وسومطره ، نجد انهما متقاربتان حيث يفصل بينهما ذلك المضيق الذي يدعى مضيق (صندا Sunda) ، وهو بوغاز يبلغ عرضه حوالي عشرين

في الشرق الاقصى

اندونيسيا الخضراء

— ٢ —

للاستاذ احمد رشدي السنوسي

...أما «بورنيو» فهي على شكل مثلث قاعدته تواجه مضيق صندا، وتقع سروق Sarawak في الجزء البريطاني الغربي منها، أما سندكان Sandakan فهي في الشمال، وفي الغرب تقع مدينة كشنج Kuching ومدينة بونتيانك Pontianak، وفي الجنوب توجد مدينة بنجرمسين Banjermassin، وكل من كشنج وبونتيانك وبنجرمسين، تتشابه مع سندكان من حيث التضاريس ...

وفي وسط جزيرة بورنيو ترى آجاماً وغابات كثيفة، تعيش فيها تلك البشرية التي يقال لها «دايك» وهم أقزام عراة الجسد، كما خلقهم بارئهم، لا يعرفون رداء ولا لباساً ...

وتفصل بورنيو عن سومطره جزيرتان صغيرتان، هما جزيرة بانكا Banka وجزيرة بلتن Billiton. وتقع في شرق بورنيو جزيرة سيليبس Celebes وبها مدينة مكسار Macassar في الجنوب. وفي أقصى الشرق تقع جزيرة نيوغينيا New Guinea، وهي تحصر بينها وبين سيليبس جزائر كثيرة أهمها ملكس ومرام وسولا وبورا وسواها.

•

وجزيرة نيوغينيا تعد أكبر جزر العالم اذا استثنينا جزيرة جرينلاند، وقد دعيت اليوم بغينيا الجديدة، بيد انها على كبر حجمها متأخرة في رقيها وتحضرها، وتراها قد أقفلت بالآجام الكثيفة التي لا يستطيع البصر أن يخترق بضعة أمتار منها ... وتحولها وصلاحيتها لان تكون سجناً، اتخذت منها حكومة هولندا سيشلها رجل طارقها

العربي الحديث ، ولكنه شيء آخر غير ما ذهبت اليه خواطر الأستاذ عباس حسن . ونحن نعد ديوان شوقي وآثاره الأخرى ثروة للعربية ، خلافاً لما يرى عباس محمود العقاد وأقرانه الذين لا تصل شاعريتهم الى شاعرية شوقي منزلة وتنوعاً ، ولو أن شوقي في كثير من آثاره جارى عصره وخصوصاً ثقافته الغربية ، وما كان للمتنبي أن يصنع مثل هذا في عصر أحكمت فيه القيود وأناخت عليه التقاليد شكلاً وموضوعاً ، وقد كانت ظروف حياته تضطر اضطراراً الى أن يكون شاعر الملك والعظمة . ولم يكن احتراف الشعر في زمنه عيباً بل فضيلة ، ولم تكن له ممدوحة عنه ولكنه لم يكن صغير النفس ، ولو كان لما حفل به ومجده مثل المعري الذي كان جدّ حافل بالقيم الخلقية والانسانية في مختاراته من ديوان المتنبي (معجز أحمد) .

إن أحمد شوقي هو من أولئك الشعراء الذين نظما عاشوا في شعرهم ، وان استمتعوا بنظمه . وروح الموسيقار تغلب فيه روح الشاعر ، وأحياناً تتساويان . وقد يسف في نظم المناسبات التقليدي كما قد يحلق في روائع له تحليق الخلود . ومن الخير للأدب والأدباء أن تحصر العناية في الناحية الفنية وحدها من شعره دون محاولة مثل تلك الموازنة الخاطئة التي لجأ اليها الأستاذ عباس حسن عن جهل بالتاريخ الأدبي المعاصر ، مهما يكن علمه بعناصر الأدب العربي عامة وتركيبه .

لقد اثبت أحمد شوقي بألمعيته كفاية العربية لاستيعاب المعاني العصرية في أسلوب كلاسيكي ساحر يمرح فيه الخيال كما تتدلل الموسيقى والمعاني وتتألق الصور فتنة للقارئين ، وخير تحية وتقدير لذكراه حصر العناية في هذه النفائس والاقتصار على الموازنات الفنية فحسب ، إذ في مجالها قد ترجح كفته مراراً ، وفيما عداها قد لا تطول غالباً . وعشاق الجمال الفني لا يحفلون بما ليس منه ، ولا يشجعون المغالطة في التأريخ أو ما قد يؤدي الى تشويه الصور الجميلة بمبضع التشريح والتحقيق ، كما لا يشجعون الاسترسال عند الدراسة والنقد والموازنة في متابعة الميول الذاتية وتجسيم الخيال على حساب الحق والجمال .

بأمداح نابت فيها الرمزية والمبالغة عن كل تهكم مكشوف [1] ، ثم عمل على ترك مصر بل هجاء وهو مقيم فيها ، وان لم يدع شعره إلا بعد أن غادرها . ونفسه العزيزة أبت عليه أن يبقى في بلاط سيف الدولة غير مكرم ، ولكنه لم يقل ولا بيتاً واحداً هجاء فيه ، بل على العكس كانت تحن اليه نفسه الوفية . وكان بوسع المتنبي أن يقيم أموالاً طائلة لو كان هو المستجدي بطبيعته ، لأن الأعيان الذين تهافتوا على امداحه كانوا عديدين ، بل على العكس كان يعزف عمن لا تجاوب بينه وبينه ، وكان يرثي محبة ووفاء من انعدمت صلاتهم بموتهم . وعرفت عنه عفة النفس ، فلم يقل أحد أنه استغل صلته بسيف الدولة ولا بغيره من مصدرة تجديه ، ولم يقتن مالاً ولا عقاراً من طريق خسيس كهذا كما صنع غيره . وكان شريف الخلق من جميع النواحي وان استثارته عصبية أحياناً الى السخط لأنه كان أبعد الناس عن الكيد . فهجاؤه في ذاته أشرف من الكيد الخفي الذي يلجأ اليه شعراء يتفننون تفاقاً بتمجيد الأخلاق .

لقد كانت للمتنبي شخصية واحدة بارزة تجلت في شعره . وأما أحمد شوقي كعباس محمود العقاد وإيليا أبو ماضي وأمثالهم ، فمن أولئك الشعراء الذين لهم جملة شخصيات ، وأحمد شوقي بصفة خاصة لا يدل شعره على شخصيته اطلاقاً ، بل ربما كانت عكسها مايصوّر كما يشهد بذلك جميع معاصريه من المؤرخين النزيهين المستقلين . وقد عمل المتنبي في مصر على تأسيس مدرسة شعرية قويمة ، وأحبه مفكروها ، وأن كرهه عثمانها [2] . ولم يكن كذلك شأن شوقي الذي برّ به شعراؤها الشباب حتى بعد مماته ، ومع ذلك كان يغار حتى ممن كانوا يعدون في حكم تلاميذه ! وكان المتنبي غرور عبقريته ومواقعه مع من شاء . وكذلك كان لشوقي غروره ، ولكنه جعل من حوله يقومون بالمعارك من أجله بينما تحدث هو بالسلام ! ولكن كل هذا من نصيب التاريخ الأدبي الذي لا يطمسه أي تأليف متأخر لمن لم يعش في العصر المؤرخ له ويجرؤ على تفسير الظواهر على نقيض الحقائق التاريخية الثابتة في عصر شتى به الشعراء الشباب الناجمون بل وغيرهم ، وسيطرت عليه الأنانية الأدبية وهب التفرد بأي ثمن سيطرة معيبة .

وبعد — فلاريب أن أحمد شوقي في مجمل شاعريته وآثاره مرحلة تقدمية في الشعر

---

(١) مجلة (الاهداف) المصرية ، مايو سنة ١٩٥١ — « بين المتنبي وكافور » .

(٢) مقالات « مصر الشاعرة » في جريدة (البلاغ) المصرية للاستاذ عبد الله عفيفي امام جلالة الملك سابقا عباس الثاني الذكرى الثانية لوفاة شوقي

وجدانية وطنية صرفة وأقلها الجانب الوطني ، وأغلبها شعر العواطف المترفة التي لا تحمل أية رسالة فوق المتعة الموسيقية والانانة الفنية للترويح عن النفس . وكانت رسالة حافظ وطنية سياسية شعبية الى أبعد غاية، وإن حفظت له نماذج رائعة في شكوى الزمان . وأما رسالة شوقي فكانت أساسيًا التغني بمجد مصر ثم بتاريخ الاسلام والعرب ، تبعه في كل ذلك ثقافته التاريخية وقربه من ولي الأمر في مصر ، واستجابته لميوله حتى تهجم على الزعيم الوطني أحمد عرابي في الطبعة الأولى من ديوانه، ثم اضطر إلى حذف تلك القصيدة الهجائية وما ماثلها من الطبعة الثانية أمام سخط الوطنيين والمثقفين المصريين في ذلك الحين . ولا ريب أن شوقي كان صادقاً في تاريخياته المتنوعة التي تجلت فيها عبقريته ولم يزه أحد فيها . وتفوقه في هذا المضمار جدير بالتمجيد والتبجيل ، وانه لرسالة ذات قيمة كبيرة لا يعاديها أي انسان حصيف ولا أي ناقد منصف ، إلا إذا جاز أن يعادي من يسجل أمجاد التاريخ القومي باخلاص ولذة بل وشراهية . لقد جمع ديوان المتنبي [1] كل شعره ، وفيه مراء مدهشة بين عادية ومكبرة ومصغرة للبشرية ولطبيعة الحياة في أساليب مركزة متينة في الغالب ، وعلى الرغم من مآخذ بعض النقاد عليه وعلى الأخص في ديباجته، لم يقل أحد من البصيرين بالأدب وبالشعر خاصة،أنه كان يفتعل الشعر أو يعنى بالصنعة على حساب ما عداها ، بل كان شعره ترجمة حياته وايمانه ، وكان أمره وبذخه اللفظي مرآة لنفسه الضخمة . ولم يكن أي من شعره نظماً تقليديًا لأحد أو مجاراة لعرف أو خضوعاً لارغام . وليس كذلك شعر شوقي ، فمن شعره هباته الطلول والتقليدي الكثير الذي أسقط من الطبعة المتأخرة ، ومنه ما يعد من شعر المناسبات العابرة الذي لا قيمة له خالدة بمحتوياته لا فنيًا ولا إنسانيًا . وهكذا تكون المقارنة ما بين شوقي والمتنبي من أساسها باطلة .

ان طاقة شوقي الفنية عظيمة وموسيقاه أعذب في جملتها من موسيقى المتنبي ، ولكن طاقة المتنبي الفنية أعظم وأصالته أجل ، وليس هو الشاعر المنافق الكذاب الحاقد المستجدي السفيه كما وصفه خطأ الأستاذ عباس حسن . لأن المتنبي لم يقصد كافوراً إلا وهو المطلوب الملح عليه لا الطالب المستجدي ، وقد سوّر له كافور بصورة العصامي العبقري الذي يقدر المواهب قدرها ، فلما اكتشف خيبته أعرض عنه ، بل سخر منه

(١) أكمل طبع لديوان المتنبي وأصحها شرحاً هي التي أخرجها عبد الرحمن البرقوقي في القاهرة سنة ١٩٣٠ م ، وفيها تذييل بأبيات ومقطعات وقصائد لأبي الطيب لم تذكر في ديوانه المألوف.

هذا الاحتكار وتتويجها في مجلتها بنوع الآثار الجديدة لشعراء الشباب ، نتى حتى مثل أبي القاسم الشابي خاملاً كما أخمل صيت الشعراء المقربين الى الحكام والأعيان في سالف القرون كثيرين من الشعراء المجيدين ، وعملت الأهواء في إجحافهم ، حتى أن صاحب (الأغاني) أغفل ذكر شاعر مرهوب مثل ابن الرومي الذي لم تقدر بيئته مواهبه أو أساءت فهمه . ثم مددت يدي الى مريدي الأدبي الأخير فاذا به كتاب شائق عنوانه (المتنبي وشوقي — دراسة ونقد وموازنة) للأستاذ عباس حسن الذي يمثل شعبة اليمين في الثقافة النقدية بدار العلوم في جامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، فنبهني الى وجوب التحدث عن الشاعر المصري الجهير أحمد شوقي لأن المؤلف الفاضل بهذه « الدراسة » كما نعتها — انما أعاد الى ذاكرتنا تلك الروح التي كانت سائدة الى ربع قرن مضى تساندها منزلة شوقي في القصر ، وان بقيت لها ذيول وتقاليد عند المدرسة القديمة التي يتزعمها الآن بين النقاد في مصر أحمد حسن الزيات ، وبين الشعراء عزيز أباظة ، وان ناقضتها مدرسة أخرى قديمة الوشائج في التأليف والأساليب القائمة أيضاً على التمجيد الفردي ، وهذه المدرسة يتزعمها الآن بين النقاد سيد قطب ، وبين الشعراء عباس محمود العقاد ، وقد كانت المدرسة الثانية في وقت ما تتأرجح نحو التجديد متأثرة بنقد عبد القادر المازني وبشعر عبد الرحمن شكري. ثم انصرفت الى لون مزخرف من الجمود وان وصفته بنقيضه ، وتقوم في صميمها كما قامت مدرسة شوقي على مبايعة زعيم أدبي ثم تأليهه ، ولا تؤمن بجمهورية الأدب .

ومع ذلك فكتاب الأستاذ عباس حسن تحفة في موضوعه ، لأنه غاية ما يمكن أن يعليه التأليه الأدبي الذي يتجاهل تجاهلاً تاماً أصول النقد الحديث كما يتجاهل الحقائق التاريخية العامة والخاصة ، وإلا لما جرؤ على مثل هذه المقارنة العجيبة بين المتنبي الشامخ في أصالته وعزة نفسه ، وبين شوقي الذي مهما تكن مواهبه التي نقدرها فقد كان قبل كل شيء شاعر البلاط في زمنه ، وكان يتطاول على المتنبي ويحاكيه ويعارضه ويقتبس منه ، كما كان مرآة للشعر الفرنسي . ولم يكن يوماً ما شاعر الشعب بالمعنى الصحيح كما كان حافظ ابراهيم ، ولم تكن له نفسية المتنبي بأي حال كما عرف وسجّل ذلك المستقلون من معاصريه النقاد الأدباء النزيهين .

لقد بزغ نجم شوقي في زمن تألق فيه نجم خليل مطران واسماعيل صبري وحافظ ابراهيم بصفة خاصة . فكانت لمطران رسالة مستمدة من الانسانية أولا ومن القومية ثانية ، الى جانب شعره الوجداني وشعر الطبيعة المتنوع ؛ وكانت رسالة اسماعيل صبري

شعراء العرب المعاصرون

أحمد شوقي

للدكتور أحمد زكي أبو شادي

كنت أقرأ لشاعر الشباب المهجري سعيد جبران من الشعر الابتداعي قوله الشائق : —

وادّعى العشّاق يا مفدي أني مثلهم متّعت بالأمس البعيد
كذبوا! أمس كيومي ضاع مني موجة حمقى على صخر عنيد!

وقوله : — أترى الزورق يجري أم ترى الشاطئ سارا؟
أم تُرى الزورقُ والها طيه والركبُ السكارى؟
موكبٌ قد سحرته روعة الليل فحارا!

وقوله : — وترمقهُ . . . أي ضوء تألق في ناظريها! وأي غرام!
كأن بعد هذا الضحى لن يُسدل على ذلك الأفق إلا الظلام!

وقوله وقد أجاد التفنن : —

قالت : وحبك؟ . . قلت خافي في المجيء وفي الرواح
يبكي فأسهره فيمن في البكاء وفي الصّياح
فأعلله بمعنى المنى [1] وأنام وهو هذاك صاحي!

فذكرني هذا الشاعر الطريف بالنزعة التي كانت سائدة في الشرق العربي حتى ربع قرن مضى — نزعة العزوف عن الشعراء غير المشهورين، ولولا مكاشفة (جمعية أبوللو) الشعرية

(١) في هذا البيت إشارة الى حكاية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب والاعرابية التي كانت تمثل أطفالها الجائعين بطبخ الحصى .

الأعين الموهوبة لبنك العيون تقدم مجاناً للجراحين والمرضى ، ولا يدفع البنك ثمن العيون البشرية .

وفي نيويورك يتعاون القسم المختص بالقرايات من مستشفى مانهاتان للعين والأذن والحلق مع مستودع الأعين ويرحب بأي شخص مصاب بعطب في قرنية عينه نتيجة لمرض أو أذى ويؤمن له التشخيص الوافي والمعالجة الضرورية، وقد أمّ ذلك المستشفى أطباء أجانب ودرسوا أساليبه في حفظ الأعين ونقلها ، وأدى الأمر الى تأسيس مستودعات أعين مماثلة في الهند واستراليا وفرنسا والمكسيك والبرازيل . وقد حصل بنك العيون في السنوات الخمس الأولى من تأسيسه على أكثر من ألفي عين وهبه إياها أشخاص كرماء قبل وفاتهم، كيما يستطيع الآخرون بعدهم أن يبصروا . وكان عدد الجراحين الذين يقومون بعملية ترقيع القرنية في أمريكا قبل تأسيس بنك العيون ، لا يتجاوز الاثني عشر أو الخمسة عشر جراحا . أما الآن فقد بلغ عددهم مائة واثنى عشر اختصاصيًّا على الأقل منهم عشرون جراحاً يقيمون في مدينة نيويورك وحدها . وقد قام أحد هؤلاء الجراحين في نيويورك بأكثر من ألف عملية ترقيع قرنية، أي بمعدل تسع عمليات يوميًّا .

•

ويوجد اليوم في كل مدينة كبيرة في الولايات المتحدة جرّاح أو جراحان للقيام بهذه العملية الدقيقة ، ويقول مدير بنك العيون إنه اذا كانت الشروط مستوفية ، فان نجاح عملية ترقيع القرنية يكون بمعدل ٨٣ بالمائة .

قرنيتها السليمة لترقيع قرنية عين شخص آخر . فقد جرت العادة أن بعض الأهل والأنسباء يسمحون أحياناً باستعمال أعين أقربائهم الذين يموتون في المستشفى ، حتى أنه ولو وجد صدفة من يرضى بوهب عينه بعد مماته ، أو من يهب عين نسيبه الذي توفي في المستشفى ، فان المهم أن يكون الشخص الذي ستجري عليه العملية مقيماً في المدينة نفسها ، أو أن تنقل اليه القرنية بسرعة كبيرة ، وإلاّ تصبح العين الموهوبة عديمة النفع .

ولذلك أنشئت بليبورك سنة ١٩٤٥ مؤسسة « مستودع الأعين لاعادة البصر » أو « بنك العيون » وغايتها مركزة جمع القرنيات السليمة الموهوبة ، والمحافظة عليها — ومن ثم توزيعها لترقيع قرنيات أشخاص عميان أو هم على وشك الاصابة بالعمى .

فمتى بلغ تلك المؤسسة أن أحد المتبرعين أوصى بعينيه لها قبيل وفاته تقوم بالتدابير اللازمة لتأمين الحصول على العينين بالطريقة الفنية ونقلهما بالطائرة الى مقرها . ويساهم في هذه المهمة ١٥٥ مستشفى في أميركا وفرقة الصليب الأحمر المتنقلة وشركات الطيران الأميركية ، فمن المهم نقل الأعين من المستشفى خلال ساعة بعد موت الشخص الواهب ، ويجب إجراء عملية ترقيع القرنية خلال يوم ونصف أو ثلاثة أيام على الأكثر .

•

وتنقل الأعين الى بنك العيون بكل احتياط لازم ضمن زجاجة معقمة متضمنة محلول ملح فسيولوجي ، وبسرعة زائدة ، وهناك تفحص بكل دقة في المختبر للتأكد مما اذا كانت النسج القرنية في حالة صحية تامة ، ثم ترسل بسرعة الى أحد المستشفيات حيث ينتظر اجراء عملية لترقيع القرنية ، ويتوقف القيام بعملية من هذا النوع على بضع نقاط . فأولاً يجب أن يكون الطقس ملائماً حتى تتمكن الطائرات من نقل تلك النسج الثمينة الى بلدة أخرى ، ثم اذا كان المريض الذي جاء دوره للحصول على القرنية الجديدة على تمام الاستعداد لاجراء العملية له ، وفيما اذا كان هنالك جرّاح اختصاصي في العيون مستعد لاجراء العملية ، وأن المستشفى قد خصص سريراً للمريض وعيّن له وقتاً في غرفة العمليات . هذه بعض الأمور التي يطلب من مستودع الأعين الاهتمام بها . ومتى تمت كل هذه الشروط ونقلت القرنية الصحيحة الى غرفة العملية بالطرق الفنية فلا يبقى إلاّ اجراء العملية ، وهي غالباً ناجحة .

والمهم أن تكون قرنية العين بحالة صحية ولا يؤثر في استعمالها عمر الشخص الذي وهبها أو السبب في وفاته ، أو ما اذا كان يضع نظارات . وهنالك نقطة أخرى وهي أن

ترقيع قرنية العين[1]

للأستاذ حبيب مصابني

صدرت الجرائد الأميركية صفحاتها الأولى منذ بضعة أشهر بقصة مؤثرة عن شابين من رجال الأسطول التجاري مضطجعين جنباً الى جنب في غرفة العمليات في أحد مستشفيات نيويورك. وكان أحد هذين الرجلين قد أصيب بصدمة في رأسه من باب ثلاجة في الباخرة فصميت إحدى عينيه وأصيبت قرنية العين الأخرى بعطب. أما الشخص الآخر فقد كاد يفقد بصر عينه بسبب لكمة أصابته في مباراة الملاكمة. غير أن القسم الأمامي من تلك العين بقي سليماً. فتوطدت عرى الصداقة بين هذين الشابين إبان وجودهما في المستشفى ورضي الشخص الثاني أن يهب عينه التي لا يستطيع الاستفادة منها الى صديقه وقام جراح نيويوركي اختصاصي في العيون في ٢٨ مارس الماضي بعملية إزالة القرنية السليمة من عين هذا الواهب، وتركيبها محل القرنية التالفة في عين الشخص الأول — فنجحت العملية وعاد الشابان الى أشغالهما ولكل منهما عين واحدة سليمة.

*

وعمليات ترقيع القرنية هي في غاية من الدقة والمهارة ولكنها مع ذلك بسيطة نسبيًّا. فقد أخترعت مدى خاصة لرفع قطعة مربعة أو مستديرة من القرنية المعتلة تكون بحجم القرنية السليمة المراد نقلها، ثم تركب القطعة السليمة بطريقة رتق في الفتحة المعدة لها فيما تبقى من قرنية للعين المعتلة، فتصبح خلال ساعة محكمة التركيب لا ينفذ فيها الماء، وبعد عشرة أيام تمتزج امتزاجاً تامًّا بالعين التي نقلت إليها، ويعود للمريض بصره في أغلب الحالات.

وبما أنه ليس من السهل دائماً العثور على شخص مستعد لوهب عينه المعتلة لتستعمل

(١) حديث من صوت أميركا للأستاذ حبيب مصابني خص به المقتطف

وأصبح أثراً من آثار الصناعة بعد أن كان وليد الطبع والفطرة الحرة المطلقة . وبذلك أصبح الشعر فنًّا حقًّا يسير الشاعر فيه وراء الزخرف والجمال ، من حيث لم يكن الشاعر الجاهلي أو الاسلامي عادة صاحب فن ، بل كان الطبع قريبًا فيه . وما يقال عن زهير والحطيئة وطفيل الغنوى من أنهم كانوا أصحاب روية وأناة ليس معناه الصنعة أو التكلف الذي نراه عند المحدثين [1] ، فالمثل الأعلى للشعر عند القدماء ما جرى على السليقة والفطرة وما أوحت به إليهم حياتهم من المعانى . فأما عند المحدثين ففي العناية بالزخرف والتنميق [2] ، فلم تكن العرب تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالابداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ورأوا مواقع تلك الألوان من الغرابة والحسن تكلفوا الاحتذاء عليها وسموها البديع [3] .

وقد حاول بعض المحدثين التجديد في بناء القصيدة وأغراضها ، فدعوا إلى ترك الأطلال ومساءلتها في مبادىء القصيد ، كما فعل أبو نواس ومطيع وابن المعتز ، وسواهم من الشعراء ، ويقول أبو نواس :

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ولكن ابن قتيبة لم يرض عن ذلك ، ودعا الى الاحتفاظ بمنهج القصيدة الموروث [4] ولكن ابن رشيق لم يرض عن ذلك المنهج والاتجاه ، ورأى أنه « لا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازاً » [5] ، « لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات ، وعلمهم بأن الشاعر إنما يتكلفها ، والأولى في هذا الوقت صفات الخمر والقيان [6] » .

[للبحث بقية]

---

(١) ويجعل صاحب الادب الجاهلي مدرسة معلم وأبي تمام وسواهم من المحدثين امتداداً لمدرسة زهير والحطيئة (٢٨٨ الادب الجاهلي)

(٢) تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ٩٩ وما بعدها

(٣) راجع ٣٨ الوساطة

(٤) راجع ١٤ و ١٥ الشعر والشعراء ، والعمدة جزء ١ ص ١٩٧

(٥) العمدة جزء ١ ص ١٩٦

(٦) العمدة جزء ٢ ص ٢٧٩

وكان، والموشح، ويسروا على أنفسهم في القوافي فاختاروا أيسر الألفاظ وأسهلها وأحبها إلى السمع، وتجنبوا عيوب القافية ؛ كل ذلك حرصاً على مساوة الشعر للحضارة والغناء ومحاولة لنشره بين شتى الطبقات .

٥

أما في أسلوب الشعر: فقد حافظ الشعراء على عربيته ، وان كان بعض الشعراء قد أدخلوا فيه بعض الألفاظ الفارسية دون تعريب أو معربة مصقولة ، كما فعل أبو نواس وابن المعتز وسواهما من الشعراء. ومن قبل كان الأعشى وأمية بن أبي الصلت وكذلك يزيد ابن مفرغ وأسود بن أبي كريمة [١] . وقد حاولت بعض العناصر الفارسية إحياء أدبهم القومي ونظم الشعر بلغتهم الفارسية . ويروى أنه قدمت للمأمون حين دخوله « مرو » قصيدة فارسية نظمها شاعر يدعى عباس ويقول الشاعر في القصيدة إنه لم ينظم أحد بهذه اللغة قبله وقد يكون هو عباس بن طرخان الذي نقل ابن خرداذبة في كتابه الجغرافيا شعراً فارسياً له ولكن لغة القصيدة تدعو الى الشك في نسبتها لذلك العهد [٢] ، وكان هناك شاعر آخر هو محمد بن البعيث كان يكتب أشعاره بالعربية والفارسية [٣] ، وكذلك الأمر في النثر فقد كان موسى الاسواري يقص بالفارسية والعربية [٤] .

وقد ظهر أثر الحضارة وسلامة الذوق في تخير ألفاظ الشعر وأساليبه لاستعمال الروية وقلة الارتجال والانحاء عليه بالتهذيب والميل به الى جانب الرقة والسهولة والسلاسة مع بقاء جزالته وفخامة عبارته في غير الهزل والمجون وفي الموضوعات التي تتطلبها ، وانتقل ذوق الزخرف والترف من الحياة العامة إلى الحياة الفنية الخاصة فتجلت الدقة في انتقاء الألفاظ العذبة الممثلة للمعنى أتم تمثيل وظهر الكلف في صوغ العبارات والأساليب . ودعا النقاد كالجاحظ وسواه إلى ايثار ما لم يكن من الألفاظ ساقطاً سوقيًّا ولا مستكرهاً وحشيًّا وإلى هجر الغريب والخشونة وايثار الجمال الفني من وضوح العبارة وجمال الابتداء وحسن التخلص والانتهاء . وقد استعملوا بعض الألفاظ الكلامية وانتبسوا في الشعر من كتاب الله العزيز ، وقصدوا البديع وألوان الزخرف الفني قصداً يرشون به شعرهم . فقل حظ الشعر من اليسر ، وبعد عهده بالبداوة ، وكثر حظه من التكلف الفني ،

(١) البيان والتبيين ص ٩ - ١ جزء ١
(٢) الحضارة الاسلامية لبارتولد ص ٦٨
(٣) الحضارة الاسلامية لبارتولد ص ٦٩
(٤) البيان والتبيين ص ٢٣٤ جزء ١

اليونانية صاروا يدخلونها في الشعر .

فيقول الشاعر [١] : والفقر في أوطاننا غربة والمال في الغربة أوطان

وهو نظم لحكمة أرسطو : « المال في الغربة وطن ، والمقل في أهله غريب [٢] »

وفنون الشعر وأغراضه القديمة من مدح وهجاء وفخر ورثاء ووصف وغزل بالمؤنث وزهد وحكمة ومثل ، نظم فيها الشعراء ولكنهم أكثروا منها واقتنوا فيها وصبغوها بصبغة لكاد تكون جديدة مبتكرة ، فقد جدد التلقيح المثلي نماذج هذه الأغراض الشعرية ، وأحدث ألواناً من ضروب الرقي الفني غيّر كثيراً من جوانبها القديمة .

ونظموا مع ذلك في أغراض جديدة خلقتها البيئة وآثار الحضارة والحياة في العصر العباسي ، فشاع فيه المجون والغزل بالمذكر [٣] ووصف الخمر وتصوير الطبيعة ووصف الصيد والطرد ونظم الشعر في تأديب النفس وتهذيب النشء بنظم القصص كما فعل أبان وسواه من الشعراء ، وضبط قواعد العلوم ونظم التاريخ كما فعل ابن المعتز في أرجوزته في المعتضد وسواه من الشعراء ، ونظموه في وصف المصانين وهجاء المغنين والانتهام بالأبنة والذم بالرشوة ووصف شتى ألوان الطعام ، وفي التصوف الذي أكثر منه الزهاد والمتصوفون ، وفي الوعظ والأخلاق وفي شتى الأغراض وجديدها .

وكان للغناء والحضارة والترف أثر في التجديد في أوزان الشعر وقوافيه ، فأخذوا يلائمون بين الموضوعات والأوزان والقوافي [٤] وزهدوا في الأوزان الطويلة وآثروا عليها الأوزان السهلة الخفيفة القصيرة ، بل إنهم جددوا أوزاناً لم يسبقهم إليها المتقدمون ، ونظموا على الأوزان التي لم تنظم منها العرب إلا قليلاً كالمضارع والمقتضب والمجتث ، وأكثروا من نظم المخمسات والمزدوجات ، ونظم عليها بشار عشرات واستهتاراً بالشعر . [٥] وصنع ابن المعتز أرجوزة في ذم الصبوح وأرجوزة في سيرة المعتضد ، واشتهر بالتخميس ابن وكيع والأمير تميم [٦] ، ونظموا الدوبيت والسلسلة والمواليا والزجل وقوما وكان

(١) رسالة الغفران ٢٠٣

(٢) وهي في البديع لابن المعتز برواية أخرى منسوبة لسلمة بن عبد الملك (٧٦ البديع)

(٣) نشأ هذا اللون على يد حماد وراوية وأبي نواس والحسين بن الضحاك والبحتري وسواهم من الشعراء وإذا كان أبو نواس وحده أو مع ثلة قليلة قد نظموا فيه في العصر الاول فقد كان أكثر الشعراء في العصر الثاني يطرقون هذا الباب ولم يبق شاعر في بغداد إلا واشتهر بغلام يشبّبه ويتغزل به .

(٤) راجع ٩ الكشف عن مساوئ شعر المتنبي

(٥) العمدة جزء ١ ص ١٥٧ (٦) العمدة جزء ١ ص ١٥٨

التصوّر ، واستنباط الدقيق والجديد من الآراء والأفكار ، وبالاكثار من ضرب المثل واستخدام الآراء الفلسفية والبراهين والأقيسة العقلية ، وبتمحيص الأفكار وترتيب العناصر . وأخذ المنطق يتغلغل في الصياغة الذهنية ، حتى لتجد القصيدة عند أبي تمام محكمة الأجزاء والعناصر والترتيب ، وتبعه في ذلك كثير من الشعراء .. وأكثر الشعراء من الابداع في التصوير والخيال والافراق فيه ، وتركيب التشبيهات والاستعارات والأوصاف ، في جنوح الى المبالغة والافراق والغلو والاستقصاء والتغلغل في دقائق الأغراض والخيالات . وانصرف الشعراء عن المعاني البدوية أو الحضرية المتأثرة بالبداوة الى معان حضرية صرفة . وبعد أن كان الشعر مرآة للطبع الخالص ، أصبح في هذا العصر لا يصدر إلا بعد أن يسيطر عليه العقل وآثار التفكير ؛ وندر في هذا العصر من خلا شعره من آثار الحضارة العقلية ؛ فمن لم تظهر في شعره المعاني الفلسفية والآراء الطريفة التي سرت إلى المتأدبين من مذاكرة علم الكلام والعلوم المترجمة وخاصة الفلسفة ؛ ظهرت فيه محسنات اللفظ والمعنى ، وتفجيات الفرس ومبالغاتهم ، ولا بدع في ذلك فأكثر الشعراء في هذا العصر كانوا رضاع أدبين ونشء حضارتين وولداق جنسيتين ، مما كان له صداه في أخيلة الشعراء وتصوراتهم وتأديتهم للمعاني ، ولهذا اللقاح من الأثر في الفكر والعقل ما يعلل لك وفرة المعاني الجديدة ودقة النظر ولطف الأخذ لها ، « فالمحدثون أكثر ابتداعاً للمعاني وألطف مأخذاً وأدق نظراً لأنهم عظم الملك الاسلامي في زمانهم ورأوا ما لم يره المتقدمون» [١] . ومعاني الشعر في هذا العصر : إما معان قديمة تناولها الشعراء فأحسنوا غالباً صوغها وزادوا فيها ، وإما معان جديدة استقل المحدثون بابتداعها ، وإذا كان للمتقدمين متانة التعبير وصحة الأداء والسلامة من قصور الملكة ، فان للمحدثين مزية [٢] المعنى والتحليق في سماء الخيال واتساق الفكر ؛ وشاعت في أشعارهم تلك الحكمة التي اشتهر بها صالح بن عبد القدوس وأبو العتاهية وأبو تمام وسواهم من الشعراء ؛ وللمروزي أحمد بن محمد مزدوجة ترجم فيها أمثال الفرس [٣] . وكان المروزي مولعاً بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية [٤] وللأبوردي قصيدة ترجم فيها أمثال الفرس [٥] ، واشتهر علي بن جور الفارسي — وكان ذا علم بالنجوم — بادخالها في شعره [٦] ، والحكمة

(١) المثل السائر ص١٣٦ (٢) ويرى ابن جني أن المولدين يستنهضونهم في المعاني (٢/٢٢٤ العمدة)
(٣) كان أكثر شعره في الزهد والامثال (١٢٢ جزء ١ الاغاني ، ٢٣٨ جزء ٦ الكامل)
(٣) اليتيمة ص٨٣ جزء ٤ ، والكشكول ص١٢٣ و ١٢٤ (٤) اليتيمة ص٨٤ جزء ٤
(٥) اليتيمة ص ٨٦ جزء ٤ (٦) معجم الشعراء ص ٢٩٣

الشعر العربي
في القرن الثالث الهجري

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

كان الشعر الجاهلي غنائيًا يفيض من القلب ويصوّر عاطفة الشاعر وشعوره ، وكان ضخم الألفاظ ، قوي الأسلوب، متعدد الأوزان والقوافي ، معانيه فطرية مستمدة من صحيفة الحياة ومشاهد البيئة .

فلما جاء الإسلام ظل الشعر على حالته ، أسر لفظ ، وجزالة عبارة ، وطريقة أداء ، ولكن أغراضه تغيّرت بتأثير الحياة الجديدة ، ومعانيه استحكمت، وألفاظه عذبت بتأثير القرآن وبلاغة الرسول .

وبابتداء القرن الثاني بدأ عهد جديد في الشعر العربي كان له أثره في شتى نواحيه الفنية . وظهر هذا الأثر على أيدي المخضرمين الذين عاصروا الدولتين الأموية والعباسية ، كما ظهر منذ أواخر القرن الثاني الهجري على أيدي المحدثين — أو المولدين — الذين نشأوا في العصر العباسي ، وتأثروا بالحياة الاجتماعية والفكرية التي كانت تسود فيه.

سار الشعر بخطوات كبيرة على يد بشّار زعيم المحدثين ، وعلى أيدي زعماء مدرسته الأدبية كأبي نواس ومسلم وغيرهما من الشعراء ، وظلت هذه النهضة الفنية تزدهر حتى آتت أكلها في العصر الثاني .

وقد كان أبو تمام آخر من شهدهم العصر الأول من أمراء القريض ، ولكن مدرسته الشعرية ظلت مسيطرة على دولة الشعر طول العصر الثاني كله ، وهي التي وجّهته توجيهاً جديداً يجمع بين فن بشّار ومدرسته ، والآثار العقلية والاجتماعية والأدبية التي سادت العصر الثاني وذاعت فيه، مما خلق نهضة فنية لم يشهدها الشعر طول العصور الأدبية جميعها .

حدث تغيير واسع في تفكير الشاعر العباسي وعقله ، فامتازت معاني الشعر بدقة

الوقوف صامدين ، ولما تمكنا من المحافظة على المركز المرموق الذي تحتله اليوم في عالم الصناعة والعمل والجهاد . بقي عليك أن تسأل — كيف تقضي هذين اليومين في طلب الراحة ونسيان العمل .

إن الشعب الأميركي يا صاحبي يميل الى حياة الهواء الطلق ، انه يكثر من النزهة والمهرجانات في الحقول وفي الريف ، إننا عندما ننتهي من أعمالنا في المساء أو بعد ظهر الأحد لا نذهب الى المقاهي والملاهي نقتل فيها الوقت ، ان هذه قد تزيد في تعبنا وفي إرهاقنا — اننا نجد الراحة في غير هذا النوع ، الذي قد يتهيأ لك ان فيه راحة وهناء . إننا نجد الراحة في الذهاب الى الريف وفي السير في الحدائق والغابات ، وفي التجوال في حدائق الحيوان . إن الطبيعة يا صاحبي سخية كريمة ، وكلما تقربت منها زادتك كرماً وسخاء ، وكرمها وسخاؤها لا يقفان عندما تقدمه لنا من رزق يكفل لنا العيش والحياة ، بل أنها تكسبنا الصحة والعافية والنشاط .

إننا نذهب الى الارياف جماعات ، فيذهب الرجل ومعه امرأته وأولاده ، وتكون الزوجة قد جهّزت طعاماً خفيفاً وقهوة ساخنة في الترموس ، فيجلس الجميع تحت شجرة وارفة الظلال عند حافة ساقية أو شاطىء بحيرة ، ويذهب الأولاد يلعبون ويمرحون مع اقرانهم ، وكثيراً ما تتم المعرفة بين رواد الريف ، فيجلسون حلقات حلقات ، في جلسات مريحة هادئة ، ويقضون بعض وقتهم بالغناء والأناشيد ، أو بألعاب خفيفة سهلة يقومون بها . ثم اذا أخذت الشمس في المغيب ونشر الظلام رداءه تعود كل عائلة الى بيتها ، هانئة ، سعيدة مسرورة من يومها الذي قضته في احضان الطبيعة .

وهناك بعض الأميركيين ، الذين يتركون المدينة إلى بيوت لهم في الريف ، فيمضون فيها أيام العطلة ، بعيدين عن متاعب المدينة وهمومها . فالاميركي اذا ما ترك عمله ، وأنس إلى عطلته نسي تماماً كل ما يربطه بالعمل ، وبكل ما يتعلق بهمومه .

وهكذا نرى أن هذا النوع من طلب الراحة والخلود الى السكينة ، ونسيان متاعب العمل ، خير وسيلة تحفظ لنا نشاطنا ، وتبقي فينا من القوة والنشاط ما يعيننا على متابعة العمل .

وكثيراً ما يعمل الأميركي على دعوة أصدقائه واخوانه لمشاركته في نزهته هذه ، وبهذا يجد لذة في اشباع رغبته في الاجتماع الى الآخرين وفي التحدث إليهم واللعب معهم ، ولقد كثرت في المدن الحدائق والمتنزهات ، حتى يجد أولئك الذين لا يستطيعون الذهاب الى خارج المدن مكاناً يهرعون إليه ، ويقضون فيه فراغهم — وكثيراً ما تعمل شركات الملاحة على اقامة نزهات بحرية يشترك فيها الراغبون في البعد عن حياة المدن وضوضائها .

عطلة الاسبوع [1]

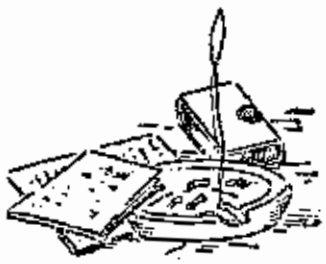

للاستاذ منير كردية

مما يضايق الزائر الأجنبي لأميركا عامة ولنيويورك خاصة ، وأقصد بالزائر هنا ، ذلك القادم إلى هذه البلاد ، من أوربا أو من البلاد العربية ، انه لا يجد مطلقاً ، يقضي يقضيه ويقتل فيه وقته ، حيث يجلس على كرسي الى مائدة ، يلعب النرد أو الورق ، أو يمضي فراغه بقراءة الجرائد . فالقوم هنا لا يعرفون هذا النوع من المقاهي ، حتى ان المطاعم المنتشرة بكثرة في هذه البلاد لا يقصدها الواحد إلاّ للأكل فقط ، إذا ما شاء أن يدخن سيجارة ترك المكان ودخّنها على المشي ، أي في طريقه الى عمله أو مكتبه .

وهكذا تدرك أن هذا الشعب ينصرف بكليته الى العمل ، والعمل المجهد ، ولا يلتفت الى شيء آخر ، وإذا ما سار في الطريق فانه يسير بسرعة ، ويندر أن تجد من يسير في الشارع بقصد قتل الوقت ، وإذا ما ظفرت بواحد من هذا النوع فتأكد انه مثلك ومثلي ، أي ليس بأميركي ، وطبيعي انك بعد ذلك ، ستحزن لأمر هذا الشعب وترثي له ثم تتساءل في نفسك أليس لهؤلاء فرصة من وقتهم يخلدون فيها الى الراحة ، ؟ والى متى يستطيعون أن يداوموا على السير هكذا ؟ ألا يدرك هؤلاء قيمة القول المأثور — إن لجسدك عليك حقًّا .

وفي أيامي الأولى بأميركا شاهدت بعض هذا ، ومرّت بخاطري مثل تلك الأسئلة ، وما ان تحدثت تلقائي ببعض الأميركيين ، حتى صارحتهم بما شاهدت ، وحدثتهم عما يدور في خلدي — كان أول من تحدثت إليهم في هذا أستاذ في الجامعة ، فقال لي — كثيراً ما يردد الناس في بلاد عديدة « أن الله عز وجل ، خلق العالم في ستة أيام واستراح في اليوم السابع » « أما نحن فنعمل خمسة أيام ونستريح في اليومين الباقيين ، وهكذا ترى أننا أكثر الأمم تفهماً للقول المأثور — ان لجسدك عليك حقًّا — ولولا هذه الراحة التي نخلد إليها ، ونغسل فيها آثار التعب والعمل المجهد الذي نقوم به ، لما تمكنا من

(١) حديث على « صوت أميركا » للاستاذ منير كردية خص به المنتطف

أما الماجور فهو الكبير أي المارن الكبير المعين في اللاتينية، وكلمة الجليد تحمل لفظها ومعناها في اللاتينية كما هي في العربية. أما الفلقية فهي الحجر في اللاتينية.

لنعد إلى الكلمات اللغوية والأدبية لأن كلمة لغة عندما نتأمل اشتقاقها العربي نجد انه لا يتلاءم مع المعنى. إذ ليست هي من الفعل واللغ هي كلمة لوغوس (والسين زائدة) اللاتينية بمعنى الكلمة. والقرطاس لاتيني واشتقاقاته كثيرة في اللغات الأوربية. وظني أن كراس وكراسة محرفان عنها وكلها يعني الورق. وكذلك القلم فهو كلمة لاتينية ما زلنا نجدها في قولهم من زلة القلم «ابسيس كلوس». وقد سبق أن نبهنا الدكتور طه حسين عن كلمة أدب وانها افريقية.

وانظر إلى كلمة «زخرفة» وهي تزيين الجدران بالرسوم بانها «زوخراف» أي رسم الحيوان. ولا نذكر هنا كلمات الفلسفة والسفسطة والجغرافيا والتاريخ فانها جميعها لاتينية افريقية. وكلمة «أرخ» التي اشتققنا منها تاريخ تعني القديم.

ومن كلمات البناء البرج والبلاط والإفريز. وكذلك كلمة قرية فانها لاتينية. وقد وجدنا لها صيغة أخرى وهي كورة. ولكننا خصصنا هذه الثانية للاقليم.

وكذلك كلمة عقار فانها هي نفسها «اكر» الانجليزية الحاضرة التي تعود الى أصل لاتيني بمعنى الأرض.

ولكن ربما يزيد استغرابنا عندما نجد أن هناك كلمات أصيلة في القضاء والشرع تعود إلى أصل لاتيني افريقي. مثل الزكاة أي العشر «ذكات». ومثل الميراث المشتق من الأصل إرث وهي الكلمة الافريقية إريس. ومثل القسطاس أي المعدل وهي بلفظها ومعناها في اللاتينية. ومثل القاضي كذلك. اذ هي لفظاً ومعنى لاتينية. وكذلك القانون.

وكنت أقرأ سورة «والنجم اذا هوى» فوجدت أن تفسير «سورة المنتهى» لا يتفق مع المعاني التي تنطوي عليها هذه السورة الخاصة بالنجوم. اذ يقال في الكتب العربية ان سدرة هي شجرة. ولكن ليس هناك شك في أن سدرة المنتهى «النعم الاخير» وهو في اللاتينية «سيدرا اولتيما».

هذه الكلمات، ومئات غيرها، هي رواسب الدولة الرومانية في الأقطار العربية.

ومن عجب أن كلمة «فندق» لا تزال تحمل معناها الروماني القديم، وأب هي الأصل في المعنى الافطاري للنظام الاجتماعي الذي كان يعيش في القرون المظلمة.

وكثير ممن يتحمسون لما يزعمون انه تقاليد «شرقية» أو عربية يجهلون ذلك جهلاً محزناً. ويعارضون في تطورنا معارضة مؤذية. لأنهم انما يتحمسون لأحافير رومانية قد تحجرت في بلادنا بعد أن تخلص منها أبناء الرومان أي الايطاليون.

رواسب الدولة الرومانية

في أقطار الشرق العربي

للأستاذ سلامة موسى

وقفت ذات مرة عند كلمتين كثيراً ما ترددان على أقلام الكتّاب هما « العيد والقنص » . وتساءلت كيف يكون معنى الفعل « قنص » سادَ، إذ لا يصح أن نقول إننا خرجنا للصيد والعيد . لأن هذا القول ينزل الى درجة الجهل التي يبلغها الكاتب العامي في أيامنا حين يقول، إننا على « أهبة الاستعداد » . والأهبة هي الاستعداد وتأهب تعني استعد .

ولم أقف طويلاً ، فاني أدرت الكلمتين على لساني وفي عقلي فوجدت أن صحتهما هي « الصيد بالقنص » أي الصيد بالكلب . والكلب في اللاتينية ، لغة الدولة الرومانية ، هو كنس ولكن حمل اللغويين العرب باللغات الأجنبية ورطهم في هذا الخطأ .

وكنت في بعض ابحاثي أقلب المعجم الانجليزي من أصل كلمة « أوركسترا » . أي الفرقة الموسيقية التي تعزف بالتوافق بين الآلات . فوجدت أن المعنى الحديث مصطنع . وان الأصل في كلمة « أوركست » هو الرقص . وهذا الأصل اغريقي لاتيني . ففعل رقص ليس عربياً بل لاتينيًّا . وكثيراً ما استرقتني هذه الكلمات ، وهي في الأغلب فنية أدبية ، وحملتني على التفكير في الأصل لهذه العلاقة بين العرب وبين الاغريق والرومان . واعتقادي أن انتقال الثقافة الاغريقية من الاسكندرية الى الشرق العربي هو حقيقة تاريخية . ثم اتصال الامارات العربية في حوران والعراق بالدولة الرومانية ، الغربية ثم الشرقية ، عقب المسيحية هو حقيقة أخرى لا يمكن انكارها . حتى صار العرب يصطنعون مئات الكلمات الاغريقية واللاتينية . والكلمات اللاتينية في ريفنا وقرانا مألوفة . مثل فدان وجرن وماجور . وجليد . والكلمة العامية فلقيلة .

فالفدان مشتق من فيردوم أي الماشية أو الملك في اللغة اللاتينية . وفي معاجمنا لا يزال معناه الثور أو الأرض . ومن هذه الكلمة اشتق المعنى الاقطاعي « فيودال » .

أما الجرن الذي نقرص عليه حبوبنا فهو جران اللاتينية بمعنى الحبوب .

﴿الحديد في أوراق الخضر﴾ اتضح من تحليل الخضر أن نصل الورقة يحتوي من الحديد على ٥ ر ١ الى ٥ أمثال ما في الساق وعرق الورقة الوسطى — كما ظهر أن صفائح ورق اللفت أغنى في الحديد وفي النكاسيوم والفسفور من عروقها واعناقها . وهذه النتيجة تبرر عادة عدم استعمال أعناق الأوراق والسوق في الطهي.

والمواد الغذائية الآتية تعد أهم مورد للحديد وتحتوي كل ١٠٠ جرام منها على ملليجرامات بحسب الرقم المرضوع أمامها : —

الأكولات	حديد بالملليجرام	الأكولات	حديد بالملليجرام	الأكولات	حديد بالملليجرام
ابو ركبه	٠ر٦١ ٪	قمح مجفف	٢ر٨٧ ٪	عسل اسود	٢٢ ر٣٢ ٪
الأرانب	١ر٠ «	الجزر	٣ر٠٠ «	عنب	٠ ر٩٠ «
الأرز	١ر٨٧ «	الجوز	٢ر١٤ «	الفاصوليا	٧ ر٠٠ «
الاسماخ	٤ر٠٠ «	جوز الهند	٢ر٦٧ «	الفجل	٧ ر٩٣ «
البازنجان	٠ر٦١ «	الحمام	٤ر٧ «	القسطل	٧ ر٩٢ «
البامية	٠ر٦٣ «	خبز القمح البلدي	١ر٧٥ «	فلفل أخضر	٠ ر٤٠ «
البرتقال	٠ر٥٢ «	الخس	٢ ر٢٢ «	الفول السوداني	٢ ر٣١ «
البرقوق	٠ر٤١ «	الخوخ	٠ ر٨١٠ «	القرنبيط	١ ر١٣ «
البسكويت	٦ر٦ «	الخيار	٠ ر٣٩ «	القلب	٤ ر٨ «
البسلة	١ر٧٧ «	الدجاج	١ ر٠٠ «	الكاكاو	٣ ر٠٠ «
البصل	٠ر٤٨ «	الذرة	٠ ر٤٧ «	الكبد	٨ ر٣٠ «
البط	١ر٨٧ «	الزبيب	٥ ر٦٩ «	كرات	١ ر٢٢ «
البطاطا	٠ر٧٧ «	الزيتون أخضر	٢ ر١١ «	كرفس	٠ ر٦٢ «
البطاطس	٠ر٥ «	السمك غير المدهن	٠ر٥ «	كرنب	١ ر٢٢ «
البطيخ	٠ر٢٣ «	« المدهن	١ ر٠٦ «	لحم بقري ـ الفخذ	٤ ر١ «
البلح	٣ر٥٩ «	السفطاوي	٠ ر٥١ «	لفت	١ ر٥٣ «
البندر	١ر٥٣ «	الشعير	٣ ر٥٨ «	اللوبيا	٧ ر٠٠ «
البندق	٣ر٩٣ «	الشيكولاته	٢ ر٢٠ «	اللوز	٤ ر٠٧ «
البيض ـ الصفار	٧ر٦٠ «	الطماطم	٠ ر٤٤ «	مشمش مجفف	٧ ر٦١ «
التفاح	٠ر٤١ «	العدس المقشور	٨ر٦٠ «	موز	٠ ر٦٤ «

﴿الحديد في الطعام﴾ لا بدّ لبنية الانسان من شيء من الحديد يتناوله مع طعامه . وهو يوجد في كثير من أنواع الطعام . فجميع اللحوم تحتوي عليه بكمية طيبة — ولما كانت اللحوم غنية بالفوسفور والكبريت وهما مادتان حامضيتان تقللان من قلوية الدم فلا يحسن الاكثار من أكلها والأفضل الحصول على الحديد من البقول والخضر والفاكهة . وقد حلّل الاستاذ بنج أنواعاً مختلفة من الأغذية ليعلم ما في كل منها من الحديد . فوجد أن الأغذية الغنية بالحديد والتي توافق المرضى بفقر الدم هي : الكبد والكلاوي واللحوم الحمراء وخاصة البتلو والعجالي والضأن، والعسل الأسود والبقول، الجافة وأوراق الخضر، والفاكهة المجففة مثل (المشمش والبلح والقراصيا والتين والزبيب . فأنواع الياميش مثل (البندق واللوز والجوز) والحبوب الكاملة والخضر الورقية كافة وخاصة الاسباغ والكرنب والسلق والبسلة والفاصوليا والعدس ، والجذور مثل الجزر، والدرنات والفاكهة الطازجة .

وقد اتضح من تحليل بيض الدجاج والبط والحمام أن الحديد يوجد في صفار بيضها، وذلك على هيئة حديد عضوي بنسبة صغيرة قدرها ٠٠٧ و ٠ ٪ وفي اللبن بنسبة صغيرة جداً لا تتجاوز ٠٠٠٥ و ٠ ٪ — أي أن عنصر الحديد ضئيل جداً في اللبن الطبيعي — ولذا يعتمد الطفل الرضيع في الحصول على هذا العنصر خلال أشهر الرضاعة الأولى على المخزون في كبده قبل الولادة . ويقول الأستاذ بنج إن الأدوية المقوية التي تحوي كثيراً من الحديد لا فائدة منها بل هي تلبك معد المرضى الذين يتعاطونها وخير منها الأطعمة الكثيرة الحديد

﴿الحديد في النبات﴾ الحديد عامل من عوامل النمو في النبات وله دخل في تكوين مادة الكلوروفيل في جسم النبات [1] ويحصل النبات على الحديد اللازم له من التربة . لأن ملح سليكات الحديدوز الذي تحتوي عليه الصخور والتربة يتحلل بفعل ثاني أكسيد الكربون الذي في الجو متحولاً الى كربونات الحديدوز وبيكربونات الحديدوز ، وهذا الأخير قابل للذوبان في الماء . أما كربونات الحديدوز فيتأكسد الى أكسيد الحديديك ، وبذلك يعود ما به من ثاني أكسيد الكربون الى الجو . ووجود الحديد في التربة يؤكسد المواد العضوية بامتزاز وبحوّلها الى ثاني أكسيد الكربون الذي يعود الى الجو .

﴿الحديد وجذور النبات﴾ وتبين بالامتحان أن جذور الذرة تحتوي كثيراً من الصودا والحديد حينما يكون النبات في حال الازهار، كأن هذين العنصرين ضروريان لتكوّن الزهر والبزر ، ولعلّ ذلك هو سبب فائدة الحديد للنبات

(١) كتاب الاغذية للاستاذ حسن عبد السلام

الحيض أما الحوامل فانهن يحتجن الى نسبة أكبر أيضاً تصل إلى ٢٠ ملليجراماً في اليوم لكل كيلوجرام من وزن جسم كل منهن ، لأن الجنين يستمد الحديد اللازم لتكوين جسمه من دم الأم ، على انه لا يكتفي بما يلزمه لتكوينه ، بل يختزن منه في جسمه لما بعد الولادة ايستمد منه احتياجاته الى أن يتعود جهازه الهضمي على امتصاص الحديد واستساغته.

﴿ الحديد في الجسم ﴾ وتتراوح مقادير الحديد في أجزاء الجسم[1] بين ٠٨ و ٠ ٪ في الشعر و ٠١ ر ٪ في الرئة و ٠٠٨ ر ٠ ٪ في الكبد و ٠٠٥ ر ٠ ٪ في الكلي و ٠٠٤ ر ٠ ٪ في العضلات و ٠٠٢ ر ٠ ٪ في المخ كما انه موجود في كل عضو من أعضاء الحيوان ولا سيما في الكبد والطحال .

﴿ الحديد في الدم ﴾ ويبلغ مقدار الحديد في دم الانسان نحو ٥٠ ملليجراماً في كل ١٠٠ سم ٣ من الدم، ويكون الجزء الأكبر منه في صورة مركب الهيموجلوبين . أما الحديد الذي يطرد خارج الجسم في مدة ٢٤ ساعة فيبلغ ملليجرام في البول و ٧ ملليجرامات في العضلات التي تطرد من الأمعاء مع البراز .

ومن المعروف أن الحديد يتحد مباشرة بالأكسجين اذا وجد الماء ، مهما تكن الظروف المحيطة بهما . وما الصدأ الذي يعلو الأدوات الحديدية المعرّضة للجو ، إلاّ مركب ناتج من اتحاد الحديد بالأكسجين . وهذا المركب يسميه الكيميائيون أكسيد الحديديك المائي .

وهذا الميل الشديد للاتحاد بين الحديد والأكسجين هو السبب المباشر الذي بوساطته يجد الأكسجين طريقه الى جميع نسج الجسم، وبدون الحديد الذي يحتوي عليه الدم يصبح الجسم عاجزاً عن امتصاص الأكسجين الذي يحيط به ، وعاجزاً عن الاستمرار في الحياة .

﴿ فائدته في الدم ﴾ عرف من زمان طويل أن الحديد موجود في الدم . وأن لون كريات الدم الحمر متوقف عليه ، وان له في الدم فائدة كبيرة جداً بحيث لا يستغنى عنه ، فان براكسيد الحديديختص الغازات بسرعة ويتركها بسرعة ويقال إنه يفعل هذا الفعل في الدم فيمتص الأكسجين الذي تتنفسه ويحمله الى كل أجزاء البدن ويعطيها اياه ، ويأخذ منها غاز الحامض الكربونيك وينقله الى الرئتين ، فهو من هذا القبيل أهم آلة من آلات الحياة الحيوانية ، ويفعل هذا الفعل في النبات أيضاً ، أي انه يحمل الغازات الى دقائق النبات ، ومنها وهو موجود في الكلوروفيل الذي فيها . فهو مختص بحمرة دم الحيوان، وخضرة ورق النبات وضروري لحياتهما .

(١) كتاب الاغذية للاستاذ حسن عبد السلام

مما يجب أن تعرفه عن :-

الحديد

ماهيته وخواصه في جسم الانسان

للأستاذ اسبيرو حبيبي

الحديد من العناصر المهمة التي يحتاج إليها الجسم . وهو على وجه العموم ضروري جداً لأنه عنصر مهم في تركيب الدم ، وله شأن عظيم في تنظيم عملية التنفس، وتوصيل الاكسجين الى جميع نسج الجسم . وهموجلوبين الكرات الحمر ما هو إلا مركب حديدي عضوي له فائدة عظيمة . واذا نقصت كمية الحديد في البنية أصيب الانسان بأشد أنواع فقر الدم وبالخمول وضيق الخلق والكآبة وبرودة الأطراف ، ولذا تعدّ المركبات الحديدية من أهم ما يحتاج إليه الجسم

وتختلف حاجة البنية اليه بحسب السن فالأطفال في سن الرضاعة وسن المهد يحتاجون الى مقدار منه أكبر نسبياً مما يحتاج اليه الكبار ويحتاج الطفل في الستة الأشهر الأولى بعد الولادة الى ٢٠٠ ملليجرام . اذ ليس في استطاعته الحصول عليها من اللبن ، ولكنه يستمدها مما اختزنه في جسمه وهو داخل الرحم . وعليه أن يحصل على حاجته بعد ذلك مما يتغذى به وذلك بمقدار نصف ملليجرام أو ملليجرام لكل كيلوجرام من وزن جسمه، ولذا يجب تغذية الأطفال الرضّع منذ الشهر الرابع بعصارات الفاكهة وعصارات الخضر المسلوقة ، لأنها تحتوي على كميات كبيرة من الحديد لا يجدها في اللبن، كما انها تحتوي على أنواع الفيتامينات المختلفة التي يتوقف عليها نمو الطفل نمواً كافياً مطرداً .

ويحتاج البالغون من الرجال الى الحديد بنسبة ٥ — ١٢ ملليجراماً يومياً لكل كيلو جرام من وزن جسم كل منهم ، ومع ذلك فان هذا المقدار الصغير يؤدي وظيفة مهمة جداً ، وهي نقل الاكسجين من الرئتين الى جميع نسج الجسم .

أما النساء فيحتجن الى أكثر من هذه الكمية ، لأنهن يفقدن مركبات الحديد مع دم

وعرفتك عواصف ثائرة ، تسفي الرمال ، وتقذي العيون ، . وعرفتك رخاء ندية لفحاحة بالعطر !

صممتك . . ورأيتك . . وعرفتك ، فأحببتك أيتها الحياة ، بل عشقتك ، وترامت أسير غرامك ، ووقعت صريع هواك . . لانك أنت الحياة !!

*

أنا وأنت — أيتها الحياة — عاشقان ، يقربهما الهوى ، ويباعدهما الصدّ . . يدنيهما الصفو ، وتفرقهما الجفوة .

ألفتك طفلة غضّة ، وصاحبتك صبية ساذجة ، وأحببتك فتاة ناضجة ، وعشقتك امرأة ثائرة الجمال معربدة الفتنة . .

وتجمعت الآلفة والصحبة والعشق ، فتبلورت في عاطفتي الجديدة ، فصادفتك كهلة . وظلت الصداقة تدنيني إليك ، وتقربك مني حتى صرت عجوزاً شمطاء .

تتحدثي إليّ من أعماق الكهوف ، ودياجير الماضي ، وتجارب القرون ، وتخاريف السنين .

*

تحدثي أيتها الحياة . . فأني مصغ إليك . لقد أحببتك يا حياتي — راضياً أو مرغماً — وأنا في حبك متهم ملوم . .

قال العاذلون : إنها طفلة . . فما سمعت ، وقالوا : صبية غير ذات لب ، فما حفلت ، وأرجف المرجفون من بعد ذلك فما تراجعت . وقال الرقباء : من تكون !! فهززت أكتافي غير عابيء ، ومضيت . .

وقال الناصحون : إنها امرأة !! فما انتصحت ، وقالوا : معشوقة الجحيم !! فتمادیت وقالوا أخيراً : لقد هرمت . . فازددت بك استمساكاً ، وما رضيت عنك حولاً !!

واليوم يقول المتفائلون : إنها ما زالت غادة أنضر من الورد ، وأرق من الانسام ، وأبهج من ليالي الربيع الراقصة في أشعة القمر فأسعد وأنتشي وأزهو . . لانك حبيبتي !!

ويقول المتشائمون : إنها حطام في طريقه إلى القبر ، وأنفاس متقطعة في أوصال باردة . . فأتعس وابتئس ، وأشفق وأخشى . . لانك — كذلك — حبيبتي !!

فتحدثي إليّ يا حبيبتي . . تحدثي إليّ ولو بآخر كلمة على شفتيك !!

بهظ سواعدك المفترلة . .

وإن من واجبك أن تتغاضى عن هـذه الغارات المتتابعة التي يشنها على الأحيـاء ، فيعمل فيهم أسلحته الفتاكة ، وعتاده المدمر ! !

•

تحدثي أيتها الحياة . . فأني صامت ! !

لقد سمعتك — بعد ملايين الأعوام — ماذا أنت أنت . . ترحبين بفريق من أبنائك ، تمهدين لهم من صدرك ، وتهيئهم من قلبك ، وتغدقين عليهم من برك . .

. . وتصرخين صرخات البغض في وجوه آخرين ، تطردينهم من رحابك ، وتذودينهم عن جنانك ، وتحرمينهم عذب حنانك في قسوة وإجحاف .

بلى . قد سمعتك أيتها الحياة ورأيتك .

. . رأيتك تتبرجين للسعداء من عشاقك ، فتمنحينهم صافي ودادك ، وتتوليهم شهد رضابك ، وتقدمين لهم كؤوس وصالك عطرة مترعة بطيوب المتعة ورحيق السعادة . .

. . وتسخرين من بني الشقاء ، الذين تدلهوا بحبك ، وافتتنوا بسحرك ، وهاموا في وديان جمالك . . فصددتهم في دلال وكبرياء ، وتركتهم صرعى الحب والجنون ! !

أفعدل هـذا أيتها الحيـاة ؟ أنا لا أدري ، وكذلك أنت ، ولكنك هكذا تفعلين ! !

•

تحدثي أيتها الحياة . فاني منصت ! ! لقد أنصت إليك أيتها الحياة منذ كنت أنت ، ومنذ كنت أنا . . فسمعتك ضاحكة وباكية ، وسمعتك حانية وقاسية ، وسمعتك ساخطة وراضية ، وسمعتك مفرقة ومدنية . .

وما زالت الأصداء تتجاوب في مسامعي ضحكات وآلات ، وتختلط في نفسي مفرحات ومبكيات . . . سمعت صوتك صخباً مجلجلاً يقرع الآذان ، وتسمعت إليه همساً رقيقاً لطيفاً كمناجاة العشاق ، يبعث النشوة ، ويهدهد الأرواح .

ورأيتك — أيتها الحيـاة — منيرة ومظلمة ، وأحسستك سارة ومؤلمة ، فلقيت في سمائك الغانيـة الثوب ذات الدلال والإغراء ، والعجوز الشمطاء التي ترتدي الدمامة والقبح ، والفاجرة المتدرعة التي يشعّ من عينيها بريق المكر والدهاء ، والطهور العفيفة التي توحي بالقداسة ، وتحض على السجود .

أيتها الحياة !!

للأستاذ رضوان ابراهيم مصطفى

تحدثي أيتها الحياة .. فأني سامع !!

لقد تحملتك تهللين وتهتفين منذ ملايين السنين . يوم استقرت كرة الأرض في فضاء الأزل ، ونامت عنها صوالجة الأقدار ، ورد عليها المشتعل ، وقال الله : كوني !! فاستويت فتاة رياقة الشباب ، ناضرة الحسن ، بارعة الجمال ، تضحكين للاضياء ، وتركضين في الفضاء ، وتغنين للهواء ، وتعبثين بالماء !!

وتحملتك تتأوهين ، وتبرح بك الآلام الفذيذة ، وأنت ناضرة الحيا ، مشرقة النظرة ، يوم تمخضت عن الانسانية ، وعرفت معنى الأمومة الحانية ، وسعادة البنوة المغامرة !!

وتحملتك — من بعد — باكية مولولة ، مطأطئة الرأس ، دامعة العين ، دامية القلب .. تجادلين الموت وهو يغير على أوليات ثمارك ، فيقتطفها في قسوة ، ويحطمها في عنف ، ويسحقها في كبرياء . لم يترفق بالمدامع الجارية ، ولا بالنفس الحانية ، ولا بالقلب الواجف !!

استرحمته فقسا ، واستعطفته فنبا ، وعاديته فتمادى .. وكانت الحرب ، وما زالت سجالا ، لم ينتصر فيها قوي ، ولم ينهزم فيها ضعيف ، ولكن الدائرة ما تزال تدور — لا عليك ولا عليه ، فما تنفك غاراته متتابعة ، وما تزالين تختالين مزهوة في رحاب العالم — ولكن مكره يحيق بالأحياء ، ولكن مصارعهم تتتابع على عينيك أيتها الحياة !!

ولفت هذا وأمثاله ، وكأنك آمنت — في النهاية — بأن من حقه — أو من واجبه — أن يخلف عن كاهلك هذا العبء الفادح ، الذي تحملت بدايته مستبشرة سعيدة ، ثم مطمئنة إليه ، راضية به ، صابرة عليه ، ثم تبرمت به حين ثقل وتقل ، حتى

٤ — اعفاء جميع طلبة الجامعات المصرية الذين لم يسددوا المصروفات الجامعية هذا العام عن دفعها .

٥ — اطعام مائة الف فقير بالمجان في جميع انحاء البلاد

٦ — منح عشرة جنيهات لكل مولود ذكر من مواليد يوم الاربعاء ١٦ يناير ١٩٥٢ ، تيمناً بالمولد السامي السعيد

*

وقد جادت مكارم حضرة صاحب الجلالة الملك على الاعمال الخيرية بخمسين الف جنيه تيمناً بميلاد حضرة صاحب السمو الملكي الامير أحمد فؤاد ولي العهد .

وأمر جلالته بأن يخصص لاسر الشهداء وللمصابين في منطقة القنال مبلغ ثلاثين ألف جنيه من الخمسين ألف التي جادت بها مكارم جلالته . أما العشرون ألفاً الباقية فقد صدر الأمر الكريم بتوزيعها على جهات البر في باقي مناطق القطر .

*

هذا هو النبأ السعيد الذي طالما تاقت البلاد ، شعباً وحكومة الى سماعه . وهذه هي البشرى التي طالما تلهفت القلوب الى اجتلائها ، بشرى مولد حضرة صاحب السمو الملكي الامير أحمد فؤاد ، ولي العهد وأمير الصعيد ، شاكرة سابغ فضله ونعمته ، معبرة أصدق التعبير وأجله عن تيمنها وابتهاجها بهذا الحادث التاريخي المجيد .

« والمقتطف » إذ تتلقى هذا النبأ السعيد وتذيعه ، ترفع الى صاحبي الجلالة الملكين المعظمين وسائر أعضاء البيت المالك الكريم اخلص آيات التهاني وأرفع عبارات التبريك ، سائلة المولى أن يقر أعين جلالتيهما بصاحب السمو الملكي الأمير أحمد فؤاد ويكلأه بعنايته ورعايته .

☆☆

ما منّ الله تعالى به على البلاد وعلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم من مولد حضرة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد فؤاد ، ولي عهد المملكة المصرية، في الساعة الثامنة والدقيقة العشرين من صباح يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧١ هجرية والسادس عشر من شهر يناير سنة ١٩٥٢ ميلادية بقصر عابدين العامر .

والديوان اذ يعلن هذا النبأ السار ، ليرجو من العليّ القدير أن يجعل هذا الميلاد فاتحة خير واسعاد على البلاد ، وان يهيىء لها أسباب الخير والتوفيق ، وأن يحقق لها ما تصبو اليه من عزة ومجد .

إنه نعم المولى ونعم النصير .

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء ١٦ يناير ١٩٥٢ أطلق مائة مدفع ومدفع في القاهرة من القلعة والعباسية والجيزة ، وفي الاسكندرية من السلسلة وطابية صالح ، وفي بور سيد .

وعقد مجلس الوزراء ظهراً اجتماعاً غير عادي برياسة دولة مصطفى النحاس باشا استمر حتى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، وقرر ما يأتي :

١ — تعطيل الأعمال يوم الخميس ١٧ يناير ١٩٥٢ في جميع وزارات الحكومة ومصالحها المختلفة في جميع انحاء البلاد احتفاء بميلاد حضرة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد فؤاد ولي العهد

٢ — توزيع ٣٠ الف جنيه على أسر الشهداء والمصابين في منطقة القناة

٣ — انشاء مؤسستين اجتماعيتين احداهما في القاهرة والأخرى في الخرطوم يطلق على كل منهما اسم حضرة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد فؤاد ولي العهد

أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا الميلاد فاتحة خير واسعاد ، وبشير يمن للبلاد ، نيكشف عنها الضيق ، ويهيء لها أسباب التوفيق ، وان يبارك لنا فيه ، ويحقق للوادي اكرم أمانيه .

إنه أعظم مسئول وأكرم مأمول ، وسلام الله وتحياته عليكم .

صدر بقصر عابدين في ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ١٦ يناير سنة ١٩٥٢

فاروق

كما أصدر حفظه الله أمراً سامياً بأن يلقب ولي عهده بلقب « أمير الصعيد » وهو اللقب الذي لقب به جلالته في عهد والده الراحل العظيم .

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

بعد الاطلاع على القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٢ الخاص بوضع نظام الاسرة المالكة .

ونظراً لاستحسان نسبة امارة ولي عهدنا الى اقليم تضاف اليه ، تنويهاً بمكانه بين أمراء الأسرة المالكة ، أمرنا بما هو آت :

١ — يطلق على ولي عهدنا الأمير احمد فؤاد لقب « أمير الصعيد » .

٢ — على رئيس ديواننا تنفيذ أمرنا هذا .

صدر بقصر عابدين في ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ١٦ يناير سنة ١٩٥٢

فاروق

البرلمان الملكي يعلن النبأ السعيد

في هذا اليوم المبارك ، الذي أشرقت فيه شمس الأمل الباسم ، وأضاءت فيه المع درة في تاج وادي النيل ، يعلن ديوان جلالة الملك ، ببالغ الغبطة والسرور

يديه الكريمتين .

وقد تفضل جلالته وأصدر نطقه السامي باطلاق اسم الأمير أحمد فؤاد على ولي عهده المحبوب تيمناً باسم والده العظيم المغفور له الملك أحمد فؤاد الأول .

وأصدر حفظه الله امره الكريم التالي الى صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء مبلّغاً اياه النبأ السعيد .

حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء

احمد الله تعالى ، حمد معترف بنعمائه ، وأشكره شكراً كفيلاً برضائه سبحانه من اله كريم ، استوهبنا طمعاً في فضله ، فأجزل العطاء ، واستمنحنا أملاً في كرمه ، فمنح بسخاء ، فقد وهب لنا ، وهو ذو الفضل العظيم ، في الساعة الثالثة والدقيقة الثانية العربية من صباح يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧١ هجرية والساعة الثامنة والدقيقة العشرين الافرنجية من صباح اليوم السادس عشر من شهر يناير سنة ١٩٥٢ ميلادية ، مولوداً ذكراً اسميناه احمد فؤاد ، تيمناً باسم المغفور له والدنا العظيم ، وكان ذلك بقصر عابدين العامر .

وقد صارت له ولاية العهد على عرشنا ، وفقاً لاحكام الأمر الملكي الصادر في ١٣ من ابريل سنة ١٩٢٢ والمادة ٣٢ من الدستور .

لذلك أصدرنا أمرنا هذا الى مقامكم الرفيع لاثبات هذا الميلاد في السجل الخاص بأولادنا المحفوظ برياسة مجلس الوزراء ، ونشر هذا النبأ السعيد على جميع الوزارات والمصالح الحكومية وفي جميع أنحاء الوادي شماله وجنوبه ، واتخاذ اللازم نحو ابلاغه رسمياً جميع الهيئات السياسية الأجنبية بالمملكة وجميع سفرائنا ووزرائنا المفوضين في الخارج وكل من يهمه ابلاغه ذلك .

المقتطف

رئيس التحرير : اسبيرو جسري

February 1952 (الجزء ٢ — المجلد ١٢٠) فبراير سنة ١٩٥٢

الامير احمد فؤاد

ولي عهد مصر والسودان

استجاب الله تعالى لابناء الوادي ، ولمليكهم العظيم ، دعاءهم ، فحقق امنيتهم بأن منّ سبحانه على حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، ملك مصر والسودان ، وحضرة صاحبة الجلالة الملكة ناريمان ملكة مصر والسودان بولي العهد المحبوب .

ففي الساعة الثامنة والدقيقة العشرين من صباح يوم الاربعاء ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ هـ والموافق ١٦ يناير سنة ١٩٥٢ م — وضعت بحمد الله ورعايته حضرة صاحبة الجلالة الملكة ناريمان مولودها السعيد حضرة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد فؤاد بقصر عابدين العامر . وقد اعرب الأطباء عن ارتياحهم لسير الحالة الصحية لجلالة الملكة المعظمة ، والامير المحبوب .

وقد زفّ البشير النبأ السعيد الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فأغرورقت عيناه بدموع الفرح وقال حفظه الله « الحمد لله » . وغادر جناحه الخاص الى جناح الملكة المعظمة ، وطبع على جبين ولي عهده المحبوب قبلة وحمله بين

الفهرست

للجزء الأول من المجلد العشرين بعد المائة

١	الدكتور فارس نمر باشا ـ وفاته وترجمة حياته ـ	للأستاذ اسبيرو جسرى
١٣	وداع ولقاء وتشرف وثناء	للدكتورين يعقوب صروف وفارس نمر
١٤	الولد الثالث — تمثيلية شعرية في فصل واحد	للدكتور أحمد زكي أبو شادي
١٧	الحياة الأدبية في صدر الدولة العباسية	للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
٢٠	منظر الكرة الأرضية من ارتفاع ثمانين ميلاً	للأستاذ امين عبده
٢٥	حياة ضائعة (قصة)	للأستاذ محمد عاطف السعيد جاد
٢٨	في الشرق الأقصى — اندونيسيا الخضراء —	للأستاذ أحمد طه السنوسي
٣٢	عصابات الشفتا في الحبشة	للأستاذ زاهر رياض
٣٥	خشب البلزة	للأستاذ عوض جندي
٤١	النمل الأبيض	للأستاذ اميل مراد
٤٧	الأمراض العقلية وعلاجها	" "
٤٩	الدراري (قصيدة)	للشاعر المهجري أسعد رستم
٥٠	أثر العقاب في حماية المجتمع	للأستاذ سهام عباس
٥٢	التقويم الزراعي لشهر يناير ١٩٥٢	" "
٥٣	[أخبار زراعية] : امراض النباتات . الآفات الحشرية	" "
٥٤	[مكتبة المقتطف] : عنوان النشيد : للدكتور احمد زكي أبو شادي رياح وشموع : للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي	
٦١	[أخبار علمية] : أحدث الآلات العصرية للعلاجات الطبية — الكاوة الصناعية. الحجاب الحاجز الكهربي للتنفس . جهاز لتشخيص مرض القلب. جهاز الالكترو إنسيفلوغراف طريقة للاهتداء الى التشويهات الخلقية . آلات تصوير جوي ترشد الى أوصاب القلب . الراديو المصور بالآلوان في حجر الجراحة : للأستاذ عوض جندي	

قد تلي حتفه. أما الطريقة الحالية فتقوم بادخال الجراح خرطوماً دقيقاً مرناً في ذراع المريض ثم مراقبة مسيره، على فلوروسكوب [1]، مع مواساة دمه « الخرطوم » تدريجياً في وريد المصاب حتى يصل الى فؤاده. ثم يستخرج الجراح نفسه « عينات » من الدم الذي يتدفق من القلب فيستدل بها على المقر الحقيقي لذلك الداء الخفي. وتتم هذه الذريعة بلا خطر. وذلك تحت تأثير التخدير الموضعي فحسب، من دون شعور المريض بأي ألم كان.

﴿آلات تصوير جوي ترشد الى أوصاب القلب﴾ وغدت لآلات التصوير الفوتغرافي منفعة عظيمة لاستكشاف أسقام القلب. فتستطيع احداها تصوير صور فوتغرافية للقلب بالغة الوضوح وذلك في هنيهة لا تعدو أربع ثوان. إذ تتم عملية التصوير بأجمعها، من تحميض وتثبيت وغسل وتجفيف كلها في باطن المصورة. أما الأطفال الذين يولدون وقلوبهم غير سليمة، وهؤلاء يقدرون عند وضعهم بـ ٢ ٪ من مجموع المواليد، فقد تفحمهم الآلات المصورة الجوية نفحاً باهراً في زمن الحرب العالمية الثانية. إذ جعلتهم ينفادون متاعب تصويرهم بأشعة رنتجن التي تحتم عليهم السكون التام حينئذ، ووقف تنفسهم قصد تصويرهم بأجهزة أشعة رنتجن. كما هو المفروض على الكبار الذين يخوض ذلك التصوير. إذ يحقن وريد من أوردة ذراع الطفل المصاب بمادة كيميادية غير شفافة « يدعى معرفة نوعها على التفلم » ومهما يتبرم الطفل ويتنفس وتتشنج العضلات الصور العشرين السينية التي تصورها الآلة الفوتغرافية في عشر ثوان، تزود الأطباء بمعلومات مستوفاة تمكنهم من تقدير حجم ذلك التشويه الخلقي والاهتداء الى مقره.

﴿الراديو المصور بالألوان في حجر الجراحة﴾ — ما من شك إن هذا الجهاز سينفع نفعاً جليلاً في التعليم الطبي. إذ هو سيمكن عدداً كبيراً من طلبة الطب من الحصول على صور متحركة منقولة عن كتب توضح جيداً مميزات الجراحات، وذلك بمقاييس كبيرة. وهذا فضلاً عن الدقة التي يمتاز بها الراديو المصور بالألوان المختلفة عن زميله المصور بالنورين الأسود والأبيض إذ الأول تظهر فيه الصورة، على ستارته المستقبلة، أكبر عدة مرات مما يراه الجراح نفسه الذي يقوم بالجراحة.

عوض جندي

(١) جهاز مقتبس بمادة متألقة، تشاهد به ظلال الاشياء الكامنة في البيئات غير الشفافة التي لا يكشفها الضوء العادي، بل أشعة رنتجن. اذ تسيرها فتجاه هذه الاشعة.

الباحثون في جامعة ملبورن رئة حديدية صغيرة لدراسة أسباب عدم انتظام تنفس الأطفال الأسقاط (الذين يولدون قبل أوانهم) ويرون أن سببه يرجع الى عدم وصول الأكسيجين الى نسيج المخ المسيطر على التنفس . وحتى الأطفال الذين يولدون ولادة طبيعية في المستقبل ، يتاح إثارة التنفس في رئاتهم ، في حجرة الوضع ، من دون لطمهم لطماً شديداً « بحسب الطريقة الحالية » وذلك بجهاز منعش يسمى بالانكليزية resuscinette (ريسسينيت) يدور على القاعدة الميكانيكية البسيطة الخاصة بتمدد الأكسيجين تمدداً يحفز الرئتين على القيام بوظيفتهما . وهذه الآلة صالحة للتركيب على أية رئة ، أيًّا كان حجمها كما أنها تعد الأطفال الرضع بالحرارة والرطوبة الملائمتين لهم .

﴿ جهاز لتشخيص مرض القلب ﴾

وأصبح ميسوراً وصف « تشخيص » مرض القلب وصفاً أكيداً في الغالب ، وذلك بقياس كهربي حساس جداً يقيس سيلان الدم في أصابع اليدين والقدمين . وتعني به التيسموبليز بسموغراف — pneumo plethismograph . وهو تشعب عشرات الأسلاك حيث تصل بفناجين من المعادن الكهربية تركب على أصابع اليدين والقدمين لاستكشاف التغيرات التي تطرأ حينئذ على الدم . ويستعمل مع هذا القياس ، أداة مسجلة تقوم بالتحليل التام . كما تربط المعلومات الخاصة بسير القلب وحجم النبض وضغط الدم ودرجة الحرارة في جلد المصاب ومبلغ فرز عرقه ، بعضها ببعض .

وبهذا الجهاز الذي يجمع بين الوظائف البدنية المختلفة يستعين الأطباء على إقرار بتر أي عضو من الجسد أو الابقاء عليه . وذلك بالأدلة التي تبين هل سيلان الدم كاف لتغذية العضو المرغوب بتره أو غير كاف له .

﴿ جهاز الالكتروإنسيفلوغراف ﴾

Electroencephalograph ويستعمل في مدرسة الطب الخاصة بالسلاح الجوي بالولايات المتحدة الأمريكية جهاز الالكترو انسيفلوغراف لتشخيص أدواء القلب والصرع تشخيصاً تلفزيونيًّا . إذ يعلق هذا الجهاز حول عنق المصاب في خلال ممارسته الحركات الرياضية . فيذيع نقل موجات قلبه بوساطة التليفون أما الآلات الكهربية الضخمة التي كانت مستعملة لهذا الغرض فتقضي بملازمة المصابين السكوت التام .

﴿ طريقة للاهتداء الى التشوهات الخلقية ﴾

وفي مستشفى الكنيسة المشيخية في شيكاغو ، يستكشف الأطباء التشوهات الخلقية « حالات الشذوذ غير الطبيعي » ويعالجونها . وهي الحالات التي أعتيد استجلاء غوامضها بوسيلة واحدة هي تشريح جثة المصاب بها عقب وفاته . وهذه كانت عادة الجدوى على الاطلاق ما دام صاحبها

باب الأخبار العلمية

أحدث الآلات المصرية للعلاجات الطبية

﴿ الكلوة الصناعية ﴾ — اخترعت في الولايات المتحدة الأمريكية كلوة ميكانيكية تقوم مقام الكلوة الطبيعية . فتنقذ المريض من الموت بالتسمم البولي . حينما تعجز كليتاه عن افراز الفضلات السامة من بدنه. وأهم أجزائها اسطوانة كبيرة تحيط بها أنابيب من مادة السيلوفان طولها ١٤٠ قدماً ملفوفة حولها لفًّا حلزونيًّا . وهي تدور دوراناً مستمراً في حمام بحري سائلاً منظفاً. وطريقة عملها أن يدخل الطبيب في ساعد المريض خرطوماً صغيراً لينقل منه الدم الى مجموعة الخراطيم السيلوفانية وعندما يسيل الدم في ذلك المجرى من أوله الى آخره ، تتساقط القطيرات السامة من مجموعة الخراطيم الدقيقة المشار اليها في سائل التنظيف فتتيسر ازالة كمية تبلغ وطلاً اكلينيًّا من تلك المادة السامة . وذلك قبل معاودة دخول الدم في عرق ساق المريض أو ذراعه

﴿ الحجاب الحاجز الكهربي للتنفس ﴾ اخترعت في مدرسة هارفرد التابعة لوزارة الصحة العامة الأمريكية ، حيث ابتدعت « الرئة الحديدية [1] » منذ عشرين عاماً آلة أخرى عجيبة تساعد على التنفس . تسمى الحجاب الحاجز الكهربي للتنفس ، ذات حجم يكاد يعادل في جهاز المذياع المتنقل . وتدور بالتيار الكهربي المنزلي المعتاد وهي تحمل المصاب ، على التنفس إذ تطلق تياراً كهربيًّا يسري في أحد اعصاب عنقه الى عضلات حجابه الحاجز، التي تتحكم في تنفسه. ولما كانت هذه الآلة أصغر حجماً من غيرها من أجهزة التنفس المألوفة وأبسط منها عملاً ، فلا يقصد بها الحلول محل الرئة الحديدية بل الانتفاع بها في بعض الحالات التي لا تنجع فيها تلك الرئة الصناعية. فتقوم في حالة شلل الانتفاخ الرخامي « الشلل اللساني الشفوي الحنجري » بوقف التنفس الشاذ . وهذا ما تعجز عنه دائماً الرئة الحديدية . كما إنها تطلق التنفس العادي المنتظم المضبوط ولخفة هذه الآلة وانقان صنعها يقبل على استخدامها المختصون في مراكز اسعاف الغرق والمختنقين بالاسفكسيا والمصفين بالتيار الكهربي . ويستعمل

(١) الكاتب روت احدى جرائدنا المحلية في ١٦ مايو سنة ١٩٥١ في برقية وردت عليها من لندن :— ان مصر قد عقدت صفقات هناك لشراء رئات من الحديد الصلب لمستشفيات الحكومة . وستصدر اثنتان منها في الحال وسترسل بقيتها في خلال العام القادم .

أطفئي خافق الشموع وخلينا ظلاماً إلى مجيء الضياء

أو قوله :

والسكون العميق يحرس عطراً في رحاب الطبيعة السمحاء
أبيض : كالثلج ، كالأمل العذ ب ، كحلم في مهجة العذراء
سجدت أسبح فيك الجمال ودمعي يصلي على وجنتي
أيا معبداً لم يزل طهره يخط الضياء على صفحتي

فستجد رحابة مقبولة وعمقاً في التصوير والشعور النفسي .

والشاعر مؤمن بالحياة ، متفائل فيها ، الى حد كبير . . يقول :

سألت وما تدري خفيّ مشاعري ماذا تحس من الربيع الباكر
فأجبت : في قلبي ربيع خالد لا بضع أعشاب وبضع أزاهر
أنا في الخريف أرى الربيع معطراً غرداً فيلهم بالحنان مزاهري

ويكرر ذلك فيقول :

عاد الربيع ومهجتي فيها ربيع ناضر
شعر وأحلام وأنغام وشوق زاخر

ولكننا لا ننسى أن نسجل ضعف المادة اللغوية عند الشاعر ، فبعض الألفاظ في شعره لا تقبلها اللغة مثل : « البسيم » ، و « تخطر » ، و « سأمان » ، و « الخفيض » ، و « الوسيع » ، و « غنوة » ، وغيرها ، مما لا يتسع وقت القارىء لذكر شواهدها من الديوان . . وبعض الأساليب تخلو من قوة الشاعرية وجمال الأداء . . و بعض الأوزان ثورة على الأوزان العربية القديمة ، كما في قصيدته « إلى البحر » .

في هدأة الاظلام أحيا مع الأمواج

وكما في قصيدته : « مارسيان » :

الجوى والأمان «غنوة» في الجنان

ومع ذلك فلهذه الوجدانات الطيبة من الشاعرية العميقة المتأصلة بشائر توحي بمستقبل حافل من دولة القريض . . ودعاة التجديد قلما تمرض ألفاظهم بأداء معانيهم كما يقول القدماء من النقاد . . وحسبي تلك الخطرات الصغيرة في التعليق اليوم على هذا الديوان .

محمد عبد المنعم خفاجي

رياح وشموع

للاستاذ كامل كيلاني مدرس بالمدرسة الثانوية بمصر بالقاهرة —
صفحاته ٦٢ صفحة من القطع المتوسط — طبع القاهرة ١٩٥١

صاحب هذا الديوان شاعر شاب من شعراء المدرسة الحديثة ، مؤمن بالتجديد في الشعر العربي ، إيمانه بالمذهب الرمزي الذي « يجد تجاوباً في نفوس الشعراء المعاصرين » ، وبقيمة الرمز « الذي تستفيق على وقعه الذكريات الخافية ، والمشاعر الغامضة ، القابعة في أعماقنا » ، وبالألفاظ الرمزية الموحية « التي تلقي ظلالها على نفس القارىء » ، وتستمد من القوة الايحائية للفظ ، وتستغل القوى الكامنة وراءه استغلالاً واعياً .

وهذا الديوان مجموعة من القصائد الشعرية الملتزمة ، التي نظم الشاعر أغلبها إبّان دراسته الجامعية ، وسجل فيها بعض « انطباعات الحياة على نفسه » كما يقول .

والتجربة الشعرية الصادقة قوية في أغلب ما نظم الشاعر ، وطابع الرمزية واضح سائد من شعره وأناشيده ، وكذلك وحدة القصيدة ، وانسجامها . وكأن الشاعر يمثل نفسه ومشاعره في قوله على لسان « فراشة » :

أنا حلم فجر لم يزل في الغيب منسدل الستور
ومضى يطل على الحيا ة بوجهه الطلق المنير
وأتى إلى الروض النضـ ـر بين أنفاس العطور
يحيا بقلب فراشةٍ تقوى متعة الشعور

وقصائده : « ربيعي » و « القافلة » ، و « ذكرى » ، و « وداع » ، و « دمع وقطرات » و « حنين إلى الشاطىء » ، و « السؤال » . تبلغ في رمزيتها وامتلائها وخصب تصويرها الشعوري منزلة عالية . . اقرأ قوله من قصيدته : « السؤال الخالد » :

إني سألت مفازة الزمن المخلّد من أنا ؟
من أين جئت وما المصير ؟ ألخلود أم الفنا ؟
ومن الذي ألقى بروحي في متاهات الفنا ؟

أو قوله من قصيدته « رياح وشموع » :

إن فما الليل ظامة ورياحاً فالصباح العطوف في أحنائي
والسكون العميق بين ذراعينا ودفء الدماء في الأعضاء

حلّ منه الروح في كل جهاتْ
ليس للأنسان إلا ما سلكْ
فهو إن شاء تردّى فهلكْ
وهو إن شاء إلهٌ أو ملكْ !

ومن خير شعره الاجتماعي في هذه الملحمة قوله : —

أيها الناس ! ألاَ من يخترع
إختراعاً واحداً يشفي الطمعْ
ويداوي الناس من داء الجشعْ
اضمنوا لي الآن هذا الاختراعْ
وأنا أضمن إشباع الجياعْ !
ليت من نادى بتحرير البقاعْ
كان قد نادى بتحرير الطباعْ !

ومع ذلك تحنى في ملحمته لو أن لقاءه بروحه الهادي — روح السماء — كان على هذه الأرض ، وإذا كان ثمة رجاء فليكن في الأرض تحقيق الرجاء :

لا تقلْ لي في غدٍ عند السماء سوف تلقى الروح أو تلقى الصفاءْ
ولماذا لم يكن هذا اللقاء ها هنا في الأرض إن كان لقاءْ ؟ !

وهكذا نجد محمود أبو الوفا في هذه الملحمة يسمو الى منزلة الشاعر الوطني المصلح الرائد ، بل الشاعر الانساني الذي يحس فطريًّا بأنه وفنه وفكره وقف على خير البشرية ، وأن الانسان في ذاته أعظم ملحمة شعرية على هذه الكرة الأرضية ، وأن الحياة ليست مجرد أكل وشرب ولهو ، بل هي تجاريب شاملة منها وإليها ، لا دربًا واحداً ولا تجربة محدودة ، وأن الشاعر ليس دون سواه من ألطاب الأمة في الرياد والاقدام نحو مثل أعلى ، وعلى الأخص في البيئات التي أورثتها أزمنة الانحطاط السابقة روح التواكل والقدرية الخاطئة والتعلق بالأوهام وحب الاختباء في الكهوف بدل الاندماج في موكب الحضارة والانتفاع بنور العلم وهو في كل هذا لا يأتينا بحكم زهير بن أبي سلمى ولا بانسانيات بوب Pope ، وإنما يأتينا بما توحيه إليه بيئته المصرية وروح العصر الحاضر . ولذلك نعد ملحمته هذه لبنة صالحة في بناء الشعر القومي الشريف الانساني الصبغة .

(نيويورك) الدكتور احمد زكي أبو شادي

بالجماهير ، فيقول على لسان ذلك الروح السماوي الساحر : —

وقصاري القول ، في أي مكانْ
كنت فيه كنت أنت البهلوانْ !
هو ذا يا ساحر فن الافتنانْ !
وهو في العلياء فن العمرانْ !
وهو ذا أعظم فنٍّ في الزمانْ !

ومع أن في هذه الملحمة القيمة مقاطيع أو أبياتاً كان يمكن الاستغناء عنها لأنها بمثابة تكرار أو إشباع أو توكيد لا موجب له ، ومع أن بعضها ضعيف النسج مثل مقطوعته عن تساؤل آدم (ص ١٠ — ١١) ، إلا أن فيها فرائد ممتازة جديرة بالتنويه بها سواء أكانت مبتدعة أم مرددة . فمن هذه الأمثلة الجيدة قوله : —

وتغنى الروح لحناً فأجادهْ
قال : إنّ الضعف والقوة عادهْ
وكذا الانسان قد أرضى اعتداده
وعلى ملك الثرى شاد عتاده !

ولكن شاعرتنا لا يرضيه أن ينسى نسل (آدم) تقاليد جدهم الأول الذي شغف بهذه الأرض ، كما حسب الشاعر ، والذي قال عن الانسان : —

ليته وجّه للأرض الدعاء !
مثلما وجّههُ نحو السماءْ !
غير أن النفس لما استرخصتْ
طينها لم تعطه حقّ العبادهْ !
ولهذا فقدت حقّ السيادهْ
دون أن تشعر ، والأشياء عادهْ
بينما الانسان لو شاء استعادهْ !

ومن أجمل مقطوعاته هذه التي يوحي فيها الى الانسان الثقة بذاته والعمل لمجده فقال : —

آه لو آمن إنسان بذاتهْ
لأتى في الأرض كبرى معجزاتهْ
ربما كان إلهاً في صفاتهْ

هل تراه إذ رأى الظلم استطار ؟
وكأن الدهر بالناس استدار
فأمور الخلق في أيدي الصغار
وكأن لم يبق في الدنيا كبار
قال : لا ، لم يبق لي إلا الفرار !

وهو الذي يناجي ذلك الروح النازح الساخط على المجتمع بقوله : —

أيهذا الروح هل لي منْ جوابْ ؟
هل أظل العمر أدعو لا أجاب ؟
أي غابٍ أنا فيه ، أيّ غابْ ؟
فتني يا رُوحُ منْ غير صحابْ
للنمور الحمر ، للأسد الغضاب !
الأفاعي الزرق ، أو زُرق النيابْ
والمجيبُ الآن في غاب العجابْ
أن هذا الغاب يحمى بالكلابْ
الكلاب السود أشباه الذئاب !

يدور هذا النشيد أو المنحمة حول تمجيد الفضيلة القوية ، وهي وحدها القوة التي يحترمها الشاعر الذي يعتبر الضعف فضولاً في هذه الأرض ، ويرى أن « قانون البقاء » : —

وهو ما في الناس يدعى بالقضاء
قد رأى في هؤلاء الضعفاءْ
أنهم في الناس جاءوا دخلاء
كالطفيليات في الزرع سواء !

وهو بروحه الشعرية يعتبر أن (آدم) نزل الى الأرض مختاراً ، وأنه سأل الله أن يهبه « حق تقرير المصير » فاستجاب الله الى دعوته ، وهو ينعي على الانسان ضعفه وتردده وجهله باستثمار اقتداره ومواهبه ، كما أنه يمجد أمنا الأرض الى آخر بيت في ملحمته ، إذ يناجي روحه الهادي أو روح السماء الذي فرّ من الأرض سخطاً على ما فيها من آثام ومظالم ، وراح شاعرنا يبحث عنه قارعاً باب ذي العرش المجيد في بحثه ونشدانه الحق ، ولا يفوته في مرة أن يسخر من محتكري النفوذ ومن جهالتهم في التقرير

مصر بالقاهرة في ثوب أنيق زادت في رونقه الصور الخلفية الملوّنة التي رسمتها ريشة الفنان لويس فلسطين) نجد شاعرنا يطوع مواهبه الفنية والانساني الذي ينطوي على الاصلاح التقدمي ، فيضم الأدب الانساني كما تضم العربية من هذا الجهود الجديد الموفق . وليس هذا بغريب عن محمود أبو الوفا ، فان البذور الأولى لتفكيره هذا ملموسة في ديوانيه السابقين (أنفاس محترقة) و (الأعشاب) . وهي بذور السخط على الفساد وعلى الظلم الاجتماعي ، وهي بذور الحرية « وحق تقرير المصير » ، وهي بذور التسامي عن الدنايا كيفما كانت بواعثها وألوانها .

أبو الوفا أحد اثنين من شعراء القاهرة المترسلين اللذين يكاد يكون شعرهما نثراً مصري الروح والسمات ، وكلاهما شاعر مطبوع . أما الآخر فالأديب محمد رضوان أحمد مؤلف كتاب (في جنة الفردوس مع سبعة من زعماء الشرق) .

ولكن بينما أبو الوفا يعنى بالديباجة المصرية البحتة صامداً بعاميتها إلى الفصحى ، أو على الأقل الى ما تقبله قواعدها ، نجد محمد رضوان أحمد يزاوج بين العربية الجزلة والسلاسة المصرية المترسلة فيقول : —

ومتى سئلت عن البلا د فقل تقارف كلُّ حُوب
تشكو من الظلم العر ب، وما الظلوم سوى القريب
عاثت بها الجرذان واجترأت على الأسد الرهيب
حُراسُها سُرّاقُها وحُماتها عون الغريب
لا يحسنون سوى الخنوع وفي الخنوع ردى الشعوب
هُم بملء بطونها غفلت عن الخطر القريب
من نبأة تذرُ الدنيا ر إلى المغايبه والدروب
لا يحفلون من الحيا ة بغير كأس أو لعوب !

ولولا ديباجة أبو الوفا المصرية البحتة لحلنا هذه الأبيات الوطنية من نظمه . أليس أبو الوفا هو القائل من روحه الهادي في (عنوان النشيد) : —

وبدا في الروح روحُ الهيمان
فهو لا ينزلُ في أي مكانْ
دون أن يسأم من هذا المكان
ماله — ياليت شعري — لم طار؟

مكتبة المقتطف

أحاديث أدبية

عنوان النشيد

لمحمود أبو الوفا

حينما تهتم أمة بتنظيم حياتها وتوفير أسباب نهضتها فانها لا تهمل أيًّا من العوامل المؤثرة في تنشئتها، سواء أكانت هذه العوامل مباشرة أم غير مباشرة، خطيرة أم هينة.

ولا ريب أن الآداب والفنون ليست بأهون هذه العوامل، كما لا ريب في أن حسن استغلالها يعاون معاونة قيمة في تربية الأمة وإعدادها لخير ما تتمنى. ولا قيمة لهذه الآداب والفنون اذا لم تكن حرة منسجمة مع المبادىء الانسانية العامة، وإلا بقيت لهواً وتسلية واستحقت لقباً آخر، وكانت مهرباً لحسب من مواجهة حقائق الحياة.

ولا يطالب أي فنان بأكثر مما يستطيع جهده، أي بأفضل مما تسمح به طاقته أو ميوله. ولكن اذا كان في رسمه — غير متصنع — أن يكيّف نفسه بحيث يستوعب المثل الانسانية والمبادىء التقدمية في شعره مثلاً كان بذلك مسدياً خدمة أجل للبشرية.

لسوق هذه المقدمة ونحن جذلون إذ نهتم بالكتابة عن ملحمة (عنوان النشيد) للشاعر المصري المطبوع محمود أبو الوفا الذي يقول:

اسمع لي: إن من حق الحياه
للفتى؛ إما يعيش عيش إلّه
أو يمت كالصوت لم يسمع صداه

في هذه الملحمة التي بلغ عدد أبياتها واحداً وخمسين وثلاثمائة (وقد أخرجتها مطبعة

حـ ـ الزهور : يمنع الري عن الورد قبل تقليمه بأسبوعين ـ تزرع عقل الورد الشاي . تستأصل الأفرع الجافة بالمقصات ـ تجهز عقل الاراولة لزراعتها في قصاري نمرة ١٠ ـ تزرع أصول (كرومات) الجلاديولس ـ تزال الخرات الجانبية للقرنفل وتخف الأزهار الزهرية ـ تنقل الأشجار والشجيرات اذا أريد ذلك فاكان منها مستديم الخضرة ينقل بصلاية وماكان متساقط الأوراق ينقل عاريا ـ تنقى الحشائش من الأبسطة المستديمة . ٥ ٥

اخبار زراعية

أمراض النباتات

يظهر التبقع البني بالفول . يظهر تأثير الصقيع بالقصب . تصاب ثمار الموالح بالعفن الأسود وتشقق الثمار والعفن الأخضر والأزرق . تصاب أشجار الموالح بالاشنة وتصمغ الأغصان وموت الأطراف والاسفرار . يصاب الموز بتودد القمة والديدان الثعبانية وطفيلي السيجارة . والمانجو بالبياض الدقيقي والأشنة وتشقق الساق . والحلوبات بالديدان الثعبانية والتدرن التاجي والخمل الوظيفي . والكمثرى بالنقرح والتدرن التاجي والديدان الثعبانية . يصاب المقاث بالديدان الثعبانية والبياض . والطماطم بالذبول والديدان الثعبانية وتبقع الأوراق والفيروس والبسلة بالصدأ والبياض الزغبي والخس بالبياض الزغبي . والجزر بالبياض الدقيقي وتشقق الجذور وتعفنها والديدان الثعبانية . والبطاطا بتأثير الصقيع . والبطاطس بأمراض العفن والتزريع وتضخم العديسات والتفلق .

الآفات الحشرية

تصيب الدودة القارضة القمح والبرسيم والخس . توجد الثاقبات (دودة القصب الكبيرة والصغيرة ودودة الذرة الأوربية) بحالة بيات شتوي بعيدان القصب وحطب الذرة . يظهر تربس العنب على الورد وبعض الأزهار وأوراق العنب والجوافة والموالح ويكون غير نشط ومختبئاً تحت القشور . يوجد تربس القطن على البرسيم والبصل وبعض الأزهار في حالة بيات شتوي . تظهر أنواع من المن على القمح والشعير والفول والكرنب والقنبيط وكثير من أشجار الفاكهة والظل والزينة . تصيب حوريات الحفار أنواع الخضر المختلفة . تستمر الاصابة بحفار ساق التفاح في سيقان أشجار التفاح والكمثرى والسفرجل والرمان . تصيب ذبابة الفاكهة ثمار الموالح . توجد الدودة الخضراء بالعدس في الوجه القبلي . تصيب أنواع من الذ الدقيقي والحشرات القشرية الكثير من أشجار الفاكهة .

* *

التقويم الزراعي

لشهر يناير ١٩٥٢

﴿ المحصولات الزراعية ﴾ : —

تنق الحشائش من الفول والكتان والقمح والشعير — يستمر في خدمة الأرض المعدة للقطن — يكسر القصب الخلفة وتخدم الأرض للقصب الغرس — يروى الشتوي من الآبار الارتوازية .

﴿ البساتين ﴾ : —

أ — الفواكه : يستمر في تجويز الأراضي وعمل الحفر لزراعة أشجار الفاكهة — تنقل أشجار الحلويات ما عدا المانجو في أواخر هذا الشهر ملشا — تنقل الأشجار الحضنية بصلابة من الطين — تسمد الأشجار الحديثة بوضع مقطفين من السماد البلدي بكل حفرة ويخلط بالتربة الخارج منها — تعزق الحدائق وتزال الحشائش وتسمد بالأسمدة البلدية إن لم تكن قد سمدت وتروى رية غزيرة بعد السدة الشتوية — تزال من جذور الأشجار المنقولة ملشا الأجزاء التي طولها أكثر من اللازم وكذلك الجذور المسلخة والمكسرة وتوضع الشجرة رأسيًا في الحفرة — تقلم الأشجار المتساقطة الأوراق كالعنب والتين وغيرهما — يكتفي في تقليم الأشجار الحضنية بإزالة السرطانات والأفرع الجافة — تزرع بذور المشمش والخوخ واللوز والزيتون إذا كانت قد تأخر زرعها في الشهر السابق — تزرع عقل العنب في أواخر هذا الشهر — يمكن عمل تراقيد العنب في أواخر هذا الشهر — تغطى أشجار المانجو الصغيرة بزرب من البوص لوقايتها من الصقيع .

ب — الخضر : يزرع الفجل والجرجير واللفت والسبانخ والبنجر والسلق — تزرع في الثلث الأخير من هذا الشهر عروة مبكرة من الفاصوليا والبطاطس والملوخية والكوسى والخيار — تنقل شتلات الكرنب الأفرنجي وأبو ركبة والطماطم في آخر هذا الشهر — تزرع بالمشتل بذور الكرفس والكرات أبي شوشة والهندباء والحس البلدي — يندر الوارد من الكوسى الاسكندرانية في الأسواق — ترد البطاطس والطماطم بكثرة للأسواق — ترتفع سعر الخرشوف لقلة وجوده بالأسواق .

هذه القوى يولد السلوك غير السوى الذي يتميز بالدوافع التدميرية للهى وبأنانية طاغية. أما عند أدلر فالحافز الرئيسي هو دفع النزعة الى السيطرة من جهة وعامل الشعور الاجتماعي من جهة أخرى وهما الأساس الموجه لكل الظواهر النفسية التي تتطور وتتبلور في الفرد لايجاد الوسيلة التي يحل بها مشاكله الأساسية في الحياة وهي (علاقته بالمجتمع، واختيار المهنة، والحب) فايثار العزلة، والانطواء على النفس، والابتعاد عن الناس وازدياد النفور من المجتمع. هذا الانحراف قد يصل عند البعض إلى اتيان افعال شاذة وإلى ارتكاب الجرائم، أما اختيار المهنة فيستوجب التكيف في فهم سنن المجتمع والانخراط في المهنة الملائمة. والحرمان من الحب كثيراً ما يؤدي الى افعال انتقامية والافراط فيه يولد اضطرابات في نفسية الأطفال تسبب الانحراف في السلوك.

وهناك السيكوباتيون الذين لا يدل ظاهرهم على شيء غير سوى فنجدهم يتميزون بالذكاء والظرف والاحتفاظ بقدرتهم التفكيرية إلا أنهم في الحقيقة مجانين أشد خطراً على المجتمع لصعوبة تبين الدلالة العقلية لهذا السلوك وهم يرتكبون أنواع الجرائم وقد تصل حد القتل ولا يردعهم عقاب فيصطدم القانون بمرضى وليس بمجرمين مكانهم مصحات الأمراض العقلية، وليست السجون. فتحديد المسئولية على أساس النتيجة غير مجد ما لم تسبر البواعث الكامنة وراء السلوك الظاهر، وتتحرر القواعد القانونية من جمودها وتساير العالم بأخذ هذه البواعث بعين الاعتبار وتجعلها الأساس في تحديد المسئولية لكي لا تترك المجرم سبيلاً للعودة الى الخطيئة، ونعالجه لينسى الماضي فيكون عضواً نافعاً في المجتمع.

فايقاع العقاب عمل سلبي لا يحقق حماية المجتمع في الحقيقة وله أثر سيء في نفسية المجرم وبالأخص العرضي لانه يعتبر وصمة اجتماعية تطارده وتسد الابواب أمامه مما يزيد عداءه للمجتمع وتتحول القواعد الأخلاقية والاعتبارات الاجتماعية في نظره الى وسائل تدفعه قهراً الى الاثم. وعلى ذلك نرى أن المجتمع مسئول عن معظم الجرائم التي تجتاحه، كما أن القانون يكون في بعض الأحيان باعثاً على الجريمة عوض ايقافها ومنعها وعدم مرونته خاصة عند استرداد المجرم لاعتباره والشكليات التي ينص عليها تعترض طريقه عندما يبغي العودة الى الحياة السوية

فحماية المجتمع لا تتم إلا بعمل ايجابي يتطلب البحث العلمي الدقيق عن الأسباب المؤدية الى انتشار الجرائم لايجاد امكانيات الوقاية والاصلاح عن طريق السيطرة على الظروف الاجتماعية.

أثر العقاب

في حماية المجتمع

للأستاذ سهام عباس

فرض العقاب على أساس العدالة أو الردع لتحدي الجاني الحواجز المتعارف عليها وإرضاء لشعور الجماعة الذي جرحه الجاني وردًّا على الجريمة دون الالتفات إلى البواعث الخفية المكبوتة في نفس المجرم والظروف الاجتماعية المحيطة به الدافعة له على إتيان الشر والاجرام ، يجعلنا نحاكم الجريمة لا المجرم ونعالج النتيجة ونهمل السبب . ويكون مقياس الحكم المظهر لا الجوهر وهو مقياس سطحي خاطىء لا يؤدي إلى نتيجة حاسمة أو يوقف الاجرام عند حد . والشواهد تثبت أن المجتمع قد أخفق في منع إزدياد الجرائم رغم اتباعه أساليب شتى من القسوة والشدة .

فاذا كانت الغاية من العقاب ترمي إلى هدفين : الأول علاجي وهو تأديب الجاني وردعه ، والثاني وقائي هو منع الآخرين من الاقتداء به للتوصل إلى استتباب الأمن وسلامة المجتمع فأننا لن نصل إلى النتيجة التي تكفل حماية المجتمع سواء أكان الخطأ أساس المسؤولية في الفعل الاجرامي كما هو عند المدرسة التقليدية أم ثبوت حالة الخطر كما هو في المذهب الوضعي .

فسلوك الانسان ناتج عن تفاعل المؤثرات الداخلية والخارجية أي الرغبات والميول المكبوتة التي تحاول الانطلاق دون قيد وعوامل البيئة والمجتمع وما تفرضه من قيود وموانع ، فقدرة الانسان على التكيف وعدم مرونة الحواجز التي يصطدم بها في مجالنا الاجتماعي تؤدي به إلى اتخاذ السلوك المضاد للمجتمع .

فالمذهب الفرويدي يجعل الغريزة الجنسية هي المحرك الأول في سلوك الانسان وأن الشخصية تتجاذبها ثلاث قوى وهي « الهي » والأنا ، والأنا الأعلى » وعدم التوازن بين

الدراري

للشاعر المرحوم أسعد رستم

الدراري التي تضيء اشتعالا ... كالمصابيح ورقنا تتلالا
وهي إن لم تكن لنا فلقصد ... خلقتها يد الاله تعالى
هي مثل الممثلات بدت في ... مسرح الكون راقصات دلالا
كلما زحزح الستار ولاحت ... تتدلى الأنوار منها حبالا
وكأن الجبال أيد قد امتدت ... الينا لترفع الأثقالا
تتعزى بها الأنام ابتهاجاً ... وعليها تعلق الآمالا
ترشد السالكين برّاً وبحرا ... وعشاراً تقيهم وضلالا
كم تمنى المظلوم لو أنقذته ... من يد الجور والشقاء انتشالا
كم تمنى المسكين لو رفعته ... عن حضيض الهوان والذل حالا
كم تمنى لو عالجته مريض ... متعب لم يعد يطيق احتمالا
كم تمنى لو حررته سجين ... فيفك القيود والأغلالا
كم تمنى الوحيد لو أخذته ... فيلاقي هناك صحباً وآلا
كم تمنى لو فقدته ريالا ... مقلس ما جنى بكدّ ريالا
إن لله في العباد شؤونا ... سرها غامض علينا استحالا
إنما الله ليس يدرك جسما ... فهو أسمى من أن يرى وينالا
غير إنا نرى فعال يديه ... تتجلى في خلقه اشكالا
كشموس وأنجم وبدور ... تسخر العين رونقاً وجمالا
وكأن السما وهنّ حجار ... رصّعت صدرها بهنّ احتفالا
ثابتات لكنها دائرات ... تسبق البرق خفة وانتقالا
ونحد المعمور شرقاً وغرباً ... وجنوباً تحده وشمالا
سرحوا الطرف في الدراري ليلاً ... وخذوا للعباد منها مثالا
فعلى كبرها تروح وتأتي ... قائمات بلحظة اميالا
خضعت للنظام ما حاد يوما ... سيرها قيد شعرة اهمالا
ونرى للحياة فيها دليلاً ... فهي لا تستقر شأناً وحالا
عاملات بهمة ونشاط ... سارفات أوقاتها استعمالا
تتفانى حتى الكواكب سعياً ... فانظروا واقتدوا بها يا كسالى

أمكن دراسة حركة سريان الدم في المخ وقياسها . وكانت النتيجة الأولى التي أمكن التوصل إليها في حالة فقدان الشخصية ، أن المخ يحتاج إلى كمية من الأكسوجين للتفكير المضطرب تعادل نفس الكمية التي يحتاجها للتفكير المنظم. وتوصل الدكتوران وينكلمان وهارولد بوك من نيورستون في ولاية بنسلفانيا بعد دراسة المخ المصاب بحالة فقدان الشخصية ، تحت الميكروسكوب إلى أن هناك تغييراً معيناً يطرأ على المخ المصاب . ووجد أن الأفاً من خلايا المخ يبدو انها قد ماتت بعد بلوغها تمام النكوين ، وعلى ذلك افترض الطبيبان أن بعض خلايا الأعصاب الموجودة في الفص الأمامي من المخ تطرأ عليها حالة الانقراض ودل هذا الكشف على أن هذا المرض مرض عضوي يمكن علاجه .

وقدم الدكتور ليلاند الفريد من سانت لويس بولاية ميسوري تقريراً في اجتماع الجمعية الطبية في واشنطون ، ذكر فيه انه اكتشف مركزاً في المخ يعمل عمل محطة التحويل. وفي هذه المنطقة الصغيرة التي لا ترى إلا تحت الميكروسكوب تتركز جميع القوى التي تسيطر على المخ وتتحكم في نشاطه .

وفي الوقت الذي يمكن استئصال أجزاء كبيرة من الفص الأمامي للمخ دون إضرار بالنشاط العقلي ، نجد أن أي تلف يصيب هذا المركز يسبب أضراراً جسيمة ويؤدي الى تعطيل عمل المخ وإصابة الشخص بفقدان العقل ، ولما كان من المحتمل إصابة هذه المنطقة بأي تلف أو مرض عضوي فان هذا الكشف سيؤدي إلى علاج كثير من الأمراض العقلية وإصابات المخ بالوسائل الجراحية .

* *

في ميدان العلم

الامراض العقلية وعلاجها

على أساس انها أمراض عضوية

أدّت الدراسات التي أجريت على المخ البشري إلى كشف طرق جديدة لمعالجة أمراض المخ بوصفها أمراضاً عضوية لا أمراضاً تتعلق بوظيفة المخ . وقد استبدلت العملية التي كانت تجرى على الفص الأمامي للمخ وهي من أقدم العمليات الجراحية في المخ بعملية أخرى حديثة تستأصل فيها الأجزاء التي تحد من ازدياد القلق ، أو الذهول أو اليأس أو أية إصابة نفسية دون التأثير على شخصية المريض .

وقد بنيت هذه العملية الجديدة على المعرفة التامة بتركيب المخ . وقد أظهرت البحوث والدراسات التي قامت بها جماعة مؤلفة من مائة عالم أمريكي ، واستغرقت خمس سنوات ، أن بعض الأمراض العقلية تنشأ من إصابة بعض أجزاء المخ ، وانه يمكن شفاء هذه الأمراض عن طريق استئصال الجزء المصاب . وقاد هذا الكشف الجديد إلى ازدياد الأمل في معالجة الأمراض العقلية ولا سيما أمراض فقدان الشخصية .

وتصيب أمراض فقدان الشخصية الافراد في سن كبيرة أو في أوائل سن البلوغ ، ويصبح المصابون بهذا المرض في حالة يأس تؤدي بهم لان يصيروا خطراً كبيراً . وكانت مثل هذه الحالات ميئوساً منها إلى وقت قريب ، وأمكن اصابة بعض النجاح في علاج هذه الحالة بوساطة تعريض المريض لهزة كهربائية ، ولكن لم يعرف سبب المرض ولا منشأه ، وكان يظهر بالتشريح ان حالة المخ طبيعية .

وبوساطة الطريقة الجديدة وباستخدام الأشعة السينية والخلايا الفوتغرافية الكهربائية

يعادل عدة آلاف في الساعة الواحدة ، حتمًا كان يؤدي عملاً مرهقاً، ويبدو البعض الآن انه مهتم بنظافة جسم الملكة وأهميته بالمدلكين. ربما كان هذا البعض الأخير مكلفاً بوظيفة خاصة لتغذية اليرقات لأنه كان يستخلص من جلد الملكة بدون أن يؤذيه افرازاً لبنيًّا ينقله معه .

غير انه مما استرعى انتباهي بصفة خاصة صف من الجنود من النوع الكبير يتناوب بانتظام محاصرة الحجرة الملكية ، وكانت تقف على ارجلها في الجزء الخلفي من قصر الملكة . أما في الجزء المقابل فكانت تتدلى من السقف ورأسها الى أسفل . وكانت الرؤوس كلها متجهة نحو القطب المغناطيسي الشمالي وكان هذا الحرس عادة لا يتحرك . ومن وقت لآخر تقوم احداها بحركة غريبة بأن تؤرجح رأسها والجزء الأعلى من جسدها . وبعد قليل تبدأ أجزاؤها الأخرى بالتحرك ثم لا تلبث هذه الرقصة الطريفة تنتقل من نملة لأخرى حتى تعود الى نقطة بدايتها . وكان هذا الحرس يتغير في فترات ثابتة فيأتي الحرس الجديد ويقف في حلقة داخل حلقة الحرس الأول ثم يوسع دائرته الى أن يتداخل في الحرس القديم الذي تنسحب الواحدة منه أثر الأخرى .

ما عسى أن تكون وظيفة هؤلاء الجنود؟ انها تبدو فاقدة الوعي كالمخدرة بالكلوروفورم . وكنت أتمكن من لمسها باصبعي بدون أن تحاول صفي أو لسعي كما يفعل كل جندي من النوع نفسه في سائر أنحاء مستعمرة النمل ، لجزمت انها في الغالب تقوم بوظيفة تماثل وظيفة مخاعنا الشوكي بنقل أوامر الدماغ الى الجهاز العصبي .

هذا وقد وقع حادث أكدلي صدق نظريتي ، فقد سقطت قطعة من الفحار من سقف الحجرة أصابت الملكة اصابة قوية ، فأخذت هذه تهز رأسها يمنة ويسرة بحركة ايقاعية . ولكن الحال التي كانت حولها انقطعت عن كل عمل وأخذت تطوف بالحجرة . أما دائرة الحرس فقد انفرط عقدها بسرعة واختفى أغلبه في الفتحات . ثم ما لبث أن غزا القصر جمع من النمل العامل الصغير واندفع نحو الملكة يفتش السائل الذي يفرزه جلدها كما يفعل المدلكون في الأحوال العادية واشترك الملك بشراهة في عملية تجفيف رفيقته ولم يمض بضع دقائق حتى كان جلد الملكة يتدلى متدهلاً .

ومع ذلك فقد توقف العمل بالتدريج في سائر أنحاء القرية حتى أفضاها وأخذ الجنود والعمال تتجمع . فقد ترددت اصابة الملكة على بعد عشرات الأمتار ، ثم ما لبث أن توقف تذبذب رأس الملكة فانقطع العمال المخربون عن مهاجمة الملكة وعاد الحراس الى مراكزهم واستعادت الملكة حجمها العادي بتغذيتها فوق الحد . ثم استتب النظام بعد بضع ساعات في أنحاء مملكة الملكة الوالدة .

مترجمة بتصرف عن مجلة Constellation الفرنسية

العمال الطيار الأيمن كان يصعد السرداب والطيار الأيسر يهبطه بحمازة قناة رأسية تؤدي الى أسفل المزرعة . كانت العمال كلها تحمل بذرات من الطحلب لبذرها ، وكان النمل يسير في خط طويل بين الواحدة والأخرى ٥ سنتيمترات تقريباً ، فلوّنت بعضها بالانلين وبذا حسبت أن المدة اللازمة للنملة كي تصل الى قاع السرداب وتعود بحملها هي ٣٠ دقيقة . ولما كان النمل يحتفظ بسرعة عادية قدرها متران في الدقيقة ، استنتجت انه يخترق طبقات الأرض حتى عمق ٣٠ متراً .

وهذا النمل الأبيض الذي لا يقوى على شيء وهو منفرد ، يمكنه متجمعاً عمل كل شيء ، فليس له عيون ولا آذان ولكن حاسة الاستشعار لديه تفوق حاستنا مليون مرة . وتبدو قاطعات السحاب والانفاق التي ينشئها الانسان بمقارنتها نسبيًّا بأبراج مستعمرات النمل وسراديبها كأنها ألعاب أطفال . وبتأثير هذا النمل بالقوة المغناطيسية فهو يحفر سراديبه حفراً عموديًّا في اتجاه محور القطبين . من أين لهذا النمل هذه الغريزة الخارقة ؟ هل هو يستمدها من الملكة الثابتة في حجرتها كالدماغ في الجمجمة فيها الحياة والروح الجامعة فلا تؤدي الوظيفة التناسلية فحسب بل تقوم بوظيفة العقل للمستعمرة كلها ؟

عشر سنوات في مراقبة ملكة النمل الأبيض

توصلت الى حقيقة هذا النمل بعد وقت طويل ولكن كان ينقصني رؤية ملكة حية ، غير أن شدة حساسيتها لكل طارىء داخلي ولدت في نفسي اليأس من الوصول الى مبتغاي . وبعد عشر سنوات من محاولات فاشلة في مناطق كثيفة الزرع لقيت جزاء جهودي أثناء حملة ضد النمل الأبيض نظمتها سلطات بريتوريا في منزل آيل للسقوط . وبعد أن فحصت فحصاً دقيقاً مسلك النمل الفردي وتوزيع السراديب توصلت لأن أحدد بصفة قاطعة موقع الحجرة الملكية . وكانت هذه الحجرة لحسن الحظ في ركن غائر في أظلم مكان من احدى غرف المنزل . ونجحت في قطع جزء من هذه الجمجمة (الحجرة) فتكشف لناظري أعجب مشهد فيض لي رؤيته هو مشهد الدفاع الحي لمستعمرة النمل .

كانت الملكة محصورة بين جدران قصرها ، كبيرة الجسم ممددة من الشرق الى الغرب ورأسها في الاتجاه الغربي . أما الملك الذي لم يتجاوز جسمه الحجم العادي للنملة الطائرة فكان جالساً باستمرار على جسم الملكة الضخم . ويوجد في مؤخرة الحجرة الملكية فتحة ضيقة يدخل ويخرج منها باستمرار نمل عمالي صغير في صفين يقوم بعضه بتغذية الملكة إذ يمر أمام رأسها حيث يرتفع ليصل الى فمها ، وبعضه مكلف بنقل بيضاتها والعناية به

فيبقى محتفظاً برونقه فتياً نشطاً كما كان أثناء طيرانه التزاوجي ، ويخيّل أن تعلقه بالملكة اذا يمر عرضاً مطرداً مع نمو جسمها . ولو حدث أن تعرضت حجرة قصرها الملكي لأي خطر ، فان الذكر يسرع الى كل مكان مضطرباً ثم يعود دائماً إلى جوار الملكة ويتعلق بجسدها محاولاً حمايتها وبموت بقربها اذا كان هذا هو مصير الملايين من أولاده .

إلا أن هذه النهاية المشؤومة لما تحدث اذ لا يمكن إلاّ للانسان فقط أن يهاجم المستعمرة وهي في هذا الدور من التطور . وفي الواقع يكون أوائل النمل العامل وقد بدأت في تشييد قصر لملكتها وهيأت لها حجرة مقباة على عمق متر أو مترين تحت الارض يصير توسيعها على مر السنين ، وتتكون من الأتربة التي ينقلها العمال الى سطح الارض طبقة سميكة حافظة تماسك بالسائل الذي تفرزه . ثم يزداد حجم الملكة حتى تصبح عاجزة عن الحركة كقطعة خشبية فيما عدا رأسها الصغير الذي يبدو عليه فقط دلائل الحياة ولا يطرأ عليه أي تغير . وتتحول أعضاب جسدها الى قطعة جيلاتينية لدرجة أن ما كان يسمى مركز الجهاز العصبي المركب لا يمكنه أن يوجه أي جزء من جسمها يقع خلف الرأس .

ولا تنفك الملكة في وضع بويضاتها بدون كلل بمعدل عدة آلاف في الساعة . فتقوم مئات من ملايين الجنود بالمحافظة عليها ، وعشرات من الملايين تقوم بتغذيتها ونقل بويضاتها حيث تتعهدها بعنايتها وتكدس كميات من الزاد الاحتياطي وتدفع قمة المستعمرة الى ارتفاع بضعة أمتار وتحفر سراديبها الأرضية الى عمق عشرات الأمتار. فالعمال تعمل بلا انقطاع ليلاً ونهاراً منجزة بغريزتها أعمالاً هندسية رائعة من كبار وقناطر .

هل نستنتج مما تقدم أن روعة هذه المنظمة التعاونية تؤمن حياة مستعمرة النمل بصفة قاطعة . إن هناك عدوًّا أخطر من أي كائن في العالم باستثناء الانسان هو الجفاف . يدخل الماء في تكوين جسم النملة بنسبة ٩٠ ٪ لا بل أن جو مستعمرة النمل مشبع بالرطوبة في شهور الجفاف وقد بقيت سنوات عديدة أتساءل كيف يحصل هذا النمل الأبيض على هذه الكمية الكبيرة نسبيًّا من الماء التي بدونها لا تقوم له حياة ؟

وفي ذات يوم حار بينما كنت أستطلع أحوال المستعمرات النملية الضخمة في تلال ويتفونتزن ، أشار علينا ساحر من سحرة هذه المنطقة أن نحفر بئراً في موقع كتلة عشبية خضرة ، وعلى عمق ١٢ متراً عثرنا على سرداب يجتازه النمل الأبيض وينتهي عند طبقة مائية مؤدياً الى مستعمرة على بعد تسعة أمتار من البئر التي حفرناها فكشفنا هذا السرداب كما كشفنا جزءاً من المرارج الملاصقة للحجرة الملكية ، فلاحظنا طيارين من

تسعى الأفاعي والضفادع والصحالي وغيرها من الزواحف حتى السلحفاة والجعارين وذات الأربع والأربعين والعناكب والعقارب تسعى كلها خلال الأعشاب فتفتك فتكاً ذريعاً بمثل هذه الأزواج الملكية فلا ينجو منها إلا زوجان أو ثلاثة تمنح الحياة لقرى جديدة .

بعد أن يتم تلقيح الأنثى تقوم فتغتسل ثم تحفر بمساعدة الذكر قنوات عمودية في اتجاه طبقة أرضية رطبة ويحدثان من وقت لآخر في هذه القنوات فجوات ينشئان فيها حقلهما الأول وهو عبارة عن أكداس من بقايا حيوانية وحلايا وأترة يجهزانها ويرويانها ويبذران فيها بكل عناية ويسدانها بقطع خشبية جافة وأعشاب ممضوغة مضغاً جيداً ومهضومة هضماً جزئياً ويرويان هذا الحقل بقطرات صغيرة مستمدة من رطوبة جسميهما الذي يدخل الماء في تكوينه بنسبة ٩٠ ٪ وفي أثناء طيرانهما الأول يكون الملك والملكة قد أحضرا بذيرات من الطحلب تتكاثر في شكل عفن أبيض في هذا الوسط المشبع بالماء المحجوب عن ضوء النهار بصفة مطلقة فترفع درجة حرارة الحقل بمقدار ٤ أو ٦ درجات . وفي هذا الحاضن المثالي تضع الأنثى ، التي هي في طريقها لتصبح ملكة بويضاتها ، فتزيد مشاغلها وتشنجاتها . وبعد فترة تظهر اليرقات فتختار الملكة بين ابنائها هؤلاء الذين سيصبحون اتباعها . ويرى الناظر على ضوء شعاع يمكن عكسه على هذه المستعمرة الناشئة ، دون أن يسيبها بأذى في هذا الطور من تكوينها ، يرى بريقاً بين فك الملكة الأسفل هو قطرات من أفرازها تغذى به على التتابع كل واحدة من هذه اليرقات .

تنتهي عند هذا الحد وظيفة الملكة كحاضنة ، فاذا نمت اليرقات تقوم هي بأعمال المستعمرة كلها وعندما تكون المستعمرة في هذا الطور يكفي احداث شق صغير في برج المستعمرة ليتبين للناظر بصورة قوية تقسيم العمل بين العمال والجنرد إنها هي أول من يحضر الى مكان الشق مزودة بقرونها الماصة وتقذف في اتجاه مكان الشق قطرة من سائل شفاف لزج بمثل أفكاك الحشرات المهاجة وأرجلها .

وإذا لم يصحب هذا الانذار بالخطر هجوم ، تدق الجنود اشارة الخطر وذلك باحداث أصوات متقطعة (تك تك تك) ، أما العمال فانها تترك أعمالها وتسرع الى الشق حاملة بفكها الأسفل ذرات من التراب تقذفها بأفرزها اللزج وتلصقها على جوانب الشق كما لو كانت حبة خرسانية . ويبدو هذا المشهد كالذي نراه تحت عدسة الميكروسكوب لكريات الدم وهي آنية لتلتئم موضعاً مصاباً .

هذا ويأخذ حجم الملكة في ازدياد ساعة بعد ساعة ، ويختفي جسدها الرشيق تحت طبقات دهنية متتابعة فتصبح ككيس دهني بحجم دودة بيضاء كبيرة . أما رفيقها الملك

أجنحة تستعملها الطيران بضع دقائق بل أحياناً بضع ثوان في حياتها كلها على أن تستقر بعد ذلك على الأرض . ثم بحركة سريعة يفصل الذكر والأنثى بأرجلهما الأمامية جناحيهما اللذين ينزلقان على ما يشبه المفصل وذلك بدون أن يصابا بأذى ، وإذا أصبحا هكذا عاريين ومقضيًّا عليهما بأن يعيشا تحت الأرض يكونان معدين للتزواج .

بعد أن تتخلص الأنثى من جناحيها تأخذ في البحث عن مكان ملائم حيث ترفع ثلاثة ارباع جسمها الخلفي بارتكازها على أرجلها الخلفية وتظل على هذا الوضع ، فلا يلبث أن يلبي أحد الذكور هذا النداء . يأتي الذكر ينقب على بعد بضعة أمتار من الأنثى المستقرة في مكانها بين الحشائش ، وبغريزته التي لا تخطىء ينتهي به الأمر إلى العثور على تلك التي وجهت إليه النداء وهو في الهواء ، فيلامسها بملامسيه (قرون الاستشعار) فتسري فيها قشعريرة عنيفة وبذلك ينتهي الأمر .

ملك وملكة وملايين من الاتباع

ولكن حذار من التقليل من خطورة هذا التزواج الذي شاهدناه ، فان هذا الذكر وهذه الأنثى يمكنان بوصفهما ملكاً وملكة لملايين من العمال والجنود الذين تزخر بهم مستعمرة النمل . إن حجم كل منهما يكبر عشرين مرة عن حجم العمال والجنود ويحملان على جناحيهما الزائلين اللذين حبتهما الطبيعة بهما دون سواهما آمال هذه المجموعة ومستقبلها فعنهما تتولد جموع هذه القرية .

وعندئذ يدخل مثل هذا التزواج في أعمال الدولة ، فانه من بين آلاف هذا النمل ينطلق المزوّد منها بجناحين في « طيران العرس » خارجاً من فتحة يحدثها النمل في جدران برج المستعمرة الذي غالباً ما يكون محكم الاقفال ، ثم يتسارع حولها الشعب كله من عمال وجنود لحمايتها من هجمات الأعداء اذ أنها تمضي أعمارها تحت الأرض فتجنبه ضوء النهار الذي تتأثر به خلاك سمك ٧٥ مم على الرغم من تجردها عن كل حاسوسة بصرية ، وبعد ذلك تندفع الآلاف من الحشرات بغريزة خفية نحو مواقع هذه المشاهد التزاوجية . وعلى الرغم من أن الملك والملكة لا يملكان أية وسيلة للدفاع عن نفسيهما ضد عالم الحيوانات والقرود والبوم والقطط الوحشية التي تسعى لالتهام مثل هذا النمل ، فان الزوجين الملكيين يتخليان عن جناحيهما اللذين هما وسيلتهما الوحيدة للدفاع العادي ، لذلك فلا مناص لهما من الالتجاء الى باطن الأرض .

النمل الابيض

للاستاذ إميل سراد

ينتشر النمل الأبيض في موطني افريقيا الجنوبية بقدر انتشار النمل العادي في أوربا. فهذه الحشرات التي لا يتجاوز طول الواحدة منها بضعة ملليمترات تقيم مستعمراتها في شكل أبراج يتراوح ارتفاعها بين ثمانية وعشرة أمتار وتحفر في باطن الأرض سراديب على عمق ٢٠ متراً أو أكثر. وقدرت وزن الأتربة التي نقلها هذا النمل لاقامة احدى مستعمراته الضخمة في وادي لجوبو بما يبلغ ١١٧٥٠ طناً، فان أعمال تمهيد أرض مطار بولا وابو استلزمت نقل ٢٠٠٠٠ طن من ركام هذا النمل. فكل مستعمرة من هذه المستعمرات والتي هي في الواقع جماعات من آلاف الملايين من الحشرات، هي بمثابة حيوان واحد لم تتحد أعضاؤه بعد فما هو الحال في الجسم البشري. فبعض هذا النمل يقوم بوظيفة الفم والجهاز الهضمي (العمال) وبعضه يؤدي وظيفة السلاح الدفاعي (الجنود) وبعضه الآخر من النوع الطباري يؤدي وظيفة التناسل وهي الجماعة التي سينتخب من أعضائها الملوك والملكات.

ومما استرعى انتباهي دائماً أن صيادي النمل الأبيض لا يهتمون بمستعمراته بل يقصرون جهودهم على صيد الملكة اذ ما دامت الملكة في أمان فان المستعمرة تنشأ من جديد أما اذا أسرت فيموت اتباعها فلماذا اذاً تنتهي حياة النمل الأبيض الجماعية بموت الملكة؟ انه كما هو الحال في جماعات الحشرات الأخرى والطير، فان طيران التزاوج بين الذكر والانثى يعد نقطة البدء في انشاء قرية النمل الأبيض، فان هذا الطيران يسبق التزاوج ويثير عملية التناسل. فما دام الذكر والأنثى لم يطيرا بعد لا يستجيب أحدهما للآخر استجابة جنسية طيلة شهور بل قد يمتد ذلك الى عدة سنين من حياتهما تحت الأرض، ومع ذلك يكفي أن يطيرا بضعة سنتمترات كي يتزاوجا ثم تبطل وظيفة الجناحين. وكانت هذه الحشرات فيما مضى باستمرار فأصبحت اليوم وليس إلا الملوك منها والملكات

صنعوا المنطاد الانكليزي المسير رقم ١٠١ و وذلك في عمل الدرابزين وتخشيب الجوانب وصنع الأثاث والسطوح والحواجز . ولما اتسع نطاق استعمال هذا الخشب ، انخفض سعره . فاشتد الطلب عليه . واتخذه المهندسون البحريون لتخشيب جوانب اليخوت السريعة الخفيفة . وتذرع به المهندسون المعماريون والميكانيكيون في مصانع الحرير ، الى إزالة الارتجاج الذي ينجم عن دوران الآلات الثقيلة . كما يدخله صناع الصور المتحركة الناطقة ، في صنع الخيم التي لا يخترقها الصوت ، التي يستخدمونها في أعمالهم . وبه يستعين مهندسو الراديو ، على ذلك القصد ، في حجرات الاذاعة .

وصنّاع الآلات يصنعون منه صناديق لوقايتها ، حين نقلها في البواخر . ولما كان سطح خشب البلزة ناعماً كالحرير ، فهو لا يخدش الآلات مهما تكن صقيلة . ولا يشوّه الخزائن « دواليب الثياب » وهو يكاد يكون ليناً كالكاوتشوك . ولذلك بقي التراكيب الميكانيكية الدقيقة ، من الصدمات والاهتزازات التي تستهدف لها في أثناء نقلها في أقفاصها . ولذلك ترى التجار يصنعون قطعاً من خشب البلزة ، في صناديق نقل البضائع ، حيث تكون مثل وسائد بين جوانب الأقفاص ومحتوياتها ، لتستند إليها ، وقاية لها من التلف . وفي أمريكا تصنع جميع أدوات الانقاذ من الغرق ، من هذا الخشب . وكذلك تصنع منه الكرى التي يتقاذفها السباحون في المصايف البحرية . ويستعمل أيضاً في صنع العربات التي تنقل المشاجات من مكان إلى آخر لكي تكون خفيفة الحركة .

وخشب البلسة منفعتان ، هما — أولاً — استعماله كمادة من مواد البناء . وثانياً — اتخاذه ، مادة لمنع الحرارة . وسبب ذلك تجوفه تجوفاً — يجعله مزدوج الجدران ، بحيث يمنع الحرارة . ومع ذلك فهو متين متانة تجعله صالحاً لصنع أجسام سيارات النقل . ولشدة الطلب عليه لم يعد يباع ويشترى صامولة . إذ أسست لاستيراده شركة أمريكية تمتلك مزارع واسعة له في بلاد الكوادور ، حيث تزرع الأشجار التي تسد مطالب الشركة نفسها . ومتى قطعت أشجاره ، تشحن بها البواخر . وتوصل الى مصنع خاص في بروكلين . وحينئذ تكون تلك الأشجار مملوءة بكائنات حيوانية دقيقة لا تحصى . تكمن في جوفها الفارغ ، وذلك من مغارسها . ولما كانت تلك الكائنات تفسد الخشب لامحالة ، اذا تركت وشأنها ، فإنها تقتل بمعالجة الخشب عينه بالحرارة في أتون خاص ، قبل استعمال الخشب في الصناعات المختلفة . وشظايا خشب البلزة ونشارته التي تنتج من صنع الأشياء المختلفة تزدم ثم ترسل إلى مصنع كبير من مصانع البارود . حيث تدخل في تركيب الديناميت الذي يستعمل في شق الطرق العامة وحفر أسس المباني .

خنادقهم . وكانت مهمة تموين الجنود في خطوط القتال الأمامية ، من الضروريات الشاقة . فخففها خشب البلزة إذ كانت تصنع منه ، صناديق محكمة الاغلاق ، لصيانة المؤن السريعة التعفن ، عند نقلها إلى ساحات القتال . حيث يمكن اسقاطها في البرك التي كانت تتخلف من حفر القنابل . فكان لا يلحق مستهلكها أي تلف . وكانت خفتها تهون نقلها إلى أي مكان . وكان المشاهد إذا انتقل إلى البحر الشمالي ، في خلال الحرب العالمية الأولى ، يرى بواخر غريبة الأشكال تظهر وتختفي في الليل البهيم كأنها مسحورة . وكان يخيّل إليه أن ظهورها كحظائر صغيرة لمركبات السكك الحديدية ، محمولة قضباناً تؤلف سكة حديدية ضيقة تموج بالملاحين ، الذين يدفعون عليها عربات يدوية صغيرة محملة بالكرى المعدنية الكبيرة وكانت تلك الكرى تدحرج إلى منافذ كبيرة في مؤخرات البواخر . حيث تلقى في اليم ، مرة كل بضع ثوان . وكانت هاته البواخر الغريبة الأشكال ، هي باذرات الألغام البحرية .

وخشب البلزة في تلك السفن منفعة خطيرة . هي استعماله بدلاً من الفلين . ولما كان الجهاز الذي يستخدم في تفجير الألغام البحرية غالي الثمن ، وجب أن يعنى القائط البحريون بتخليصه من الغرق ، متى تمّ إطلاق الغم في البحر . وكانوا قبلاً يتوسلون إلى بغيتهم هذه ، بعوامات من الفلين . فلم تنفع لأنها كانت تتلف من الانفجار . فتبين لهم بالاختبار أن خشب البلزة هو المادة الوحيدة التي تصلح لابقاء جهاز التفجير طافياً ، ريثما يتسنى انتشاله . ولذلك كان هذا الخشب يستورد من أدغال خط الاستواء ، الى المناطق الشمالية الباردة « حيث كان مزرائيل يسيطر بجبروته على البر والبحر » .

ولما ألقت الحرب أوزارها ، وعقدت الهدنة ، وأخذت الجنود المسرحة تبحث من وسائل للاسترزاق ، شرع المخترعون أيضاً في البحث عن سبل جديدة للانتفاع بالمواد الحربية في أزمنة السلام . فكان خشب البلزة من المواد التي أحرزت منزلة أسمى مما نالتها قبل الحرب . وذلك أن الطائرات جعلت تنقل الركاب من اقليم الى آخر . وحدث التنافس بين مصانعها . فأفضى بها إلى تزويد طائراتها بكل وسيلة من وسائل الراحة التي يبغيها ركابها ، فأصبحت للخشب المشار إليه ، أرفع مكانة في صنع بعض لوازم الطائرات . وذلك لخفته المنقطعة النظير .

وغدا صانعو الطائرات يتخذون من خشب البلزة ألواحاً لتغطية جوانب الطائرات من الداخل ، ولعمل الحواجز بين الغرف وبعضها . ولصنع الأثاث اللازم لها . ويستعمل خشب البلزة في البواخر الكبرى ، في المواضع التي يستغنى فيها عن المعادن . كما يدخل في صنع الطائرات ، لتقويتها واعداد معدات الراحة لركابها . وقد أدخله المهندسون الذين

ثقلها ٠٠٠ ر ١٥٠ رطل ونيف . وذلك باتخاذ حشوات حواجز حجراتها بأسرها ، من خشب البلزة . كما يستعمل في الطائرات لتخفيف وزنها .

وكرّت الأيام والسنون والقرون ، وما كان الجنس الأبيض ليحفل بخشب البلزة على حين كان الهنود يستعملونه في مختلف الشئون . حتى جلت سنة ١٩١١ إذ ذهب الربان لندن Lundin وهو ملاح أمريكي ، الى أمريكا الوسطى . وذلك في رحلة بحرية فأرسى سفينته في خليج صغير ، بعيد عن الطرق التجارية المألوفة ، أي في مكان قلما تطرقه البواخر . ولم يؤمه أحد من السياح قبله . وكان الربان لندن ابنة رافقته في تلك السياحة البحرية . وسرعان ما أبصر الهنود الوطنيون تلك الفتاة البيضاء ، حتى احتفوا بمقدمها . وأقاموا لأجلها حفلة شائقة ، رقص فيها الراقصون ، وقام الشجعان فيها بألعاب الفروسية . وحدث قبيل انتهاء تلك الحفلة أن أبصر الربان ، زعيماً من زعماء الهنود يحمل شجرة بأجمعها على ظهره ، فكانت أول شجرة بلزة رآها الكابتن لندن في حياته مقطوعة من مغرسها . فأدرك كثرة الأعمال التي يمكن ادخال ذلك الخشب العجيب فيها . فأخذ يجمع منها شحنة لباخرته . وبهذه الوسيلة تيسر نقل خشب البلزة ، أول مرة الى بلاد الولايات المتحدة . وما أن عاد الربان لندن إلى وطنه ، حتى ألف شركة لصنع الأشياء من ذلك الخشب ، الذي أعاد اكتشافه من جديد . ولما كان لندن ملاحاً ، يميل بطبيعته الى الأشياء التي تخص مهنته ، مثل أطواق النجاة والأدوات الواقية من الغرق ، كالسترة العوامة ، شاعت تلك المصنوعات شيوعاً محدوداً في بدء أمرها ، لفداحة أسعار خشب البلزة اللازم لصنعها . إذ كان اللوح الذي مساحته ألف قدم يباع بمبلغ ٢٥٠ دولاراً .

ولما جيء وطيس الحرب العالمية الأولى ، وتفاقمت خطوبها ، اتسع نطاق استعمال خشب البلزة اتساعاً عاجلاً إذ أصبح ذلك الخشب الذي يعادل الريش في خفته ، من ضروريات القتال وعدته . فاستنفدت منه مقادير كبيرة ، على غلاء أثمانها . وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد شرعت في إرسال جنودها الى فرنسا ، في سفن نقالة ضخمة . فاستغنى رجالها عن الزوارق المألوفة للنجاة من الغرق . وذلك باستعمال أطواف من خشب البلزة . وكان الفراغ الذي يشغله زورق واحد منها ، في إحدى النقالات « المراكب المعدة لنقل الجنود ولوازمهم » كافياً ليسع طوفاً من خشب البلزة يقل ٤٥٠ جندياً . بينما الزورق المألوف يحمل ما لا يزيد على ٤٠ رجلاً . وما عتم أن ألف معظم الجنود الأمريكية ، رؤية جنود الحلفاء ، يسير بعضهم ، في أثر بعض ، في غياض فرنسا وفلندرز ، في سكون الليل ، وتتبعهم البغال والخيول والرجال ، والعربات التي تقل المؤن إلى الجنود ، تترى في

وإذا ما رجع الباحث ، إلى صفحات التواريخ القديمة رأى رواد المكتشفين الاسبانيين يذكرون خشب البلزة فيما صنعوه من الاسفار الخاصة برحلاتهم . ومنهم الرحالة الرتان بيزارو الذي شن الغارة على بلاد بيرو .

وحينما حط الأسبانيون رحالهم في أمريكا الجنوبية ، شاهدوا أهاليها في كثير من آفاتها يستعملون أرماثاً [1] يطلقون عليها اسم بلزة . وكانوا يتخذونها دائماً من نوع واحد من الخشب اشتهر بين ظهرانيهم باسم «خشب الأرماث» أو البلصة . وتجزل أشجاره في كل جزائر الهند الغربية ، وفي جنوب بلاد المكسيك ، وما يليها جنوباً من الأقاليم الممتدة على سواحل المحيطين الأطلنطي والهادي ، ومما يؤيد هذا أنا إذا بحثنا عن معنى balsa في المعجم الانكليزي العربي ، وجدناه «طوف أو رومس» . ويسمو البلزة نمواً حثيثاً جداً ، فيربى طول شجرته ، على خمس وستين قدماً ، وذلك قبيل بلوغها العام الخامس من عمرها «كما سلف القول» وهو الزمن الكافي لصيرورتها أجود ما تكون ، خشباً للعرائق التجارية . وتزرع هاتيك الأشجار في ضياع بعض الأقاليم ليجني منها خشب معلوم العمر ، معروف المزايا . وخشب البلصة ذو لون أبيض ، ضارب للصفرة والقرنفلية ، مخملي اللمس ، خفيف الوزن ، لين إلى الدرجة القصوى ، كثير المسام ، ولهذه الأسباب جميعها يتعذر تجفيفه .

ولحاء البلزة ذو ألياف يتسنى فتلها حبالاً . وثمره على هيئة القطن ، شبيه بفراء الأرانب . فتحشى به الوسائد والمخارق [2] . ويدخل في مصنوعات شتى . ومنها أجزاء الطائرات الصغيرة التي يلهو بها الأحداث . وتبطن به جوانب الثلاجات ليحول دون تطرق الحرارة إلى بواطنها . وتحشى به الأطواف المستعملة للوقاية من الغرق . وتتخذ منه أيضاً تكآت صغيرة توضع في جوانب الصناديق التي تنقل فيها الآنيات وقاية لها من التلف الذي تستهدف له عند نقلها من مكان إلى آخر . لأن البلزة لا يخدش أبداً سطوحها المصقولة بالصقال «الورنيش» صقلاً فائقاً .

ويدخل خشب البلزة في السفانة [3] كمشورات لجوانب الخشبية الكبيرة للبواخر ، حيث تمس الحاجة إلى تخفيف ثقلها الى أدنى حد وقد أستعمل هذا الخشب حديثاً لذلك القصد في الباخرة (مانهاتان) التابعة لحكومة الولايات المتحدة الامريكية . فأتيح نقص

(١) الرمث — خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب في البحر وجمعه أرمث . ويعرف عند أهل الريف باسم الرومس — وهو الطوف أيضا (٢) الوسادة الصغيرة يتكأ عليها .

(٣) صناعة السفن — ولا يسوغ للمترجم «بناء السفن» كما يقول مؤلفو كتب الجغرافيا .

يزن ١٥ رطلاً . ويقول المختصون إن هذا الخشب ، لعب دوراً مهمًّا في الحرب العالمية الأخيرة . فقد أدخل في صناعة هياكل الطائرات . وتصنع من هذا الخشب عوازل الحرارة وغيرها من الصناعات الفنية المهمة الدقيقة :

﴿ خشب البلصة أو البلزة [1] Balsa wood خفيف كالريش ﴾ هذا هو النطق الصحيح لهذا الاسم ، كما ورد في أحدث المراجع العلمية الانكليزية . ويكاد خشب البلزة يوجد في كل قطر من الأقطار الحارة المتاخمة لخط الاستواء . وهو أخف خشب عرفه الانسان من قديم الزمان . غير أن الخشب الشائع الاستعمال الآن في بلاد الولايات المتحدة الأمريكية ، يستورد من اكوادور . وهي جمهورية صغيرة على الساحل الغربي من أمريكا الجنوبية . يشقها خط الاستواء وتتخللها أسوار جبال الأندة الشاهقة .

وشجر البلصة ذو لحاء متوسط السمك . وأوراقه عريضة كبيرة الحجم . ويتراوح ارتفاع شجرته بين سبعين قدماً وثمانين قدماً . ويختلف قطر جذعها من ٣٠ عقدة أصبع « بوصة » إلى ٣٦ عقدة . وثقل خشبها لا يعدو نصف ثقل الفلين ، إذ يتفاوت ثقل القدم المكعبة منه ، بين خمسة أرطال وسبعة أرطال .

ومن مزاياه ، أنك إذا لحمت قطعة منه بالجهاز « الميكروسكوب » رأيتها مؤلفة من عدة خلايا صغيرة تشبه خلايا قرص الشهد . وهذه مصدر خفته ، وطفوه على سطح الماء ، إذا ما ألقي فيه . وهي أيضاً سبب منعه الحرارة والكهربا ، واخفائه الأصوات الشديدة .

ومن غريب أمر هذا الخشب ، أنه إذا جاوزت شجرته الحول الخامس من عمرها ، تخنت جدرانها ، وزاد خشبها ثقلاً . ولذلك ترى زرّاعه لا يقطعونه لأجل الأعمال الفنية متى زاد عمره على خمسة أعوام . وقد بلغ من خفة خشب البلصة أن القدّة « الكرة » منه التي طولها ٢٠ قدماً وقطرها عشر عقد تزن ٧٥ رطلاً . بينما القدة التي في هذا الحجم من خشب الصنوبر مثلاً تزن نحو ٣٢٥ رطلاً . فاذا ألقيت قدة البلزة في الماء ، عامت فيه ، وتيسر أن تحمل ما يكاد يعادل وزنها عشر مرات . ومع تفوق خشب البلزة في الخفة على كل أصناف الخشب الطبيعي ، فان متانته محدودة . وهي لا تزيد على نصف متانة خشب التنوب [2] الفضي الجيد النوع ، والبلصة سهل التكييف في الصناعة ليّن إذ يقطعه سكين المخرطة ، كما تقطع المدية قطعة من الزبدة . وقوامه أشبه بقوام الصمغ المرن « الكاوتشوك » فيمكنك أن تقطع قطعة منه بأصبعيك بسهولة حتى توشك أن تتناقص إلى نصف حجمها الأصلي .

(١) راجع مقتطف ديسمبر ١٩٣١ (٢) شجر كالصنوبر

خشب البلزة

نوع جديد يعدّ أخف خشب في العالم

للأستاذ عوض حبيدي

قرأت في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٥١ مقالاً مستفيضاً على (الغابات وكيف تنتفع بأشجارها) لحضرة زميلنا الصحفي الأستاذ جورج نيقولاوس. ولهذه المناسبة يرى كاتب هذه السطور أن يعرب عما خالجه من السرور، إذ حقق الله سبحانه وتعالى، رجاءه الذي سبق أن وجهه إلى المختصين بوزارة الزراعة المصرية، منذ أكثر من عشرين عاماً، قصد نشر زراعة خشب البلزة في وادي النيل للانتفاع بمزاياه الرائعة واليك ما ذكرته جرائدنا المحلية في ٤ أكتوبر الماضي تحت العنوان الآتي:—

تمهيد لوصف خشب البلزة

يدرس المختصون بوزارة الزراعة الآن برنامجاً جديداً بشأن التوسع في زراعة الأشجار الخشبية في مصر، لسد حاجة البلاد من خشبها، وإدخال زراعة بعض أنواع الأشجار الخشبية التي لا تزرع في مصر، حتى يمكن بذلك رفع مستوى انتاج الخشب وصناعتها في البلاد. ومن الأنواع التي تنوي وزارة الزراعة ادخال زراعتها في مصر وإجراء تجارب فيها، للوقوف على التربة الصالحة لها. والعمل بعد ذلك على اكثارها، نوع يزرع في غابات أمريكا الوسطى والجنوبية، من جنوب المكسيك، إلى شمال بيرو. ويعرف هذا النوع باسم خشب « البلزة » Balsa ويعتبر هذا الخشب، أخف خشب في العالم. فان القدم المكعبة المجففة بالهواء منه، تزن عشرة أرطال، على حين أن القدم من الفلين

هؤلاء الدولة وإلتفاته إلى مبادئه التي أقلقت كثيراً من رجال الدين وعقلاء الدولة .

وعندما تولى العرش جلالة الامبراطور الحالي هيلا سلاسي الأول سنة ١٩٣١ دأب على السهر على تطهير البلاد من هؤلاء اللصوص وكثيراً ما استعان بقوة الجيش لمحاربتهم خصوصاً وقد أخذ الرؤوس الثائرون في استغلال الشفتا لحسابهم كما كان يفعل غيرهم في العصور الماضية ولم يتردد الامبراطور عن قتل من يقع في يد الحكومة منهم على أعواد المشانق ليكونوا عبرة لغيرهم . ولكنه في نفس الوقت لم يكن يتردد في بعثهم من جديد بل تشجيعهم وتزويدهم بالسلاح حينما شعر أنه في احتياج إلى قوتهم وذلك أثناء الاحتلال الايطالي للبلاد (١٩٣٦ — ١٩٤١) فقد انضمت جماعات الثوار الوطنيين الذين دأبوا على مقاومة الاحتلال الايطالي إلى الشفتا ومدهم جلالة الامبراطور وهو في منفاه بكل ما كان يستطيعه من مؤونة وسلاح وعملوا معاً على إشاعة الاضطراب في البلاد ليشغلوا أكبر قوة من الجيش الايطالي وكثيراً ما تعرضت قوافل السيارات التي كانت تنقل التجارة الايطالية بين ثغر مصوع وأديس أبابا لاغاراتهم بعد أن ركز الايطاليون معظم تجارتهم في هذه الطريق كما كانت منطقة جودجام الوعرة مسرحاً آخر لنشاطهم وكثيراً ما أغارت هذه العصابات على أديس ابابا نفسها واستطاعت في أوقات كثيرة أن تدخلها وتثير الرعب في قلوب سكانها من الايطاليين والوطنيين على السواء .

ولم يكن من اليسير على الحكومة الوطنية التي عادت الى البلاد بعد طرد الايطاليين أن تتخلص منهم أو تتغلب عليهم خصوصاً وقد بدأوا يوجهون نشاطهم ضد الانجليز الذين كانوا يحتلون البلاد مؤقتاً ظناً منهم أن هذه الاغارات ضد الرجل الأبيض لا بدّ وأن ترضى عنها الحكومة الوطنية وان تظاهرت بخلاف ذلك فدأبت الحكومة على تطهير البلاد وتخليصها من شرهم ولكن ذلك لم يكن يمنعهم من أن يتسلطوا فترة من الزمن على بعض أجزاء البلاد حتى تجد الحكومة نفسها مضطرة الى وقف سير التجارة في تلك الأنحاء وإلى الاستعانة بالجيش من جديد للحد من نشاطهم . وفي سنه ١٩٤٤ استطاع فريق منهم أن يدخل اديس ابابا تحت سمع الحكومة وبصرها ويهاجم داراً لتاجر أرمني ويقتله وزوجته ويسلبه ما خف وزنه وغلا ثمنه وأن يعود أفراده إلى مراكزهم سالمين ولكن عين الحكومة الساهرة لم تلبث أن قبضت على هذا الفريق وقدمته للمحاكمة فحكم عليه جميعاً بالاعدام وشهدت العاصمة جثثهم تتأرجح على أعواد المشانق في السوق العامة .

وها هي الأيام تدور دورتها من جديد ويتهم الحكومة الحبشية خصومها بأنها تساعد هؤلاء الشفتا وتمدهم بالمال والسلاح لبذر بذور الفوضى في اريتريا لمساعدتها على تنفيذ أغراضها السياسية فيها .

الحكومة حتى لقد جنّدت كل ما تستطيعه من قوة للقضاء عليهم . ففي أوائل القرن الرابع عشر استطاع حق الدين بن أحمد حرب أرعد حفيد على سلطان ايفات أن يكوّن من هؤلاء الشفتا جيشاً استطاع أن يقاوم به الدولة زهاء عشر سنين حتى إذا مات ترأسهم أخوه سعد الدين أبو البركات ثم أولاده متعاقبين أكثر من خمس وثلاثين سنة تآزر في أثنائها الملوك الأحباش مع السلاطين المسلمين في ايفات على هؤلاء اللصوص وكسر شوكتهم رغم ما كان يربطهم بهؤلاء الآخرين من وحدة الدين . وفي القرن السادس عشر استطاع أبو بكر بن محمد أن يكون من الشفتا الصوماليين قوة يزعج بها الحكومة مدة تزيد على العشر سنوات حتى لقد وجّه الأمبراطور لبنا دنجل لسحقهم قائده آبون فات في أحد المعارك فخلفه أحمد بن ابرهيم الملقب بالأشول فعرف كيف يحطمهم ويقضي على قوتهم.

ولقد كانت الفترة بين سنتي ١٨٠٠ و ١٨٥٥ عهداً ذهبيًّا لهؤلاء الشفتا حينما ضعفت الحكومة المركزية ضعفاً بيّناً وعجزت عن بسط نفوذها وانقسمت البلاد بين ثلاثة من الرؤوس الكبار وهم الرأس وويي والرأس علي والرأس كاسا. وأخذ كل واحد منهم يستعين بهم للتغلب على الآخرين فتعرض الفلاحون والرعاة الأحباش أثناء هذه السنين الطويلة لأقسى أنواع السلب والنهب وفقدان الحياة فقد كانوا يرون مواشيهم تساق أمامهم ومحصولاتهم تنهب ولا يستطيعون المقاومة ولا تمر أيام معدودة يكفكفون فيها دموعهم حتى يغير عليهم الآخرون فلا يجدون ما ينهبونه فيستعيضون عن ذلك بصب جام غضبهم على السكان الآمنين بقتلهم على مرأى من نسائهم وأولادهم وأخيراً استطاع الراس كاسا أن يكتب لنفسه النصر فجلس على العرش باسم الأمبراطور تيودروس الثاني وعمل على التخلص منهم وتشتيتهم. ولم يكن الأجانب الذين عاشوا في الحبشة في هذا الوقت ورجالهم الدينيون أقل من الوطنيين رغبة في استغلال هؤلاء الشفتا لتنفيذ مآربهم التي ترمي إلى زعزعة الحكم الوطني حتى لقد استدعى الأمبراطور بطريرك الكاثوليك سنة ١٨٦٠ وأسمعه كلاماً قاسياً وطلب منه الكف عن التدخل في أمور وطنه وان يترك البلاد في الحال .

ويعود الفضل الأكبر في الضرب على أيدي هؤلاء الشفتا ومقاومتهم إلى الأمبراطور منليك الثاني الذي ارتقى العرش في الأيام الأخيرة من القرن الماضي حتى مستهل القرن الحاضر فهو أول من عمل على ايجاد قوة من البوليس داخل أديس ابابا لحماية الأمن وحراسة العاصمة من إغارات الشفتا المستمرة، إلا أن نشاطهم سرعان ما عاد إلى أشده في عهد الأمبراطور الذاب لدج ياسو حينما اضطرب حبل الأمن نتيجة لانصراف الأمبراطور عن السهر على

عصابات الشفتا

في الحبشة

للأستاذ زاهر رياض

يطلق إسم الشفتا على قطاع الطرق في الحبشة وكانت في أول أمرها تطلق على قبائل الرياجالا الذين كانوا يحترفون هذه الحرفة ويعيشون في الأجزاء الشرقية والجنوبية الغربية من الحبشة ثم تعدتهم التسمية الى غيرهم ممن احترف هـذا العمل . ولقد كانت الحبشة طوال عمرها مسرحاً للنشاط هؤلاء الشفتا ، وساعد على وجودهم ونشاطهم طبيعة البلاد الجبلية الوعرة التي تسهل عليهم قيامهم بعملهم وصعوبة المواصلات بين أجزاء الهضبة مما جعل تعقب رجال الحكومة لهم أمراً من الصعوبة بمكان ثم عدم وجود الحكومة المركزية التي تسيطر على جميع أجزاء البلاد ، وضعف الحكومات التي قامت في بعض الأوقات ، كما أن الأمراء قد استعانوا بالشفتا في كثير من الأحيان لايقاع الاضطراب في أنحاء البلاد والثورة ضد السلطة المركزية التي تحاول أن تفرض نفسها عليهم . فكان ذلك كله داعياً لأن يشتد ساعد هؤلاء اللصوص في بعض الأحيان فيكثروا من الاغارة على القرى والمدن يسلبون الفلاحين ما يملكون ويقتلون من يتعرض لهم منهم ويكفي حتى الآن أن تذكر اسم الشفتا لرجل الشارع في أديس أبابا أو أي مدينة حبشية أخرى لترى امارات الرعب والفزع قد ارتسمت على وجهه على أبشع صورة ، فكثيراً ما تعرضت التجارة الحبشية بين الساحل والداخل لهجمات هؤلاء الشفتا حتى كانت القوافل لا تسير إلا وأفرادها مدججون بالسلاح . ولقد اشتغل كثير من هؤلاء اللصوص بالاتجار في الرقيق فكان التجار يعتمدون عليهم في شراء كميات كبيرة من الرقيق خصوصاً النساء والرجال الذين كانوا يجدون في شبه الجزيرة العربية والدول العربية الأخرى التي قامت خلال القرون الوسطى من يقبل على شرائهم ويدفع فيهم أغلى الأثمان . فقد كانت النساء الحبشيات من أغلى أنواع الجواري أيام الدولتين الأموية والعباسية . وإلى وجود هؤلاء الشفتا وكثرة اغاراتهم على القرى يرجع بعض السبب في نشأة الحبشي وهو متقلد سلاحه أينما ذهب .

ولقد قويت الشفتا في فترات كثيرة من التاريخ الحبشي إلى درجة أقلقت بال

البديعة ، فوق الوديان السحيقة ، فتنساب عليها القطارات الحثيثة انسياب السيل على بطحاء الجبال الهائلة التي تخترقها الانفاق ، تلك التي تحتجن الانظار فتتهادى الأجفان من عجب ومن إعجاب . . . كما لا ننسى أن نذكر أن جزيرة جاوة فوق كل ذلك مركز لتكور الأحداث السياسية والمظاهرات والثورات ، وعلى منابرها يمدح الزعماء والرؤساء ، وفيها يدوي صوت الحرية والخلاص ، فترجع اصداؤها نبراته العذبة وترتطم خلجاته ، بتناكب الصدور وجوانب الوجدان .

والادارة في جزيرة جاوة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولها : قسم جاوة الشرقية ، وعاصمتها « سورابايا » .

ثانيها : قسم جاوة الوسطى وعاصمتها « سامارانج » .

ثالثها : قسم جاوة الغربية وعاصمتها بتافيا « جاكارتا » .

واسم بتافيا هذا هو اسم هولندة منطوقاً باللغة اليونانية القديمة ، ويزيد من أهمية هذه المدينة أنها تقع على طريق مضيق صندا . ، كما أنها تنافس « سنغافوره » ؛ إذ انها سوق كبيرة لتصريف البضائع بين الجزر ، ولجمع الغلال والمحاصيل أيضاً . .

وهناك هذا المعبد الكبير ، معبد (بورو بودور) الذي ما عتم قائماً إلى يومنا هذا ، يتأمل الأيام ، ويشرف على مدينة « ديوكيا كرتا » داخل جزيرة جاوه ، وهذا المعبد من آثار الحضارة التي قامت في هذه الجزيرة فيما بين القرن الخامس والتاسع بعد الميلاد . . .

[للبحث تتمة]

البشرية» : « ومن أحسن أنواع التربات الخمسة في العالم (التربة البركانية) وتقع عادة في جوار البراكين الحية أو الخامدة ، وتتكوّن من بعض المصهورات أو الرماد الذي ينبعث من جوف البركان ، فتحمله الريح ، وتنشره على مساحات واسعة حول البركان ، فيكسبها الخصوبة الكثيرة . ومن أمثلة هذه الأراضي الطيبة مزارع نابلي بإيطاليا المشهورة بكرومها وأراضي جزر الهند الشرقية . ومن أمثلة الأراضي البركانية القديمة كثير من مقاطعات الولايات المتحدة مثل وشنجتون وأريغون» .

وتعتبر جزيرة سومطرة أطول جزائر اندونيسيا ، وهي تقع في الجهة الغربية منها ، وتوجد السهول في هذه الجزيرة في الجزء الشرقي منها ، وتليها بقرب من البحر كثير من المنافع والآجام ، أما الساحل الغربي فجبلي ، وفي وسط سومطرة توجد مرتفعات عالية منها جبال « سينا لانج » ، التي ترتفع شاهقة في الفضاء نحو ثلاثة آلاف متر تقريباً .

على أن جزيرة سومطرة ، لم تكن تدعى بهذا الاسم في الأزمنة القديمة ، ولكن هذا الاسم أي سومطرة محرّف من أصله ، وكان « سمودرا Semudra » ، أي المحيط باللغة المالزية ، وقبل سمودرا وسومطرة كان يطلق على الجزيرة اسم « جزيرة أندالس » و « جزيرة فرتشا » و « جزيرة إياس » أي الذهب . . . وتقع مدينة بدانج Padang في الوسط الغربي لسومطرة ، وارتفاعها تحت خمسين ألف بوصة كما تقع مدينة بلمبنج Palembang في شرق سومطرة بعيدة عن الساحل قليلاً ، وتقدر تعاريجها من خمسين إلى مائة بوصة ، ويضاف الى تلك المدن المهمة ، مدينة ميدان ومدينة « كوتاراجا » ، وخورها مدينة الملوك ، و « لنجات » هي الجزء الشمالي من سومطرة ، وأهلها أناس خالصو القلب يرقون للمحافل . . . وتوجد في « سومطرة » قرى بديعة يشده المرء لمشاهدتها ، تعلو فيها الأشجار الأكواخ ، وتخفي الأكواخ فيها سيقان الشجر ، فيبدو منظر تلك البيوت الصغيرة بديعاً ، وقد صنعت أسقفها على شكل أرقام الخانية ، وكثيراً ما تطلّ القرى على مياه ، فاذا الرواء يزداد روعة والمكان يزداد زهواً وجمالاً ، وليس به من صوت سوى صوت الطيور الملوّنة ، وقد وقفت رشيقة على مناور الشجر ، تختض « النارجيل » تريغ أن تتخذ منه زجيلة لها ، ليسل دمائها الى قلبها الخفاق فتشقشق وتصفق طرباً . . .

ولكن الملاحظ أن جاوة قد فاقت سومطرة في نواح فنية كثيرة ، ولا غرابة في هذا ، إذ أن الفن الجميل في جاوة يزدهر ازدهاراً ، وقد برع المهندسون فيها في انشاء البكاري

الشرقية ، ويرجع مصدر هذه التسمية إلى القرن الأول الميلادي ، حيث وصلت تجارة جاوة إلى أوربا والبلاد العربية .

ولقد طغى إسم جاوه على أندونيسيا ، واستعمله كثيرون من كتّاب الضاد خلال العصور الوسطى ، كما انه لا يزال يغلب على بعض كتّاب الاسلام في العصر الحديث.

ومع أن العرب يعممون لفظ الجاوة على هذه الجزر كلها ، إلاّ أنهم يذكرون اسم كل منها ، كما فعل المسعودي ويافوت ، الأول في تاريخه ، والثاني في معجمه .

أما الهولنديون فقد أطلقوا على أندونيسيا منذ القديم اسم « الهند الهولندية » ، وقد أرادوا من هذه التسمية ، أن تكون اندونيسيا لهم وحدهم وكي يضمنوا تبعيتها لهم ، حتى كان يوم ٢٣ أغسطس عام ١٩٤٠ ، حين اعترفت حكومتهم باسم « اندونيسيا » . وكانت جاوة تعرف قديماً باسم « جاوة الكبرى » ، إذ دعيت جزيرة سومطرة باسم « جاوة الصغرى » ولعلنا ندرك ذلك الاسم ، حين نرى الرحّالة المغربي ابن بطوطة ، حيث زار مدينة سومطرة في جزيرة سومطرة ، فكتب عن سلطانها باسم « سلطان جاوة » .

ويقطن جزيرة جاوة حوالي خمسين مليون نسمة ، وباقي السكان يقطنون باقي الجزر ، وهي كثيرة نذكر منها سومطرة ، وبورنيو ، وسيليبس ، ولمبق ، وبالي ، وتيمباوة ، وتيمر وبنوجني ، وفلوريس ، وسواها . وجاوة أكثر تلك الجزر عمراناً وأرقاها حضارة ، ففيها « بتافيا » وبها المعاهد العليا ، وتخترقها شبكة من الخطوط الحديدية وطرق السيارات الحديثة ، وبها الخط الحديدي ، الذي يصل « بتافيا » بمدينة « سرابايا » ، ذلك القطار السريع الذي يقطع في الساعة خمسة وأربعين كيلومتراً ، وهو منظم على أحدث شكل للقطارات في العالم ، كما يصل القطار الكهربائي بتافيا بمدينة « بوقور » ، التي قامت بها ثانية حديقة في العالم

ولا غرابة إذن أن صارت جاوة زعيمة تلك الجزر ، ومقرّاً للحكم ، وبؤرة للحياة الاقتصادية والاجتماعية ومركزاً للحركة العلمية والثقافية في أندونيسيا ، وذلك بفضل مناخها وتربتها ، إذ أن أرضها يغلب عليها الارتفاع كما أن أمطارها منتظمة وتربتها خصبة اكسبتها البراكين خصوبة وجمالاً فتعددت فيها أنواع المنتجات الزراعية ، إذ أن في المقذوفات البركانية ناراً تلهب التربة حماساً ، فتأبى الأرض إلا أن تخرج أطيب الثمرات . . .

يقول الاستاذ محمد حمدي بك في كتابه « الجغرافيا التجارية الاقتصادية والجغرافيا

في الشرق الاقصى

اندونيسيا الخضراء

للأستاذ احمد رمضان السنوسي

تعال معي نقف على تلك الربوة العالية لنشرف منها على تلك الجزائر الاندونيسية الزاهرة. صوّب نظرك نحو تلك المجموعة من الجزر وهي قابعة بين المحيطين : الهادي والهندي ، تهتدي بهدي الأول وتكتسي ببدائع الثاني ، وتفصل بين قارتي آسيا واستراليا .

... لقد أطلقت على هذه المجموعة من قديم الزمان (جزر الهند الشرقية) ، كما أطلق عليها اسم ألسوليند insulinde ويسميها البعض « ارخبيل الملايو » .

وكلمة « أندونيسيا » تتركب من كلمتين : الاولى « أندو » ومعناها الهند ، والثانية « نسيا » وهواها الجزائر ، فيكون المجموع الناتج « جزر الهند » ، ولقد كان الغرض الأسمى من هذه التسمية ، توحيد هذه الجزائر وضمها تحت رمز ولواء واحد ، يطبع بطابع خاص ويتميز بصفة واحدة .

ويرجع إطلاق هذا الاسم إلى عام ١٨٥٠ ، وقد اعترف به الأندونيسيون ، وسرى في هتافهم ومناوراتهم سريان البرق بين ذوائب السحائب البيضاء .

أما العرب فيطلقون على هذا الأرخبيل الملايوى ، كلمة « جاوة » ؛ إذ أن جزيرة جاوة هي أهم شيء في أندونيسيا ، التي ينحصر تاريخها وحضارتها في تلك الجزيرة تقريباً ، وما عدا الحضارمة والتعرديون ، يستعملون هذا الاسم ، ويدعون به جزر الهند

حياتها فحرمتها متعة الشباب ولذة الصبا . وأصبحت ثائرة متبرمة ساخطة وأضحت حياتها في نظرها شيئاً ضائعاً غير ذي قيمة . وأصبحت الغريزة العشواء بصيرتها فلم تعد تفكر إلا في ذاتها ونفسها وفقدت شعورها بأمومتها التي كانت تكفي وحدها لأن تجعل من حياتها شيئاً ثميناً قيماً .

وفجأة ظهر في أفق حياتها رجل ! كان أبوها حينئذ قد مات وكانت تعيش بمفردها مع ولدها الذي أصبح في بدء دراسته الجامعية . وكان من الطبيعي أن يتردد على المنزل ذلك الفتى الرشيق القامة الصارم النظرة المكتمل الرجولة ليشاركه أنسها في استذكاره .

كانت شخصيته ومظهره يطابقان الى حد كبير تلك الصورة التي رسمتها لفتاها وهي عذراء . وكأنما أرادت الاقدار أن تمعن في سخريتها فأرسلت إليها فتى الأحلام بعد فوات الأوان ! أرسلته إليها وهو في سن ولدها فكان مجيئه أضحوكة قاسية وسخرية لاذعة ، على أنها لم تيأس فان ذلك الجلمد وتلك الصخرة الملقين النهت بهما نفسها في حرمانها الطويل قد شحذا عزيمتها وأثارا ارادتها على أن تبيع لنفسها ما فاتها من الكثرة وما حرمته من المتعة !

ووجهت للفتى المسكين سهام فتنتها المخصبة ، وأنوثتها الكامنة الثائرة ووجد فيها الفتى امرأة تخطو نحو الاربعين قد نضجت انوثتها وأصبحت تبحث عمن يقتطفها قبل أن تذبل ويصيبها العطب والتلف .

ونشأت العلاقة الآثمة بين الفتى الغرير والمرأة المحروب وصار يتردد على المنزل في غيبة الابن الغافل . وبينما الاثنان ماضيان في غيهما كانت الاقدار تدبر أمرها في خفة وحذر حتى إذا أحكمت تدبيرها سددت ضربتها القاضية . وإذا الابن يكتشف العلاقة الآثمة .

كانت في أوج فتنتها ! الفة كانت عشرين عاماً ثم انفجرت فاكتسحت في طريقها كل شعور بالمسئولية وإيمان بالقيم الاخلاقية . ولم تكن نظرتها الى ولدها في تلك اللحظة على أنه ابنها وفلذة كبدها وإنما شعرت أنه العقبة في سبيل تحقيقها بحياتها هو رمز حياتها الضائعة وشبابها المتقدم . هو أداة عذبتها بها الاقدار وكانت بها طبيعتها البشرية .

فلم تشعر بنفسها وهي تقذفه بذلك التمثال الرخامي الصلب ! وإنما شعرت به وهو يسقط على الأرض وقد فقد النطق الى الأبد !

وأفاقت من غفيتها ..... فاذا عشيقها قد هرب وابنها قد مات وتراجعت غريزتها في استحياء وتخاذل وحل محلها شعورها بمسئوليتها كأم مجرمة ! وحينما أقبل عليها الجيران كانت تصرخ تارة وتغني وترقص تارة أخرى ..... لقد جننت !

أرض البشر هي الجنة التي وعدوا بها . واستيقظت من أحلامها وأفاقت من خيالها ، لترى نفسها قد خطبت على الرغم منها إلى صديق والدها العزيز . وهو يماثله سنًّا ولكنه يتخلف عنه في صراحته فقد كان طيباً الى حد الغفلة والبله !

ولم تحاول أن تعترض أو تفكر فأين هي ؟ وهي الضعيفة العاجزة من والدها الشرس العنيد الذي لا يطيق مناقشة في رأيه من أولاده الذكور فما بال بناته الاناث ؟ إذ كانت تعرف أن أي اعتراض أو انكار من جانبها لن يؤبه له ما دام والدها قد قرر ما قرر . فاستسلمت للأمر الواقع وودّعت أحلامها العذبة لتعيش مع زوجها العجوز !

وكانت حياتها معه سلسلة طويلة من الشقاء والحرمان والصراع . فقد أبت أنوثتها ورفض جمالها أن يخضعا لذلك الكبت المبكر الذي فرضته عليهما الظروف القاسية وهما ما زالا في عنفوان الشباب وقته . واستبدّ بها صراع عنيف : صراع بين غريزة بشرية خالدة يتوقف عليها بقاء النوع الانساني . وبين قيم اجتماعية قاسية تتوقف عليها كرامتها وحمتها في المجتمع الذي تعيش فيه . فغريزتها البشرية تأبى الكبت وترفض الحرمان وهي تريد أن تنطلق في مجراها الطبيعي فتبحث عمن يشبعها ويروي غلتها .

وحياتها الاجتماعية تأبى لا أن تخضعها لمظاهرها المختلفة فهي زوجة ملزمة بالخضوع الى زوجها والاخلاص له حتى ولو كان في ذلك حرمان غرائزها من أن تروى وتشبع .

ولم ينقذها من ذلك كله إلاّ وفاة زوجها العجوز . فلم يكن عجيباً إذن أن تتنفس الصعداء لموته ! فهي ما زالت في ميعة الصبا . وعلى الرغم من أن زوجها قد أولدها طفلاً إلاّ أن جمالها لم ينقص شيئاً ، بل أصبح أشد فتنة للقلوب وفتكاً بالنفوس وإثارة للأهواء ! . ومرة ثانية امتلأ رأسها بالأحلام العذبة وانطلق خيالها من قيوده وابتدأت تفكر في فتى الأحلام .

ولكن أباها الشرس القاسي قطع عليها السبيل مرة أخرى فقد كان يحب طفلها حبًّا شديداً ، ففرض عليها أن تظل أرملاً لترعاه فلا تنغص حياته بزواج جديد ! .

واستسلمت للأمر الواقع مرة أخرى ومضت بها السنون وهي تصارع غرائزها الملتهبة وتناضل عواطفها المشبوبة .

ولم يعزّها من حرمانها أنها قد أصبحت أمًّا وأن ابنها ينمو ويتقدم نحو الشباب بخطى حثيثة تملأ نفسه حيوية وتنفتح له أبواب الحياة باباً بعد باب .

لم يعزّها ذلك في شيء ولم يعوّضها عما قاسته من كبت وحرمان في صدر شبابها . وإنما أضعفت السنون جسدها ، وألهبت الأيام شعورها على تلك العقبات التي اعترضت

قصة

حياة ضائعة

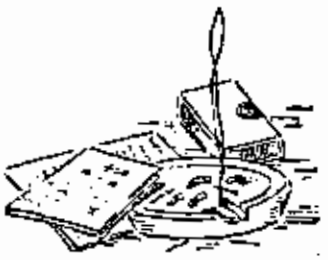

للأستاذ محمد عاطف السعير مجار

لم يكن عجيباً أن يرقص قلبها طرباً وتمتلىء نفسها نشوة حينما مات زوجها ! فقد تخلصت بموته من عبء ثقيل رزحت تحته حياتها وأحلامها وآمالها وإنها لترجع بذاكرتها قليلاً إلى الوراء فترى نفسها حينما خطبت له حسناء في الثامنة عشرة رائعة الجمال صارخة الأنوثة.

كانت حينئذ تنتظر في أحلامها الذي سيعتبر ظهوره نقطة التحول الهائلة في حياتها . وكان جمالها الرائع وأنوثتها المرهفة يدفعانها إلى الاستسلام للأحلام العذبة والاسترسال في الأخيلة الجميلة . تنسجها مخيلتها فتبدع زينتها وتمنحها رونقاً زاهياً جذاباً .

كانت تقضي نهارها في المرآة لا تفتأ تتزين وتتعطر وتراقب جمالها الفاتن وقد أكسبته ألوان الزينة بهاء على ما هو عليه من بهاء ، وحسناً على ما هو فيه من حسن .

ثم تتخيل بعد ذلك فتى أحلامها وماذا يجب أن يكون عليه شكله حتى يناسب شكلها ، وخلقه حتى يلائم خلقها . فتقدر في نفسها أنه يجب أن يكون طويل القامة رشيقها ، ناعم الشعر أسوده عسلي العينين واسعهما ، في نظرته صرامة تنبىء عن رجولة مكتملة وفي قسمات وجهه ابتسامة ، تدل على اعتزاز بالنفس وثقة فيها ، ثم هو مع ذلك كله يجب أن يجيد الرقص لأنها تهواه ، ويحسن التقبيل فهو غذاء الحب !!

أما خلقه فيجب أن يكون صارماً حتى يخضع أنوثتها الثائرة . على ألاّ تمتد به الصرامة الى المشاكسة وحب الشر ، بل يجب أن يكون طيب القلب ، وادع النفس مرهف الحس منأجج العواطف ! . . . . . وهكذا مضت ترسم لنفسها صورة فتاها المرتقب في حرية وسعة ، كأنما أعطتها الأقدار السلطة لتختار بنفسها ما يلائمها .

ولكن الأقدار لا تفعل ذلك أبداً ، ولو فعلته فأعطت كل امرىء ما تمنى لكانت

الوقود فينحدر جانب من الأوكسيجين والكحول إلى غرفة الاستقبال حيث يستعمل بواسطة شرارة كهربائية . وبعد ذلك يفتح آخر مفتاح لتشغيل طلمبات الوقود التي تدفع به إلى غرفة الاستقبال . ثم تفصل الأسلاك المتصلة به والتي عن طريقها أديرت المفاتيح . ويترك الصاروخ للعمل من تلقاء نفسه . فتخرج الغازات الحارة من مؤخرته مع قوة دفع تقدر بخمسة وعشرين طناً وينطلق بقوة خمسمائة ألف حصان

وينفد الوقود الذي بالصاروخ كله في مدة لا تتجاوز ٦٥ ثانية . وفي هذه المدة يكون قد بلغ في الارتفاع ما يقرب من عشرين ميلاً . وبعد ذلك يتابع الانطلاق بقوة الدفع الذاتي .

وفي الصاروخ « طيار أوتوماتيكي » يعمل على حفظ توازنه كما يقوم بتحريك دوارات القيادة المثبتة في أطراف ذيله والتي تعمل بنشاط بعد نفاد وقود الصاروخ طالما يوجد هواء في الجو تستند إليه في الدفع ثم تفقد وظيفتها عند ما يقل الهواء في الطبقات العليا . عندئذ يأخذ الصاروخ في الدوران حول نفسه والترنح .

تؤخذ للصاروخ صور سينمائية أثناء انطلاقه في الجو .

ولدى عودته بعد أن يبلغ أقصى مداه يفصل رأسه المشتملة على معظم الآلات العلمية عن جسمه بطريقة آلية وذلك عند ما يكون على بعد أربعين ميلاً من سطح الأرض لتخفيف أثر الصدمة على الآلات بعض الشيء . أما الآلة الفوتوغرافية فوضعها من الصاروخ مكان بارز في جنبه . وعند سقوط الصاروخ تهشم الآلة إلا أن « الفلم » يظل سليماً . أما سرعة إلتقاط الصور فهي جزء من خمسمائة جزء من الثانية .

ولو أن الصاروخ لا يعتبر من القذائف المسيرة إذ لا يمكن التحكم في سيره إلا أنه يبشر بفوز جدير بأن يحدث ثورة في أسلحة الحروب الحديثة . وان البيانات التي حصلوا عليها عن طبيعة طبقات الجو العليا ستكون ذات أثر محمود عند تصميم أو تحسين القذائف المسيرة للتحكم فيها وتوجيهها الوجهة المطلوبة . وقد يتاح صنع قذيفة تتأثر الهدف وتلاحقه أينما سار إذا كان متحركاً كالطائرات وغيرها .

يستعين العلماء بجهاز الرادار للاستدلال على مكان سقوط الصاروخ بعد أداء مهمته لانقاذ ما يمكن انقاذه من الآلات العلمية . ويتردد في خواطر البعض سؤال طريف وهو : متى يستطاع اطلاق صاروخ نحو القمر ؟ والجواب على هذا هو إنه قد يجوز القيام بمثل هذا العمل لو جاز لنا اعتبار مثل هذه المحاولة تستحق إنفاق بضعة ملايين من الدولارات .

وأطلقوه إلى ارتفاع خمسة وثمانين ميلاً لاختبار تأثير الأشعة الكونية فيها غير أن النتائج لم تعرف بعد . كما أنهم عمدوا إلى أخذ نماذج من الهواء مما في طبقات الجو العليا حفظت في زجاجات من الصلب عملت بطريقة آلية أيضاً وبعد فحصها وجدوا أن كلاً من غازات الهليوم والهيدروجين والأوكسيجين والنتروجين في الهواء على ارتفاع خمسة وأربعين ميلاً هي بذات نسبها عند مستوى سطح البحر . وتلك النتيجة قد شجعت الاعتقاد القديم القائل بأن غازي الهليوم والهيدروجين يطفوان على ما عداهما من الغازات لخفة وزنهما .

وقد وقع الاختيار على منطقة « وايت ساند » بولاية المكسيك لاطلاق الصواريخ منها لأنها سهل منبسط قليل المساكن والاشجار وذات جو صاف يتيح للمشاهد تتبع الصاروخ المنطلق بالمنظار وآلة التصوير إلى أبعد مدى مستطاع .

ويجتمع في مكان اطلاق الصاروخ ممثلو وحدات الجيش المختلفة وبعض العلماء موفدين من مختلف الهيئات الصناعية والجامعات لشهود الحادث .

واطلاق الصاروخ عملية دقيقة تقوم بها فرقة « جنرال الكتريك » تحت إشراف سلاح مدفعية الجيش حيث تفحص أجزاء الصاروخ فحصاً دقيقاً للوقوف على حسن نظام حركتها في اليوم المحدد لاطلاقه يجتمع هذا الحفل . وقبل اطلاقه بنحو ثلاث ساعات تملأ مستودعات وقود الصاروخ بعشرة أطنان من الكحول والأوكسيجين السائل . ويقف الحرس مدججاً بالسلاح لتنفيذ الأوامر المعقدة بمنع التدخين أثناء القيام بهذه العملية الخطيرة . ثم تسد الطرق ويمنع المرور قبل اطلاق الصاروخ بخمس وأربعين دقيقة . وقبل خمس عشرة دقيقة ينطلق دخان ذو لون أحمر ايذاناً باقتراب لحظة الاطلاق من مبنى حصين أقيم خصيصاً لاحتماء الجماعة فيه من احتمال وقوع أي طارىء .

وفي اللحظة الأخيرة يشرع في وصل الدوائر الالكترونية الخاصة بالآلات تحت مراقبة تجري من بعد لضرورة تسخينها قبل قيامها بالعمل بنحو عشرين دقيقة . كما أن بعضها يحتاج إلى تيار كهربائي شديد لتسخينها فتستمد تلك القوة من الخارج . وبعد ذلك يتم وصلها بالبطاريات التي بداخل الصاروخ قبل اطلاقه ببضع ثوان .

وقبل اطلاق الصاروخ بنصف دقيقة فقط يتم وصل آلة الراديو التي ستقوم بإرسال الاشارات التي تمليها عليها سائر الآلات العلمية المشار إليها في صدر هذا المقال كل بما فيه به .

ولدى صدور الأمر المصطلح عليه بكلمة « نار » يعمل المفتاح الذي يفتح صمامات

عن الشمس أو آتية من وراء النجوم الأبعد مدى . لأن اصطدام هذه الأشعة بالصاروخ وهو منطلق في الجو يبدو أثره في الصور المأخوذة فيعرفه الفاحص المدقق . ولا يخفى أن الأشعة الكونية هي دقائق مشحونة بالكهرباء ومنصبة على الأرض بقوة هائلة دونها اشعاعات أشعة الذرة وهي تدخل في أجسام الناس من عشر إلى عشرين مرة في الثانية الواحدة . إلاّ أن تأثيرها فيها غير معروف للآن .

ومما زودوا به الصاروخ آلات خاصة تحصي عدد الاشعاعات الآتية من جهات مختلفة وذلك في كل ثانية تمر من وقت اطلاق الصاروخ الى وقت عودته .

ويأخذ الصاروخ في الاضطراب والتذبذب عند ما يبلغ خمسة وعشرين ميلاً في الجو . فيدور حول نفسه ويترنح وتتخذ مقدمته وجهات مختلفة . غير أن زاوية انحرافه سيعرف مقدارها بعد قياسها في مختلف الصور . كما أن جميع الصور موقوتة بزمن إلتقاطها .

وتطلق السواريخ صوديًّا . وإن أقصى ما بلغه الصاروخ من الارتفاع لا يتعدى ١١٦ ميلاً . وقد أظهرت البحوث بأن الضغط الجوي على ارتفاع ثمانين ميلاً لا يتعدى جزءاً من عشرة ملايين جزء مما هو عليه عند سطح الأرض . لأن جو الأرض ينتهي على بعد ١٤ ميلاً من سطحها تقريباً .

أما فيما يتصل بتفاوت درجات الحرارة والبرودة في مختلف طبقات الجو فأمر يدعو إلى الدهشة ، فعلى ارتفاع عشرة أميال انخفضت درجة الحرارة إلى ٦٣° فهرنهيت تحت الصفر . ثم تذبذبت في العشرة الأميال التالية . وعلى ارتفاع عشرين إلى ثلاثين ميلاً بلغت ٦٥° درجة تحت الصفر تقريباً . ثم هبطت مرة أخرى على ارتفاع خمسين ميلاً تقريباً إلى ١٥٠° درجة — أما على ارتفاع خمسة وسبعين ميلاً فقد ارتفعت ارتفاعاً كبيراً حيث بلغت ٢١٢° درجة فوق الصفر وهي درجة غليان الماء عند مستوى سطح البحر .

وكانت ترد هذه البيانات وغيرها تباعاً بطريقة آلية . ولقياس درجات الحرارة صنع باروميتر خاص أتخذ من معدنين مختلفين ضما إلى بعضهما بطريقة اللحام . وكل منهما مقاوم للتغييرات الجوية من برودة وحرارة . وإذ هما كذلك يولدان تياراً كهربائيًّا صغيراً تتناسب قوته مع الحرارة . وهذا التيار المتغير يتحول إلى اشارات راديو التي يدورها تتغير قوة وضعفاً بالتبعية فتعطي بيان درجات الحرارة والبرودة حيث هي في الطبقات العليا .

ووضعوا في بعض الصواريخ نماذج من بعض الحبوب كذا بعض أنواع ذباب الفاكهة

ارتفاعه ثلاثة وثمانين ميلاً . كذا في العودة حتى صار على بعد أربعين ميلاً من الأرض . وقد بدا منظر الأرض عجيباً في تلك الصور . حتى لوحظ النقوس في أفقها . كما ظهرت في الصور سلاسل الجبال الكبيرة ، والأنهر الطويلة ، والسهول المنبسطة . كل ذلك كان واضحاً وضوحاً يستدعي النظر ويستهوي القلوب . وقد شملت بعض الصور مساحات قدرها مائة ألف ميل مربع .

وقد تخطى الصاروخ المنطلق طبقة « الاستراتوسفير في الجو [1] حتى بلغ الطبقة السفلى من « الايونوسفير » . والأخيرة هي التي تزيد عندها موجات الراديو فتعود إلى الأرض ثانية . كما إنها الطبقة التي يظهر فيها الأفق القطبي .

ويضم تلك الصور إلى بعضها وُجد أنها شملت مساحة مليون ميل مربع وقد دُبِّر بأن مجموعتين أو ثلاثة منها تكفي لاظهار منظر الولايات المتحدة الأمريكية كلها . وان تسعة من أمثالها تكفي لابراز صورة كاملة لأميركا الشمالية .

نتائج هذه التجارب هي بمثابة توطئة لمحاولة تصوير مراكز العدو في أوقات الحروب . وذلك بطلاق قذيفة مسيرة وبها آلة تصوير فوتوغرافي . أما لو أتيح اطلاق قذيفة بها آلة للرؤية عن بعد « تليفزيون » لأمكن مشاهدة كل ما يجري في ميدان القتال من حركات وسكنات .

أما في أوقات السلم فقد يستطاع تصوير المناطق النائية الصعبة الارتياد كالجبال الوعرة والأدغال الكثيفة . والصحاري الواسعة والمستنقعات . كما يمكن تصوير أواسط القارة المتحدة الجنوبية بهذه الطريقة . وبالاجمال يمكن تصوير سائر أنحاء الكرة الأرضية إذا دعت الحال .

وقد يسرت هذه الصور لرجال ادارة الارصاد الجوية بالولايات المتحدة الأمريكية تحقيق نظريات حديثة بصدد تكوينات الغيوم لم يكن من المستطاع تحقيقها من قبل . فمنها أن تكثف الغيوم فوق الوديان المنخفضة أقل منه فوق الجبال والهضاب المرتفعة في أثناء النهار لأن الهواء الساخن الحامل للبخار المائي ينساب صعداً مع مرتفعات الجبال حيث يتكثف فتتألف الغيوم . وبناء عليه فهي في تكوينها تابعة لطبيعة الأرض .

وللصور فائدة أخرى إذ يستعان بها على معرفة مصدر الأشعة الكونية أهي صادرة

(١) راجع مقال « حدود جديدة للأرض » مقتطف مايو سنة ١٩٤٨ .

منظر الكرة الأرضية

من ارتفاع ثمانين ميلاً

للأستاذ أمين عبده

في أواخر الحرب العالمية الثانية استولى الجيش الأميركي على نحو مائة صاروخ مما كان يطلقه الألمان على الحلفاء للارهاب والتدمير. وهي صواريخ تفوق في سرعتها سرعة الصوت ولا تحدث صوتاً أثناء سيرها حتى حين اقترابها من الهدف. ولذا لم يسع الحلفاء توقي أضرارها.

فلما استولى عليها الأمريكان استخدموها في الأغراض العلمية بأن زوّدوا الواحد منها بآلة تصوير فوتوغرافي لالتقاط صور الأرض من أعالي الجو. كما زودوه أيضاً بآلات أخرى أوتوماتيكية منها آلة لقياس قوة انحدار الأشعة الكونية. وأخرى لقياس قوة جاذبية الأرض. وأخرى لقياس درجات الحرارة في مختلف الارتفاعات. وأخرى للضغط الجوي وغير ذلك. على أن يتم انجاز كل هذا في خلال الدقيقتين أو الثلاثة التي يصرفها الصاروخ في الجو.

وهذه الآلات من شأنها أن تسجل كل ذلك تلقائيًّا وترسل نتائج عملها الى الأرض بإشارات راديو كل آلة بما نيطت به. ومعظم هذه الآلات لا تستخدم إلا مرة واحدة لأنها تتهشم على أثر سقوطها على الأرض مع الصاروخ المرتد بعد بضع دقائق من إطلاقه. إلا أن الفلم الفوتوغرافي المشتمل على المناظر المصورة يظل سليما.

وكان مما استرعى النظر تلك الصور الفوتوغرافية للأرض المصورة لأول مرة في التاريخ من مثل هذه الارتفاعات الشاهقة حيث التقطت الآلة الفوتوغرافية صوراً متعددة في فترات متقاربة كل منها ثانية ونصف ثانية، بدأت من وقت انطلاق الصاروخ حتى بلغ في

للخلفاء والأمراء والوزراء كثيراً من آداب الفرس وحكمتهم وأمثالهم وتاريخهم وقصصهم وأشعارهم ، مما ظهر أثره في الأدب العربي واضحاً . وإذا كان الأدب في عهد بني أمية عربياً خالصاً في السيادة والمعنى ، ولم يكن للفرس إلا مدارسته وحفظه وروايته ؛ فقد كان في عهد بني العباس أثرهم أعمق ، لا في الأسلوب البياني ، بل في التفكير والخيال ، وبتأثيرهم تنوعت الأغراض ، وظهر التأنق في النثر والشعر ، وطلبت الرقة والدماثة ، مع المحافظة على فصاحة العربية والأخذ بأساليبها .

— ٢ —

ويمتاز الأدب في هذا العصر بظهور آثار الحياة العقلية فيه ، وبصدق تمثيله للحياة الاجتماعية ، وبكثرة الحكم وأخبار الزهد والزهاد فيه ، وبتأليف الكتب الجامعة في الأدب كالبيان والتبيين وعيون الأخبار والكامل والعقد ؛ وبأن الأدب أصبح في هذا العصر صناعة علمية في الانشاء والتأليف ؛ وأظهر ما يتجلى فيه ابداع التصوير واتساع الخيال والمبالغة الشديدة والاكثار من الحكمة والمثل والبراهين العقلية . وقد أصاب صناعة الأدب كساد لفساد الدولة وقلة التشجيع وشيوع الشعوبية وانصراف الناس إلى الفلسفة وعلومها مما يبسطه ابن قتيبة في مقدمة أدب الكاتب بوضوح .

— ٣ —

وقد ضعفت الخطابة بزوال أسبابها وأعجمية رجال الدولة ولأن الدولة قد توطدت دعائمها ، وحكمت بالاستبداد ، وبطلت الخطابة في الجيوش ، وضعفت الملكات . كذلك صار في الكتابة — وقد تنوعت أساليبها وأغراضها — غنى عن الخطابة ؛ فضعف شأنها ولم يبق لها إلا مظهرها الديني ، حيث كان الخلفاء يخرجون للصلوات الجامعة ويخطبون الناس ، وكان آخر خليفة خطب على المنبر هو الراضي (٣٢٢ — ٣٢٩ هـ) (١) .

وقد بلغت كتابة الرسائل في هذا العصر مكانة عالية ، وقد كان للانقلاب العباسي أثر عظيم في الميول والعقول ، ظهر على أقلام الكاتبين ، فاستنبطوا عيون المعاني ، وتخيروا شريف الألفاظ ، مما لم يكن حوشياً ساقطاً سوقياً ، وفتحوا أبواب البديع ؛ وبذ الكتاب فحول الشعر في عظمة الحياة والرياسة ، وتسنموا أرفع المناصب في الدولة ، واشتهر منهم : محمد بن عبد الملك الزيات ، وآل وهب ، وسواهم ، من أعلام الكتابة . كما نبغ في الأدب والشعر جمهور كبير . ونهض الشعر في هذا العصر نهضته العظمى . . مما سنتحدث عنه في الدراسات التالية .

(١) راجع ٢١٣ الزيات ، ٥٤ وما بعدها الادب العباسي لمحمد مصطفى ، ٤ ، ١ وما بعدها العصر العباسي للسباعي بيومي .

وتأثير الثقافة الهندية في الأدب العربي كذلك كان طفيفاً لا يعدو تلك الأفكار التي كانت تتساقط من علم النجوم أو الرياضة في الشعر ، وهذه القصص الهندية التي أولع العرب بها ونقلوها الى العربية ككليلة ودمنة التي نقلوه من الفارسية إلى لغتهم ، وتلك الحكم التي تشبه الأمثال العربية ، وهذه الألفاظ التي عربوها وأدخلوها إلى العربية .

وأثر الفرس في الأدب العربي كبير ، فهم الذين أشاعوا فيه اللهو والمجون ووصف الراح ، وأدب الزهد تأثر كثيراً بنزعات الفرس ، وعنهم نقلت آثار كثيرة من الأدب القصصي ككليلة ودمنة وهزار افسانه ، والتوقيعات كان للفرس فيها أثر كبير ، وقد ترجمت من الفارسية توقيعات كسرى ، هذا إلى أنه كان للفرس شعر وأمثال وأدب كثير وضع تحت أعين العرب ، وكان للعرب الذين يجيدون الفارسية وللفرس المتعربين مجال كبير في الأدب كالعتابي وأبي نواس وبشار وسواهم ، فأخرجوا أدباً عربيًّا فيه معاني الفرس وبلاغة العرب ، وكان الشعراء ينظمون ما يضرب اليهم من الصور الفارسية . كان كسرى أبو شروان مشتهراً بالترجس ، وكان يقول : هو ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر فقال الشاعر :

وياقوتة صفراء في رأس درة مركبة في قائم من زبرجد
كأن بقايا الطل في جنباتها بقية دمع فوق خد مورد (١)

وكان أردشير بن بابك يصف الورد بأنه در أبيض وياقوت أحمر على كرسي زبرجد أخضر توسطه شذور من ذهب أصفر له رقة الخمر ونفحات العطر ، فقال محمد بن عبد الله بن طاهر (٢) :

كأنهن يواقيت يطيف بها زمرد وسطه شذر من الذهب
فأشرب على منظر مستطرف حسن من خمرة مزة كالجمر في اللهب

وأخذ ابن الرومي معنى حكمة لبهرام جور (٣) فنظمه شعراً (٤) . وكان من الفرس كبار الكتاب الأوائل الواضعين لأساس صناعة الانشاء (الكتابة الفنية) في الدواوين ، وكان منهم شعراء أحدثوا آثاراً واسعة في أغراض الشعر ومعانيه وأوزانه وقوافيه ، ونقلوا

(١) ٢٣٢ ج ٢ زهر الآداب .
(٢) وينسب البيت الاول لعلي بن الجهم (٢٣ ج ٢ ديوان المعاني) قال أبو هلال : وهو من قول اردشير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودر أبيض على كرسي زبرجد يتوسطه شذور من الذهب .
(٣) فارسي قديم تعلم العربية في الطفولة وشعر بها ، ويقول شمس الدين الرازي في كتاب « المعجم » إنه أول من نظم شعراً فارسياً وأخذه عن العرب وكان علماء الفرس يستجيدون منه غرض الشعر
(٤) ٢٧٨ ج ٢ وما بعدها زهر الآداب .

الحياة الأدبية

في صدر الدولة العباسية

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

إذا كانت آثار الثقافات المترجمة قد صبغت الحياة العقلية والاجتماعية في العصر العباسي الأول والثاني بأصباغ جديدة ، فقد كان أثرها في الأدب واللغة متفاوتاً ، فظلت مناهج الأداء والأساليب ولغة الكتابة والشعر قريبة مما كانت عليه من قبل ، من حيث نضجت معاني الكتاب وخيالات الشعراء وعمقت صياغتهم الذهنية وتفكيرهم العقلي إلى حد كبير .

وإذا كانت الثقافات الحديثة قد طغت موجتها على كثير من نواحي الحياة والتفكير ، فإن العربية كانت أعز من أن تحني رأسها للعواصف الجامحة التي تهدم من حرصها الشاهق أو تزعزع من ثقتها القوية بالنفس ، وظلت كما هي لغة التفكير والأدب ، وإن سايرت حركة الرقي ولم تقف جامدة ضعيفة الاحساس بالحياة .

وإذا كانت الفلسفة اليونانية قد وضعت موضع العناية بالترجمة فإن الأدب اليوناني لم يترجم منه شيء ولم يتأثر به الأدب والشعر في نهضتهما الوثابة في هذا العصر الحافل [1] ، لتباين الأذواق ، ولاعتداد العرب بنفسهم ولغتهم وأدبهم ، ولاختلاف حياة العرب واليونان التي يصورها الأدب ويكون أوضح مثال لها ؛ وعلى أي حال فإن الثقافة اليونانية قد صبغت عقلية الأدباء والشعراء بآثارها العميقة في التفكير والخيال والمعاني [2] وطرافة التقسيم .

---

(١) ٤٥ بارتولد ٦٦ الفن ومذاهبه ، ٢٨٧ التوجيه الأدبي ، ٢٣٥ الأدب العباسي لمحمد مصطفى ، ٢٨٠ ج ١ ضحى الاسلام ، ٢١٤ الزيات

(٢) ولقد أفاد الأدب العربي من القصص والحكم اليونانية التي انتشرت في الثقافة الاسلامية ، وعربت كثير من الألفاظ اليونانية .

الاعرابي الثالث : اما قطيعي فعندي الموطن الباقي أنى ترحلت !
الاعرابي الرابع : . . . . . هذا روح املاق !
الاعرابي الاول : أنظروا ! أنظروا !
الاعرابي الرابع : . . . . . يخال إليا أنها وفقت . . . .
الاعرابي الثالث : . . . . . ليس هذا بابنها !
الاعرابي الثاني : يكاد يكون نجيًّا !
الاعرابي الرابع : . . . . . فصيراً نهي قادمة !
(تقترب الاعرابية من الجمع)
الاعرابية : أحمد الله قد وجدت غلامي !
(مقتربة)
الجمع (دهشة) : هذا ؟ هذا ؟
الاعرابية : نعم هذا غلامي ! لا جمال مثله !
فهل بالغت في وصفي ؟ . . . . أجيبوا ؟
الاعرابي الاول : لماذا لم تقولي إن هذا غلامك ؟
الاعرابية : وماذا كنت أحكي عنه وصفي سناه ؟
الاعرابي الثاني : (دهشاً) أراك شططت في وصفك جدًّا !
الاعرابية : (دهشة) شططت وهذا قرة العين بل روحي ؟ !
الاعرابي الثاني : لم نكن نحسب هذا الولد الأسود معبود فؤادك !
الاعرابي الاول : قد كان يلعب طول هذا اليوم حراً بيننا !
الاعرابية : (دهشة) عجيب أنكم لا تشهدون الحسن وضاء عليه !
الاعرابي الثالث : رحم الله شاعرنا القائل — « حسن في كل عين ما تود » .
الاعرابية : لو كنتم عارفين الحسن معرفتي لما غررتم، وأدركتم مدى حبي!
أتعرفون المعاني حول طلعته ؟ أتعرفون بماذا نابض قلبي ؟
الجمع : بماذا ؟ بماذا ؟
الاعرابية : هذا الصغير الذي لم يرضكم وصفه هو المثل ما أهواه من وطن
هو الجمال لروحي وهو مزتها ففيه أكرم ما أرعاه للوطن !

(النهاية)

الاعرابية : أين التعاون منكم ؟ هل في الحياة سوى التعاون ؟
ولدي تراه كأنه حالٍ بأسواء الجنان
وحديثه الانغام راقصة كرقصات الغواني !

الجمع : الله أكبر !

الاعرابي الاول: إنا لم نلق طفلاً هكذا !

الاعرابي الثاني : أما بوسعك تحديدٌ لأوصافه ؟

الجمع : أما بوسعك ؟

الاعرابية : ولدي صغير كالكواكب وهو يكسفها ابتسامه
وتشع عيناه بلون البحر داعبه سلامه
وبدت على قسماته للعبقرية والجمال
صورٌ تناجيها البلابل كالأشعة والظلال !

الاعرابي الثالث : صور كهذي إنما هي من تصاوير المحال !

الاعرابية : لا خير لي في وقفتي هذي وتكراري البيانا ....
علي أرى من غيركم عوناً !

الجمع : لعلك تهتدين إليه !

(تمضي الاعرابية باحثة)

الاعرابي الاول : يا قوم ماذا تحسبون أصاب هذي المرأة ؟

الاعرابي الثاني : أليك ريب في اصابتها بنوع من هوس ؟

الجمع : لا ريب ! لا ريب !

الاعرابي الثالث : يخال اليّ دعواها صحيحه !

الاعرابي الرابع: ربما ! ربما !

الاعرابي الاول: إذن ساعدوها اذا أسرفت بأوصافها في ازدهاء عجيب !
فكم زين الحب للعابديه فنون الخيال الكذوب الغريب !

الاعرابي الثالث : وهل أحب الى الانسان من ولده ؟

الاعرابي الرابع : نعم أحب الى الانسان من ولده حب تمثل في تقديسه بلده !

الاعرابي الثاني : أحسنت ياصاحبي أحسنت تعبيراً لولا المواطن لم نستشرف النورا

الاعرابي الرابع : أجل اهي ابني ونفسي بل وآصرتي وكل غال من الدنيا أعليه
مهما ترحلت لا رمي ولا غنمي تغني ونفسي، ففي بعدي أفديه !

المولد التائه

تمثيلية شعرية في فصل واحد

للدكتور احمد زكي ابو شادي

(حكي عن أعرابية أنه تاه منها ولدها فراحت ملهوفة تسأل جماعة من الناس عنه، فسألوها أن تصفه لهم حتى يستدلوا عليه، فقالت: إنه بهي الطلعة كالذهب الابريز وغمرتهم بأوصاف أخرى كهذه حيّرتهم ولم تساعدهم ثم عادت فمرّت بهم بعد ذلك حاملة طفلاً على كتفها وهو في لونه أقرب الى السواد، قائلة لهم — ها قد وجدت الطفل! فعجبوا منها وقالوا — لماذا لم تصفي لنا هذا الولد فقد كان يلعب حولنا طول اليوم؟)

الاعرابية : يا من رأى طفلي؟

الاعرابي الاول : صفيه لنا!

الاعرابية : ولدي؟ ... ولدي هو الذهب الابريز!

الجمع (ضاحكين) : الذهب الابريز؟!

الاعرابية : أجل! هو الذهب الابريز، طلعته — إن لم تكنه فشمس في تجليها!
إذا نظرت إليه زدت منه غنى — كالشمس تسكب تبراً فوق رائيها
بل إنه فوق نور الشمس منزلةً!

الجمع (ضاحكين) : الشمس؟ سبحان ربي!

الاعرابية : دعوني أكمل وصفي!

الاعرابي الاول : دعوها! دعوها!

الاعرابي الثاني : ليس المزاحُ بسائغٍ إن كان تأباه الشهامة!

الاعرابية : ولدي جواهر لم تكيف بعد في أوصافها!
وله سماتٌ للملائك!

الجمع (ضاحكين) : ليتنا ندري الملائك!

يسعدنا في هذه المناسبة أن نسجّل فيما يلي أول ما كتبه المغفور لها الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر في أول عدد أصدراه من مجلة المقتطف في عاصمة الديار المصرية وهو الجزء السادس من السنة التاسعة الذي صدر في شهر مارس ١٨٨٥ عقب رحيلهما من بيروت .

ومما يذكر أن هذه الكلمة تضمنت جانباً مهمًّا من احساسهما وشعورهما وهذا نصها : — [المحرر]

وداع ولقاء وتشرف وثناء

فارق المقتطف سوريّة وفي القلب عليها انين، ودمع ربوعها وفي النفس اليها حنين .

لله أيامٌ تقضت لي بها ما زلت أحو ظلالها متشوّقا

رعاك الله بلاداً نشأ فيها وشب ، وأعزّ ديارك ديار العلم والادب ، فلكم جدت عليه بافضالك وآلائك ، فكيف يحول الدهر عن حفظ ولائك ، ويغلق أبوابه عن أقلام أدبائك ، أو يبخل بنشر طيب فضلائك . يستودع الله بلاداً فاحت نواديها بعبير المعارف ، وفاضت أياديها بالفواضل والعوارف ، وعلماء علا صيتهم على الجوزاء ، وادباء انتظموا إنتظام الثريا في السماء، وإخواناً يوم الكريهة صبروا ، وخلاناً في الوداد ما كفروا .

يستودع الله نخر علمائنا ، وذخر أدبائنا ، فيلسوف سورية وإباها ، ونصير الفضيلة وأخاها ، الساحر العقول بعظم عقله ، السابي القلوب بلطفه وفضله ، لولا فراقك يا حلية الفضلاء ، وزينة العقلاء ، الرائد عظمة بأنضاعه ، المعلم التقوى بحسن فعاله وطباعه ، لولا فراقك لهان الفراق، ولولا الأمل بلقاك لم يعذب تلاق .

بلادي بلادي ولو اصبحت عنها غريباً ، وأهلوها أهلي ولو لم أكن منهم قريباً ، على انه لم يهجر الوطن من استبدل سورية بهذه الامصار ، ولا تغرّب نزيل الكرام في هذه الديار، فالشرق وطن واحد اشتركنا في عوائده ومشاربه ، واستوينا في احكامه ومذاهبه .

تلق بكل بلادٍ إن حللت «به» أهلاً بأهلٍ وإخواناً باخوان

كيف لا وقد لقي المقتطف في مصر ، ما يشكر عليه مدى الدهر ، من حسن التفات الكبراء والوجهاء ، وعناية العلماء والأدباء ، وكفاه شرفاً ان يحلى جيده ، وتوشى بروده، بيد رجلي هذا القطر ، وفرقدي قطب مصر ، وزيري ضوء الخطيرين ، صاحبي الدولة شريف باشا ورياض باشا الشهيرين . وقد صدّرنا هذا الجزء بسالتيهما رافعين الوية الثناء على تلك اليد البيضاء .

١٩٥١ ، غير أن نفقات طبع هذا الفهرست باهظة ففهم سعادته ما أقصده فقال : —

« يا بني لقد تربيت معنا وصار لك أكثر من ربع قرن في خدمة المقتطف حتى صار اسم المقتطف مقروناً باسمك وأنا راض عنك وعن اخلاصك في عملك كل الرضا وأوصيك بأن تسير على الخطة التي سرت عليها كل هذه السنين ، وأن تضفي على المقتطف من شبابك وعلمك ومختبرك دائماً الى الأمام ، أما حضوري لحفلة اليوبيل الماسي فأجلي لا يمهلني لحضور هذه الحفلة فان المرض يشتد عليَّ من يوم الى آخر وأما طبع الفهرست الكامل من ١٨٧٦ الى ١٩٥١ لموضوعات المقتطف فقدم اليَّ تقريراً بنفقات طبعه حتى أنظر فيها » وكأن المنية كانت معه على موعد لخرمته لذة ساعة يتوّج فيها جهده الأدبي وجهاده العلمي.

ولكن اذا كان الدكتور نمر باشا قد ذهب فان المشعل الذي رفعه — المقتطف — لا يزال مرفوعاً ، وسيبقى اسمه مخلداً ما دامت في الوجود مجلة اسمها « المقتطف ».

•

والمقتطف الذي أرّخ أحداث العالم وسجل نهضاته العلمية والأدبية خلال خمسة وسبعين عاماً ، فانه سيبقى على مر الأيام وكر الأعوام يتابع اداء رسالته على أكمل وجه.

يعزّ عليه أن يجلل صفحاته بالسواد حداداً على راعيه ومنشئه الدكتور فارس نمر باشا .

ويعزي الأمة العربية الكريمة عامة ومحبي الفقيد وتلاميذه في أنحاء الشرق الذين تخرجوا في مدرسته ، وحضرات نجله وكريماته وحفيده وسائر أعضاء أسرته الكريمة على وجه خاص ويسأل الله أن يتولى فقيدنا العزيز برحمته ورضوانه ، وأن يسكنه فسيح جناته جزاء كثرة حسناته ومبراته ، وان يلهمنا جميعاً الصبر والعزاء .

•

ولا أنس وأنا أسجّل طرفاً من حياة فقيدنا الكريم بل والدنا الجليل ، أن أزجي شكر (المقتطف) وشكري الخالص الى كل من واسانا في مصابنا العظيم من حضرات الزملاء الكرام والعلماء والعظماء ورجال الأدب والسياسة ، راجياً أن يجنّب الله الجميع كل سوء ، وأن يعتبر الجميع ذلك شكراً خاصاً على ما تفضلوا به من جميل العزاء .

اسكندر فارس نمر
رئيس تحرير المقتطف

خاصة، فكان يحوّل مسائلنا إلى غير المقصود، ثم يستطرد منها الى ما يتخلص به من الجواب ويسد علينا باب السؤال ، ولتواضعه كان يجتنب كل معرض يمدحه الناس فيه.

ومن مزاياه انه إذا ارتكب خطأ في مسألة وأرشده أحد الى الصواب باشر الى الاقرار بالخطأ مع الشكر لمن نبهه عليه . وهاك برهاناً ناصعاً مما كتبه الى سيادة الحبر الجليل اغليمس يوسف داود ، مطران دمشق لطائفة السريان [1].

« . هذا وإننا نختم هذه الاسطر بالشكر الجزيل لسيادته ونؤكد له إننا نجلّ الرسالة التي تنبهنا الى خطإ ارتكبناه أكثر من الرسالة التي تمدحنا على صواب ابديناه ولسنا ممن يحسب أن قدر الناس يحط بالاعتراض على اقوالهم »

هذا ويندر أن يتفوّق الانسان الواحد في قوة الادراك والذاكرة معاً، كما تفوّق المرحوم الدكتور فارس نمر باشا بدليل اشتغاله في أسمى العلوم ، ولا ينكر أحد ممن عرفه وعاشره أنه من الافراد المعدودين الذين فاقوا في قوة الذاكرة. وكنت أتعجب إذا حادثته وهو يسرد علي بعض الحوادث أو الاشياء بتواريخها المضبوطة ، وأغرب من ذلك أنك لا تطلب منه شاهداً على مسألة من المسائل إلا هداك حالاً الى الكتاب والتاريخ الذي فيه شاهدك ، كأنه قرأه تلك الساعة ، كما وقع لنا غير مرة ونحن نقرأ مسودات كتاب الرواد الذي طبع هدية المقتطف لسنة ١٩٢٧، فقد كنا نثبته في بعض الأسماء والحوادث فكان يرشدنا إليها بدقة .

وهكذا كان فقيدنا العظيم نمر باشا قوي الذاكرة قوة غريبة بقيت معه حتى آخر أيام حياته . فقد زرته في شهر مايو الماضي بمنزله بالمعادي فاستقبلني بوجهه الباسم وبحفاوة وترحاب ، وأخذ يتحدث اليّ في أمور كثيرة وفي نواح متعددة وتطرق الحديث الى المقتطف فأسدى اليّ نصائحه الغالية وارشاداته النفيسة ، فقلت لسعادته إننا سنحتفل في هذه السنة بيوبيل المقتطف الماسي بمناسبة انقضاء ٧٥ سنة على تأسيس المجلة ، وكل مناي ان أراكم يا سعادة الدكتور تقدمون العضوف لتشهدوا هذه الحفلة كما شهدتم حفلة اليوبيل الذهبي في سنة ١٩٢٦

وتذكاراً لهذه المناسبة السعيدة أود أن أصدر الفهرست الكامل للمقتطف من ١٨٧٦ـ

---

[1] راجع المقتطف السنة ١٣ لشهر فبراير سنة ١٨٨٨

شهرتها وذاعت عنه بين الخاصة والعامة تشهد له بالتبريز في عالم الفضل والأدب والعلم.

أما الفوائد العملية التي حنى البعيد والقريب قطوفها من فضله، فقد حملت جماهير العلماء والفضلاء على الاعتراف له بالسبق في مضمار العلم والأدب، ولا يثوى سامع لكلامه، أو قارىء لمقالاته، على غمط هذا الفضل العميم.

﴿عودته الى بيروت﴾ وكان قبل اعلان الدستور في الدولة العثمانية لا يستطيع الرجوع الى وطنه للاحكام التي كانت سارية في سوريا اذ ذاك، فذهب الى بيروت سنة ١٩١١ بعد غيابه عنها ٢٦ سنة، فاحتفل العلماء والأصدقاء بقدومه إليها، وأقامت المدرسة الكلية السورية حفلة خاصة في ناديها تكريماً لهذا الزائر الكريم، الذي تعلّم وعلّم فيها فخطب بفصاحته المشهورة خطبة أعجب بها كل الحاضرين، وذكّرهم بمواقفه الخطابية أيام الدراسة.

﴿شيء من آثاره﴾ وكان رحمه الله أبلغ سياسي في الشرق وأفصح خطيب عربي. غير منازع. ومنذ انشاء جريدة المقطم انقطع الى تحريرها مع الاشتراك في تحرير المقتطف كلما سنحت له الفرصة حتى منعته أشغاله فأسند رياسة تحرير المقطم الى سعادة الشيخ المحترم خليل ثابت باشا ثم الى سعادة كريم ثابت باشا ثم من بعدهما الى الأستاذ انطون نجيب مطر.

وقد ترجم مع زميله وأخيه الروحي المرحوم الدكتور يعقوب صروف كتاب «سير الأبطال والعظماء» وكتاب «مشاهير العلماء» وغيرهما من أنفس الكتب

وكان الفقيد العظيم عضواً بارزاً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالعاصمة — وعضواً في المجمع المصري للثقافة العلمية وعضواً في مجلس الشيوخ سابقاً، وله في مضابط هذه المجامع مقترحات ومحاضرات ومناقشات تشهد بحكمته وبعد نظره وعبقريته الفذة.

وله يد طولى في انشاء نقابة الصحفيين. والصحافيون يذكرون له أياديه أجمل الذكرى. وقد فقدت الأسرة الصحفية بفقده ركناً وطيداً من أركانها ودعامة قوية من دعائمها. بل لقد انطوت برحيله صفحة خالدة سوف تبقى على مرّ الأيام، وكر الأعوام، شاهدة بتبرزه وفلسفته وعفة لسانه وقلمه.

وكان أبعد الناس عن ذكر شيء تشمّ منه رائحة المدح لنفسه، فقد قضينا في خدمة المقتطف أكثر من ربع قرن فلم نسمع منه ذكر أدنى عمل من أعماله في معرض الاستحسان، وحاولنا غير مرة ان نستكشف منه القليل عن سيرة حياته ومن ذكرياته عن الشرق ومصر

في تنشيط الهمم واعلاء كلمة الأدب . وقد رأينا من آثاركم العلمية على تنوع مواضيعها ما تقصر عنه عبارات البلغاء لو عمدوا الى بيانه . فلذلك طلبنا الى جلالة مولانا الملك أوسكار بلتماس الرجاء أن ينظر الى جنابكم بعين لا ترى منه غير شيء من جسيم المبشة العلمية فوقع الطلب موقع القبول إذ أنعمت الحضرة الملكية على الجناب برسام ذهبي لا يحمله إلا رجال الفنون والصناعات العالية . وسنتقدم الى مصر به عما قريب ليزدان بصدر الجناب لازال في المجالس صدراً وفي المطالع بدراً والسلام عليه ورحمة الله »

الكونت كرلو دي لندبرج

فنصل دولتي اسوج ونروج العالم ووكيلها السياسي بمصر

وعند عودته من نيويورك زار عواصم اوربا وشاهد معرض باريز في السنة نفسها أي سنة ١٨٩٠ . وجاء لندن واجتمع بكبار السياسيين فيها وقدرته صعفها بالاجماع فنشرت الشيء الكثير عنه وعن آرائه ومكانته المتألقة في عالم الأدب .

والدكتور فارس نمر باشا هو اول شرقي منح درجة الدكتوراه الفخرية في الفلسفة من جامعة نيويورك، وذلك تقديراً لبحث أعده مع زميله الدكتور يعقوب صروف في « القطن المصري » وقد ترامت الى هاته الجامعة الزاهرة انباء الفتوح العلمية التي أحرزها فارس نمر مع رصيفه وصديقه يعقوب صروف فدعتهما في شهر يوليو ١٨٩٠ لزيارتها ومنحتهما درجة الدكتوراة الفخرية في الفلسفة تقديراً لفضلهما على الحركة الفكرية في الشرق، وعلى مشاركتهما علماء الغرب في بحوثهم ودراساتهم ، واعترافاً بما اسدياه من خدمات للحركة العلمية في العالم في مجلتهما « المقتطف » . وكان رحمه الله يعتز بهذا الفخار العلمي الذي جاءه عن استحقاق على كل رتبة أو جاه .

﴿ جريدة السودان ﴾ وفي سنة ١٩٠٣ انشأ جريدة « السودان » باللغتين العربية والانجليزية في مدينة الخرطوم وكانت ذات ست صفحات كبيرة تبحث في جميع الشؤون التي تعود بالنفع على البلاد السودانية لا سيما الزراعة والتجارة .

وله في خلال السنين الطويلة التي صرفها بين التعليم والعمل بالعلوم مؤلفات وخطب كثيرة طبع القليل منها .

وبالاجمال فان شهرة صاحب الترجمة تغني عن كثرة الاطناب فيه، ومعارفه التي طارت

عضواً لمجمع بريطانيا الفلسفي ، كما أنشأ مع زميليه الدكتور يعقوب صروف وشاهين بك مكاريوس جريدة المقطم التي نالت الشهرة العظيمة في الشرق والغرب ، رجاء أن يكون دخل الجريدة عوناً لهم على الاستمرار في اصدار المقتطف والصرف عليه .

فاستقل الدكتور يعقوب صروف بشؤون البحوث العلمية في المقتطف واستقل الدكتور فارس نمر بشؤون المباحث السياسية في المقطم فنالت الجريدة مركزاً عالياً بين الصحف السياسية عموماً والعربية خصوصاً بقوة برهانه وغزارة مادته وحرية مبادئه . وبدأ الدكتور نمر معركة جديدة في حياته لأن صراعه مع السلطان عبد الحميد الثاني بدأ من جديد وصار سافراً غير محجب وقد سعى كثيراً في ترقية أحوال الشعب العثماني وتنبيه أفكاره الى المطالبة بالحرية وكسر قيود استبداد الحكام الظالمين وصار السلطان لا يخاف شيئاً كما يخاف المقطم ، وكم بعث السلطان رسلاً الى الدكتور فارس نمر يقرونه بالمال والرتب لكي يكف من حملته على السلطان فلم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه .

وقد أخبرني رحمه الله مرة انه في سبيل الحركات العمومية انفأ جمعية سرية تناوىء تركيا وقد لاقى في سبيلها كثيراً من الاضطهاد والدسائس، وكان يكتم كل هذا عن شريكيه حتى لا يقلقا فيضطرب سير العمل ، ولا تزال حجرة مكتبه محتفظة بذكريات اعلام العرب والشرقيين الذين كان يجمعهم نمر باشا في مكتبه يدبرون تدبيرهم ويضعون خططهم وقد كان يتلقى أخبار الحكم عليه بالاعدام من الناقمين عليه بسبب سياسة المقطم وهو صامت حتى ألف الصبر على المكايد ، ولم يعبأ بتلك الأحكام بعدما تكررت عليه ثلاثاً بالاعدام وهي لا تزال محفوظة بين أوراقه . وقد رأى مصارع جلاديه واحداً بعد واحد ، فبعضهم مات حتف أنفه، وبعضهم مات قبلة أو بانفاذ حكم الاعدام فيه .

وقدر صاحب الترجمة وقتئذ جلالة الملك أوسكار ملك أسوج ونروج بصفة كونه رئيس المؤتمر الدولي فأهداه « وسام المعارف الذهبي » مكافأة على خدماته الجليلة العديدة في تعزيز المعارف ونشر العلوم وهاك نص ما كتبه اليه معتمد الدولة الاسوجية في مصر وقتئذ

كتاب المعتمد الاسوجي

حضرة الفاضل الاديب فارس افندي نمر حفظه الله .

تعلن جنابكم ما نحن عليه من حب أرباب المعارف ومساعدتهم بما نحتمله القدرة رغبة

العثمانية شديدة على رؤوس المفكرين ورجال الأدب فتقدا النية على مغادرة بيروت والالتجاء بمصر .

ومصر منذ القدم، منذ عهد يوسف بن يعقوب ، ويوسف خطيب مريم معقل الأحرار وملجأ المضطهدين. وجئت بالمقتطف ولم تكتف بذلك بل تبنته فشب فيها طليقاً حراً .

إن عاصمة الديار المصرية قد أصبحت عاصمة البلاد الشرقية ؛ وأصبح شعبها في مقدمة بني الشرق في كل أبواب الرقي . والبلاد الشرقية منبع التمدن وأم العمران ، ومصر من أعرق البلدان الشرقية في المدنية إن لم تكن أعرقها .

أصدر يعقوب صروف وفارس نمر العدد السادس من المجلد التاسع في مصر وجعلا فاتحة كل سنة في بدء السنة الميلادية وتابعا المسير بهمة لا تعرف الملل ، يزيد في نشاطهما ما لاقياه من الترحيب والحفاوة من الوزيرين الخطيرين شريف باشا ورياض باشا (١) ومن ادبائها ومفكريها ، ثم تدرجا بالمقتطف في معارج الرقي شيئاً فشيئاً غير آبهين بما يعترض كل صحفي وأديب في مثل هذه الخدمات ، وهو ذا المقتطف الى وقتنا هذا راتع في نعيم الوادي ، يدعو للملك وحكومته بالعز والتأييد .

*

ودّع المقتطف قبل رحيله الى الديار المصرية علماء بيروت وأدباؤها ، ورحّب به علماء مصر وفضلاؤها .

وقد أرسل الدكتور كرنيليوس فانديك الى صاحبي المقتطف رسالة يقول فيها : —

« على اننا ندعو بالخير والتوفيق للبلاد التي أنزلت المقتطف ديارها على الرحب والسعة، ونثني الثناء الجميل على الأماجد الأفاضل الذين فتحوا لكم الصدور واحلوكم محل الكرامة . . . متيقنين أنكم تزيدون نفعاً تحت ظلهم وتزداد جريدتكم المنيفة فوائد بحسن معاضدتهم » .

« انشاء جمعية الاعتدال » ولم تمض سنتان على وجود صاحب الترجمة في القاهرة حتى أنشأ فيها بمساعدة بعض أصدقائه من العلماء « جمعية الاعتدال » وذلك في سنة ١٨٨٧. وفي ١٨ يوليو سنة ١٨٨٨ تم عقد قرانه في الاسكندرية. وفي سنة ١٨٨٩ أنتخب

(١) انظر مقتطف الجزء السادس من السنة الثانية (مارس ١٨٨٥) .

جد في العمل واخلاص في الخدمة . وفي أول السنة الثانية ناط ادارة أشغاله وطبعه بالمرحوم شاهين مكاريوس بك . وبعد ذلك دأبا بسميان في اتقانه وتحسينه عاماً بعد عام على رغم المشقات التي اعترضت سبيلهما وما اقتضاه نشره من التضحية المادية والأدبية خدمة للبلاد الشرقية والمعارف حتى بلغ الجزء الواحد منه في سنته السادسة أربعاً وستين صفحة .

وكانت البلاد السورية في ذلك العهد في حالة اضطراب سياسي ، والسلطان عبد الحميد الثاني الذي لم يكن يهمه من كل أمور السلطنة إلا صيانة حياته، خشي سوء العاقبة من دولة الجرائد وصولة كتابها، فأصدر أمراً بتقييد حريتها وضيق عليها المراقبة حتى صارت جسماً بلا روح . فما كانت تنشر سوى ما يطيب للسلطان عبد الحميد من ألفاظ التفخيم والتعظيم والتمجيد في مدح عدالته المرهومة التي كانت تجر الخراب على المملكة . وكانت الشبهات تحوم حول كل صاحب جريدة أو مجلة ، وكل عضو في جمعية علمية أو أدبية ظناً من الحكومة أن وراء الثوب العلمي أو الأدبي غاية سياسية يقصد منها اثارة فتنة في البلاد والانتقاض على نظام الحكم .

﴿ المجمع العلمي الشرقي ﴾ وفي عام ١٨٨٢ انشأ فارس نمر مع فريق من علماء سورية وأدبائها « المجمع العلمي الشرقي » في بيروت وقد افتتحه في ٨ مارس سنة ١٨٨٢ بخطاب نفيس في « علم الهيئة القديم والحديث »[1] وألقى يعقوب صروف بذين الواحدة في قناطر زبيدة والثانية في حركة البرد[2] — وجعلا المقتطف لسان حال المجمع لنشر محاضرات اعضائه ومقالاتهم فيه

وفي عام ١٨٨٣ عين مديراً للمرصد الفلكي والميتيورولوجي بدلاً من الدكتور كرنليوس فاندبك الذي استعفى لكبر سنه . وبقي عاملاً على الرصد فيه الى حين تركه المدرسة الكلية في أواخر سنة ١٨٨٤ .

﴿ قدومه الى الديار المصرية ﴾ ظل يباشر عمله بهمة لا يتطرق اليها الوهن وقد صدر من المقتطف في بيروت تحت سماء سورية الثانية المجلدات الأولى، ولما بلغ منتصف السنة التاسعة من عمره وقعت في البلاد حوادث لا محل لذكرها هنا ، واشتدت المراقبة على المطبوعات ، ولم يلبثا أن رأيا أن مجال العمل ضيق يومذاك في محيطهما ، ويد الدولة

(١) راجع مقتطف ابريل ومايو ١٨٨٢ (٢) راجع مقتطف ابريل ١٨٨٢

الغربي من الاكتشافات والاختراعات والبحوث العلمية والفلسفية ، وان تذيع مفاخر الشرق وآثاره بين الغربيين شهراً بعد شهر وعاماً بعد عام .

وترددا مدة في بادىء الأمر في اخراج هذه الفكرة الى عالم الوجود ، وذلك لأن الحكومة العثمانية في ذلك الوقت لم تكن ترخص باصدار جريدة في بلادنا إلا بعد التنفس والتوسل بأقوى الوسائط ، ثم تدبرا في الأمر مليّاً ورسما الخطة وقصدا المرصد الفلكي لمقابلة أستاذهما الدكتور كرليلوس فانبلك ومكاشفته بما عزما عليه وسألاه أن يختار لهما اسماً ، فأبرقت أمرته وجعل يمدد عزائمهما ويسهل لهما الصعاب وقال سميا « المقتطف » واجعلاه كاسمه وحسبكما ذلك . ثم كتب إلى الأستاذ خليل الخوري مدير المطبوعات في سورية يطلب منه ان يسعى لهما في استصدار الرخصة السلطانية بأسرع ما يمكن ، فلم يمض شهران حتى أتتهما الرخصة فذهبا وبشرا أستاذهما بها فقال لهما « سيرا في مملكا والله معكما » وأنا سأشرع في هذه الساعة في كتابة بعض الفصول للمقتطف .

﴿ إنشاء المقتطف ﴾ ظهر المقتطف الى عالم الوجود في مدينة بيروت في أول مايو سنة ١٨٧٦ في بدء النهضة العلمية والفكرية في الديار السورية بعد أن كرّت الأعوام الطوال وأنوار العلم الحديث محجوبة عنها ، وأبواب البحث والتنقيب موصدة دونها . فلم تكن ثمة نهضة أدبية بل كان هنالك تقهقر أدبي ، لأن عدداً عديداً من الكتب التي أنتجتها جهود السالفين ترجمة وتأليفاً عبثت بها أيدي الجهل وعدم توفر وسائل الطبع فاما أتلفت أو نقلت الى خزائن الغرب وقد تدثر بعض العارفين عدد مؤلفات السلف بعشرات الألوف ، أما ما فقد منها فيقال إنه اضعاف ، ذلك وهكذا خسرت اللغة الشيء الكثير من كنوزها القديمة .

كان المقتطف حين ولادته صغير الحجم نحيل الجسم حتى خيف ألا يعيش لا سيما وان العلل التي كانت تنتاب المواليد نظيره في سوريا في ذلك العهد كانت كثيرة ووسائل العلاج قليلة ، ولذا لم يصدر الجزء الثاني منه إلا في أول يوليو وكان فيه مقال الدكتور فنديك في أطباء اليونان والشرق ومقالة الدكتور أمين أبي ناظر في صحة الأطفال عدا المقالات التي كتباها .

وكان أهم رأس مال له همة صاحبيه العاملين يعقوب صروف وفارس نمر اللذين سارا به بأربع وعشرين صفحة شهرياً ملآها بكل ما أوتياه من علم ومعرفة ، وعلى الأخص من

العلمية والأدبية في سوريا ، فقد اختاره ليكون معاوناً له في المرصد الفلكي في بيروت ومعلماً لعلوم الطبيعة والفلك والجبر في المدرسة الكلية الأميركية — جامعة بيروت الآن — وكانت هذه العلوم تدرّس باللغة الانكليزية ، غير أنه أخذ يدرّسها لتلاميذه باللغة العربية وأخذ على عاتقه ترجمة المصطلحات العلمية ومهمة الترجمة والتعريب ومبرهان ما جرت على الألسنة الفاظة وصارت مألوفة لا تزال تتداولها الى اليوم . وكان يعلم أيضاً اللغة الانكليزية في المدرسة السلطانية للروم الكاثوليك . وفي عام ١٨٧٥ ترجم كتاب « الظواهر الجوية » للاستاذ لويس الاميركي وقد طبع في مطبعة الاميركان في بيروت وراج رواجاً عظيماً .

﴿كيف أنشىء المقتطف﴾ وفي الكلية عرف فارس نمر صديقه وأخاه الروحي يعقوب صروف وكان مثله شابًّا يكبره بسنتين دؤوباً محبًّا العلم بحراً في المعارف والآداب ، فكانا يقضيان معظم وقتهما في مطالعة ما يصل الى الكلية من الجرائد والمجلات العلمية الأجنبية على اختلاف أنواعها واشتدت رغبتهما في مطالعة هذه المجلات بعد ما ذاقا لذة ما فيها من كل بحث طريف واكتشاف جديد فكان تأثير ذلك فيهما ان ولّد فيهما الرغبة في اذاعة ما تحويه صدورها واشتد شوقهما الى الانتظام في سلك الكتاب والمؤلفين من قومهما وكانا يأسفان لان لغتهما العربية خالية من جريدة تبسط فيها العلوم والفنون بسطاً يقرّبها من افهام القراء ، وتنشر فيها خلاصة المكتشفات الجديدة والتحقيقات المفيدة شهراً بعد شهر .

وكان يعقوب صروف يدرّس الفلسفة الطبيعية والرياضيات وفارس نمر يدرّس علم الهيئة واللغة اللاتينية ، وكانت مكتبة الجامعة الواسعة تضم شتى الكتب التي تبحث في العلم والفلسفة ، وكان اساتذة الجامعة في كل فن ومطلب ولا سيما الدكتور كرنيليوس فانديك والدكتور ورتبات والدكتور بوست على مقربة منهما يستمدان من علمهم ويسترشدان باختبارهم فيما يتعلق بالدروس التي تخصصوا لالقائها من علمية وفلسفية وطبية وكذلك وجدا نفسيهما في مركز مثل نظيره وفي أحوال ملائمة نادرة المثال لخدمة الشرق على العموم وأبناء العربية على الخصوص باذاعة العلوم والمعارف بينهم ، ورأيا أن خير وسيلة لذلك هي انشاء مجلة شهرية باللغة العربية تثير الاذهان ببحوثها ولا سيما ما كان عمليًّا منها في عبارة صحيحة لا تعلو حتى يصعب على العامة فهمها ، ولا تسفل حتى تنكرها الخاصة ، وتنقل إلى المتعلمين منهم مآثر الشرق وتاريخه وما جدّ في العالم

التلميذ فارس نمر بارزة في المدرسة لا يجهلها تلميذ ولا معلم وهاك صورتها : —

« شاب قوي البنية ، صبوح الوجه جميله ، ترى الذكاء يتدفق من عينيه ، وادلال الشباب وقوة الحياة من مطاويه . وإذا صعد المنبر فقد صعد عليه شيشرونه ».

وكان التلميذ فارس نمر خطيب الكلية وكاتبها ومترجمها من الانكليزية الى العربية وبالعكس ، وكانت معارفه بالفرنسوية لا تنقص عن معارف أكثر الذين درسوا تلك اللغة في المدارس الخاصة بها كمدرسة عينطورة ومدرسة غزير وما الى هاتين المدرستين من مدارس الارساليات الكاثوليكية .

لم يخف عن الأستاذ إلياس حبالين المدرس في الكلية ما كان في تلميذه فارس نمر من قوة الخطابة وطلاقة اللسان فكان أول ما يلتفت الى المجتمعين للخطابة في القاعة الكبرى يوم السبت تلحظ في لفتاته انه يفتش الصفوف عن شخص مخصوص حتى إذا وقعت عيناه على الخطيب الكبير التلميذ فارس نمر استقرتا هناك وعلامات الرضى والاكتفاء ظاهرة عليهما فاذا لم يجده سأل عنه قائلاً أين نمرنا أو أين الخطيب ؛ وبالاجمال كان المرحوم إلياس حبالين لتلميذه المحبوب لديه فارس نمر ، ما كان أفلاطون لتلميذه أرسطوطاليس .

وفي أكتوبر سنة ١٨٧٣ انتقلت المدرسة الى ابنيتها الخاصة في رأس بيروت حيث بلغ فقيدنا الكريم صف المنتهين فأسس مع جماعة من رفاقه « جمعية شمس البر » الشهيرة فلمع نجمه وتجلت مواهبه تألق فيها الخطب الرنانة والبحوث العلمية الجليلة . ولم تحل كثرة دروسه وانكبابه عليها دون جده في خدمة الجمعية ، بل كان وهو يرشف من منهل العلم في الكلية — يدرّس في مدرسة البنات البروتستانية العالية .

ولفرط عنايته برقته وحرصه عليه قسّم ساعات يومه فجعل يقضي ثلث اليوم في الراحة والنوم وخص ساعات معدودة يتناول فيها الطعام والرياضة البدنية وقضاء حاجاته الخصوصية — وما بقي من الوقت كان يقضيه في الاستعداد لواجباته التعليمية والدرس والتحصيل لزيادة معارفه العلمية بحيث لا يستغرق ذلك أقل من ١٢ ساعة يومياً فترجم بعض الكتب الدينية والعلمية والتاريخية التي طبعت في جريدة « النشرة الاسبوعية »

وقبل أن يبلغ العشرين من عمره أي في خريف ١٨٧٤ نال شهادة ب . ع . « البكالوريوس في العلوم » وكان على رأس الناجحين فيها ، ولما كان التلميذ فارس نمر حبيباً إلى نفس أستاذه العلامة الكبير الدكتور كرنيليوس فانديك الذي يعد من أعظم أركان النهضة

نمر باشا . فقد كان طيّب الله ثراه محوراً لكثير من النشاط العلمي والأدبي والسياسي في الشرق العربي ، قرابة قرن من الزمان امتد فيه عمره وكان حتى اللحظات الأخيرة من حياته يفكر في المسائل العامة التي تهم الشرق عركاً ، وإن فقده ليعد خسارة كبيرة نزلت بالشرق وان أسرتي العلم والأدب لفي نواح اليوم حزناً على ابن بار من أبنائها وعميد مجاهد من كرام شيوخها وعلم خفّاق من أعلامها .

ترجمة حياة فقيد العلم والصحافة

وفقيدنا الكبير هو فارس بن نمر بن فارس أبي ناصة . ولد في بلدة « حاصبيا » من أعمال ولاية سوريا في السادس من كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٥٦ . وبعد خمس سنين من ولادته وقعت المذابح الهائلة في سوريا وهي المعروفة بسنة ستين — وكانت « حاصبيا » احدى الضواحي التي عمتها تلك المصائب فقتل أبوه وقتئذ — فحملته أمه مع أخيه « نقولا » وأخته « مريم » الى بيروت وانخذتها سكناً لها .

ولما بلغ منتصف السادسة ألحقته والدته بالمدرسة الانجليزية فتعلم العلوم اللازمة لمن كان في سنه . وأقيمت في المدرسة حفلتها السنوية الكبرى — ورفع الصبي « فارس » إلى المنبر فناه بخطابة دهش لها السامعون وتنبأ بعضهم بانه سيكون خطيب الشرق المطبوع، فكان له ما تنبأوا به حقّاً .

وفي أواخر سنة ١٨٦٣ انتقلت به والدته إلى القدس الشريف وألحقته بمدرسة شنلر الالمانية فصرف فيها نحو خمس سنوات . تعلم في خلالها الانجليزية والالمانية والتاريخ والجغرافيا .

ثم عادت به إلى بيروت في أواخر سنة ١٨٦٨ فألحقته بمدرسة « عبية » في لبنان ولكنه لم يقم فيها إلاّ أربعة أشهر عاد بعدها الى مسقط رأسه « حاصبيا » حيث مرض مرضاً ثقيلاً بالحمى .

وبعد سنة عاد الى بيروت وكانت أمه قد سبقته إليها واستخدم مدة قصيرة في عمل تجاري . ولكن طموحه الى العلم والمعارف لم يطاوعه على الاستمرار في هذا العمل فتركه ، وفي خريف سنة ١٨٧٠ دخل الكلية السورية « جامعة بيروت الأميركية » وجعل همه إلتقاط درر الفوائد واكتساب العلوم السامية . فسهر وجدّ واجتهد ، وكانت شخصية

المقتطف

رئيس التحرير : اسبير وجدي

January 1952 (الجزء ١ — المجلد ١٢٠) يناير سنة ١٩٥٢

نجم هوى

الدكتور فارس نمر باشا

منشىء المقتطف والمقطم

وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

وعضو المجمع المصري للثقافة العلمية والعضو السابق في مجلس الشيوخ

يعز كثيراً على رئيس تحرير المقتطف أن يستهل العدد الأول من السنة الجديدة (١٩٥٢) بأن ينعى الى العالم العربي وإلى قراء المقتطف في أنحاء العالم — والأسى يملأ جوانحه حزناً وألماً — فقيدنا العظيم العلامة الجليل المغفور له الدكتور فارس نمر باشا ، فقد وافاه الأجل في الساعة الرابعة من صباح الاثنين السابع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٥١ بمنزله بالمعادي من ضواحي القاهرة ثم نقل جثمانه الكريم في اليوم التالي إلى الكنيسة الانجيلية الكبرى بقصر الدوبارة حيث أبّنه وصلى عليه جناب القس ابرهيم سعيد وشيعت جنازته بإحتفال كبير مهيب مشى فيه جمهور كبير جداً من العلماء والعظماء وصفوة الأصدقاء والأحباء إلى مقره الأخير — حيث أبّنه الزميل الأستاذ ابراهيم عطايا — مذكوراً بفضله واحسانه وما خلف من الآثار العلمية والأدبية مما يخلّد ذكره مدى الأدهار.

يعز علينا أن نودع زعيماً من زعماء الفكر في الشرق وعلماً من أعلام الخطابة والبيان، وطوداً راسخاً من أطواد العلم في الشرق العربي، وباعثاً من باعثي النهضة الفكرية الحديثة ، وهو حميدنا ووالدنا الذي عرفنا سجاياه الحميدة وشمائله الغر المغفور له الدكتور فارس

المغفور له الدكتور فارس نمر باشا

١٨٦٥ — ١٩٥١